وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر -2- ابو القاسم سعد الله

معهد الآثار

الإستحكامات العسكرية الموحدية في بلاد المغرب والأندلس

-دراسة تاريخية أثرية-

بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية

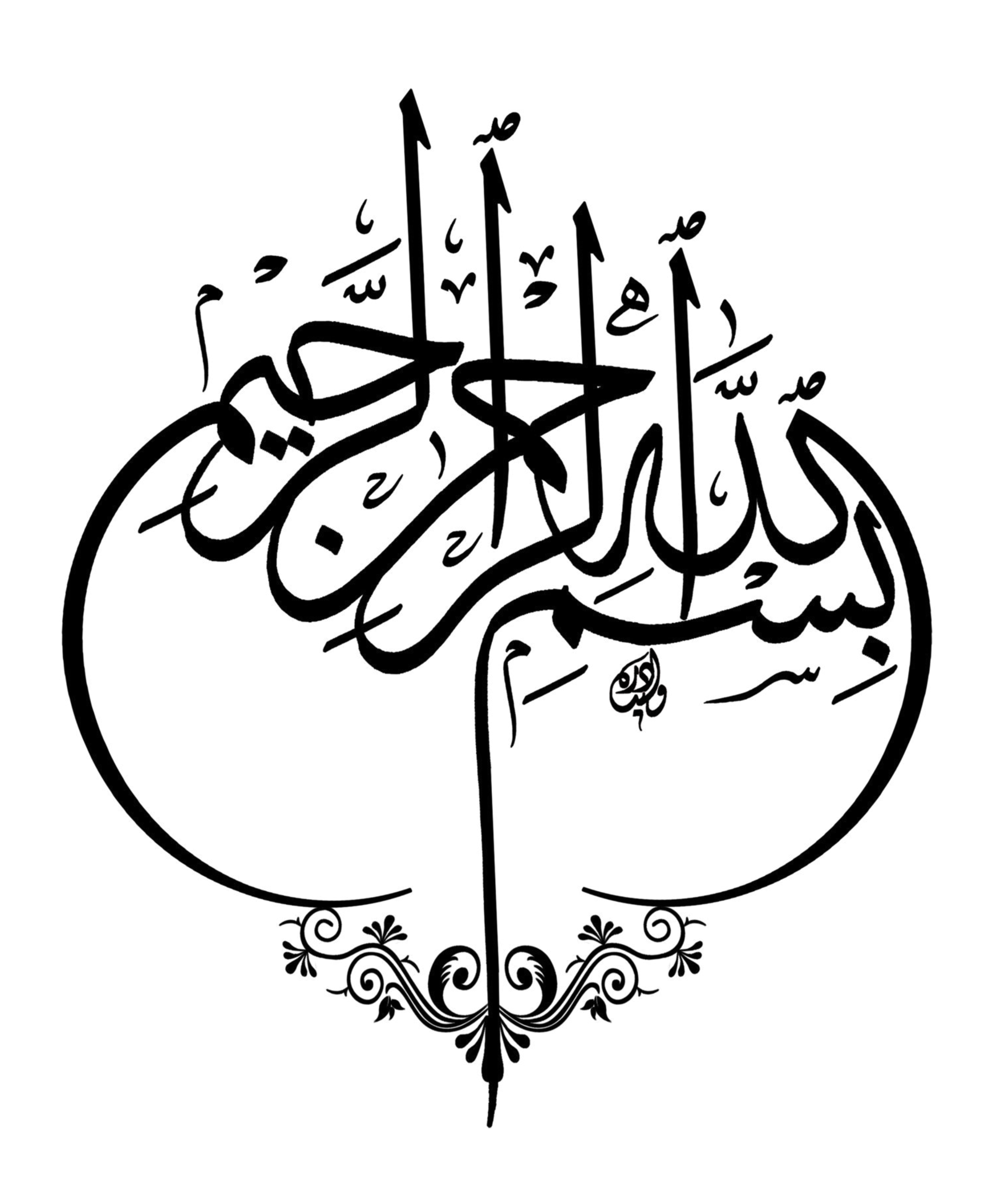
من إعداد الطالب :
مصطفى سالم

تحت اشراف الاستاذ الدكتور:
صالح يوسف بن قربة

أعضاء لجنة المناقشة

اسم ولقب الاستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
خديجة نشار	استاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة الجزائر -2-
صالح يوسف بن قربة	استاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة الجزائر -2-
خيرة بن بلة	استاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة الجزائر -2-
هجيرة تمليكشت	استاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	جامعة الجزائر -2-
عائشة حنفي	استاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	جامعة الجزائر -2-
عمر بلوط	استاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	جامعة قسنطينة

السنة الجامعية: **2018/2017**


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

«فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ »152الآية سورة البقرة

إن الحمد لله نحمده ونشكره على توفيقه والهامة هبة الصبر وتحمل عناء هذا المشوار إلى نهايته.

إلى أستاذي الدكتور صالح يوسف بن قربة الذي أعطى الكثير ومازال يعطي من وقته وجهده دون انتظار الثناء والشكر، مميزا بحضوره ومبدع بتقديم المساعدة، مواضعيه هادفة لا يتعب ولا يمل من تقديم المساعدة في أي وقت، ما هذه الكلمات إلا تعبير بسيط عن تقديري لك وتواجدك المميز بالجامعة ومساعدتك لطلبتك.

لقد كنت نعم الأستاذ الذي تابع مراحل انجاز هذا العمل موجها ومصححا منذ بداية نشأته حتى اتمام ميلاده، لك كل الشكر والامتنان و التقدير نسأل المولى عز وجل أن يكتب لك التوفيق دوماً في خطاك ويمن عليك بالصحة والعافية.

ا لا اهـ د ا ء

إلى أغلى وأعز الناس عندي أمي وأبي

إلى زوجتي التي ساهمت بصبرها ولم تبخل عليا بدعمها لي طوال مشوار البحث

إلى قرة عيني وابنتي: رهف بلقيس

إلى من يعز علي، روح ابني الطاهرة

-رستم إسلام الدين-

إلى اخوتي وأخواتي

إلى عائلة سوري

إلى مصطفى بطاش وعائلته

إلى مصطفى لونيس وعائلته

إلى زمان وعمال مكتبته

إلى كل عين ساهرة على هذا الوطن الحبيب

مصطفى سالم

مقدمة

مقدمة :

لقد كانت الشعوب العريقة تقاس بمدى مساهمتها في التطور الحضاري للإنسانية، ومحافظتها على التراث، كيفما كان مكتوبا او عمرانيا، فان التاريخ يشهد لها بذلك، اعترافا منه بالدور الفعال لتلك الامم في ترسيخ قيم انسانية محضة، والمغرب الاسلامي بتاريخه الغني بالأحداث والذي بسطت عليه خلافة موحدية مترامية الاطراف والتي امتدت من اقليمي برقة وطرابلس اللبيين شرقا حتى سواحل المحيط الاطلسي غربا، ومن طليطلة وبطليوس شمالا حتى حدود السودان جنوبا، ولأجل الحفاظ على حماية الحدود من الاخطار المحدقة بالخلافة، عمد الموحدون في تسيير العديد من التحصينات، وذلك بالارتكاز على تنظيم عسكري محكم، بحيث كانت خطتهم العسكرية تعتمد على وضع شبكة من الحصون لحراسة محاور الطرق الاستراتيجية، ومراقبة القبائل، وتدعيم سيطرتهم عليها والحد من تحركاتهم .فقد شيدوا سلسلة من الحصون والقصبات والمراكز الدفاعية، والتي قامت بدور رئيسي في تمكين خلافة الموحدين المترامية الاطراف، سواء في مرحلة التكوين والتأسيس او مرحلة القوة والازدهار، او حتى مرحلة السقوط، الواضح ان الموحدون قد حققوا ثورة معمارية مست الجانب الدفاعي، اذا اعتبرت ارقى ما وصل اليه المغاربة خلال تلك الفترة.

فقد اثبتت مختلف الدراسات الاركيولوجية، ان المهندسين خلال العهد الموحدي، فقد تجاوزوا المعضلات الهندسية بوضع مخططات ورسوم وزخارف على مستوى عال من المعرفة بالعلوم الرياضية والهندسية.

وشكلت تلك المنشآت الدفاعية بالتالي حزاما امنيا ضد اي تدخل خارجي، وبذلك لجاء الموحدون الى تحديد تقنيات التصميمات كما هو الحال في الابراج ذات التصميم المتعدد الزوايا، وسيادة القصور والحصون ذات التصميم الرباعي او شبه مستطيل، وذات الابواب الملتوية ،وتعميم استخدام التابية، وبذلك يظل القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي قرن للبناء والتشييد بالمواد الصلبة إذ عرف المعمار العسكري بالهياكل الضخمة والبنايات الفخمة ،فكان

لتوزيع المنشآت العسكري عبر مجال جغرافي، واختيار استراتيجي دوره في تحقيق ما وصلت اليه هذه الخلافة من قوة عسكرية.

ان العمارة العسكرية بالمغرب والاندلس عموما والمرتبطة بتاريخ الخلافة الموحدية خصوصا لم تنل حظها بعد من الدراسة والبحث، ولذا تكمن اهمية هذه الدراسة بالتعريف بالاستحكامات العسكرية الموحدية سواء المندرسة منها او القائمة، ومحاولة رسم خصائصها، وتطورها وبالتالي المساهمة في كتابة تاريخ العمارة العسكرية الموحدية التي مازالت تعيش في مرحلة التأسيس على خلاف ما هو عليه الحال نسبيا للعمارتين الدينية والمدنية ، من هنا جاء عنوان بحثنا هذا والمعنون ب:الاستحكامات العسكرية الموحدية في بلاد المغرب والاندلس – دراسة تاريخية اثرية.

أسباب اختيار الموضوع :

لا شك ان اختيارنا لهذا الموضوع برجع الى عدة اسباب نجملها فيما يأتي:

1. قلة الدراسات الاثرية ان لم نقل انعدامها في مجال العمارة العربية وخاصة فترة الدولة الموحدية، اذ لم تحظ هذه العمارة على حد علمي بدراسة مفصلة تهدف الى التعريف بها وبخصائصها المميزة، وكل ما جاء من دراسات عبارة عن شكل عرضي جدا وذلك في اطار دراسات عامة عن تاريخ العمارة بالمغرب الإسلامي.
2. محاولة معرفة المراحل التاريخية الدقيقة التي أنشئت فيها تلك العمارة العسكرية، حيث أعطيت الأولية لتشييد التحصينات والاهتمام بها من طرف الخلفاء الموحدون.
3. تركيز الاهتمام على لم شتات الحلقة المفقودة من آثار المنشآت العسكرية سواء في المغرب أو الأندلس والتي ترجع إلى الفترة الموحدية، وذلك من أجل تصنيف تلك العمارة ومعرفة تطور أشكالها وتصاميمها وكذا مواد بنائها وتقنياته.

4. أردنا أن نتجاوز النظرة التقليدية التي تعتقد أن الحصون والقصباب والأبراج والأسوار والأبواب ما هي إلاّ عمارة حربية ذات طابع دفاعي محض، يتحصن فيه الخلفاء والولاة تحسبا أو درءا لأخطار الغزو والثورات المحلية.
5. محاولة رصد وجرد لوائح لأهم مواقع ومعالم التحصينات العسكرية بالمغرب والأندلس في العهد الموحدي، وذلك في أطلس أثري جامع.

إشكالية البحث:

عرف المغرب الإسلامي والأندلس منذ بداية الخلافة الموحدية، تشييد عدد كبير من التحصينات العسكرية من أسوار وأبراج وقصبات وحصون وقد عمد الخلفاء الموحدون إلى بنائها نظرا لما كانوا يعرفونه من تهديدات داخلية تمثلت في ثورات القبائل على الحكم، وأخطار خارجية من الشمال الأندلسي ومن الشرق، فما كان يستقر بال هؤلاء الخلفاء والولاة حتى يحيطوا قصورهم وقصباتهم ومدنهم بأسوار عالية محصنة بأبواب وأبراج منيعة. ثم لا يأمرون ببناء المدن الجديدة حتى يحرصوا على صلابة أسوارها وقوتها من جهة والدفاع عن أقاليمها من جهة أخرى.

إن تلك المنشآت المعمارية العسكرية والمتنوعة، عبر أقاليم هذه الخلافة توضح لنا الامكانيات التي كانت تتوفر عليها الخلافة الموحدية وتوظيفها في المجال العسكري والبناء الذي كان جزءا أساسيا من البنية السكنية والمعمارية والعسكرية.

ان انتاج تلك المنشآت العسكرية قام لضرورة وبدعم موروث حضاري ساهمت فيه كل الظروف الاجتماعية والسياسية والجغرافية لكي يوجد ويعكس لنا التطور الذي لحق بتلك المنشآت، والتي كانت تلعب دورا محوريا في حماية الأقاليم الموحدية.

وانطلاقا من هذا الكلام نطرح الاشكالية التالية:



كيف يمكننا تتبع ومعاينة تلك المنشآت العسكرية سواء المندرسة منها أو القائمة والتي ترجع إلى العهد الموحدي، خاصة إذا علمنا أن تلك المنشآت كانت موزعة عبر مجال جغرافي ضم المغرب الاسلامي والأندلس؟ وهل تقدم لنا نموذجا دالا لرصد مختلف التطورات والتحولات التي قطعها المعمار والمنشآت العسكرية الموحدية؟

وتندرج تحت هذه الاشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية تتمثل فيما يلي:

- ✓ كيف نستطيع أن نلم بجغرافية هذا الاقليم الذي نشأت على أدمية تلك المنشآت العسكرية؟
- ✓ ما هي التحولات العميقة في البنيات السياسية والاقتصادية والدينية والعسكرية التي أسستها الخلافة الموحدية؟
- ✓ كيف يمكننا إبراز التطورات والتحولات التي لحقت بالمنشآت العسكرية الموحدية من خلال تتبع الفكر العسكري في تطوير المجال الدفاعي لدى الخلافة الموحدية؟
- ✓ ان الحديث عن موضوع التحصينات العسكرية خلال الفترة الموحدية يستدعي ضبط بعض المصطلحات المتعلقة بالاستحكامات العسكرية ففيما تتمثل تلك المنشآت؟ وما هو تعريفها؟
- ✓ ما هي المنشآت العسكرية المبكرة والتي قامت بتمكين الخلافة الموحدية خاصة في مرحلة التكوين والتأسيس؟
- ✓ ما هي أهم المنجزات المتمثلة في العمارة العسكرية التي أقيمت بالمغرب الأقصى عاصمة الخلافة الموحدية؟ خاصة في فترة القوة والازدهار؟
- ✓ ان حركة بناء المنشآت العسكرية والمؤسسات العسكرية الموحدية في المغرب الاوسط والادنى كانت تتبع بالضرورة اتساع نفوذهم فهل استطاعت تلك المنشآت الباقية رغم قلتها من تقديم نماذج لتلك العمارة وتؤرخ لتطورها؟

- ✓ إن موقع الأندلس وما يفرضه كمجال جغرافي وبشري يقع في الواجهة الأمامية التي تحمي المغرب الاسلامي من القوى المسيحية ما كان يعرف بدار الاسلام أي جوار المسيحيين، وما يلزم ذلك الجوار من خصوصيات في الثغور، وظاهرة العمران الحربي فكيف اهتم الخلفاء الموحدون بها وما هي أهم العمارة العسكرية واشكالها ومميزاتها؟
- ✓ من خلال النماذج المعتمدة لتلك المنشآت العسكرية والتي تعود للخلافة الموحدية كيف يمكننا وضع تطور شامل لخصائصها المعمارية ورسم مسار تطورها من حيث الأشكال والعناصر المعمارية المكونة لها؟
- ✓ فيما تمثلت مواد الانشاء وطرائقه في بناء تلك التحصينات؟ وما هي العناصر الزخرفية المطبقة في تلك العمارة؟

مجال البحث ومحدوداته الجغرافية:

لقد حصرنا مجال البحث جغرافيا ابتداء من عاصمة ملك الخلافة الموحدية بالمغرب الأقصى وصولا إلى المغرب الأوسط، شرقا ثم الانتقال إلى الندلس والذي يعتبر اقليما موحديا، حيث كان هذا المجال يمتد من طليطلة وبطليوس شمالا إلى غاية مدينة جبل الفتح جنوبا، ومن الناحية الشرقية حيث برشلونة إلى غاية جنوب الخط الافتراضي الذي يصل إلى نهر دويرة غربا.

أما من ناحية المجال الزمني للبحث فعملنا على دراسة الاستحكامات العسكرية دراسة تاريخية أثرية خلال الفترة الموحدية أي ابتداء من اختيار ابن تومرت لمدينة تينمل منطقا لدعوته وإلى غاية أخر تحصين دفاعي في مدينة اشبيلية والمتمثل في برج الذهب وأسواره وأبراجه البرانية، والتي ترجع إلى عهد أبي العلاء ادريس سنة 617 ه.

منهج الدراسة:

فرضت طبيعة الموضوع وخصوصيته التي تتقاطع فيه مجموعة من العلوم الانسانية ، التاريخ، الآثار العمران، علم الاجتماع، المؤسسة العسكرية اتباع منهجين أساسين في البحث هما:

المنهج التاريخ والمنهج الوصفي التحليلي، خصوصا في معرفة أصول ونشأة العمارة العسكرية وتطورها في العهد الموحدي- خصائصها وسماتها.

وقد ركزنا في جمع المادة العلمية على جانبين رئيسيين هما:

أ. **المنهج النظري:**

ويشتمل الإطلاع على النصوص والوثائق التاريخية، ومختلف ما تحتويه المصادر والمراجع والأبحاث من معلومات تخدم الموضوع، وتعرف بمواقع الاستحكامات المنوطة بالدراسة، والتي تتحدث كذلك عن تاريخ المغرب الاسلامي والأندلس، وتطور عمراهما الحربي في العصر الموحدي، إخذين بعين الاعتبار الدراسات السابقة(والتي تعتبر قليلة جدا)، التي تطرقت إلى العمران الحربي للمغرب والأندلس اضافة إلى المراجع الأثرية التي لها علاقة بالعمارة والعمران، وربطها بالمسائل التاريخية.

ب.المنهج التطبيقي:

ويضم الدراسة الأثرية الميدانية والتطبيقية، وقوامها زيارة المواقع والمعالم التاريخية ذات الطابع الحربي والمدني في كل من المغرب والأندلس، حتى نتمكن من اجراء الدراسة الوصفية والتحليلية من رفع معماري، وتصوير ووضع مخططات للبناية القائمة، وحتى المندثرة، خاصة مواد الانشاء وأساليبه، هذا بالإضافة إلى مواجهة المعطيات التي تقدمها المصادر التاريخية المكتوبة والدراسات بالعمل الميداني.

- دراسة نقدية تحليلية لأهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث.

ان اجراء قراءة واسعة في المصادر المطبوعة والمراجع، خاصة تلك التي لها صلة مباشرة بالموضوع والاستفادة منها بدرجات متفاوتة حسب مضامينها، والمراحل التاريخية التي تناولتها، دون اغفال مظان أخرى تبدو أحيانا ثانوية، من شأنه أن يفيد في اعادة قراءة جوانب متعددة من التاريخ العسكري في المغرب الاسلامي والأندلس عامة، والعمران الحربي الموحدي خاصة، انطلاقا مما سبق استفاد البحث من مادة مصدرية متنوعة ابرزها.

1.المصادر المطبوعة:

استفادت الدراسة من كتابات المؤرخين والرحالة الذين أشاروا ضمن رواياتهم التاريخية والجغرافية، وسيرهم الذاتية، وتراجم الأعلام وأعيان المغرب والأندلس إلى المعالم العسكرية الموحدية وأهم انجازاتهم ويمكن توضيح ذلك كالتالي:

"المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس وهو مأخوذ من كتاب: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " لمؤلفه الشريف عبد الله الإدريسي طبع في مدينة ليدن سنة 1863، حيث يعتبر الإدريسي من أشهر الجغرافيين المسلمين، الذين كان لهم اهتمام بوصف العالم، وقد اشتهر بكتابه الذي أنهى من كتابته سنة 550 هـــ على الأرجح، حيث جمع معلومات تاريخية وجغرافية وعمرانية عن العديد من المدن والحصون الموجودة في المغرب والأندلس، وبالرغم من كونه توفي سنة 560 ه وأنه الف كتابه قبل ذلك بعدت سنوات، إلا أنه قد أفادنا في جوانب عدة خاصة مدينة تينمل وتحصيناتها الطبيعية والمحدثة كما قدم لنا الادريسي عناصر ملموسة تفيدنا في معرفة العمران والاقتصاد، حيث وصف لنا في أواسط عهد عبد المؤمن بن علي مدينة مراكش، فقد أشار إلى أول بيت بنى داخل المدينة داعيا إياه بدار الحجر وهنا يشير إلى مواد وتقنيات البناء بها، كما أفادنا هذا الكتاب بجغرافية المدن الأندلسية وبما أن الادريسي توفي تقريبا في الوقت الذي توفي فيه الخليفة عبد المؤمن فانه لم يشاهد إلا القليل من عهد الخلافة الموحدية.

كما استفادة الدراسة من كتاب "أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين" لمؤلفه أبي بكر بن عمر الصنهاجي"، المكنى بالبيذق، وقد ألف هذا المصدر في منتصف القرن السادس

الهجري وقد اعتمدنا على الطبعة التي حققها عبد الوهاب بن منصور. الذي طبعه بمطبعة دار المنصور للطباعة والوراقة بالرباط سنة 1971، ويكتسي أهمية لأن مؤلفه من بين الذين ساهموا في إحداث الخلافة الموحدية كما أنه يورد روايات حول أول مدينة حربية والمتمثلة في مدينة تينمل، إلى جانب انفراده بأحداث غير واضحة في المصادر الأخرى خاصة منها الجانب العسكري.

وعلى الرغم من اسدائه نفعا عظيما من خلال كتابه، إلا أنه كان يبالغ في وصف بعض الأحداث، واضفاء القداسة على ابن تومرت ومن بعده الخليفة الأول عبد المؤمن بن علي، هذا بالإضافة إلى اعتماده أسلوب ركيك وبعض الأخطاء النحوية من خلال كتابه هذا، زد على ذلك أن المؤلف يتوقف في سرد تاريخ الموحدين عند حدود سنة 558 هـــ.

- ويعتبر كتاب "إلاستبصار في عجائب الأمصار- وصف مكة والمدينة ومصر، وبلاد المغرب لمؤلف مجهول".

وقد نشره وعلق عليه سعد زغلول، وتم طبعه في مطبعة جامعة الاسكندرية القاهرة 1958، حيث يحتوي الكتاب على معلومات مختلفة من جغرافية وتاريخ وآثار، وقد اعتمدنا على القسم الأخير الخاص بالمغرب والذي يعتبر مهم جدا بالنسبة لتاريخ الموحدين، حيث زودنا بمعلومات متعلقة بالمغرب الأقصى، وهي أصيلة ومهمة للغاية، مثل المجهودات المعمارية التي قام بها أمراء الموحدين الثلاثة، وخاصة منهم يعقوب المنصور، حيث تكلم عن عمليات توزيع المياه وبناء القصور، ثم انشاء الحصون في مدن مراكش وفاس ومكناسة، لكن هذا الكتاب وبالرغم من قيمته الأثرية والتاريخية وحتى الجغرافية، إلاّ أنه جاء مختصرا جدا.

- كما أفادت الدراسة من كتاب: " تأريخ المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين"، لمؤلفه عبد الملك بن صاحب الصلاة، تحقيق عبد الهادي التازي، الطبعة الثالثة، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان 1987، ويرجع تاريخ تأليف هذا الكتاب إلى أواخر القرن السادس الهجري، ويعتبر هذا الكتاب من بين المصادر الأساسية لتاريخ الموحدين،

حيث سجل فيه المؤلف أحداثا شاهدها، وشارك فيها حيث كان يرافق الخلفاء في أعمالهم وحروبهم، وقد تناول الجزء الأساسي من أعمال الخليفة عبد المؤمن، كذكره تاريخ بناء مدينة رباط الفتح، وحضوره الحفل الذي أقيم بجبل طارق، حيث وصف الأحداث سواء التاريخية أو العمرانية لهذه المدينة، كما تعرض المؤلف لانجازات الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، كبنائه لقصبة اشبيلية وأسوارها، لكن بالرغم من أهمية هذا المصدر إلاّ أنه اقتصر على أحداث وانجازات سنة 554ه و568 ه، وهي مدة قصيرة بالنسبة لموضوع كهذا.

ويعد كتاب "نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان"، لمؤلفه أبي الحس محمد حسن، ابن القطان قام بتحقيقه ودراسته محمود علي مكي، طبع في دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان 1990، من أهم المصادر كذلك حيث انفرد بأحداث تاريخية وحتى عمرانية وهذا ابتداء من بداية القرن السادس الهجري إلى حدود 533 ه، وبالرغم من صغر ما عثر عليه من هذا الكتاب فإنه فصل لنا كيفية بناء مدينة تينمل، وأهم التحصينات بها ومع ذلك فهو لا يخلو من عيوب لأن مؤلفه لم يعطينا لوحة حقيقية عن باقي الأحداث.

كما استفادة الدراسة من كتاب البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب لمؤلفه محمد ابراهيم الكتاني، محمد بن تاويت، محمد زبير، عبد القادر زمامه دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1985.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على الجزء الثالث الذي يتناول اخبار خلافة الموحدين إلى سنة 667 هـــ، ويعتبر هذا المصدر مهما لأنه يشتمل على فقرات من مصنفات مفقودة، كالأحداث التاريخية والعمرانية في كل من المغرب والأندلس، كبناء قصبة تامركشت وأسوارها إلى جانب بعض المنشآت المعمارية في الأندلس والمغرب الأوسط.

- كما استفادة الدراسة من كتاب "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس": لمؤلفه أبو الحسن علي المعروف بإبن أبي زرع الفاسي، تحقيق دار المنصور للطباعة

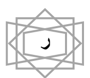
والوراقة الرباط 1972 وقد كتب هذا المصدر في فترة لاحقة من العهد الموحدي أي بعد قرن من الزمان.

وقد أفادنا كثيرا من خلال تتبعه للأحداث التاريخية، وبعض المنجزات العمرانية لبعض الخلفاء الموحدين، لكنه يفتقد إلى الوصف الدقيق لها، خاصة من حيث الأساليب المعمارية لتلك المنشآت خاصة منها العسكرية.

– ويعد كتاب" العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر" لمؤلفه ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، وراجعه سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، 2001 م، وقد تم على الاعتماد على الجزء الثاني خاصة فيما يخص مواد الانشاء وطرائقه والمتمثلة في التابية كما استفدنا من الجزء السادس والذي يتحدث فيه عن الخلافة الموحدية أما الجزء السابع فقد اعتمدنا عليه فيما يخص مدينة تلمسان وأهم الأعمال التي تمت في مدينة تاجرارت.

المراجع باللغة العربية

يعد كتاب " التاريخ الساسي للإمبراطورية الموحدية" لمؤلفه أمبريسيو هويثي ميرندا، والذي قام بترجمته عبد الواحد أكمير، الطبعة الأولى مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء 2013، من أهم المراجع التي انفردت بالتفصل سواء من حيث الأحداث التاريخية أو من خلال بعض الانجازات العمرانية التي تمت من طرف الخلفاء الموحدين، أو ولاتهم سواء في المغرب أو الاندلس، أضف إلى ذلك معرفتنا لبعض أسماء الأماكن والأعلام والتي كان يشوبها بعض الغموض في المصادر التي اعتمدنا عليها لكن نجد أن هذا المرجع يعتمد أكثر على الجانب التاريخي للخلافة الموحدية.



ويعتبر كتاب: "تاريخ العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى"، لمؤلفه عثمان عثمان اسماعيل، الطبعة الأولى مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1993، موسوعة عامة تتناول تاريخ العمارة الاسلامية بأنواعها الدينية والمدينة والعسكرية، وقد كان اعتمادنا على الجزء الثالث والذي تطرق فيه المؤلف إلى المنشآت العسكرية والدينية والمدينة للخلافة الموحدية.

لكن الشيء الذي نأسف له أن هذا الكتاب تميز بالعمومية دون الدخول في التفاصيل خاصة العمارة العسكرية.

كما استفادة الدراسة من كتاب:" مجموع رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المؤمنة" حيث اعتنى بإصدارها لا يفي بروفتصال، الجزء العاشر، المطبعة الاقتصادية رباط الفتح الرباط 1941، حيث تتحدث تلك الرسائل عن العلاقة بين الأندلس والمغرب الأقصى والمغرب الأوسط والأدنى، وتعالج أمور متعلقة بالوضع الداخلي للخلاقة الموحدية كما تتطرق للجانب الاقتصادي والاجتماعي لها، وقد اعتمدنا على الرسائل الخاصة ببناء مدينة جبل الفتح، فهي تعتبر وثائق رسمية لكونها من انشاء كتاب الدولة الموحدية.

ويأتي كتاب " العمارة العسكرية" بفاس عبر التاريخ لمؤلفه منير أقصبي، افريقيا الشرق الرباط 2015، في الأهمية حيث قام بجرد ودراسة ما بني بفاس من منشآت ذات دور عسكري عبر تاريخها، وقد استفدنا منه من خلال تطرق المؤلف إلى العمارة العسكرية التي انشأها الموحدون بهذه المدينة، كما افادنا كذلك من خلال التعرف على بعض المصطلحات الموجودة بالعمارة العسكرية، لكن نقص التفصيل في تلك المنشآت العسكرية الموجودة بفاس من طرف المؤلف والتي ترجع إلى العهد الموحدي، مما جعلنا نبحث أكثر في المراجع الأخرى التي كتبت على المدينة خاصة في الفترة المدروسة.

واستفادت الدراسة من كتاب" العمارة في الأندلس- عمارة المدن والحصون" من تأليف: باسيليوبايون مالدونادو ترجمة الأولى طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية القاهرة2005 حيث اعتمدنا على الجزء الأول والثاني من الكتاب، فهو يدرس الثلاثية الشهيرة في الاندلس،

وهي الفن والعمارة، والحفائر الأثرية، وقد أفادنا كثيرا سواء من خلال وصفه لتلك الحصون والقصبات أو مجموع المنشآت العسكرية والتي ترجع إلى العهد الموحدي أو من خلال المخططات لتلك العمارة اضافة إلى مواد البناء المستعملة وطرائقها.

ويعد كتاب: المسكوكات المغربية على عهد الموحدين والحفصيين والمرينيين لمؤلفه الدكتور صالح بن قربة، الجزء الأول دار الساحل للكتاب الرغاية، الجزائر، 2011.

على درجة كبيرة من الأهمية، لكون النقود دليل مادي لا يمكن الطعن فيه، حيث قمنا بتصحيح بعض القاب الخلفاء الموحدين إلى جانب إماطة اللثام عن بعض القضايا كانقسام الخلافة الموحدية، إلى دولتين وتأكيد شرعية خليفتين في آن واحد وقد كان هذا في أواخر الخلافة الموحدية، هذا بالاضافة إلى استفادتنا دار الضرب الموجودة ببجاية، حيث تأكد لنا اهتمام الموحدين بالمدينة وبالتالي توسعة القصبة الحمادية.

3- المراجع باللغة الأجنبية:

تعتبر الدراسات الأجنبية التي تناولت العمارة العسكرية بالمغرب والأندلس على درجة كبيرة من الأهمية، ويمكن اعتبار كتاب الباحث.

- Marçais (G), l'architecture Musulmane d'occident, paris 1954.

من أفضل ما ألف عن العمارة الاسلامية في الغرب الاسلامي، سواء من حيث التأسيس أو البناء والتقنية وإن كان أن المؤلف كان ينقصه ككل الدراسات الأجنبية لم يعتمد على الوثائق المغربية سواء في كتابه هذا أو في مقالاته وهذا ما جعل كتاباته تتسم بالنظرة الأحادية ويعتبر كتاب.

Terrase (H), et Basset (H), « sanctuaires et forteresse Almohades » paris, 1932



مرجعا رئيسيا في معالجة هذا الموضوع، وق استفادت الدراسة من هذا الكتاب خاصة عمارة تينمل، وبعض أسوارها التي تهدمت وطمست أغلبها .

ويمكن اعتبار كتاب

caillé gacques , « la ville de rabat jusqu 'au protedtorat francais » Edition d'arte et histoire T3, paris, 1949.

حيث يعتبر من أفضل ما ألف عن مدينة الرباط حيث اعتمدنا على الجزء الثاني الذي تعرض بإسهاب إلى الحديث عن قصبة الأودابة، ثم يتتبع العناصر المعمارية والزخرفية للمدينة رباط الفتح كما يتعرض بشكل تفصلي إلى مراحل تطور المدينة وأهم الآثار الباقية كما استفادة الدراسة من كتاب.

Deverdun (G) Marrakesh des origines Tome 1, et 2, Rabat, 1959.

حيث أفادنا كثيرا حول العمارة الموجودة بمدينة مراكش خاصة في الفترة المرابطية ثم الموحدية حيث حدد لنا مساحة القصبة الموحدية ومواد وتقنيات البناء التي كانت مستعملة ومن الكتب الهامة التي استفاد منها الباحث.

L'archiecture Militaire de l'algerie Medival ;office des bublicatio, unrverstares Algerie, 1983.

لمؤلفه الدكتور رشيد بوروبية رحمه الله حيث أفادنا كثيرا فيما يخص العمارة العسكرية بالمغرب الأوسط خاصة تلمسان وندرومة وبجاية.

كما استفدنا كثيرا من كتاب لمؤلفه:Torres Balbas وهو باللغة الاسبانية.

L'arte Hispanomusulman, en Histoire de espana dirgidu por romo Menéndz pidal tome v mafrid, 1957.

حيث اعتمدنا عليه كثيرا خاصة فيما يتعلق بالأبراج البرانية ومواقعها، هذا بالإضافة إلى تطرقه بشيء من التفصيل حول تاريخ الفن بإسبانيا الاسلامية حيث تكلم بشيء من التفصل حول العمارة العسكرية والتي تعود إلى الفترة المدروسة.

خطة البحث:

وللإجابة على الاشكالية السابقة قمنا بتقسيم بحثنا إلى مقدمة ومدخل عام وثلاثة أقسام، بحيث كل قسم يحوي فصلين ثم نتائج البحث.

المقدمة: عرفنا من خلالها موضوع البحث وأهميته، ودوافع اختياره، وأهدافه وأهم الاشكاليات المتعلقة به، مع تبيان منهجية الدراسة وأهم المصادر والمراجع المعتمدة.

المدخل عام : وهو بمثابة دراسة تمهيدية تناولنا فيه البحث التاريخي والنظري، انطلاقا من النصوص التاريخية والجغرافية حيث تطرقنا فيه بالبحث عن الاطار الجغرافي والتاريخي للخلافة الموحدية وتضمن امتدادات المجال الجغرافي للخلافة الموحدية مع إبراز طبوغرافيته، ومصادر مياهه وعناصر مناخه، ثم يليه الإطار التاريخي للخلافة الموحدية وهذا ابتداء من مرحلة البناء وإلى غاية السقوط، ثم تناولنا الفكر العسكري الموحدي في تطوير المجال الدفاعي.

أما القسم الأول في جاء بعنوان العمارة العسكرية الموحدية في المغرب الأقصى ويضم فصلين.

وقد خصصنا الفصل الأول للحديث عن العمارة العسكرية المبكرة وقد تطرقنا فيه إلى ضبط المصطلحات المتعلقة بالاستحكامات العسكرية، ثم حصرنا الدراسة بشكل دقيق لأهم المدن المبكرة ذات النوع الحربي والباقية على أديم المغرب الأقصى، حيث تتبعا موقعها وتاريخ تأسيسها ووصف آثارها وذلك بالتحليل ومقارنتها بالمصادر المكتوبة.

أما الفصل الثاني فتناولنا فيه: العمارة العسكرية في عصر القوة، وقد تعرضنا فيه للعمارة العسكرية التي اقيمت بعد استقرار الخلافة الموحدية وتوحد أقاليمها واستقرار أوضاعها، حيث قمنا يتتبع تلك المنشآت والمتمثلة في القصبات والأسوار والأبراج والمداخل والحصون، وحتى الأربطة وقد حاولنا ضبط مواقعها وتاريخ تأسيسها ووصف معمارها وزخرفتها، والتغييرات التي طرأت عليها في فترات لاحقه.

بينما جاء القسم الثاني بعنوان الاستحكامات العسكرية الموحدية بالمغرب الأوسط والأندلس، وقد قسمناه إلى فصلين.

فجاء الفصل الأول يحمل عنوان "العمارة العسكرية ببلاد المغرب الأوسط".

وقد تحدثنا في هذا الفصل عن العمارة العسكرية الباقية والمندثرة في هذا المجال الموحدي حيث قمنا بدراستها ميدانيا متتبعين المجال.

في ذلك تحديد الموقع الجغرافي لها ثم التطرق إلى أنواع الاستحكامات الموجودة ومحاولة وصفها والتعرض للتغيرات التي لحقت بها.

أما الفصل الثاني فتناول "العمارة العسكرية في الأندلس"، حيث تطرقنا فيه عن أهم المدن التي حملت الطابع العسكري، والتي اعتمدها الخلفاء الموحدون في الدفاع عنها من أي اعتداء مسيحي، وقد تتبعنا تلك العمارة وعن ظروف بنائها أو ترميمها وذلك بالوصف والتحليل والمقارنة.

وفي القسم الثالث والأخير، الذي حمل عنوان" الدراسة الفنية التحليلية" والذي بدوره ضم فصلين ففي الفصل الأول خصصناه "لوظيفة الأسوار ومقوماتها المعمارية"، حيث قمنا بتتبع تلك العمارة ووضع تطور شامل لخصائصها المعمارية، ورسم مسار تطورها من حيث الأشكال والعناصر المعمارية المكونة لها.

وكانت دراسة "مواد الانشاء وأساليب البناء والزخرفة "عنوانا للفصل الثاني، حيث خصصناه لدراسة تطور مواد البناء وطرقه التي استعملت في انشاء العمارة العسكرية، ومقارنتها بمثيلتها في العمارة المغربية والأندلسية، كما تتبعت الدراسة العناصر الزخرفية المطبقة في تلك العمارة، وتحليل مضمونها وتطورها.

وأخيرا نتائج البحث: أنهينا البحث بحوصلة تضم مجموعة من النتائج المستخلصة من هذا العمل، ولتزداد الفكرة وضوحا وثراءً أتبعنا الدراسة بقسم خاص بالخرائط والأشكال

والمخططات والصور، التي ستساعد لامحالة في ايصال الأفكار إلى القارئ الكريم وفهارس للأعلام والأماكن الواردة في البحث، وقائمة للمصادر والمراجع التي تم اعتمادها في البحث.

ولأن البحث العلمي لا يخلو من الصعوبات فقد واجهنا مشكل اعادة تصور شكل كل البنايات العسكرية التي أقيمت في المغرب والأندلس، ومكان بنائها بالتحديد وتطورها عبر التاريخ حيث تعرضت أغلبها للهدم والتدمير المستمر خاصة تلك الموجودة في المغرب الأوسط والأندلس، ومما زاد من صعوبة هذا البحث هو عمليات الاصلاح المتعددة التي عرفتها خصوصا الأسوار والأبواب والأبراج عبر التاريخ وذلك منذ عهد الموحدين حتى القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر ميلادي، خصوصا وأن مواد بناء هذا النوع من العمارة وتقنياته لم تكن تختلف بالضرورة باختلاف الدول الحاكمة كذلك المجال الجغرافي الذي شمل الأندلس والمغرب وما انجر عنه من التنقل المستمر زد على ذلك تضييق البحث الأثري من طرف بعض الدول بحجة الوضع الأمني، وهو ما جعل بحثنا هذا مبتورًا.

وفي آخر هذا العمل نرجو أننا قد وفقنا في الإلمام بجوانب الموضوع، وهو إن لم يكن بحث كامل الجوانب متسع الأرجاء، ونتمنى أن يكون لبنة في صرح بناء حضارة المغرب الاسلامي والأندلس، وأن يفتح أفاق البحث والدراسة في عمران الاستحكامات العسكرية.

كما لا يسعنا إلاّ أن نتقدم بشكر خالص إلى الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور صالح يوسف بن قربة الذي لازم هذا العمل منذ كان فكرة إلى أن أصبح على هذه الصورة قراءة وتوجيها، و لم يخبل علينا بنصائحه وتوجيهاته القيمة طيلة مشوارنا العلمي.

ونتقدم بجزيل الشكر وعظيم الإمتنان إلى أعضاء لجنة المناقشة الأفاضل الذين تجشموا الصعاب وقضوا وقتا طويلا في قراءة هذا العمل الذي بين أيديهم.

نسأل الله السداد والتوفيق في هذا العمل، فإن أصبنا فمن الله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان.

مدخل عام

أولا: الإطار الجغرافي الخلافة الموحدية:

لعل من الضروري قبل التحدث عن تفاصيل المنشآت العسكرية الخلافة الموحدية في المغرب والأندلس، أن نلم بجغرافية هذا الاقليم الذي نشأت على أديمه تلك المنشآت الحربية التي ستقوم بدراستها لاحقا، ذلك أن الحديث عن هذه المعمارة لا يستقيم له معنى إلاّ بتسليط الضوء على هذا الاقليم الذي توحد تحت راية دولة واحدة وهي الدولة الموحدية، التي تعتبر من أعظم الدول في التاريخ الإسلامي، فهي من أعادت سيطرة الاسلام على الاندلس، وبسطها السيطرة العسكرية والاقتصادية ووضعت ثقلها في المغرب الاسلامي كله ابتداء من برقة وطرابلس الغرب إلى المحيط الأطلسي.

1- المجال الجغرافي للمغرب الاسلامي في عهد الدولة الموحدية: (أنظر خريطة رقم: 1)

لا شك أن الفضاء المغربي[1] عصب قوامه السياسية التي تداولت على حكمه، وعاشت مراحل قوة وضعف انتاب تاريخها الطويل، بقطع النظر عن صورة هذه القوى السياسية التي تجاذبتها الصورة النمطية للمركزية واللامركزية، أي الاستقلال والتبعية لسلطة الطرف الأقوى، ومن هنا كانت الفكرة الجدلية التي بنيت عليها المصنفات الجغرافية الوصفية وحتى التاريخية، وفي هذا الصدد نستعرض تصورات الجغرافيين والمؤرخين الذين تكلموا عن المجال الجغرافي للمغرب في عهد الدولة الموحدية.

---

[1]- اتفق المؤرخون والجغرافيون على اطلاق كلمة مغرب على الأراضي الاسلامية الواقعة غرب مصر حتى المحيط الاطلسي، ابن القاضي المكناسي: جذوة المقتبس من ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس ج1، دار المنصور للطباعة الرباط 1973، ص11.

أما أقسام بلاد المغرب فقد اصطلح الجغرافيون والمؤرخون المسلمون على تقسيم بلاد المغرب إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي: المغرب الأدنى، ويمتد من برقة شرقا إلى بجاية غرباً.

- عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية معلمة الصحراء، ملحق1، مطبوعات وزارة الأوقات والشؤون الاسلامية، الرباط، 1976م-1396هــ، ص175.

فهذا الجغرافي الاندلسي الزهري الذي ألف كتابه بعد سنة 541هـ[1]، يحدد بلاد المغرب بالمنطقة الممتدة من برقة إلى أقصى السوس ويجعلها ضمن الجزء السادس من المعمورة، ثم يقسم البلاد إلى ثلاثة اصقاع افريقية والمغرب الاقصى والسوس الاقصى.

فالزهري هنا يعبر عن حالة المغرب السياسية في القرن السادس في ظل الحكم الموحدي الذي امتد من طرابلس حتى المحيط الاطلسي، لذا لا نجد في كتابه أثرا لمصطلح المغرب الأوسط كما أنه لا يعتبر الاندلس جزءا من بلاد المغرب التي ربما لم تدخل فعلياً تحت لواء الموحدين حيث كان أول عبور لهم نحوها سنة 541هـ، لذا صنفها في الصقيع الثالث من الجزء الخامس[2].

أما الإدريسي الذي انتهى من تأليف كتابة سنة 548هـ. فلم يقصد تحديد مجال بلاد المغرب على الجملة، لأنه وضع كتابه على أساس التقسيم[3]. الاقليمي وكل إقليم يقسم بدوره إلى اجزاء من الاقليم الواحد، فجعل من برقة أول محطة بين مصر والقيروان، ويسمى بلاد المغرب، بلاد البربر[4]، والمغرب الأوسط يقع أغلبه في الجزء الأول من الاقليم الثالث وقاعدة بجاية فالإدريسي في طرحه هذا اعتمد المعيار السياسي لتوضيح حدود الاقاليم والممالك، فنجد استلاء الموحدين على الحاضرة المرابطية سنة 541هـ ووصلوا زحفهم نحو المغرب الأوسط وقضوا على الدولة الحمادية سنة 547هـ، وتأخر فتح المغرب الأدنى إلى سنة 555هـ، وبالتالي توحيد معظم المغرب الاسلامي أما صاحب كتاب الاستبصار الذي انتهى من تأليف كتابه حوالي 588هـ فقسم المغرب إلى عدة بلدان هي:

---

[1]- أبي عبد الله محمد الزهري: كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1987، ص106-117.

[2]- المصدر نفسه، ص79.

[3]-الشريف عبد الله الادريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ليدن 1863. ص310، 322.

أنظر كذلك: محمود مقديش الصفاقصي، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق على الزواري، ومحمد محفوظ، ج1، بيروت، دار الغرب الاسلامي، 1988، ص43-44.

[4]- الادريسي: المصدر السابق، ص10- 113.

أولا. البلاد الصحراوية وعلى المنطقة التي تلي الاسكندرية[1]:

ثانيا. بلاد افريقية وأول مدنها طرابلس: والخضراء[2]، عين الدفلى حالياً هي آخر ما ذكر من مدنها.

ثالثا. المغرب الأوسط: وقاعدته تلمسان.

رابعا. بلاد المغرب: أي الاقصى منها ويشمل ما وراء ملوية حتى المحيط غرباً وقاعدته مدينة فاس وحاضرته مدينة مراكش.

خامسا. بلاد السوس الاقصى وقاعدته ايجلي-الجبلين.

ومنه نلاحظ أن صاحب كتاب الاستبصار ألف كتابه بعد توحيد الموحدين للمغرب الاسلامي، وهذا التقسيم ربما يكون التقسيم الإداري المعتمد الخلافة الموحدية.

أما ياقوت الحموي المتوفي سنة 626هـ، فيقسم بلاد المغرب نصفين أولهما افريقية وثانيهما المغرب[3]هو أول من استعمل مصطلح المغرب الأدنى[4]، كما استعمل مصطلح المغرب الاقصى[5]، لكن مصطلح المغرب الأوسط اختفى من قاموسه الجغرافي.

إن ياقوت الحموي معاصر الخلافة الموحدية، فكان تحديده لمجال المغرب الاسلامي، مبني على أساس سياسي يعبر عن أقصى اتساع بلغه الموحدون واستطاعوا أن يفرضوا سلطتهم عليه.

أما المصادر التاريخية التي تكلمت عن المجال الجغرافي للمغرب في الفترة المراد دراستها فنذكر أبو مروان عبد الملك الوراق المتوفي سنة 578هـ، حيث يسمى الأراضي الواقعة

---

(1)- مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص 142- 150.

(2)- المصدر نفسه، ص 150-175

(3)- ياقوت الحموي: معجم البلدان الجزء الأول، دار صادر، بيروت 1977، ص228.

(4)- المصدر نفسه، الجزء الرابع، ص390.

(5)- المصدر نفسه الجزء 1، ص263.

غرب نهر النيل بالمغرب[1]، ويقسمها إلى عدة مناطق، فقسم من الاسكندرية إلى طرابلس. وقسم من طرابلس وهي بلاد الجريد، ثم الزاب الأسفل وحده مدينة تيهرت، ثم بلاد المغرب وهي بلاد طنجة وحدها مدينة سلا وتليها السوس الأدنى وحده جبل درن، ثم السوس الأقصى، والاندلس يعدها ضمن الفضاء المغربي لأنها متصلة به[2].

إن عبد الملك الوارق هو معاصر الخلافة الموحدية فكان تقسيمه على أساس سياسي، إذ يعبر عن أقصى اتساع بلغه الموحدون واستطاعوا أن يفرضوا سلطتهم عليه.

أما عبد الواحد المراكشي الذي ألف كتابه سنة 621، يرى أن المغرب يمتد من مدينة انطابلس أي برقه شرقاً إلى البحر الأعظم الأطلسي غرباً[3].

وقد قسم هذا المجال إلى قسمين: افريقية والمغرب

فحد افريقية من جهة الشرق مدينة برقة ومن جهة الغرب قسنطينة والمغرب يضم ما وراء قسنطينة، وينتهي إلى المحيط وحاضرته فاس أما الأندلس طهي فهي جزء من المغرب[4].

ومن المعلوم أن عبد الواحد عاش فترة السيطرة الموحدية على مجال المغرب الاسلامي وهو يعبر بوضوح عن تلك الحالة السياسية.

- من خلال ما سبق ذكره يتبين لنا أن بلاد المغرب الاسلامي في العهد الموحدي تمتد من اقليمي برقة وطرابلس الليبيين شرقاً مروراً بتونس والجزائر وبلاد المغرب الاقصى حتى سواحل المحيط الاطلسي غرباً ومن سواحل البحر المتوسط المتاخمة لهذه البلدان شمالاً حتى حدود بلاد السودان.

---

[1]- ابن عذلرى المراكشي البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، الجزء الأول، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني، محمد بن تاويت محمد عبد القادر زمامة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985، ص 5-6.

[2]- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبطه وصححه وعلق حواشيه محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، الطبعة الأولى، مطبعة الاستقامة القاهرة، 1949، ص347.

[3]- المصدر نفسه، ص357.

[4]- المصدر نفسه، ص353.

2- المميزات الجغرافية والبشرية للمغرب الاسلامي: (أنظر خريطة رقم:2و3)

إن المغرب الاسلامي تؤلف وحدة جغرافية مستقلة عن بقية القارة، يرجع هذا الارتباط إلى الصحراء الكبرى التي فصلت الشمال الافريقي عن بقية القارة وإلى امتداد جبال الاطلس في قلب المغرب من أقصى الغرب إلى اقصى الشرق، وجبال الأطلس التي تمتد في سلسلتين احداهما شمالية تتفرع إلى فرعين جبال الريف، وأطلس التل الذي يمتد من المحيط الاطلسي شمال وادي سوس نحو الشمال الشرقي حتى افريقية أما السلسلة التالية فهي الجنوبية وتعرف بجبال الاطلس الكبرى تمتد في جوف الصحراء، جنوب وادي سوس وتنتهي في جنوبي افريقية، وهي أكثر جبال الاطلس ارتفاعاً[1]، وبين هذه السلسلتين، هضاب متصلة يقع معظمها على ساحل المحيط الاطلسي، والبحر المتوسط، يقل اتساعها كلما اتجهنا شرقاً، وتوجد مجموعة أخرى من السهول والوديان حول مجاري الانهار أهمها: وادي سبو والمنطقة المحيطة بمدينتي فاس ومكناس في المغرب الأقصى، وسهل وادي الشلف في المغرب الأوسط وبلاد الجريد في جنوب افريقية[2].

يعتبر المغرب الاسلامي من الناحية الطبيعية جزءاً من حوض البحر الابيض المتوسط، رغم وجود المؤثرات الصحراوية، لقد كان هذا المجال الجغرافي لبلاد المغرب الاسلامي، مساهمة

---

[1]- تنقسم بلاد المغرب إلى ثلاثة أقاليم طبيعية متشابهة أولها الاقليم الساحلي الممتد على ساحل البحر المتوسط من المهدية إلى طنجة ثم من طنجة على البحر المتوسط إلى مدينة نول في السوس.

والإقليم الثاني هو المناطق الصحراوية الممتدة من برقة إلى جنوب المغرب الاقصى والاقليم الثالث، والذي يعرف باسم التل يمتد بين الاقليمين السابقين له.

مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص 110- 115.

ينظر كذلك: عبد العزيز بنعبد الله، المرجع السابق، الملحق 02، ص37-38.

[2]- لمزيد من الاطلاع أكثر حول جغرافية المغرب الاسلامي ينظر:

مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار، المصدر السابق، القسم الأخير الخاص بالمغرب.

كذلك: عبد التعزيز بنعبد الله: المرجع السابق، الملحق 02، ص59-60.

كبيرة في رسم خريطة الطرق التجارية البرية والمسالك البحرية والنهرية سواء على المستوى الداخلي.

أو ما يربط بالمناطق الأخرى على المستوى الخارجي[1].

فالسلطة الموحدية استطاعت من خلال تحويلها لبلاد المغرب الاسلامي إلى كتلة سياسية موحدة. أن تهيء الجو المناسب لأسباب الحركة التجارية وفق طرق ومسالك تجارية آمنة لعبت دوراً كبيراً في رواج الأنشطة على المستوى الداخلي والخارجي، وهو ما مكن للإمبراطورية الموحدية من بناء نظام اقتصادي مزدهر وظف في خدمة خططهم العسكرية وبناء منشآتهم الدفاعية.

– إن الصورة النهائية التي أخذتها الامبراطورية الموحدية هي صورة مجموعة من القبائل المصمودية قامت على اكتافها هذه القوة السياسية، وهم حسب ما تذكر أغلب مصادر الفترة سبع قائل وهي: أهل تينمل وهي القبيلة التي ينتمي إليها ابن تومرت أهل وهرنوهرغة وهنتاتة وجنفييسة وهزرجة وكدميوة ووريكة وتضاف إليهم كومية قبيلة عبد المؤمن بن علي.

– لقد كانت مضارب المصامدة محدودة قبل قيام الدولة الموحدية لكن بعد سيطرتها على الحكم المغربي انتهج الخلفاء الموحدون سياسة توطين القبائل المصمودية في المدن، وتوزيعها بأمر من عبد المؤمن وكذلك تركت كل من هكسورة وصنهاجة أراضيها لتترلا بمراكش وسكنوا فاس، فنجد أن بني خنوسة من مصامدة السوس اشتهروا بفاس، بالإضافة إليهم سكنت هزميرة فاسا هي الأخرى[2] ويذكر الادريسي أن كل من نفيس وبنو يفرن ودكالة ورجراجة وزودة

---

[1]– تتعدد المسالك البرية الرابطة بين أقاليم المغرب في العصر الموحدي، ويعود ذلك إلى كثرة تفرعاتها بين المدن والمراكز التجارية، حول هذه المسالك سواء البرية أو حتى البحرية التي اتخذت كوسيلة موازية للطرق البرية.

ينظر: الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص194، وما بعدها.

– ابن حوقل أبي القاسم، المسالك والممالك، طبعة، ليدن 1872، ص 62-64.

– نجاة باشا: التجارة في المغرب الاسلامي من القرن الرابع إلى القرن الثامن للهجرة، منشورات الجامعة التونسية 1976، ص80-82.

[2]– حول هذه القبائل أنظر: عبد الرحمان بن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المجلد السادس، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1413هـ/1992م، ص311-323.

وهسكورة، وهزرجة كانوا يسكنون في مراكش، وسكن غرب أغمات وشرقها قبيلة وريكة[1].

إن التغيير الذي عرفته أماكن استقرار بعض القبائل المصمودية لم يكن اعتباطاً بل كان أمراً مخططاً له من قبل الخلفاء الموحدين وذلك من أجل ضمان الامبراطورية الموحدية أعواناً لها في كل أنحاء الامبراطورية، وهذا ما يساعدها على أحكام سلطتها، والقضاء على الفتن.

– هذا بالإضافة إلى قبائل صنهاجة والتي انضمت للموحدين بحد السيف وأصبحت تشكل عنصراً من عناصر التركيبة الاجتماعية للموحدين حيث ساهمت في تطوير الخبرات العسكرية لهذه الامبراطورية وقد كانت قبائل صنهاجة كبيرة ومتعددة منها: جدالة ولفتونة ومسوفة ولمطة[2] ويرجع الفضل في لم شتات القبائل الصنهاجية إلى الخلفاء الموحدين، عندما كادت أن تتفرق وتتفكك وحدتها بعد انهيار الدولة المرابطية فقام الموحدون بإعادة تشكيل هذه القوة الضاربة، وفقا لمبادئهم الأمر الذي ساعدهم على تقوية دولتهم، خاصة في المجال العسكري.

أما عن العنصر الآخر الذي ضمه الموحدين في تركيبته الاجتماعية فتمثل في قبائل زناتة[3]، التي عرفت بشجاعتها وخبرتها القتالية وإجادة رجالها ركوب الخيل، وهذا ما جعل الموحدين يضمون اليهم هذه القبائل ويستفيدون من خبراتهم العسكرية وقد كان دخول هؤلاء القبائل على صنفين اجبارية وطوعية كما نجد أن القبائل العربية الهلالية[4]. كانت ضمن التركيبة الاجتماعية للموحدين، وقد قامت بنشاط ملحوظ في مجالات المجتمع الموحدي المختلفة إدارية كانت أم عسكرية أم اقتصادية أم اجتماعية.

---

(1)– الادريسي: المصدر السابق، ج1، ص230-244.

(2)– عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص243.

– يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج2، ترجمة محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة 1958، ص234-235.

– عبد العزيز بنعبد الله: المرجع السابق، ملحق01، ص197.

(3)– أبو العباس القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق ابراهيم الأبياري، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1959، ص274-276.

– عبد الرحمان بن خلدون: الصدر السابق، ج7، ص48-51.

(4)– عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص224-226.

حول القبائل العربية أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص7-67.

أما عن الأجناس الأخرى التي ساهمت في اضافة عناصر جديدة للتركيبة الاجتماعية الموحدية خاصة العسكرية، فتمثل إما عناصر الغز والسودانيين والصقابلة والنصارى المرتزقة[1].

لقد شهد المجتمع الموحدي تنوعاً في عناصر تكوينه إضافة إلى أقليات من جنسيات مختلفة في ظل ظرف سياسي واتجاه ديني وثقافي مرّ به المغرب الاسلامي، مما أدت إلى نشاط السكان وهو ما أسفر عنه تعدداً في أصحاب المهن والحرف والصناعات المختلفة وبالتالي تعدد الصناعات المعدنية وتنوعها وذلك راجع بطبيعة الحال إلى وفرة المادة الأولية المنتشرة في أرجاء بلاد المغرب.

- حيث نجد معدن الحديد ما بين وهران وسبتة و بجاية وبونة وبالقرب من مكناسة بموضع يدعى حصن وركناس، والنحاس بسوس من بلاد المغرب والكبريت في منطقة بين برقة وطرابلس[2].

كما يتوفر الرخام في تونس، لقد أدى دعم السلطة الموحدية للأنشطة الاقتصادية وتسخيرها في بناء الدولة، خاصة ما تعلق منها بالجانب العسكري والمعماري كالمنشآت العسكرية، ومد الجسور والقنوات والصهاريج، وكذلك ما تعلق بالجيش وكثرة عدده. وتنوع أساليب الحرب عنده، وحاجته إلى تنوع آلات الحرب المختلفة.

---

[1]- فتحي زغروت: الجيوش الاسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين، المغرب والأندلس، الطبعة الأولى، دار التوزيع والنشر الاسلامية، القاهرة، 1426هـ-2005م، ص113-121.

[2]- عن ذكر ما بالمغرب من معادن الفضة والحديد، والكبريت والرصاص والزئبق وغير ذلك وأسماء مواضعها.

أنظر: عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص362-363.

ينظر كذلك: عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن 6هـ، ط1، دار الشرق، بيروت، 1403هـ-1983، ص182 وما بعدها.

3- المجال الجغرافي للأندلس الموحدية: (أنظر خريطة رقم: 4)

اعتبرت الاندلس اقليماً تابعاً لبلاد المغرب الاسلامي جغرافياً، وذلك راجع للقرب منها، وللتشابه الكبير بين المظاهر والخصائص الجغرافية للعدوتين، الشمالية والجنوبية، الأندلس والمغرب، وعلى هذا الأساس لطالما. وضفت بلاد الاندلس في مختلف المصادر الجغرافية بأنها اقليم جغرافي من بلاد المغرب الاسلامي.

والأندلس عبارة[1]. عن شبه مثلث تحيط به المياه من ثلاث جهات ولذلك سميت بالجزيرة، فمن الجنوب والشرق نجد البحر الرومي كما كان يعرف في ذلك الوقت، وهو البحر الأبيض المتوسط ومن الشمال بحر الانقليشين، وهو بحر الشمال ومن الغرب بحر الظلمات المحيط الأطلسي، وكان مدلولها مرادفاً لشبه الجزيرة الايبيرية اسبانيا والبرتغال[2]. التي كان معظمها خاضعاً للسلطة الموحدية، وتتكون شبه الجزيرة. من هضبة كبيرة يتراوح ارتفاعها من 600م إلى 900م فوق سطح البحر يجعلها تبدو كوحدة جغرافية واحدة.

إلاّ أن كثرة الجبال من الشرق إلى الغرب أو العكس، فضلاً عن تعدد الأودية ما بينهما. اعاق الاتصال بين أجزائها المختلفة، اذ ينعزل الجنوب عن الوسط. بجبال مورينا، وينشطر الوسط بجبال الشارات أما الجزء الشمالي من شبه الجزيرة فتخترقه كنتريه التي تعتبر امتداداً غربياً لجبال البرتات، حتى ساحل المحيط[3].

---

[1]- أخذت العرب من اسم الأندلس سكانها الاصليين الفنداليس فقالوا فاندالسيا أو فاندا لوزيا، وأطلقوا عليها اسم الجزيرة، فقالوا جزيرة الأندلس.

لمزيد من الاطلاع ينظر: المقري أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، الجزء 01 تحقيق احسان عباس، دار صادر بيروت 1988، ص133-135.

- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص5-8.

[2]- ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض ج1، دار صادر بيروت، 1928، ص62.

- الحميري عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، الطبعة الثانية، مطابع هيد لبرغ، بيروت 1984، ص32.

[3]- لمزيد من الاطلاع حول حدود الاندلس ينظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، 5-6.

- عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والاندلس، من الفتح حتى سقوط غرناطة، طبعة أولى، دار الفكر، عمان، 2011، ص14-15.

أما المجال الجغرافي للأندلس خلال حكم الموحدين من الجزيرة الخضراء جنوباً إلى مدينة طليطلة وبطليوس والتي تشمل جميع أراضي البرتغال تقريبا والتي تضم مدناً مهمة منها ما ردة أشبونة، شنترين، قلمرية[1]. شمالاً مع ارتفاع إلى الأعلى في الوسط، أما من الناحية الشرقية، فهي تمتد من برشلونة أما غرباً فتمتد جنوب الخط الافتراضي الذي يصل إلى نهر دويرة[2].

4- المميزات الجغرافية لبلاد الأندلس: (أنظر خريطة رقم : 5)

لا شك أن بلاد الاندلس بمميزاتها الجغرافية المتنوعة، ساهمت بشكل كبير في صنع تاريخ وحضارة الاندلس في مختلف المجالات السياسية الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، بما في ذلك العمرانية خاصة منها الدفاعية وذلك من خلال ما وفرته من منعة وقوة لسكانها.

فتضاريس بلاد الاندلس تشبه إلى حد كبير تضاريس المغرب الأقصى فيماه البحر المتوسط والمحيط الأطلسي تحيط بها من الشرق والغرب والجنوب.

كذلك نجد جبال البرتات[3]في شمال اسبانيا تشبه في تكويناتها جبال الأطلس في المغرب، وجبال الثلج المعرفة باسم شليرة [4]. حول غرناطة تشبه جبال الريف في شمال المغرب الأقصى، وسهل الاندلس في الجنوب يقابل سهول تازة وسبو في المغرب الاقصى[5]، ولا شك

---

[1]- حول هذه المدن ينظر: ليوبولدو طريس بالباس، الحواضر الاندلسية، الجزء الأول، ترجمة محمد يعلي دار أبي رقراق للطباعة والنشر،الرباط، 2007، ص95-115.

[2]- ابن الآبار أبو عبد الله، الحلة السيراء السراء، ج1، تحقيق حسين مؤنس، الطبعة الأولى، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1963، ص28.

- ابن الخطيب لسان الدين: أعمال الأعمال فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الاسلام، ج2، تحقيق أحمد مختار العبادي، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ص85.

- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص369-374.

[3]- اطلق اسم البرتات على اقليم من أقاليمه الشمالية، يتصل بجبال البرانس في جزئها الذي يحتوي تلك الحلوق أو المنافذ أو الأبواب.

- ج.س كولان، الأندلس ترجمة ابراهيم خو رشيد عبد الحميد يونس، حسن عثمان، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980، ص51-52.

[4]- هو جبل متصل بالبحر المتوسط والثلج به شتاءاً وصيفاً، وطوله يومان، وهو جنوب وادي آش وغرناطة.

- الحميري عبد المنعم، المصدر السابق، ص177.

[5]- لمزيد من الاطلاع ينظر: حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس، الطبعة الثانية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، طبعة مدبولي، القاهرة 1986، ص41-56.

أن هذا التشابه الجغرافي كان له أثر كبير في تشابه الأحداث التاريخية للبلدين خلال حكم الموحدين، اللذين استغلوا طبيعة الأندلس الجبلية، في تكوين شبكتهم الدفاعية القوية فجعلوا من سلاسل الجبال، ووديان الأنهار التي تقطع بشبه الجزيرة الايبيرية في خطوط مستعرضة من الشرق إلى الغرب خطوطاً دفاعية ضد أي هجوم يقع عليها من المسيحين في الشمال فقامت على هذه الوديان مدن هامة كانت بمثابة قواعد عسكرية لهذه الخطوط.

كما كان للموارد الطبيعية التي تزخر بها الاندلس والمتمثلة في: "معدن الحديد، الموجود بمرسيه والمرية وأوربة ما بين دانية وشاطبة ومعدن الفولاذ باشبيلية، والفضة بشنترة غرب الأندلس، كما يتوفر الزئبق بحصن أبال بالقرب من قرطبة[1]، حيث استفادة منها الامبراطورية الموحدية سواء في تجارتها وتدعيم اقتصادها أو استخدامها في منشآتهم الدفاعية.

---

[1]- المقري أحمد بن محمد: المصدر السابق، الجزء1، ص201-202. انظر كذلك:

- الأدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص260.

ثانيا : الاطار التاريخي للخلافة الموحدية .

قامت دولة الموحدين على أساس دعوة دينية اصلاحية، طابعها التجديد والعظمة، وهدفها تحقيق وحدة إسلامية شاملة، امتدت حدودها الجغرافية من المحيط الأطلسي غرباً إلى طرابلس شرقاً، ومن الاندلس شمالاً إلى قلب الصحراء جنوباً، وقد بلغت من سعة الازدهار والقوة والسطوة مبلغاً عظيماً جعلها واحدة من أعظم الدول في التاريخ الإسلامي، حيث عمرت قرنا ونصفاً من الزمان، وكان فضل ذلك يرجع إلى الثورة السياسية والدينية، التي قام بها ابن تومرت.

1- مرحلة البناء:

بعد أن تمكن ابن تومرت[1] في طريق سفره إلى المشرق[2]، وفي اقامته الطويلة به من الاطلاع عن كتب على أنظمة سياسية مختلفة وكان له لقاء العديد من الأمراء والولاة، وخاصة في طريق عودته إلى المغرب[3]، وقد أكسبه ذلك معرفة واسعة بالواقع السياسي للمسلمين وما كان يتصف به هذا الواقع في كثير من الأحيان من مظاهر سلبية تتضح بالخصوص في انقسام المسلمين إلى دول شتى كثيراً ما ينشأ بينهما صراع، الذي يذهب بأرواح

(1)- تكاد تجمع المصادر على أن اسم ابن تومرت هو محمد بن عبد الله...

أنظر: مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر ومامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء 1979، ص103، ويذكر ابن القطان في نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي دار الغرب الاسلامي 1990، ص87.

وصاحب الحلل الموشية ص104، أن ابن تومرت لقب الوالد.

عن نسب ابن تومرت واختلاف الآراء فيه أنظر: ابن خلكان أبو العباس وفيات الأعيان، وأنباء ابناء الزمان، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج5، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1948، ص45- 46.

ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط 1972، ص172.

(2)- كان في السابعة والعشرون عندما بدأ دراسته في قرطبة، ثم انتقل إلى ألميرية والتي ابحر منها إلى الاسكندرية، وقد دامت رحلته المشرقية عشر سنوات.

أنظر: ابي عبد الله الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية تحقيق وتعليق محمد ماضو، الطبعة الثانية، تونس المكتبة العتيقة تونس، 1966، ص10.

(3)- تكاد تجمع الروايات التاريخية على أن ذلك الرجوع كان في بداية عام 510، وقد ركب ابن تومرت في رجوعه إلى المغرب سفينة من الاسكندرية بعدما نفاه وليها منها ومر بطرابلس والمهدية قبل أن يدخل إلى تونس ويواصل منها السفر غرباً، لمزيد من الاطلاع أنظر: أبي بكر بن علي البيذق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص 11-14.

العديد من المسلمين[1] كما تتضح فيما كان يمارسه بعض الحكام من القهر والتسلط على الأمة، وما كانوا ينتهجونه من الإثراء والإتراف على حساب الفقراء والمستضعفين وهكذا ما إن وصل ابن تومرت إلى قريته[2] بعد رحلته الطويلة حتى كان يتوفر على زاد ثري من العلوم العقلية والشرعية، وفكر نقدي مقارن، وروح ثائرة على مظاهر الفساد السياسي والأخلاقي وتضافرت كل هذه العناصر، لتشكيل بنية الدعوة التي اعتزم القيام بها.

والأساليب التي أجراها عليها، إن حركة التغيير الإصلاحية التي قام بها ابن تومرت من أجل تكوين امبراطوريته، تتمثل في تقويم الواقع الذي نهض لتغييره وإيجاد البديل بالمنهج الذي سلكه والمتمثل في:

أ- المضمون العقائـــدي: الذي تستلهم منه الثورة كافة مقولاتها وتطبيقاتها، فلقب الموحدين[3] الذي أطلقه على أتباعه لم يكن التتريه في التصور الإلهي فحسب، بل كان يعني أيضا رفض الولاء للمرابطين. وهو ما نجده في خطبه ومراسلاته التي تقترن في الغالب بالدعوة إلى ملازمة العـــدل، حيث وجه ابن تومـــرت رسائل إلى جماعة الموحديـــن[4]

(1)- في هذه الفترة خلف الصنهاجيون العبيديين على حكمهما: بنو باديس في المهدية، وبنو حماد في بجاية، و في عهدهم نزحت القبائل الهلالية من مصر إلى إفريقية بتدبير من الفاطميين، وعاشت تلك القبائل في المنطقة من برقة إلى بجاية خرابا ودماراً واطمع ذلك النورمان في الساحل الافريقي فسارعوا في احتلال مدنه ، كما ضعفت دولة المرابطين بالمغرب.

أنظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1978، ص 224.

(2)-إيجليز هرغة يعتبر موطنه الأصلي بوادي سوس وكان ذلك سنة 515 هـــ.

أنظر: - البيذق، المصدر السابق، ص21-32.

- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص225.

(3)- الموحدون: أهل التوحيد، نواهم الأولى من المصامدة بالخصوص، سماهم ابن تومرت بذلك لاتباعهم في نظره عقيدة التوحيد الحقيقية . وصنفهم طبقات، وسيقوم عبد المؤمن بن علي، بتعديل لهذه الطبقات بحيث لن يعود لفظ الموحدين خاصا بالمصامدة..

أنظر: الرسالة الثانية عشر من مجموع الرسائل الموحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية لليفي بروفنسال، الجزء 10، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، الرباط، 1941، ص 47-48.

(4)-البيذق: المصدر السابق، ص36.

أنظر كذلك: الحلل الموشية: المصدر السابق، ص113.

المؤمنين بمهدويته[1] وعصمته، وبتكفير غيرهم، حيث سماها البيذق بالرسالة المنظمة جاء فيها:« بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم، إلى جماعة أهل التوحيد، وفقهم الله لما يحبه ويرضاه... كتبنا إليكم هذا الكتاب بعدما اتصلت بنا أخباركم وقيامكم في نصرة الحق...» [2]

كما ألف ابن تومرت لأتباعه كتبا في عقيدته التوحيدية التي شرحها باللغة البربرية[3] وفي هذا يخبرنا ابن خلدون في مقدمته: «... فترل على قومه وذلك سنة خمس عشرة وخمسمائة، وبنى رابطة للعبادة فاجتمعت إليه الطلبة والقبائل يعلمهم المرشدة في التوحيد باللسان البربري...» [4].

ب- المضمون الأصولي: بدل المنهج الفرعي الذي كان سائدا على أهل المغرب ، وهو ما عبر عنه المراكشي في قولـــه: «...لم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلا من علم علم الفروع...» [5]

ج- التغيير السياسي والاجتماعي: والمتمثل في إنشاء مجتمـــع من الأتباع والمناصرين، فبعد شروعه في تأسيس دولة الموحدين أقام نظاما شوريا في الحكم، يرتكز على ثلاثـــة مجالس

(1)- يذهب ابن القطان إلى أن التسمية بالمهدي وقعت سنة 514 هـــ و516 هـــ، حيث يقول: « أنا محمد بن عبد الله بن تومرت وأنا مهدي آخر الزمان...».ص 74

للمزيد من الاطلاع حول المهدوية أنظر: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص113.

البيان المغرب: المصدر السابق، ص68.

(2)-البيذق: المصدر السابق، ص 35-36.

(3)-أن مذهب ابن تومرت وارد في مؤلفاته المجموعة في أعز ما يطلب وخصوصا في العقيدة، وهو يضع مبدأ أن العبادات لا قيمة لها بدون الإيمان والإخلاص وهما يقتضيان بالضرورة العلم بالله ومعرفة وجود الله تتسم ضـــرورة بالعقل. أنظر: محمد بن تومرت المهدي، أعز ما يطلب، تحقيق عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الفني للنشر، الرباط، 1997، ص 18-31 كذلك نجد كتاب الموطأ وهو معروف بموطأ الإمام المهدي وقد وضعه المهدي في العبادات والمعاملات والحدود وهو يشبه موطأ الإمام مالك حيث يتناول علم الفروع.

أنظر: ابن تومرت، موطأ الإمام المهدي، مطبعة لوساني، الجزائر، 1907، ص111.

(4)- عبد الرحمن ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجز6، دار الفكر، بيروت، 1988، ص469.

أنظر كذلك: الزركشي، المصدر السابق، ص05.

(5)- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص236.

استشاريـــة[1]، فالمجلس الأول سماه: مجلس العشرة، وهم العشرة الأوائل من أصحاب ابن تومرت، الذين كانوا أول من آمن بدعوته، وسماهم بالمهاجرين الأولين. والمجلس الثاني: هو مجلس الخمسين، وهم يمثلون مختلف القبائل التي انضمت إلى دعوته، إلى جانب أعضاء مجلس العشرة .أما المجلس الثالث فسماه مجلس السبعين، وهو مجلس يضم أعضاء الخمسين وعشرون آخرون يمثلون قبائل أخرى، وفي هذا الصدد يقول ابن أبي زرع في أنيسه: «... فدخل الناس في طاعته أفواجا فرتب العشرة والخمسين، وسما العشرة من أصحابه السابقين الأولين وجعل الخمسين للرأي والمشورة...» [2]

وقد جاء تعيين أعضاء هذه المجالس بحسب مقامهم في قبائلهم وحسب الأولوية في الاستجابة، كما كان لهذه التنظيمات دور سياسي بجانب دورها الحربي.

لقد كان ابن تومرت يهدف في هذا التنظيم إلى ما يلي:

1- ضبط الأصحاب وتأطيرهم في دوائر توضح مواقفهم، وتضمن تعميق انتمائهم، وولائهم للدعوة وهو ما وصفه ابن الخطيب في كلامه : «... ورتب قومه ترتيبا غريبا، فمنهم أهل الدار وأهل الجماعة، وأهل خمسين، وأهل سبعين... وسائر القبائل لمدافعة العدو...» [3] وكان دورها استشاري ويتعلق بإعطاء المعلومات وإسداء النصائح ويقول صاحب الحلل الموشية في هذا الصدد: «...وكان ابن تومرت يعقد الأمور العظام على أصحابه العشرة، لا يحضر معهم غيرهم، فإذا جاء أهون أحضر الخمسين فإذا جاء دون ذلك أحضر معهم السبعين...» [4]

(1)- يتحدث البيذق عن سبعة عشر شخصا كانوا أول من بايعه ص 36. ويرى صاحب الحلل الموشية أن جماعة العشرة تم تكوينها مباشرة بعد مبايعته . ص114.كما أن المؤرخين يرون أن جماعة الخمسين تشكلت مباشرة بعد جماعة العشرة. غير أن هذا يجانب الصواب على اعتبار أن هذه الهيئة تم تشكيلها في وقت لاحق وبالضبط عند انضمام هنتاتة إلى هرغة من أجل تقديم الدعم له في ايجليز.

(2)-ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص177. للتفصيل أكثر حول موضوع الطبقات أنظر:

ابن اليقظان، المصدر السابق، ص 82،83.

(3)- أبي عبد الله بن الخطيب: رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس 1316 هـــ، ص57.

(4)- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص108-109. ينظر كذلك:

البيذق: المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور، الرباط، 1971، ص 32، 35.

لقد أعطى ابن تومرت للهيئة الحاكمة نفس هيكل التنظيم القبلي، وبذلك وهب الاستقرار للأرستقراطية بالإمبراطورية الموحدية واستقرار العشيرة التي ستبقى حارسة على تراث ابن تومرت من جيل إلى آخر.

2- تنظيم المهام بالنسبة لكل جهاز سواء برسم المسار السياسي للجماعة الناشئة، أو نشر المبادئ لعقيدته التي قامت عليها الدعوة، أو دفاعية تتعلق بحماية الجماعة والعمل على نموها وامتدادها، وقد لخص عبد الواحد المراكشي هذه الأدوار المتكاملة في قوله: «... وصنف أصحابه طبقات. فجعل منهم العشرة، وجعل منهم الخمسين.. وهذه الطبقات لا تجمعها قبيلة واحدة، بل هم من قبائل شتى وكان يسميهم المؤمنين...» [1]

د- الطريق الثوري العسكري: لقد حاول ابن تومرت تغيير المنكر الذي عليه حكام المرابطين بالموعظة والنصح، لكن لم تثمر جهوده، وأصبح مهددا بالقتل بعد خروجه من مراكش، من قبل الأمير المرابطي، فقرر عبور وادي سوس نحو إيجليز[2] الواقعة بموطنه الأصلي هرغة وذلك سنة 515 هـ وقد كان تركيزه في هذه المرحلة من دعوته على قضية المهدوية، حيث أتسعت دعوته بين قبائل مصامدة الجبل: هرغة –مسكالة[3]- سكتانة[4]-هنتاتة وقبائل أهل تينمل وجدميوة الجبل: وجنفيسة الجبل وكذلك أهل توندوت من هسكورة سنة 517 هـ بينما ظل – مصامدة الفحص من المرابطين مثل دكالة- هسكورة- هزميرة- ركراكة- حاحة وصودة[5].

---

(1)- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص188.

(2)- لم يتم لحد الآن ضبط مكان إيجليز هرغة، ومن المحتمل أن يكون وعلى غرار – كليز مراكز بحاضرة جبل شمال الأطلس الصغير على مشارف سوس، وهو التل الذي تقع أسفله المغارة التي يسميها البيان المغرب-بالغار- ويضيف أنه كان بجوار المغارة رباطان يعرف الأول باسم رباط الونشريس والثاني برباط المغارة والتي أصبحت تعرف بالغار المقدس.

لمزيد من الاطلاع ينظر: ابن عذارى المراكشي، البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، الطبعة الأولى، تحقيق، محمد ابراهيم الكتاني، محمد تاويبت، محمد زنيبر، عبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1406 هـ - 1985. ص 149.

(3)- مسكالة: فخذ من أهل تينمل، ينظر: البيذق: المقتبس، المصدر السابق، ص13.

(4)- سكتانة: يجعلها البيذق فخذا من أهل تينمل، ص43.

(5)- للتفصيل أكثر حول هذه القبائل ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص230- 241.

وقد عرفت الحركة التومرتية مشاكل منذ فترتها الأولى، تمثلت فيما يسمى: بالارتداد عن المذهب، بحيث اتصفت حركته منذ أوائلها بسياسة دموية لا هوادة فيها، ضد المشككين في المذهب أو المرتدين عنه، أو اللذين رفضوا دعوة الدعاة الموجهين إليهم[1]، وهكذا وجه ابن تومرت حملة ضد غجدامة احدى بطون هسكورة الظل[2] ، لقتلهم أحد الدعاة[3]، وعندما ارتد بنو واوزكيت من أهل تينمل إلى المرابطين أرسل إليهم حملة أخرى وصادر أملاكهم[4].

كما أن ابن تومرت عند استقراره بتينمل لم يطمئن إلى توحيد هزميرة الجبل، وهم هزمية تينمل- فقتل منهم حوالي خمسة عشرة ألف شخص في يوم واحد، وسبى حريمهم وغنم أموالهم، وقسم أراضيهم ومساكنهم بين أصحابه، وكان المبرر لذلك حسب رواية نظم الجمان «أن من عاداهم عدم ترك سلاحه حتى ولو في اجتماع مع المهدي»[5]

كما رأى ابن تومرت أن المرابطين ليس لهم حق في ولايتهم على المسلمين حيث لا ينطبق عليهم قول الله تعالى: «وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم»[6]

وعلى هذا دعا أتباعه إلى الخروج عليهم وجهادهم، لأنهم الكفرة المجسمون والمنكرون الحق، ثم يستند إلى قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة»[7] فهو يعتبر المرابطين كفارا لابد من محاربتهم بالسيف[8].

---

(1)- البيذق: أخبار المهدي، المصدر السابق، ص94-95 .
ابن القطان: المصدر السابق، ص212.

(2)- البيذق: المقتبس: المصدر السابق، ص 53. غجدامة هسكورية-

(3)- هو الشيخ أبو محمد عطية وذلك سنة 520 هـ، البيذق: المصدر نفسه، ص94.

(4)- كانوا قد بايعوا ابن تومرت بعد خروجه من مراكش نحو الجبال.
البيذق: أخبار المهدي: المصدر السابق، ص 91-92.

(5)- ابن القطان: المصدر السابق، ص 93-94.
-مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص112.

(6)- سورة النساء، الآية 59.

(7)- سورة التوبة، الآية123

(8)- البيذق: أخبار المهدي: المصدر السابق، ص93.

وادعى أن الله أمره بإدحاض حجة الظالمين، معتبرا أن دماء المرابطين حلال وأموالهم فيء للموحدين، فجهادهم فرض عين، وأعظم من جهاد الروم، وسائر الكفرة[1].وكان بمثل هذا وغيره يغذي الروح القتالية لاتباعه.

وهنا يأخذ صراع ابن تومرت وأصحابه من الموحدين مع دولة المرابطين منحى جديد تميز بالدموية والعنف، وقد خاضت الحركة عدة معارك، بلغت وقائعها في حياة ابن تومرت تسعة وقائع[2].

وكان يقود بعضها بنفسه، ويوكل قيادة أخرى لأشهر أصحابه مثل عبد المؤمن بن علي[3]، وابن محمد البشير[4]،ويبدو أن ابن تومرت لم تكن تعوزه الخبرة العسكرية، فقد تمرس بالقتال في الميدان وتعرض في كثير من الأحيان إلى السقوط في خضم المعركة، وكان ذلك في الغزوة الخامسة[5]. وكثيرا ما كان يشير على عسكره بقواعد حربية ناجعة، مثل سلوك المراقي العالية، وحمل العدو على الصعود دون أن يهبط عسكره إلى الوطاء.

كما عمد إلى تحصين تينمل[6]، لجعلها في مأمن من أي خطر يمكن أن يأتيها من جهة وادي النفيس، غير أن الأمر غير كذلك من جهة الجنوب، لذا وتحسبا لأي هجوم مرابطي من هذه الجهة قام ابن تومرت، بتشييد برج تيضاف [7]على مرتفع شديد الانحدار، حيث يتمكن

---

[1]-محمد بن تومرت: أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق، عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغنى للنشر، الرباط، المغرب، 1997، ص404-405.

[2]- البيذق: أخبار المهدي، المصدر السابق، ص 35-38.

[3]- عبد المؤمن بن علي الكومي: ينتمي إلى بني مجبر وهو بطن من قبيلة بني عابد إحدى قبائل كومية، ولد بقرية تاجرة القريبة من مرسى هنين بساحل تلمسان غربي مصب وادي تافنا في سنة 1095 م /487 هـ

للمزيد من الاطلاع حول هذه الشخصية: أنظر كتاب الدكتور: صالح بن قربة، عبد المؤمن بن علي، موحد بلاد المغرب، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص11 وما بعدها.

[4]- لقب كذلك لأنه كان يبشر بالأخبار الحسنة، وهو من قام بعملية التصفية والتمييز سنة 519 هـ..

حول هذه الشخصية ينظر: البيذق: أخبار المهدي، المصدر السابق، ص 39-41.

- ابن القطان: المصدر السابق، ص 146-147.

[5]- يقول البيذق في كتابه أخبار المهدي: «... الغزاة الخامسة لسيدنا المعصوم... فلما التقى العين بالعين قاتلناهم قتالا شديدا وقاتلونا كذلك حتى سقط فيها المعصوم...»ص 37.

[6]- ويكتب اسمها أحيانا تينملل، وهي قرية موجودة الآن في المغرب الأقصى واقعة على بعد حوالي 104 كلم من الطريق الذاهب من مراكش إلى رودانة وفيها قبر ابن تومرت مع خليفته عبد المؤمن وأخبار أخرى سيرد ذكرها في الفصل الاول.

[7]- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص113.

- تيظاف: تعني العسة باللغة البربرية، وبرج تيظاف هو المحرس في الاصطلاح العسكري المغربي القديـــم.

من خلاله من مراقبة الطريق الوحيد الذي يمكن أن يأتي منه الخطر، والذي يمتد على مسافة عدة كيلومترات بين الوادي ومجموعة من الخنادق، والواقع أن تشييد هذه لمنشآت الدفاعية إضافة إلى تشديد المراقبة على القبائل الموحدية، أصبح الشغل الشاغل لابن تومرت خلال الأشهر الثلاثة التي تفصل هزيمة البحيرة عن تاريخ وفاته وهو ما يتحدث عنه البيذق بنوع من التفصيل.

ولما تعزز ابن تومرت بهذا الموقع الجديد وتدعم صفه باهله مع اكتسبه أصحابه من الخبرة والجرأة في تلك المواقع التي خاضوها مع المرابطين لوح ببصره إلى مراكش، حيث مركز السلطة، الذي يهدف إلى السيطرة عليه للإطاحة بالدولة القائمة آنذاك، ولازال يمهد لذلك بالمواقع الصغيرة حتى إذا كانت سنة 524 هـ /1129 م، جهز جيشا عظيما يبلغ أربعين ألفا[1] وأمر عليه أبا محمد البشير، وسيره لغزو مراكش فانهزم هزيمة منكرة، وقتل قائده وعدد من جنده وعرفت الموقعة بموقعة-البحيرة[2].

ومع هذه الهزيمة المنكرة لم ييأس ابن تومرت وتلقاها برباطة جأش، وحاول أن يخفف من وقعها على نفسه من تكبدها من رجاله ويرفع من معنوياتهم، وقد احتسب ذلك من الابتلاء. وحتى يجدد فيهم الأمل، ويحقق وطأة الإنكار، قال لأول قادم يخبره .. بما وقع هل عاش عبد المؤمن بن علي؟ فلما أجابه بالإيجاب ، قال: كأنه لم يمت أحد والبركة في بقائه. وكأنكم بالفتح[3] ولم يزد ابن تومرت على إثر هذه العزيمة أشهرا حتى مات[4].وبهذا يكون قد انتهى الدور الأول من أدوار بناء الدولة الموحدية.

(1)- يشير ابن خلدون إلى هذا العدد وهو رقم مبالغ فيه دون شك، كما يورد صاحب الحلل الموشية والزركشي في تاريخ الدولتين إلى نفس الرقم، لكن ابن خلكان يحصر عدد القوات الموحدية في عشرة آلاف رجل، ص 55.

للإطلاع أكثر ينظر المراكشي عبد الواحد، المرجع السابق، ص260.

(2)- البحيرة وتعرف أيضا ببحيرة الرقائق، بسيط كان أمام باب الدباغين وباب إيلان من مراكش، حيث حدائق اكدال الحالية، جرت به هذه المعركة . للتفصيل أكثر عن هذه المعركة ينظر:

- البيذق: أخبار المهدي، المصدر السابق، ص40.

- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 114-115.

(3)- البيذق: أخبار المهدي، المصدر السابق، ص40.

ابن القطان: المصدر السابق، ص 122.

(4)- يقول البيذق في كتابه أخبار المهدي: «...وتوفي رضي الله عنه يوم الأربعاء وقبل يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر رمضان المعظم من عام أربعة وعشرين وخمسمائة ....». ص43.

2- مرحلـــة التأسيس

لم يقم ابن تومرت بتعيين خلف له، على اعتبار أنه المهدي المنتظر الذي بعث في آخر الزمن، والذي لا يصح أن يخلفه أحد.

وخوفا من الانقسامات والصراعات على البذرة الأولى التي زرعها ابن تومرت الخلافة الموحدية، ومن أجل إنجاح هذا المشروع السياسي، وتثبيت دعائم هذه الامبراطورية المستقبلية، التي تشمل بظلها كل ربوع المغرب الإسلامي والأندلس، كانت الحكمة تقتضي إخفاء موته على الناس، وهو ما قام به عبد المؤمن، وأهل العشرة من كبار أركان النظام الموحدي[1].

بوعي وتبصر، وبعد تأكدهم من استتباب الأمور واستقرار الوضع، على الإجماع بتنصيب عبد المؤمن بن علي خلفا لابن تومرت[2]. لكونه كان من الغرباء على المجموعة المصمودية، مما يضعف جهة التنافس بين زعماء القبائل المصمودية، تولى إذن عبد المؤمن بن علي مهمة إتمام المشروع التومرتي، فنهج نهج ابن تومرت في مواصلة نشر الدعوة الموحدية، وتنفيذ تعاليمها ومبادئها اقتداء بمعلمه، وحفاظا للدعوة والتي على أساسها قامت الدولة فكان البرنامج التعليمي الذي وضعه الخليفة للطلبة الحفاظ هؤلاء الذين تولوا المهام الإدارية بالبلاد مستمدا من تعاليم ابن تومرت. كما أن هذا الإنكار والمفاهيم الجديدة في ميدان العقيدة تم نشرها وتوصيلها إلى الأفراد والجماعات وذلك باستعمال النقود، لأنها هي الوسيلة الإعلامية والدعائية في العمل الدعوي في ذلك الوقت، بحيث يسير عمليتي التوصيل والتأصيل بين أفراد المجتمع حكاما ومحكومين لا فرق بين خاصتهم وعامتهم، وهذه المسألة بالذات هي التي دفعت

---

[1]- يقول عبد الملك ابن صاحب الصلاة في كتابه، المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، وظهور الإمام المهدي بالموحدين على الملثمين. تحقيق عبد الهادي التازي. الطبعة الثالثة. دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1987. «... أن المهدي الموحدي لما توفي أخفي موته، ولم يعلم به أحد إلا عبد المؤمن، وأصحابه العشرة، فيبقى موته مكتوما ثلاث سنين» ص14.

[2]- هناك ثلاث روايات بخصوص تولي عبد المؤمن أمر الموحدين بعد وفاة ابن تومرت فرواية تذكر أنه تولاها بعهد ابن تومرت، حيث يقول البيذق في كتابه أخبار المهدي: «...ثم وعظ الناس وقال في آخر كلامه بقي عندكم عهد بيعة المهدي رضي الله عنه قالوا نعم . فقد تم وعظ عمرا هناك ثم سائل المشيخة» ص45. وأخرى تذكر اجماع مشيخة الموحدين على خلافة عبد المؤمن كما جاء في كتاب الحلل الموشية في قوله:«... ولما كمل إجماعهم في تقديمه سنة أربع وعشرين وخمسمائة، وبايعه أهل الخمسين وسائر الموحدين» ص143.

أما الرواية الثالثة فهي ذات طابع أسطوري تنسب إلى دهاء عبد المؤمن نفسه، كما ورد عند ابن أبي زرع في الروض القرطاس، ص 185.

عبد المؤمن إلى انتقاء العبارات والآيات المعبرة تعبيرا صادقا دقيقا عن هذا الأسلوب في بلورة الاتجاه الديني الجديد[1].

كما أنفق عبد المؤمن هذه المدة في جمع صفوف الموحدين وتنظيمهم بمعونة من بقي من آيت عشرة، وخصوصا عمر الهنتاتي[2]. وبجانب ذلك فقد صدرت أوامره إلى كافة الموحدين بمتابعة نشر تعاليم المهدي بلسان البربر واللغة العربية وإلزام كل السكان بحفظ مبادئه، ومن لم يمتثل لذلك كان دمه مباحا، وقد جاء ذلك في رسالته المعروفة برسالة الفصول سنة 556 هـ -1160 م والموجهة إلى أهل بجاية وقد جاء فيها: «...ويؤمر الذين يفهمون اللسان العربي أن يقرأوا التوحيد بذلك اللسان من أوله إلى آخره...»[3].

لقد احتاج عبد المؤمن وقتا طويلا لتثبيت سلطانه، ومشروعه في تأسيس جيش قوي مؤلف من شتى قبائل الموحدين من قبائل مصامدة غمارة، وكذلك قبائل زناتة[4]، ومن بينها قبيلته الأصلية كومية[5] ، ومنذ سنة 535 هـ اتخذ فقراره الحاسم، والمتمثل في القيام بحملته الكبيرة نحو الشمال والمعروفة باسم حملة السنوات السبع، التي انتهت باحتلال مراكش والقضاء نهائيا على المرابطين[6].

---

(1)- صالح بن قربة: من قضايا التاريخ والآثار في الحضارة الإسلامية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، ميلة، الجزائر،2013، ص88.

(2)- هو أبو حفص جد ملوك بني حفص بتونس، كان يعرف بعمر إينتي واسمه الأول فاصكة، فسماه ابن تومرت –عمر- من أهل الجماعة العشرة وهو الذي فتح الجزيرة الخضراء ورندة وإشبيلية، وقرطبة وغرناطة وشارك في القضاء على ثورة محمد بن عبد الله بن هود الماسي ، وتوفي في الطاعون الجارف الذي عم المغرب والأندلس عام 571 هـ، أنظر: ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص201-202.

(3)- ليفي بروفنسال، المرجع السابق، رسالة رقم 04، ص 6-10.

(4)- يعود أصلهم إلى كنعان بن حام وهم فرع التبر، ومن بطونها: بنو مغراوة وبنو يفرن وملكاتة، وجراوة ومطماطة، اتخذت زناتة من غرب المغرب الأوسط مقرا لها.

أنظر: ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعاف، مصر، الطبعة 1، 1971، ص 496. كذلك ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص24.

(5)- كومية: إحدى بطون بني فاتن من البرابرة التبر، ينظر:

ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص176-178

(6)- للتفصيل أكثر حول حملة السنوات السبع الكبرى ينظر، كتاب: أميروسيو هويثي ميراندا: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة عبد الواحد أكمير، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2013. ص 113-130.

وقد عمد عبد المؤمن على تعزيـــز الجبهة الداخلية أولا، وذلك بوضـــع حدا لمجموعـــــــة من التمردات داخل لمغرب الأقصى[1]، فعمل على تأديب القبائـــل والمدن الثائرة، فهيء لوائح تشمل الإعـــــدام ،

وقد أورد البيذق تفاصيل ذلك حيث شمل الإعدام مدنا وقبائل من جهات مختلفة.[2]

لكنه فيما بعد حاول التراجع عن هذه السياسة، بحيث نجده قد حقق هدفين أساسيين في هذه الفترة،

الأول: هو التحول من العنف الدموي للسلطة إلى التربية المذهبية فتتحد القبائل تحت السلطة المركزية، وتتناسى الخلافات القديمة، وهذا من شأنه أن يمنعها من الثورات ويسهل قيادتها في العمليات العسكرية خاصة بالأندلس.

والثاني: هو محاولة عقوبة السلطة المركزية على حساب سلطة الولايات، التي كان نفوذ الأشياخ الموحدين بارزا فيها رغم إسناد رئاستها أحيانا إلى أبنائه.

وبهذا حقق عبد المؤمن وحدة المغرب الإسلامي، بحيث استطاع أن يفتح المغربين الأوسط والأدنى، وهنا يمكن تقسيم فترة تبعية المنطقة للموحدين في عهد عبد المؤمن بن علي إلى المراحل الآتية:

(1)- رفعت بعض المدن وكثير من القبائل راية التمرد بعد فتح مراكش، أهمها سبتة التي كانت على رأي قاضيها عياض المالكي، الذي سبق له أن بايع عبد المؤمن سنة 540 هـــ، كذلك ثورة الماسي محمد بن عبد الله بن هود السلوي، الملقب بالماسي نسبة إلى ماسة، الذي ادعى الهداية وتسمى بالهادي، حيث صمد إلى غاية 542 هـــ. ومن القبائل جزولة وقبائل وسط وشمال البلاد. لمزيد من الاطلاع ينظر: البيذق: أخبار المهدي، ص 69-72. كذلك ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 187-188.

(2)- يلاحظ في كتاب البيزق، أخبار المهدي، ص 70-72. ارتفاع قتلى قبائل جزولة جنوبا وكذلك قبائل الأطلس المتوسط من زناتة وصنهاجة وكانت المعارك قد حصدت الكثير من أبناء برغواطة ودكالة وكان ذلك سنة 544هـــ.

المرحلة الأولى: هي التي تمت حوالي سنة 540 هـــ في القسم الغربي من المغرب الأوسط، أي المنطقة الموروثة عن العصر المرابطي[1].

ثم المرحلة الثانية: التي تواجه فيها الموحدون مع الدولة الحمادية وبعض الأسر الحاكمة في بعض مدن إفريقية، ومع عرب المنطقة زيادة على النورمانديين في الساحل.

وقد امتدت هذه المرحلة على العموم من سنة 547هـــ إلى ما بعد عبد المؤمن أي إلى حوالي سنة 568هـــ.

واراد عبد المؤمن أن يحقق من هذه الحملات أمرين: الأول: الاستيلاء على تونس، والمناطق الخارجة على سلطانة. من قابس وقفصة، وشط الجريد، والتوسع شرقاً إلى طرابلس، والأمر الثاني: هو تحرير المهدية من سيطرة النورمان، وبخضوع افريقية وطرابلس امتد سلطان الموحدين من برقة حتى المغرب الاقصى، وقد عمد عبد المؤمن على ضبط ثغورها واصلاح اقطارها[2]، وتعيين عماله وقضاته عليها، كما كانت له الهيمنة على طريق القوافل التجارية، والمرافق البحرية، وبنى المراكز التجارية في السودان، وحوض البحر المتوسط، خاصة مركز بجاية والمهدية وبسكرة وقفصة وسجلماسة.

---

(1)- يصف ابن أبي زرع –المصدر السابق ص 193-197 الطريق الذي سلكه عبد المؤمن في حملته إلى بجاية بدءا من فاس إلى نهر ملوية ثم تلمسان التي أقام بها يوما واحدا ومنها إلى الجزائر التي دخلها على حين غفلة وفر عاملها إلى بجاية، وأخبر حاكمها يحيى بن العزيز بقدوم عبد المؤمن ، و لم يمض وقت قصير حتى وصلت جيوش عبد المؤمن إلى بجاية، ودخلها بعد فتح أبو محمد ميمون بن علي المعروف بابن حمدين، وفتح أبوابها للموحدين، وفر الأمير يحيى إلى قسنطينة سنة 546 هـــ. ينظر:

- البيذق: أخبار المهدي، المصدر السابق،ص145.
- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 491.
- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص77.

(2)- عن طريق العودة من الحملة الأولى إلى مراكش، وصلت أنباء لعبد المؤمن بقيام عرب الأثبج ورياح وزغبة في سطيف، بالثورة على عبد الله إبنه ومحاولتهم إعادة –دولة بني حماد- فسير إلى ولده مدداً بقيادة يصلانس بن المعز وعبد الله بن واندوين، صهر عبد المؤمن، وكانت هزيمة العرب واسر بعض شيوخهم واعلنوا طاعتهم سنة 547هـــ، أنظر ليفي بورفنسال: المصدر السابق، ص 26-27.

كذلك نجد الحملة على المهدية وبرقة التي تمت فيما بعد أي سنة 553هـــ وجاء ذلك تلبية لطلب ولده عبد الله الذي انهزم في تونس على أيدي بني خرسان وعرب رياح، ولاذا ببجاية، وقد اسفرت معارك عبد المؤمن في افريقية من تحرير المهدية من قبضة النورمان. وانتزاع تونس والقيروان وقفصته وطريق الأربس وطرابلس وسويته، وصفا قص، ينظر: عبد الواحد المراكشي وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1997، ص107- 108.

كما عمل على تكسير أراضيها حتى بلاد نول في السوس الاقصى بالفراسخ والاميال، طولاً وعرضاً، واسقط منه الثلث في الجبال والأنهار والسباخ والطرقات، وما بقي قسط عليه الخراج، والزام كل قبيلة قسطا من الزرع والورق، فهو بذلك ميز المناطق القابلة للزراعة، والأراضي القاحلة، ليتسنى له جباية الضرائب على أساس عادل وسليم[1].

بعد استكمال سيادة الموحدين على سائر نواحي افريقية، واجلاء الروم على سائر ثغورها، وفدت على عبد المؤمن، العدد العديد من السفارات من الاندلس[2]. فعمل على استعادة الاندلس وتوحيدها وبذلك حماها من السقوط بأيدي الممالك النصرانية، فوفر الامن والأمان للمسلمين بالإضافة إلى قضائه على مخاوفه من احتمال عبور بقايا المرابطين من الأندلس إلى عاصمة ملكة، فيتشكلون ويثيرون القلاقل.

وقد لجأ عبد المؤمن في سياسته الجديدة بعد اتساع نطاق الغزوات الموحدية في المغرب والاندلس، إلى استماله طوائف العرب من بني هلال وسليم وزغبة وغيرهم إلى الانضمام بجيوشهم، لكون القبائل البربرية لم تعد تكف وحدها لإمداد الجيوش بما تحتاج إليه من الحشود الضخمة[3].

كما اتخذ مراكز حربية تكون قاعدة تنطلق منها جيوشه منها إلى أول الأمر قاعدة تينمل، والتي كانت مقر القيادة الموحدية في ذلك الوقت، ثم ابتنى رباط تازة، وأقام فيه يحارب

---

(1)- حسب ابن زرع فإن عبد ال مؤمن بعد تملكه المهدية سنة 555هـ، قام بتكسير بلاد افريقية والمغرب، وهو أول من أحدث ذلك بالمغرب، ص198.

(2)- تم السيطرة على جنوبي الأندلس، طريف الجزيرة الخضراء أوائل سنة 542هـ- 1148م ينظر: أبو العباس أحمد الناصري الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، الجزء الثاني تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب 1954، ص104.

- أما احتلال غربي الاندلس، اشبيلية فكان سنة 546هـ.حسب ابن الآبار محمد بن عبد الله الحلة السيراء الجزء02. تحقيق حسين مؤنس الشركة العربية للطباعة، القاهرة، 1963، ص329.

- وأخيراً توحيد الأندلس تحت راية الموحدين، بسقوط الميرية سنة 552هـ- 1157م، حسب ابن زرع، المصدر السابق، ص200.

(3)- كان هؤلاء العرب ممثلين للعائلات الهلالية الكبيرة التي هزمها الخليفة الموحدي عبد المؤمن، أثناء معاركه الحربية في افريقية، وأحضرها إلى عاصمته وأكرمهم، وهم من ساعدوه في محاربة المسيحين في اسبانيا، عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص235.

تاشفين بن يوسف[1]، ثم بعد ذلك اتخاذه مدينة، ازروا التي تقع في قلب فازار، عند منبع نهر وادي ابن الرقراق، الذي يصب في المحيط الاطلسي عند مدينة سلا معسكراً لهم وذلك من أجل ارسال سراياه إلى الجهات المجاورة[2]، كما كانت مدينة مراكش حاضرته ومركز قيادته العامة وسيأتي التفصيل أكثر حول هذه المدن وأخرى في الفصول اللاحقة.

وإلى جانب هذه المنشآت الدفاعية التي تنم عن حسن الاستراتيجية الحربية، نجد الاهتمام بالأسطول حيث بلغت البحرية في عهد عبد المؤمن شأوا عظيما، فيعد استحواذه على سائر أسطول المرابطين، بعدته ورجاله الأكفاء لم يكتف بذلك بل شرع في انشاء قطع أخرى[3] هذا بالإضافة إلى بناء مدارس حربية لتخريج القادة الأكفاء والبحارة المدربين على استعمال السلاح[4].

كل هذه المنجزات والأعمال التي قام بها عبد المؤمن بن علي من أجل بناء امبراطورية عظمى جعلته يقوم بتحويل الحكم الموحدي من حكم تشاوري كما أبدعته قريحة ابن تومرت

---

(1)- توفي سنة 539هـ- 1154م وهو يحارب الموحدين الذين حاصروه في وهران، حيث تردت به حصانه في ظلام الليل، فسقط من حالق وادركته منيته فقطعوا رأسه، وبعثوا به إلى أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي، الذي وجهه إلى تينمل بشرى ليوسف بن سليمان، البيـــذق، أخبار المهدي، ص59.

(2)- بعد معركة تلمسان ووهران لاح لأهل الاندلس أن نجم المرابطين أفل فهرعوا إلى عبد المؤمن وهو محاصر فاس، وكان بين من وصل إليه علي بن عيسى ابن ميمون، وضم الموحدون قادس احدى مراكز الأسطول المرابطي الأساسية. ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص485.

ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص457.

(3)- لم يكتف عبد المؤمن في هذه الفترة بالدور القديمة، صناعة السفن الحربية مثل طنجة وسبة وبادس وبلاد الريف ومهدية بني عبيد وتونس ووهـــران، وهنين وعنابة وقـــادس، والجزيرة الخضراء، وشلب، بل أنشأ المعمورة، بحلق البحر على وادي سبـــو بمقربة من سلا مركزاً أساسياً لصناعة سفن أسطوله، حيث وصلت إلى مائة وعشرين قطعة.

ينظر: ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص147.

(4)- قد اسند عبد المؤمن في بداية الأمر قيادة اسطوله للعناصر التي عملت فيه قبل قيام دولته، مثل بني ميمون الذين كانوا قادة الأسطول المرابطي وبني مردنيش، غانم وابي العلا، أو عناصر كسبت خبرة مثل: ابي العباس الصقلي، كما عمد عبد المؤمن على اشراك عدداً من الاشياخ ليشرفوا على الأعمال العسكرية البحرية حتى لا يترك الأسطول خال من عناصره.

ينظر: مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص129.

ابن عذارى، المصدر السابق، ص112- 113.

إلى حكم وراثي. انحصر في عائلة عبد المؤمن[1]، وبهذا بعد أن كانت دعامة الدولة الموحدية هي مذهبها الأصلي وعصبيتها المصمودية، فإن الجانب المذهبي سيتحول شيئا فشيئا إلى الإطار التكتلي – الرسمي- لا غير. وأما العصبية المصمودية كقوة عسكرية فستقل أهميتها تدريجيا باعتماده هو وبنوه على قبيلتهم كومية وعلى قبائل العرب الذين أخذوا يوطنون سهول المغرب الأقصى[2].

ومع التوفيق الذي طبع سياسة عبد المؤمن، لم تعدم هذه الدولة مزالق وقعت فيها، ونذكر منها على وجه الخصوص ما كانت تسلكه في الحكم من أنموذج الملك الوراثي، الذي يؤدي في كثير من الأحيان إلى الاستبداد بالرأي وانعدام الشورى والذي أدى في أواخر عهد الامبراطورية إلى التناحر على الحكم مما عجل بانحطاطها إن لم نقل انقراضها[3]، ولعل هذا الخلل ناشئ في جزء كبير منه عن الضعف في تفصيل العنصر السياسي في البديل الذي طرحه ابن تومرت، وهو النهي عن الوراثة في الحكم ومن التنظير للشورى طريقا لاختيار الحاكم، وجعل ذلك ركنا أساسيا في البديل السياسي سهل السقوط في المنهج الوراثي الذي ولد الملك العضوض[4].

---

[1]- قام المؤمن بتعيين ابنه محمد ولياً للعهد معتمداً على دعم القبائل العربية التي حضرت وفودها معه بسلا، هذا الاتجاه الجديد في سياسة عبد المؤمن نحو الوراثة 549هـــ، في السلطة دفع بعيسى وعبد العزيز أخواً محمد بن تومرت إلى الثورة، وكان مصيرهما الاعدام سنة 551هـــ.

حول تعيين محمد وليا للعهد بنظرة الرسالة رقم 13 لليفي بروفنسال: المرجع السابق، ص614.

كذلك: ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص50-51.

ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص195.

[2]- يعتبر عبد المؤمن بن علي أول من عمل على جلب العرب من افريقية وقد اقتفى أثره ولده، ابو يعقوب يوسف ويعقوب المنصور، حفيد عبد المؤمن فكان جبلهما في البداية تقرباً وتآلفا بينما كان جبلهما فيما بعد أي سنة 584هـــ، بدافع عقابهم، ينظر: ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص112.

ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص164.

[3]- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص52.

ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص191- 192.

[4]- لقد أقام عبد المؤمن بن علي تنظيماً واحداً جديداً هو هيئة اشياخ الموحدين، وقد ضم إليهم عناصر جديدة استوعبها عبد المؤمن في نظم الدولة، بعد أن توسعت الامبراطورية فظهرت هيئتان استشاريتان هما هيئة اشياخ العرب وهيئة أشياخ الاندلس، لان رضاهم كان ضرورياً لتتم بيعة أي خليفة منذ تأسيس الدولة حتى سقوطها حيث أفرطوا في استعمال السلطة، مما كانت له انعكاسات سلبية على ذلك النظام المتراص الذي وضع أسسه عبد المؤمن ورسخه خلفائه الثلاثة الأوائل. ينظر: ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص229.

المقري أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ص697.

لا شك في أن عبد المؤمن بن علي يعتبر من كبار العظماء فقد امتاز برجاحة العقل، وطبع هادئ بعيد النظر واسع التصور، فقد ورث عن ابن تومرت، حركة فحولها إلى دولة عظمى، ومد سلطانها حتى شملت المغرب الاسلامي كله وما بقي من الاندلس، ووضع لإمبراطورتيه من النظم الإدارية ما مكن له من تدبير هذا الملك الشاسع وتثبيتها وجعلها خلافة اسلامية.

3- مرحلة التطور والازدهـــار:

وامتدت هذه الحقبة من وفاة عبد المؤمن بن علي سنة 558هـــ إلى سنة 610هـــ، وقد تربع على عرش الموحدين خلال هذه الحقبة ثلاثة خلفاء هم: أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن من سنة 558هـــ- 580هـــ- 1163م- 1184م[1]- وأبو يوسف يعقوب المنصور 580هـــ- 595هـــ- 1184م- 1199م[2]-

ثم محمد عبد الله الناصر 595هـــ- 610هـــ- 1199- 1213م[3]، قد عرفت الامبراطورية الموحدية في عهد هؤلاء الخلفاء الثلاثة استقرارا سياسيا ساعد على انتعاش

---

[1]- يؤكد ابن صاحب الصلاة أن عبد المؤمن وهو على فراش الموت أخبر السيد عمر في حضور شيوخ الموحدين أنه عين ابنه يوسف ولياً للعهد مكان ابنه البكر محمد، وكان ذلك في الثاني من جمادى الثانية سنة 558هـــ- 1263، ينظر: ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص154- 155.

كذلك: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 244.

[2]- يقدم لنا ابن عذارى المراكشي، حفل بيعة يعقوب المنصور، بقوله «... وبويع البيعة الخاصة يوم الخميس 19 ربيع الثاني 580هـــ، ويوم الجمعة بايعه اشياخ الموحدين والقرابة، وفي يوم السبت اذن للناس عامة، ص171- 172.

ينظر كذلك: ابن أبي زرع، المصدر السابق: ص217.

عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص340- 341.

[3]- بويع للناصر في حياة ابيه، وجددت له البيعة بعد وفاته ولم يكن هناك من عارض اعتلاءه العرش لأن السادة وكبار شيوخ ا موحدين احترموا رغبة والده وتوصياته لهم أثناء وجوده على فراش الموت.

- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص231- 232.

- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، 160- 161.

- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص386.

الإقتصاد وسيادة الأمن رغم بعض الثورات، وحركات التمرد، كثورة غمارة بالريف[1]، وأمراء بني الرند[2]، وهم عمال الزيريين على قفصة سابقاً، والتي اضطر هؤلاء الخلفاء إلى قمعها بالقوة، ويجمع المؤرخون على أن حكم أبي يعقوب، عهد رخاء وسلام، بحيث جعل امبراطورية الموحدين حقيقة سياسية ضخمة، بذل أقصى جهده في القيام بأمرها، وساس الأمور في حزم واجتهاد، فوفق في المحافظة على التراث الضخم الذي صار إليه، ودون أن ينفصل منها جزءاً أو ينتزع عدو منها شيئاً، فعمل على القضاء لمبادئ الفتنة التي قامت في افريقية[3] كما نجح في أن يخضع لسلطة الموحدين ذلك الجزء من الاندلس، الذي ظل حتى ذلك التاريخ مستقلاً[4] حيث كرس لها يوسف جل اهتمامه وذلك من أجل ايقاف الخطر المسيحي فبالرغم من اشرافه شخصاً على عدد من الحملات إلا أن مواهبه العسكرية كانت محدودة[5].

---

[1]- خلال سنة 562هـ-1161م تمرد في الجبل المجاور لسبتة رجل يدعى سبع ابن هزيزدع، والذي تحصن في جبل الكواكب وامتد تمرده إلى غاية قصر كتامة.

- للمزيد من الطلاع ينظر إلى: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص237- 245.

[2]- عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص338-340، فصل عن بني الرند. ينظر : كذلك ابن الأثير عز الدين: الكامل في التاريخ، الجزء09، دار أحياء التراث العربي، بيروت 1989، ص199-201

[3]- لم تساعد الظروف الخليفة يوسف على الحركة نحو افريقية إلاّ سنة 576هـ.

حيث أشرف بنفسه على حصار قفصة وضربها بالآلات الحربية المختلفة نظراً لحصانتها، وقد تمكن الخليفة من فتحها في رجب 576هـ، بعد استسلام صاحبها طالباً العفو فنفاه إلى مراكش ثم ولاه أعمال سلا إلى فاته بها.

ينظر: ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص212- 213.

كذلك ليفي بروفنستال، المرجع السابق، الرسالتين 30و 31، ص181- 199.

[4]- بعد استقرار الأوضاع بالمغرب وإفريقية، وأتم الخليفة استعداداته باستقباله على الخصوص لأعداد هامة من الفرسان العرب من افريقية يقودهم، السيد أبو زكرياء بن عبد المؤمن، بعد هذا تمت حركة الخليفة إلى الاندلس، وستدوم من سنة 566هـ إلى 571هـ والتي أدت إلى انهاء مشكل ابن مردنيش وانضمام الشرق إلى الدولة الموحدية سنة 567هـ ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص402-409.

كذلك ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ص120- 124.

- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص211.

[5]- لعل فشله في وبذة سنة 567هـ سببه قلة معرفته بالأمور الحربية وعجزه عن ضبط قيادة العناصر التي يتكون منها جيشه، فهو لم يستفد من وضعية الممالك النصرانية المتنازعة فيما بينها على الأقل لاستعادة بعض الحصون والمدن في غربي الأندلس كقصر أبي دانس ، وسيصعبه الفشل في المهمة مرة أخرى في حصاره لشنترين سنة 580هـ عن حصار وبذة، وشنترين.

- ينظر: ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص403-418.

- ابن عذراى المراكشي: المصدر السابق، ص123-165.

- ابن ابي زرع: المصدر: المصدر السابق، ص213-216.

والحقيقة أن مواهبه السياسة لم تكن تقل عن نباغته العلمية[1]. وابلغ دليل على ذلك الابقاء على التقليد الذي سنه والده والذي اعتمد فيه على السادة والشيوخ والطلبة الموحدين في تسيير مؤسسات الامبراطورية وهو ما سمح له بالحفاظ على قوتها وازدهارها.

لقد قبض يوسف بحزم على أعنة الحكم، فتسمى بأمير المؤمنين سنة 563هـ-1167م[2]، وانتقى بحسن فهمه ووعيه وفراسته اكفاء الرجال لمناصب الدولة، مشترطاً فيهم الثقافة، والإلمام بمعظم العلوم الاسلامية[3]، ويمكن القول أن فترة حكم هذا الخليفة اتسمت باتساع التجارة وتطور الصناعة، وعظم العمران خاصة منه الدفاعي، حيث كان له الفضل في ضبط ثغور الاندلس، وعقده للجسر على وادي اشبيلية بالقوارب.

وهو الذي مصّر اشبيلية وأمر ببناء سورها من جهة الوادي بعدما هدمه السيل، كما ابتني قصبتها الداخلية والبرانية، وقد رأى الخليفة أن يبني الجامع الكبير بالقصبة وتم له ذلك فأصبح هذا المسجد يضاهي أو ينافس مسجد قرطبة العظيم الذي شيده عبد الرحمان الداخل وقبل وفاته أمر عامله أبو داود يلول، أن يعمل على بناء صومعة الجامع ولكن الموت أدرك يوسف قبل أن يتم بناءها[4].

---

[1]- إن ما لا جدال فيه هو أنه ليس من يضاهيه ثقافة من بين ملوك الأسرة الموحدية، فقد كان يحفظ على ظهر قلب أحد الصحيحين وعدداً من القواعد الفقهية، كما كانت له بعض المعارف في الفلسفة والطب، وكان ممن صحبه من العلماء أبو بكر بن طفيل، أحد فلاسفة المسلمين، وأبو الوليد بن رشد.

- ينظر: ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص405- 406.

- عبد الوحد المراكشي: المصدر السابق، ص238-244.

[2]- أمر يوسف بن عبد المؤمن الصناع، أن يكتبوا على سيفه لأمير المؤمنين بن أمير المؤمنين» ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص100،

كما نقش على خاتمه، على الله توكلت- ابن ابي زرع: المصدر، ص216.

- ووضع العلامة في المكتوبات بخط الخليفة –الحمد لله وحده- وقد حوفظ على تقليد استعمال العبارة بالرسالة الملكية إلى سقوط الدولة الموحدية.

- عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص282.

[3]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص157- 160.

- ابن عذراى المراكشي: المصدر السابق، ص92- 94.

- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص282.

- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص209- 210.

[4]- ابن صاحب الصلاة: المرجع السابق، ص165- 182- 406.

ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص210- 211.

فتمت في عهد ابنه الخليفة يعقوب المنصور[1]، الذي يعد من أعظم الخلفاء الموحدين بعد جده عبد المؤمن، وأخلدهم صيتا، وأكثرهم حروباً، ويعود له الفضل، بإعادة افريقية وطرابلس للحكم الموحدي، وحرصاً منه على استقرار واستمرارية الامبراطورية، فقد حافظ على شعائر الموحدين بحيث كان يذكر في رسائله الرسمية –المهدي- بنفس الألقاب التي كان يذكره بها والده وجده[2].

لقد كانت مهمته إعادة الوحدة المغربية، والقضاء على بني غانية[3] وحلفائهم الأعراب والغز، في المغرب الشرقي، حيث نجح في استعادة المدن وغيرها من المناطق التي استولى عليها علي بن غانية، وقد نقل الكثير من العرب إلى المغرب وقضى سنة 584هـ- 1188م[4]، وهذا يتفق مع سياسة الموحدين في محاولة أخذهم من مواطنهم بإفريقية والمغرب الأوسط، مع شغلهم بالحرب والجهاد، حتى لا يتفرغوا لإحداث فتن في البلاد، فنجد المنصور قام بتحديد أماكن معينة لإقامة بعض القبائل العربية، كقبائل، جشم وبنو رياح من بني هلال حيث انزلهم سهول المغرب المحاذية للمحيط الأطلسي، وبذلك يكونون تحت رقابته المستمرة، وقد أقام

---

[1]- كانت مرة دولته، اربع عشرة سنة واحد عشر شهراً وأربعة أيام.

مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص160.

[2]- تلبية لضغط الفقهاء المعاديين لأفكاره الفلسفية ومسايرة من المنصور للاتجاه الذي كان يريده أن يكون متعلقاً بالمذهب المهدوي وإن خالفه في عقيدته الشخصية أن العامل المذهبي هو أحد الأركان الاساسية لقيام الدولة الموحدية واستمرارها.

عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص278-289.

- ينظر كذلك: أحمد عزاوي: رسائل موحدية، مجموعة جديدة، القسم الأول: الطبعة الأولى منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية القنيطرة، المغرب، 1416- 1995، ص206-207.

[3]- ينتمي نبوغانية إلى قبيلة مسوفة، وهم أبناء عمومة قبيلة المتونة وهم من بطون صنهاجة الكبرى، وهم أبناء علي بن يوسف المسوفي وقد أنجب على هذا ولديه هما يحيى الذي كان من قواد المرابطين، ومحمد الذي استقر في جزر البليار، ولم تخضع شوكة بني غانية إلا في عهد الناصر الموحدي. ينظر:

- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص267-270.

- ابن خلدون، المصدر السابق ج6، ص286- 289.

[4]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص186.

- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص217.

هؤلاء العرب بهذه المناطق واستقروا بها، ومن ثم كانت عليهم التزامات تجاه الدولة كدفع الضرائب، مع المساهمة بعدد من أبنائهم في الحملات العسكريـــة [1].

وإقامة هؤلاء بالمنطقة واختلاطهم بالسكان ذا آثار متعددة، فقد قاموا بنشاط ملحوظ في مجالات المجتمع المختلفة، ففي المجال الاداري هم من حصروا خلافة الموحدين في أبناء عبد المؤمن يتوارثوها فيما بينهم[2].

أما الجانب الاقتصادي: فتمثل في انصرافهم إلى الفلاحة بدل الرعي، هذا طبعاً بعد استقراراهم في السهول الأطلسية، وتجمع المصادر العربية إن الموحدين عرفوا أوجهم مع يعقوب المنصور، كيف لا وهو الذي أظهر أبهة ملكهم ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل[3]، وبسط أحكام الناس على حقيقة الشرع، وأقام الحدود حتى في أهله وعشيرته الآخرين[4]كما استطاع في ظل الروح الدافعة للجهاد أن يصد عن الأندلس عدواناً نصرانياً والذود عن الأندلس، ومعركة الأرك[5] العظيمة التي أحرز فيها الخليفة يعقوب المنصور انتصاره الباهر على الفشتاليين سنة 591هـــ، لدليل على حكته وحرصه عن الدفاع لمعاقل

---

[1]- أضحت طوائف العرب من بني هلال وسليم ووزغبة ورياح وغيرهم تكوين فرقاً مستقلة بها واذ يوجد منهم في الاندلس خمسة آلاف فارس سوى الرجالة.

عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص295.

- ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص219- 220.

[2]- ليفي بروفسال: المرجع السابق، الرسالة الثالثة عشر، ص55-61.

[3]- يعتبر صاحب روض القرطاس أن يعقوب المنصور أعظم خلفاء الموحدين فيقول أن في عهده عم الأمن والاستقرار وانتشر الرخاء في ربوع الامبراطورية، حيث كان بإمكان المرأة أن تذهب بمفردها من نول لمطة بأقصى سوس إلى برقة في ليبيا دون أن يعترض طريقها أحد.. كما أن الجبايات في عهده اقتصرت على الخراج والزكاة والعشر –ص 217-218.

[4]- يذكر صاحب المعجب أن يعقوب المنصور قام بقتل أخيه أبو حفص عمر الملقب بالرشيد وعمه سليمان بن عبد المؤمن، حيث كان أحدهما بشرق الأندلس بمدينة مرسية، والآخر بتادلا من بلاد صنهاجة. ص 279.

[5]- في شعبان من سنة 591 هـــ. 1195م كانت موقعة الأرك، وهي نقطة الحدود بين قشتالة والأندلس، حيث هزم النصارى وسقط منهم في القتال ثلاثون ألف قتيل. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص223-224.

لمزيد من الاطلاع ينظر: شوقي أبو خليل: الأرك بقيادة يعقوب المنصور الموحدي، ط1، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، 1993، ص54-64.

الإسلام وتراثه في جزيرة الأندلس ورفع شعار الجهاد في محاربة النصار في شبه الجزيرة، وكان هذا الانتصار الذي حققه في الأرك وبنوغانية وراء حمله لقب المنصور الذي عرف به[1].

لقد اتسم عهد يعقوب المنصور بكثرة الموارد وتنوعها، وهو ما استغله في تمويل حملاته العسكرية، بجيوشها الجرارة، وفي الأعمال العمرانية الكبرى، خاصة وأنه كان مولعاً بالبناء والتعمير، حيث شهدت امبراطورية في عهده حركة كبيرة في البناء والتعمير، استمرت حتى وفاته، ويثير المراكشي، في هذا الصدد بقوله: «...كان مهتماً بالبناء وفي طول أيامه لم يخل من قصر يستجده أو مدينة يعمرها.»[2]، وتعد الأبنية الباقية من عهده في مقدمة الآثار خاصة تلك الموجودة بمراكش، والأندلس ومدينة الرباط، لخير دليل على ذلك، كما قرر إنشاء حي امبراطوري خاص أطلق عليه اسم الصالحة الذي بلغ مجموع المباني التي تضمنها الحي اثنى عشر بين قصر ومسجد[3].

وهكذا استقام الأمر بالمغرب والأندلس في ظل حكم هذا الخليفة وشغل داخل إمبراطورتيه العظيمة في توطيد سلطانهم وقمع نزعات العصيان وخلاصة الكلام أن يعقوب المنصور خلد اسمه بكسبه معركة الأرك، وإذا كانت بعض المؤلفات[4]، تأخذ عليه أنه لم يحاول اجتناء ثمرها من خلال انضواء اسبانية تحت لواء الموحدين، لكننا يجب التذكير أنه مات في زهرة العمر، والذي لدينا عنه هو نصف حياة فحسب وأنه لو عاش لكان حريا أن يقوم بأعظم مما قام به في الأرك.

---

[1]- ابن أبي زرع ، المصدر السابق، ص228-229.

[2]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص292.

أنظر كذلك: ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص221-223.

[3]- مؤلف مجهول: الذخيرة السنية، نشر عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور، الرباط، 1972، ص80.

[4]- أمثال:

- ليفي بروفنسال: حضارة العرب في الأندلس، ترجمة دوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1945، ص190.
- هويثي ميرندا: المرجع السابق، ص 376-378.
- عبد الهادي التازي: التاريخ الديبلوماسي للمغرب، المجلد السادس، مطبعة فضالة المحمدية، 1987 ، ص61-67
- علام عبد الله علي: الدولة الموحدية بالمغرب، دار المعرفة. القاهرة، 1964، ص190.

فبوفاته طويت أجمل صفحات التاريخ الموحدي، وخلفه ابنه أبو عبد الله محمد الملقب بالناصر لدين الله، وهو في سن مبكرة، جعلت أعمامه أمثال عمر بن عبد المؤمن وشيوخ الموحدين المنحدرين من عائلة عمر ينتي يستأثرون بالحكم[1]. لقد سمحت النزاعات الدائرة بين الممالك المسيحية في شبه الجزيرة الأيبيرية، إضافة إلى الهدنة الموقعة بين يعقوب المنصور وألفونسو الثامن لمدة عشر سنوات. قيام الناصر خلال الفترة الممتدة بين 599هـ و603هـ بإتمام السيطرة على جزر البليار، ووضع خطة جديدة لإبعاد بني غانية عن إفريقية، فقد استطاع السيطرة على الجزائر الشرقية، وذلك بفتح جزيرة ميروقة، ومن أهم الدوافع لذلك، استفحال ضرر بني غانية، حيث شمل نفوذهم عام 600 هـ[2] مدينة تونس، وقد ساعدت الحركة إلى إفريقية على مطاردة بني غانية إلى الصحراء[3]، ومن ثم عين والي مفوض بالمنطقة، وتحت تصرفه قوات عسكرية لمنع عودة بني غانية إليها وبالتالي وضع حدا لهؤلاء بإفريقية.

---

[1]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 326.

[2]- تنطلق حملة الناصر ما بين 601 هـ و603هـ لاسترجاع إفريقية بزعامة الشيخ عبد الواحد الهنتاتي الذي هزم الميارقة في جبل نفوسة سنة 602هـ بينما كان الناصر يشدد الخناق برا وبحرا على المهدية سنة 602هـ هذه الحملة حققت بداية النهاية لإمارة بني غانية، لكنها كلفت أموالاً باهضة، كما ساهمت في ظهور الإمارة الحفصية سنة 603هـ.

ينظر: عبد الواحد المراكشي، ص316- 317

- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص243-245.

- ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص232-233.

[3]- بنوغانية، الميارقة أو الموراقة، هم بقية العنصر المرابطي الذي انتقل من غرناطة إلى جزر شرقي الاندلس وخاصة ميروته، فلما قضى الموحدون على أمارة ابن مردنيش بالشرق الاندلسي حاول بنوغانية أحياناً إبعاد الموحدين عنهم بتقديم الهدايا لهم، وقد قرر بنوغانية نقل المواجهة مع الموحدين إلى المغرب الأوسط وافريقية وهذا أمام انشغال الموحدين بتنصيب الأمير يعقوب خليفة بعد أبيه الذي فشل في حصار شنترين واعتمدوا على عصبيتهم الصنهاجية بينهما ومستعملين ذوي النفود من أهل المدن والعناصر الاجنبية كالمماليك الغز والعرب البدو، وقد اعتمدوا أسلوب الكر والفر، وقد قضى عليهم الحفصيون نهائياً في أوائل عهد إمارتهم لمزيد من التفصيل ينظر:

- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص267-270.

- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص243-248.

- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص292-337.

وكان اقتناع الناصر بهذا الحل لمشكلة إفريقية حتى يتمكن الجيش الموحدي من التفرغ للوضع في باقي الامبراطورية وخاصة بالأندلس وحتى يمكن تدارك الخلل المتعاقب في الوضع بين إفريقية والأندلس وهي نقطة الضعف التي أدركها بنو غانية والإسبان[1].

وبعد استتباب الوضع بإفريقية النسبي وتأديبه لبعض القبائل العربية بإقليم –تامسنا– حاول إضعاف دور رجال الدولة الموحدية من الأشياخ، الذي تصاعد خصوصا في عهد أبيه المنصور، فكان تعيين الشيخ عبد الواحد الحفصي واليا على إفريقية رغم ثقل شروطه[2]. وهذا من أجل إبعاده من دور الوصاية عليه. كما أرسل وزير أبيه –أبو بوجان الهنتاتي واليا على تلمسان لمواجهة زحف قوات ابن غانية وفي نفس الوقت لإبعاده عن البلاط[3].

- ثم أحدث تعينات جديدة في الجهازين الإداري والمالي، ونقل الوزارة إلى ابن جامع حفيد أحد أصحاب ابن تومرت، كما عاقب عاملي فاس وسبتة، وأعوانهما المسؤولين عن منطقة الشمال الغربي للمغرب الأقصى[4].

وأمام التحركات النصرانية، قرر الناصر توجيه كل اهتمامه لمحاربة المسحيين في اسبانيا واستعادة مجد والده، فعزم العبور نحو الأندلس للإيقاع بقوات النصارى، ولم يمكث في اشبيلية شهراً واحداً حتى توجهه إلى حضارة شلبطرة واحتلاله سنة 608هـ[5]، كما تم له احتلال منافذ جبل الشارات[6] من أجل خوض المعركة المصيرية، والتي تعرف في الرويات العربية

---

[1]- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص233.

[2]- من الشروط التي اشترطها لقبول هذه الولاية حرية تصرفه في تعيين أو عزل العمال، لمزيد من التفصيل ينظر:

- الزركشي: المصدر السابق، ص18.

- التجاني أبو عبد الله محمد: رحلة التجاني، تحقيق حسن حسين عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس 1958، ص360.

[3]-عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1964،ص255-256.

[4]- يتحدث صاحب البيان المغرب عن ضعف عزائم الموحدين بسبب ما فعله الناصر بأشياخهم، ص250-251.

ينظر كذلك: عبد الواحد المراكشي المصدر السابق، ص322.

[5]- ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص238.

[6]- لمزيد من المعلومات حول احتلال الموحدين لهذه المواقع الدفاعية.

ينظر: كتاب، أمبروسيو هويتي ميراندا، المرجع السابق، ص416-417.

- Ballesterios, Antonio, La Reconquista de Murcia, Botetin de la Real Academia de la Historia, 111, S.I. 1942, P801-802.

- Alfonso.x, Rey de castilla primera cronica général de España Estudio. Y. motas par josé filgueira volaverbe, carta édicion llustrada ed. Ebro, D.L. 1976, P707-708.

بموقعة العقاب، وتعرف في الروايات الاسبانية بموقعة بـــ: ولاس نافاس دي تولوسا، سنة 609هــ-1212م، و كانت هزيمة الخليفة والتي تعتبر النهاية الحقيقة لقوة الاسلام في الاندلس، وفي هذا الصدد يقول ابن أبي زرع «... قد ذهبت قوة المسلمين بالأندلس من تلك الهزيمة... فاستطال العدو عليها، فملك معاقلها واستحوذ على أكثر بلادها...» [1].

فبالرغم من أن الخليفة الموحدي –محمد الناصر لم يصل إلى عظمة أسلافه خصوصاً بعد إحاطة نفسه بأعوان غير أكفاء، فقد الاستفادة من ذوي الخبرات وضاعت الدولة طعاماً ومالاً لصالح عمال استغلوا نظام الجباية القاسي لصالحهم على حساب الرعية والدولة معاً[2].

فاختل بذلك نظام الرواتب للجيش وبالتالي فقد التشجيع المالي زيادة على المعنوي، إلاّ أن عهده تميز ببعض المشاريع العمرانية خاصة منها بعض التحصينات، حيث تم في سنة 604هــ-1209م البدء في بناء مدينة وجدة، وبناء سور على الملزمة سنة 602هــ-1206م، كما بنيت قصبة بادس كما اتم اسوار فاس سنة 600هــ-1203م إضافة إلى أبوابها المتمثلة في كل من باب الجيسة، وباب الشريعة والذي أطلق عليه فيما بعد باب المحروق، كما أمر الساقية بعدوة الاندلس[3].

---

[1]- ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص240.

[2]- إن السياسة الموحدية في هذه الفترة وبالضبط النظام الجبائي المالي تميز بالفوارق من جهة بين منطقة المصامدة ذات الامتيازات عموماً ومن جهة أخرى بين مناطق اعتبرت ممكلاتها مفتوحة عنوة على يد الموحدين فكانوا يفرضون عليها تكاليف باهظة التي كانت تدر مداخيل هامة على الدولة ولكنها كثيراً ما تعرض المسؤولين عنها للتنكيل والتعذيب بعد المحاسبة .

- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص249-250.

- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص237.

[3]-المصدر نفسه، ص 233.

وبعد سنة ونصف من معركة العقاب توفي الناصر[1] وتولى بعده العرش الموحدي ابنه أبي يعقوب يوسف الثاني[2]، وهنا نقف أمام مسألة هامة والمتمثلة في لقب يوسف الثاني، حيث يقول الدكتور صالح بن قربة المتخصص في علم المسكوكات، أن المصادر والمراجع التاريخية اشارت إلى أن لقب يوسف الثاني هو المستنصر بالله، وهو خلاف ما هو منقوش على مسكوكاته الذهبية، فلو حدث فعلاً وأن تسمى هذا الخليفة بذلك اللقب لسجله على نقوده، التي تعتبر وثائق رسمية في سجلات الدولة الموحدية «... وعليه فقد صححت بشكل رسمي ما وقع فيه المؤرخين عمداً أو سهواً، وشتان بين الرواية المتواترة والنقود المعاصرة للأحداث...»[3].

ونحن أمام هذا الدليل المادي الذي لا يمكن الطعن فيه نميل إلى أن لقبه، أبو يعقوب الذي تولى زمام هذه الدولة كما أشرنا سابقاً فهو لم يبلغ سن الرشد[4]، وقد قضى معظم فترة ملكه بحضـــــرة مراكش بعـــد أن تولى الوصاية عليه، ووقوعه تحت تأثير وزرائه وتطلعهم إلى الاستئثار[5] بالسلطة وعادة ما يصاحب هذه الوضعية، عدم الاستقرار في الداخل، وهو ما كان يدفع إلى الترحيب أو الترغيب في أية بادرة للهدنة مع النصارى خاصة القشتاليين[6]،

[1]- تضاربت المصادر حول هذه الوفاة المبكرة، للمزيد من الاطلاع ينظر:
- ابن خلكان: المصدر السابق، ص 281-282.
- الزكشي: المصدر السابق، ص19.
- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص241.
- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص323.

[2]- قد بعث عقب وفاة والده برسائل البيعة كل ولايات الامبراطورية باستثناء افريقية التي عارض واليها الشيخ، عبد الواحد في البداية مبايعة طفل غير أن الوزيرين المتحكمين في السلطة وهما: ابن جامع، وصاحب الأشغال، عبد العزيز ابن أبي زيد اقنعاه بمبايعة الخليفة الجديد:
- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص296.
- مؤلف مجهول: الذخيرة السنية، المصدر السابق، ص26.
- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص242.

[3]- صالح بن قربة: المسكوكات المغربية على عهد الموحدين والحفصيين والمرينيين، الجزء الأول، دار الساحل للكتاب، الرغاية، الجزائر، 2011، ص554.

[4]- تختلف المصادر في تحديد عصر يوسف الثاني وقت اعتلائه العرش فابن خلكان يقول أن عمره كان خمس عشرة سنة، ص285. أما ابن عذارى فيقول أنه اعتلى العرش وعمره عشر سنوات، ص265، وهو ما يؤكده صاحب الحلل الموشية، ص162.

[5]- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص242.

[6]- قد تم سنة 612هـــ، عقد هدنة بين قشتالة والموحدين الذين كانوا يشعرون بأنهم أحوج إليها لاضطراب أمورهم بالمغرب ونقص الاستقرار في الاندلس، ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص266

كما يتجلى عدم الاستقرار في عدد من الجوانب فهناك النزاع مع بني مرين[1]، اللذين استغلوا انهيار القدرة العسكرية الموحدية بعد معركة العقاب فاستفادة منه لتركيز قوتها في المناطق الغربية الزراعية للإمبراطورية، هذا بالإضافة إلى ثورة كزولة[2]، بجنوب المغرب الأقصى والمتمثلة في التأثـــر العبيـــدي والتي انتهت بمقتله سنة 612هـــ، وهنا تظهر سلبيات السياسة الداخلية لأبو يعقوب، والتي أدخلـــت الدولة في الاإستقرار وعـــــدم انشغال السلطة عن أمور الأندلس وكانت الوضعية المضطربة التي مرت بهـــا مملكة قشتالة في تلك الفترة سمحت للمسلمين أن ينعموا بالسلام في الأندلس لمدة طويلة نسبيا[3]، مكنت أبو العلاء ادريس بن يوسف الأول[4]، الملقب بأبي العلاء الكبير من تشييد برج الذهب لاستعماله، كمرقب وبرج دفاعي لصد الهجمات المسيحية، التي يمكن أن تأتي من الضفة الأخرى للنهر، وتم له ذلك سنة 617 هـــ، كما تمكن في سنة 618هـــ من إصلاح اشبيلية التي كانت قد تعرضت لعدة أضرار، وتشييد حزام دائري حول المدينة[5] دون أن ننسى معاناة المغرب من المجاعة التي تفاقمت بشكل كبير بعد إن انحبس المطر وعم الجفاف وانتشار الجراد، وهذا على امتداد ثلاث سنوات من 615هـــ إلى سنة 618هـــ [6]

---

[1]- المرينيون: عنصر زناتي كان موطنها الأصلي بين بلاد الزاب بإفريقية وحوض نهر ملوية، وأصبحت منذ أواسط عهد الناصر تمثل مصدر قلق للموحدين، وقد اشتغلت انهيار القدرة العسكرية الموحدية بعد العقاب لتتسرب تدريجيا عبر ممر تازة خاصة بعد فشل والي فاس السيد: ابن ابراهيم ابن الخليفة يوسف في وقف زحفها، للمزيد من التفصيل، ينظر:

- مؤلف مجهول، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للنشر، الرباط، 1972، ص14-64.

[2]- أرض كزولة كانت على طول السفوح الجنوبية للأطلس الصغير تجاورها في الغرب لمطة، وتمتد شرق درعة إلى مشارف أرض سجلماسة وتتألف من عدة بطون، ينظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص241.

[3]- بعد موت الفونسو الثامن ترك ابنه الطفل هنري الذي كان في حاجة إلى حرب أهلية بين أنصار هذه الأسرة والملكة، خاصة بعد موت هنري وانتقال العرش إلى ابنها، فرناندو، الثالث.

لمزيد من الاطلاع ينظر:

- أشباخ يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1958، ص379-417.

[4]- هو الذي قام بغزو جزر البليار على عهد الناصر، وتسميه المصادر العربية بأبي العلاء الكبير وذلك لتميزه عن ابن أخيه أبي العلاء المأمون، مؤلف مجهول، الذخيرة ، المصدر السابق، ص57.

[5]- مؤلف مجهول: الذخيرة السنية، المصدر نفسه، ص 58-59.

[6]- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص 266-267.

- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين، المصدر السابق، ص166.

4- مرحلـــة التدهـــور:

إن خلافة يوسف الثاني تعتبر بداية مرحلة تمزق الامبراطورية الموحدية على عكس بعض المصادر والمؤلفات التي تناولت تاريخ الدولة الموحدية، التي تعتبر خلافة الناصر بداية الانحلال.

ومهما يكن فإنه منذ وفاة أبو يعقوب[1] ، أخذ الصراع أسلوبا دمويا خاصة وأنه لم يترك وريثا للحكم، فانفتح الباب أمام الاختيار فأبناء المنصور وأحفاده يرون أنهم أحق بالأمر من سائر بني عبد المؤمن وأحفاده. ويريد أبناء الناصر الاستئثار بالخلافة دون سواهم، فلما بويع عبد الواحد خلفا لأبي يعقوب خرج عليه محمد عبد الله ابن المنصور الذي تسمى بالعادل فيما بعد، حيث وجد معارضة في الوصول إلى الخلافة، خاصة من طرف الأشياخ لتخوفهم من حزمه فتضيع السلطة من أيديهم[2]، فكان اختيارهم لأبي محمد عبد الواحد سنة 620 هـــ نظرا لكبر سنه، وهو ما يسمح للأشياخ التحكم في أموره والاستعداد لما يمكن أن يحدث بعد وفاته، لكنه خلع ثم قتل[3]، وأجمعوا على خلافة العادل[4] الذي لم يخلص له عرش المغرب والأندلس فقد ثارت عليه قبيلتا الخلط وهسكورة في مراكش بالإضافة إلى أمراء الموحدين بالأندلس، والذي انتهى أمره بقتله سنة 624هـــ-1227م[5].

---

[1]- يرى صاحب روض القرطاس أن وفاة يوسف الثاني بسبب عجل نطحه، وكان ذلك سنة 620هـــ-1224م. ص243. بينما يرى صاحب تاريخ الدولتين أن وزيره أبا سعيد بن جامع دس له السم في الطعام بتواطؤ مع فتى اسمه مسرور ، ص20.

[2]- ابن أبي زرع : المصدر السابق،ص244.

- عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص329-330.

[3]- لم تدم خلافته أكثر من ثمانية أشهر- كما يعتبر أول خليفة موحدي يخلع عن العرش ويقتل.

- عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص330-331.

- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب – المصدر السابق، ص245.

[4]- هو عبد الله بن يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المؤمن ، بويع البيعة الأولى بمرسية سنة 621هـــ وخلص له الأمر واجتمع على بيعته كافة الموحدين ما عدا أهل إفريقية وخطب له بحضرة مراكش وسائر بلاد العدوة والأندلس بعد خلعه عمه عبد الواحد

- ابن أبي زرع: الأنيس، المصدر السابق، ص246.

- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 298.

[5]- حسب صاحب روض القرطاس أنه قتل بعد خلعه وكان ذلك يوم الثلاثاء. 21 شوال 624هـــ /4أكتوبر 1227م، ص247. ينظـــر كذلك: ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص273-275.

نستطيع القول وفي ظل هذه الظروف التي تكبل شؤون الخلافة، واضطراب البلاد وانتشار الفتن والثورات، وإفساح المجال لتطلعات شيوخ الموحدين، الذين أفرطوا في استعمال السلطة مما كانت له انعكاسات سلبية على ذلك النظام المتراص، الذي وضع أسسه ابن تومرت ومن بعده عبد المؤمن بن علي ورسخه خلفاؤه، وهو ما ساهم في حالة التمزق التي سيؤول إليها مصير الامبراطورية، خصوصا بعد تولي أبي زكرياء يحيى ابن محمد الناصر[1]، وأبي العلاء إدريس المأمون[2] شؤون الخلافة في نفس العام، حيث ظهر خليفتين في آن واحد، يتصارعان على منصب الخلافة الموحدية، وهو الإشكال الذي طرحه الدكتور بن قربة صالح، حيث قال: «هذه ظاهرة سياسية تستحق المزيد من الدراسة لأهميتها في مسار الدولة الموحدية من جهة، وانعكاساتها على نظام السكة. كذلك لا يغفل أن تظهر سكتان تؤكد شرعية خليفتين في آن واحد»[3].

وللأسف الشديد أن جل من كتب على التاريخ الموحدي من مصادر أو مراجع ونخص بالذكر هويثي ميرندا، الذي ألف كتابا حول التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية في فصله الثامن[4]، لم يتطرق إلى هذا الإشكال وركز اهتمامه على المرسوم الخلافي، الذي أصدره

[1]- كان يوم بويع ابن ستة عشرة سنة وتم ذلك بجامع المنصور من قصبة مراكش، وقبائل هكسورة لكونهم قد بايعوا إدريس المأمون وكانت مدة حكمه كلها فتن، ولم يستقر له الأمر إلا نحو سنتين والباقي كلها حروب بين المأمون والرشيد، إلى أن قتل بفج عبد الله من أحواز رباط تازة من طرف عرب المعقل غدرا سنة 633هـ -1236م

- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص248-249.

- مؤلف مجهول، الحلل، ص167.

- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص274.

[2]- ولي الخلافة والبلاد تضطرم نارا قد توالي عليها الخراب والفتن والقحط والغلاء الشديد والخوف بالطرقات وقد تكالب على الامبراطورية المريضة، العدو سواء بالأندلس أو استبداد بنو حفص بإفريقية، وبنو مرين الذين استحوذوا على جميع بواديه، وقد بويع بيعته الأولى باشبيلية سنة 624هـ حيث اجتمع عليه جميع بلاد الأندلس وسبتة وطنجة، ثم البيعة الثانية سنة 626هـ-1229م، بعد حروب دامية بينه وبين ابن أخيه يحي بن الناصر: وقد مات وهو قافل من حصار سبتة سنة 629هـ-1232م بعد فترة حكم مضطربة دامت خمس أعوام وثلاثة أشهر.

- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص253.

- ابن الخطيب لسان الدين: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق عبد السلام شقور، ج1، منشورات كلية الآداب ، تطوان، المغرب1988، ص411.

- الزركشي، المصدر السابق، ص25-26.

[3]- بن قربة صالح: المسكوكات المغربية، المرجع السابق، الجزء الأول، ص571.

[4]- هويثي ميرندا: المرجع السابق، ص455-480.

المأمون المتعلق بإلغاء رسوم الإمام محمد بن تومرت، ومحو أصول عقيدة الموحدين، ولو رجع إلى ابن أبي زرع في أنيسه لعلم أن دولة الموحدين بدأت في الانقسام حيث يقول: «... وكانت أيامه –المأمون- كلها شقية في منازلة يحيا، افترق الموحدون فيها فرقتين، فصارت الدولة دولتين، فكان محو دولتهم وذهاب نخوتهم على يديه...»[1].

من هذا الكلام اعتقد أن النزاع الذي قام بين يحيى ابن الناصر والمأمون أولا، وخلفه الرشيد ثانيا. يبدأ انقسام وتفكك الدولة ودخولها مرحلة الاحتضار فمن جهة حركة يحيى في جبال المصامدة، ومن جنوبها إلى درعة وسجلماسة المدعم من أشياخ الموحدين خاصة من هنتاتة وأهل تينمل، ومحاولته السيطرة على الوضع، وكسب كرسي الخلافة، ومن جهة المأمون الذي بدأ حكمه في مراكش وبعض المدن معتمداً في ذلك على جند القشتاليين، والمتطوعة من الأندلس[2]، الذي انتهج سياسة دموية، أفنيت في ظله الألوف، هذا الصراع دفعهم إلى التنازل من أراضي الدولة في سبيل تحقيق مصالحهم[3]، وظل كل منهما مدعياً للأمر على احراز النصر على منافسه طوال خلافة المأمون، وما يقرب من الأربعة أعوام من خلافة الرشيد[4]، الذي تراجع عن سياسة أبيه، والعودة بعصمة المهدي وأحياء رسومه[5]، لكن هذا التعبير لن يعيد

(1)- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص253.

(2)- قبل أن يغادر الأندلس وقع هدنة لمدة سنة مع فرناندو الثالث، ثم كون فصيلة من 500 فارس مسيحي لمزيد من الاطلاع، راجع: - ابن أبي زرع: الأنيس، المصدر السابق، ص250-251.

- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص299-300.

(3)- يقول صاحب الأنيس: المطرب في هذا الصدد، أن المأمون بعث إلى ملك قشتيلية يستنصره على الموحدين ويسأله إن يبعث إليه جيشا من الروم، يجوز بهم إلى العدوة لقتال يحيا، وكان شرط ملك قشتالة أن يعطيه عشرة حصون يختارها بنفسه مع بناء كنسية في وسط مراكش، ص250-251.

(4)- تمت البيعة الخاصة لعبد الواحد سنة 629هـ-1232م حيث نجحت أمه وهي جارية مسيحية تدعى –حبابة- في اقناع قادة الجيش مبايعة ابنها سراً، حيث اعتمدت على قائد الفصيلة المسيحية المدعو –سانشو أو مر قسيل- وقد مات غرقاً في صهريج سنة 640هـ-1242م.

- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص254-255.

(5)- في سنة 627هـ كتب المأمون إلى جميع بلاده بتغبير سير المهدي وما كان ابتدعه للموحدين، وأمر بإسقاط اسم المهدي من الخطبة وإزالته عن الدنانير والدراهم –ولما تمكن الرشيد من مقاليد الأمور، أعاد رسوم المهدية إرضاء لهم.

- أنظر: ابن عذارى المراكشي: المرجع السابق، ص286-288.

- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص251-255.

- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص165.

الخلافة هيبتها السابقة لأنه فات الأوان، وحزب الهيكل الذي اشترك فيه السادة والأشياخ في بنائه منذ حوالي قرن قبل ذلك وفي هذه الفترة نلاحظ انكماش الجانب المعماري والتفرغ إلى ترميم أو إعادة بناء بعض الأسوار التي ستؤول إلى السقوط ونعني بذلك العمارة الدفاعية فمن جهة نجد أن مدينة تينمل مهد الدولة الموحدية بدأت تسترجع حركتها الاقتصادية والدفاعية إلى جانب العاصمة مراكش، كذلك نلاحظ من خلال النتائج التي تحصل عليها الدكتور بن قربة صالح في دراسته حول المسكوكات المغربية، حيث أشار إلى وجود عملات محلية إلى جانب العملة الموحدية، وأصبحت السكة موزعة بين الثائرين، بعدما كانت متمثلة في الدولة الأم(1).

كما شهدت هذه المرحلة ازدياد ضغط المماليك المسيحية على الأراض الأندلسية، فأرغون من الشرق وقشتالة من الشمال، والبرتغال من الغرب، وفشل الموحدين في صد تلك الهجمات، حيث كانت الأندلس هي الواجهة الأمامية التي تحمي المغرب من القوى المسيحية، إذا أضيف إليها قوة الأسطول الموحدي ومع تعرض هذه العناصر للتفكك بدأت الأراضي المغربية تتعرض من حين لآخر لضربات المسيحين، حيث تعرضت سبتة سنة 658هـ، لهجوم من طرف القشتاليين مستغلين انشغال الموحدين بالمسائل الداخلية(2).

(1)- صالح بن قربة: المسكوكات المغربية: المرجع السابق، ج1، ص581.

(2)- لمزيد من الاطلاع حول المشاكل التي كان يتخبط فيها خلفاء هذه المرحلة، ينظر:

- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص345-374.

- ابن أبي زرع: ، المصدر السابق، ص250-259.

- الحسين بولقطيب: جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء الرباط، 2002، ص64-90.

وغيرها من المدن التي بدأت تسقط الواحدة تلوى الأخرى، زد على ذلك أن هذه الفترة شهدت تشكيل ثلاث قوى سياسية جديدة منافسة للموحدين، فظهرت إمارة تلمسان الزناتية[1] وإمارة الحفصيين المصامدة بإفريقية[2]، وفي المغرب الأقصى، نافس الموحدين بني مرين[3]، الذين سيرثون الدولة الموحدية.

لقد شهدت هذه الفترة وحتى نهاية الامبراطورية، ضعف أعمال البناء والتشييد اللهم بعض الترميمات للمباني الدفاعية التي كانت الاضطرابات المتكررة قد تحولها إلى خراب[4]، هذا فضلاً عن الخصاص المالي الذي عانت منه الخزينة الموحدية، بسبب تقلص عائدات التجارة من جهة، وسنوات الجفاف الطويلة[5]، مما كان لهم الأثر البارز على ضعف أعمال البناء العسكرية التي تعتبر عماد الدولة، وهنا يحضر عندنا التصور الخلدوني الذي قال: «...إن الاقتصاد عن أسلوب الإنتاج الحربي لا بد وأن يتناقص في إحدى مراحل نموه...»[6].

(1)- كان منشأها سنة 633هـ على يد أسرة بني عبد الواد الزناتية وخاصة ابي يحي يغمراسن بن زيان.

لمزيد من الاطلاع: ينظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص5 وما بعدها.

- الحساني مختار: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الدولة الزياتية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1997، ص14 وما بعدها.

- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، دار موفم للنشر والتوزيع، الجزائر 2002، ص20 وما بعدها.

(2)- تنتسب إلى الشيخ ابي حفص عمر الهنتاتي أحد أصحاب ابن تومرت وكان الخليفة الناصر أسند إلى ابنه عبد الواحد، ولاية افريقية وقد اتخذ أبو زكرياء الحفصي من تراجع المأمون عن مبادئ ابن تومرت مبرراً لخلع طاعته واعلان الانفصال سنة 627هـ وتأكد هذا الاستقلال سنة 633هـ عند تجديد البيعة له.

ينظر: - الزركشي: المصدر السابق: ص24-25.

- ابن قنفد القسنطيني: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم محمد الشاذلي النيفر عبد المجيد الربحي، الدار التونسية للنشر تونس، 1968، ص 120.

- أبو عبد الله محمد ابن الشماع: الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، القاهرة 1984، ص54 وما بعدها.

(3)- لمزيد من الاطلاع: ينظر: - مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص186-189.

- المنوني محمد ورقات عن حضارة المرينيين، الطبعة الثالثة، منشورات كلية الأدب، الرباط 200، ص15 وما بعدها.

(4)- الحسين بولقطيب: المرجع السابق، ص65-69.

- الجابري أمحمد عابدا: العصبية والدولة، معالم نظرية خلدون في التاريخ الاسلامي، الدار البيضاء 1979، ص360-362.

(5)- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص325-327.

- ابن أبي زرع: الأنيس، المصدر السابق، ص255-256.

(6)- ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص407.

طبعاً عندما تستنفذ موارد الدولة فيلجأ السلطان إلى فرض مكوس على رعاياه وهو مصدر غير طبيعي للمال، ويراد من ذلك الحفاظ على ولاء القواد العسكريين وشيوخ القبائل، إضافة إلى استمالة عناصر مقاتلة إلى صفها، وهو ما نتج عنه تحويل المجال الخاضع لها إلى مجموعة من الاقطاعيات تغير تحالفاتها تبعاً لمصالحها الشخصية.

5- مرحلـــة السقـــــوط:

وستنفجر الأوضاع أكثر مع عهد الخليفة على ابن ادريس المعتضد بالله من سنة 640هـ إلى646م ما يقابلها 1242م-1248م[1] والتي تذكره المصادر التاريخية وجل المراجع بأن لقب هذا الخليفة هو السعيد، بينما ورد على نقوده بصيغة، الأسعد لأن النقود وثائق رسمية لا تقبل الطعن ولا التزوير[2].

لقد تعددت الثورات ضده، فهذا أبي زكرياء مؤسس الإمارة الحفصية 626هـ-647هـ، يحاول وراثة الموحدين بالاستلاء على المغربين، الأوسط والأقصى خاصة بعد احتلاله تلمسان وفرض على يغمراس الخضوع له، كما وجهة سجلماسة مؤقتا وسبتة وطنجة بيعتها للحفصيين، كما اكتسب المرينيون الشرعية من الحفصيين ليتحلوا من الإطار القبلي الصرف إلى إطار نظام سياسي يزاحم هذه الخليفة[3]، الذي ازداد معسكره انشقاقاً واتجاهاً نحو الاضمحلال النهائي.

---

[1]- بويع في اليوم الثاني من وفاة أخيه الرشيد بمراكش سنة 640 كان يتطلع لإعادة أمجاد الامبراطورية ووحدتها، لكنه سقط في النهاية دون أن يحقق أي مجد حيث ترك الفرصة للخلط أولاً ثم المرينيين بعد ذلك لينهبوا امبراطوريته المتآكلة.

- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص66-67.

- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص359-387.

[2]- ابن قربة صالح: المسكوكات المغربية، المرجع السابق، ج1، ص602.

[3]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص304.

- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص257.

من جهة أخرى ضيع الموحدون اشبيلية، ويرجع هذا إلى انهماك المعتضد بالله[1]، في خططه العمياء، والتي اسقطته في النهاية دون أن يحقق أي مجد، يفوق امكانياته وقدراته العسكرية التي تفرقت، بعد قتله من طرف قوات يغمراسن، وكان ذلك سنة 646هـ-1248م[2]، وخلفه في الحكم أبي عمر المرتضى بالله الذي حاول الدفاع عن ما بقي لهذه الامبراطورية المتفككة وسقوط مدنها الواحدة تلوى الأخرى -حيث تدهور نفوذه بزحف المرينيين إلى سلاّ ثم إلى تامسنا وتقدم نفوذهم من فاس وتازا عبر جبال فازاز إلى تدلاً وأحياناً إلى سجماسة، هذا بالإضافة إلى ثورة بدر ببلاد السوس[3].

فلم يبق بذلك في حوزة خلافة الموحدين سوى مراكش، حاضرة الدولة ورقعة تمتد بين وادي أم الربيع ووادي تانسفت، حتى ثغر أزمور فأصبح الموحدون محاصرين سياسياً وعسكرياً واقتصاديا، من كل جهة مما أوقعهم في ضائقة مالية شديدة زادت في تدهور وضعيتهم ونقص اخلاص مرتزقتهم من النصارى، وحقيقة الأمر أنّ هذا الخليفة كان يعيش حياة البذخ والترف التي جعلته غير قادر على مواجهة المشاكل الخطيرة التي عرفتها البلاد، رغم ادعائه الزهد والتصوف والورع.

وهذا ما يؤكده البيان المغرب حينما أعطى المرتضى الأوامر لترميم قصر المجالس، وإدخال اصلاحات عليه تسمح باحتضان مجالس اللهو[4].

---

[1]- يقول صاحب الذخيرة السنية: «... قتله بنو عبد الواد ونهبوا محلته وأمواله، وتفرقت جيوشه في كل ناحيته واحتلوا يغمراسن بن زيان على جميع ما كان بالمحلة وعاد به إلى تلمسان»، ص72.

- ينظر كذلك: ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص387.

[2]- هو أبو حفص عمر المرتضى ابن اسحاق ابن يوسف بن عبد المؤمن كان قد عينه المعتضد بالله عاملاً على سلا عندما خرج في حملته ضد تلمسان، وقد عقدت له البيعة بجامع المنصور بعد عشرة أيام من موت المعتضد.

- ابن أبي زرع، المصدر السابق، 258.

- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص306.

- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص388-389.

[3]- ابن عذارى المصدر نفسه، ص402-404.

- ابن خلدون: المصدر السابق، ص307.

[4]- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص409.

زد على هذا انعدام المواهب القيادية والقدرة على رد الفعل لدى هذا الخليفة ونلتمس هذا أثناء حصار أبي دبوس لمراكش الذي انتهى بفراره بطريقة مخزية وموته سنة 665هـ-1266م- بعدما حكم ثمانية عشر سنة[1]، وتملك بعده أبي دبوس إدريس الواثق بالله[2] مقاليد الحكم بمعاونة المرينيين، حيث لم تدم خلافته أكثر من عامين، وهنا يصف لنا ابن عذارى بيت المال في عهد أبي دبوس بقوله: «...ليس بيت المال مال ولا طعام، فاستولى عليه الاحتياج الشديد والاعدام إلا صبابه...»[3].

ورغم محاولة تخيف أبي دبوس من الضغط المالي على أهل مراكش فإنه لم يحصل على رضاهم، وكنتيجة حتمية وبعد مطالبة المرينيين أن يحكم باسمهم باعتباره تابعاً لهم، فأبي الواثق بالله، وعندئذ نشبت الحرب بين الفريقين على ضفاف نهر وادي -أغفو- ببلاد دكالة فقتل أبو دبوس سنة 668هـ-1269م، وفي هذا الصدد يخبرنا ابن عذارى بقوله: «...ولما قتل أبو دبوس كما تقدم تفرقت أجناده، فلم يصل أحد من الموحدين .... فلما وصل إلى مراكش بعض أشياخ الموحدين ومن وجد السبيل للوصول إليها من المتجندين قدموا أنفسهم أبا محمد عبد الواحد ابن أبي دبوس وسموه المعتصم بالله- وذلك أشغالاً للناس بخلال ما يدبرون لأنفسهم في النجاة برؤوسهم...»[4].

وبمقتل آخر الخلفاء الموحدين واستسلام مراكش، فرفلوا الموحدين إلى تينمل، حيث بايعوا اسحاق المرتضي الذي اعتقل وقتل بعد سنوات بالضبط سنة 674هـ[5]. فاكتمل

---

(1)- المصدر نفسه، ص441-444.
- ابن أبي زرع، المصدر السابق، 110-111.
- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص309-310.
(2)- هو أبو العلاء ادريس بن السيد أبي عبد الله بن السيد أبي حفص بن أمير المؤمنين أبي محمد عبد المؤمن بن علي وقد انتهز فرصة ضعف المرتضى لأمر الله، وانفراد بالأمر وذلك سنة 665 هـ وتسمى بأمير المؤمنين، الواثق بالله والمعتمد على الله.
ينظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص259.
(3)- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص448.
(4)- المصدر نفسه، ص468.
- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص118-119.
(5)- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص311-312.

بذلك انقراض الامبراطورية المؤمنية، التي أقامت حول مراكش دولة شامخة البنيان وطيدة الأركان شملت الاندلس والمغربيين الادنى والأوسط، من الصحراء الكبرى إلى الجزيرة الأيبيرية.

ثالثا: الفكر العسكري الموحدي في تطوير المجال الدفاعي:

لقد كان الأساس لدى الموحدين في تشييد الحصون ورفع الأسوار ونصب الأبراج وإحكام الأبواب وبناء القلاع، والثغور المحصنة على جهة البر والبحر، أمر بالغ الأهمية، وإنتاج تلك المنشآت الدفاعية. قام لضرورة وبدعم مورث حضاري، ساهمت فيه كل الظروف الاجتماعية والسياسية والجغرافية لكي يوجد، ويعكس لنا الفكر الموحدي العسكري. من خلال تلك العمارة التي قدمت لنا هوية مستقلة متميزة وانطلاقاً من هذا الكلام، كيف يمكننا ابراز التطورات والتحولات التي لحقت بالمنشآت العسكرية الموحدية من خلال تتبع الفكر العسكري في تطوير المجال الدفاعي لدى الامبراطورية الموحدية؟.

إن التطور الذي عرفته الامبراطورية الموحدية في مجال التحصينات واختيار مواقع بنائها اختلف بحسب المراحل التاريخية، ومدى حاجة الدولة للدفاع عن وحدتها المترامية الأطراف، والتي ضمت بين جناحيها أمم افريقية والمغرب الأوسط والاندلس، وبنظرة تأملية في هذه التحصينات يمكن الاطلاع على ذلك التطور سواء من خلال اختيار المكان[1]. أو الجانب الهندسي والمعماري وطبيعة مواد البناء فيها[2]. وهو ما سنلاحظه عند ابن تومرت عند اختياره لمدينة تينمل- كعاصمة سياسية وعسكرية في نفس الوقت، وهو ما ينم عن استراتيجية الدفاع

---

[1]- يجب أن تراعى شروط في اختيار المكان لإقامة المدن والتي من بينها أن تكون على هضبة متوعرة من الجبل أو باستدارة بحر أو نهر حتى لا يصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة لمزيد من الاطلاع حول هذه الشروط: ينظر:

- ابن مرزوق التلمساني: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق مريا خيسوس بيغيراء. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص350.

- ابن أبي زرع: الأنيس، المصدر السابق، ص38-39.

- ابن خلدون: المصدر السابق،ج1، ص405.

- ابن القاضي أحمد: جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، الجزء الأول، 1973، ص42.

[2]- El omari Rochid: Architecture militaire de sale propositions des Resauraion on INSAP Rabat, 1995, PP82-85.

- بوجبار نعيمة الخطيب: المدن الأثرية القديمة مطبعة فضالة الجديدة. المحمدية الدار البيضاء، 1977، ص59-60.

المحصن الطبيعي[1]، واشرافها على عدة طرق هامة مؤدية إلى بلاد المغرب، فهي تقع في طريق تارودنت- إلى مدينة اغمات وريكة من جهة، واستجابة للمفهوم العام لاختيار الموقع الطوبوغرافي في علاقته بالمجال الدفاعي العسكري من جهة أخرى.

وتعتبر تينمل مهد الدولة الموحدية ففيها نشأة دعوة ابن تومرت واشتد ساعدها، ومنها خرجت جيوشها للحرب والقتال، وبهذه الاستراتيجية العسكرية التي جاء بها ابن تومرت، ستخضع للعناصر المرتبطة بتحقيق شرط الدفاع، وتأمين الموقع، واختيار المجال بناءاً على دفع المضار وجلب المنافع، وتسهيل المرافق حسب ما حدده ابن خلدون في إطار حديثه عن جغرافية المدن[2].

نستطيع القول أن الموحدين تفوقوا على المرابطين في فنون الدفاع، وهم في بداية ثورتهم، حيث احسنوا اختيار الموقع، فاتخاذهم جبل درن موطنا لثورتهم نظرا لحصانته، ثم بعد ذلك المدينة سوروها وحفروا حولها خندقاً وتشييدهم برجا للمراقبة.

وقد لازمتهم هذه الميزة الدفاعية، عندما تحولوا من الدفاع إلى الهجوم[3] فنجد رباط تازة، الذي كان المعبر الأساسي بين الجانبين الشرقي والغربي للمغرب الأقصى، ثم بعد ذلك

---

[1]- قد اهتم مؤرخو المسلمين بوصف منعة ذلك الحصن وقوته مثل الادريسي، وابن الخطيب وابن القطان، وصاحب الحلل الموشية وابن عذارى المراكشي وعبد الواحد المراكشي، وغيرهم.

- انظر الفصل الخاص بالعمارة العسكرية بالمغرب الاقصى.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص405-406.

[3]- ففي هجومهم الأول على مراكش سنة 524هـ، بنوا سوراً حول معسكرهم وفي فاس عملوا سوراً وحفروا خندقاً حول محلة خليفتهم وكذا فعلوا في مكناسة والمرية والمهدية، لمزيد من الاطلاع حول فنون الحصار والتحصين المؤقت: ينظر:

- ابن القطان: المصدر السابق، ص88.
- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص25.
- مؤلف مجهول: الحلل، المصدر السابق، ص136.
- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص255.

بناءهم رباط تيط، وذلك من أجل القضاء على بقايا البرغواطيين في تامسنا من جهة ووقوعه على ملتقى الطرق وخصوبة تربته من جهة أخرى[1].

لقد كان الهدف من خطتهم هذه حراسة محاور الطرق الاستراتيجية ومراقبة القبائل وتدعيم سيطرتهم عليها والحد من تحركاتها وقد سار الخلفاء الموحدين على هذا النهج، فقد شيدوا سلسلة من الحصون والقلاع والقصبات وحرصوا على تثبيت سيادتهم بالارتكاز على تنظيم عسكري محكم[2] باعتبار أن أساس الدولة هو التنظيم العسكري السليم، وهنا يجدر بنا الوقوف على ظاهرة ابتكار المربع القتالي[3] لعبد المؤمن بن علي، صاحب هذه الفكرة، التي لم يقتصر على السكة الفضية فحسب، بل تجاوزها إلى مجالات التحصينات، خاصة الابراج البرانية، ذات الشكل المربع، فأغلبية الابراج المحيطة بالأبواب ذات تخطيط مربع ويرجع ذلك إلى سهولة بنائها ومتانتها من جهة أخرى.

---

[1]- عبد العزيز بنعبد الله: الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، معلمة المدن والقبائل، ملحق 2، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1977، ص159.

[2]- قامت الدولة الموحدية نتيجة دعوة دينية تجديدية لغايات سياسية وكان لهذه الدعوة أثر في سائر النظم ومن بينيها النظام العسكري لمزيد من الاطلاع حول عناصر الجيش الموحدي وعدده واقسامه وتشكيلاته وقيادته وعدته وعتاده الرجوع إلى:

- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص250، وما بعدها.
- القلقشندي أبو القاسم أحمد: صبح الأعشى في صناعة الانشاء الجزء 11 دار الكتب 1928 القاهرة 1922 ص20-22.
- نفس المصدر، الجزء5، ص130-139.

[3]- ينسب المؤرخون إلى عبد المؤمن بن علي، اختراع تشكيلة المربع التي اتخذت من ذلك الوقت أساسا لخطط الدفاع الموحدية، فيذكر لنا صاحب الحلل الموشية حيث يقول: «...لما نزلنا من جبل تلمسان نريد بلاد زنانة... فصنعنا دارة مربعة في البسيط جعلنا فيها من جهاتها الأربع، صفاً من الرجال بأيديهم القنا الطوال، والطوارق المانعة، ووراءهم أصحاب الدرق والحراب صفا ثانيا من ورائهم ووراءهم أصحاب المخالي فيها الحجارة ووراءهم الرماة بقوس الرجل، وفي وسط المربعة الخيل، فكانت خيل المرابطين إذا دفعت اليهم لا تجد إلاّ الرماح الطوال الشارعة... فحينما تولى من الدفع وتدبر تخرج خيل الموحدين من طرق تركوها... فتصيب من أصابت... وكان هذا اليوم يعرف بيوم منداس، فقد فيه من جيوش المرابطين مالا يحصى وفي ذلك اليوم ظهر أمر عبد المؤمن بن علي...»، ص132.

كما أتقن الموحدون الابراج المتحركة التي لها في أغلب الأحيان، أربعة أدوار أولها من الخشب وثانيها من الرصاص وثالثها من الحديد ورابعها من النحاس الأصفر، ويتحرك هذا البرج على عجلات، تصعد على طبقاته الجنود لنقب الحصون وتسلق الأسوار[1]

هذا وكان ابرز ما يعرف به الموحدون التكثير من اتخاذ الطبول لاستعمالها للإيذان بنشوب الحرب إلى جانب الافراح والمسرات وقد اتخذت الطبول مختلف الأحجام والأشكال، وقد غلب عليها المربع الذي يرجع إلى عهد ابن تومرت هذا بالإضافة إلى المستدير الكبير[2]

كما لازم الموحدون العدد أربعة في اتخاذهم الأعلام والروايات الملونة بالأحمر والأبيض والأصفر والأخضر، وكان لهذه الرايات قصد بها ارهاب العدو وتثبت نفوس المقاتلين، كما أن الاستراتيجية العسكرية لعلم الوحدة –الأبيض- يهدي المقاتل متى يثبت ومتى يقدم ومتى يتراجع[3].

---

[1]- إضافة إلى هذه الأبراج المتحركة نجد أن الموحدين قد تفننوا في استعمال سلم الحصار الذي يساعد الجنود على اعتلاء الأسوار وفتح مغاليق الحصون، وقد وصف لنا صاحب الحلل الموشية حصار الموحدين لمدينة مراكش واعتلاء اسوارها بالسلالم، حيث أمر عبد المؤمن بعمل السلالم لارتقاء السور، ثم قسمها على القبائل فدخلت هنتاتة من جهة باب دكالة، ودخلت صنهاجة وعبيد المخزن من باب الدباغين ودخلت هسكورة وغيرها من جهة باب أغمات، ص138.

[2]- قد تنوعت الطبول وتعددت ففي حالة الاستقبال يضرب طبل مربع يرجع إلى عهد ابن تومرت بينما في الرحيل يضرب طبل كير مستدير الشكل دوره خمسة عشر ذراعاً منشأ من خشب أخضر اللون مذهب وفي حالة تعيين والي تضرب أربعة طبول

- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص320.
- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص65-97.
- مؤلف مجهول: الحلل: المصدر السابق، ص152-153.
- ابن القطان: المصدر السابق، ص242.
- ابن أبي زرع الأنيس: المصدر السابق، ص201-202.

[3]- قد اهتم الموحدون بالبنود والرايات لدرجة أنه كان لهذه الدولة رايات متعددة، حتى أنهم كانوا ينصبون راية على رأس كل مائة جندي، وقد اتخذ ابن تومرت لواء أبيض يكون رمزا لجيشه كتب على أحد وجهيه- الواحد الله محمد رسول الله المهدي خليفة الله، وكتب على الوجه الآخر وما من إله إلا الله وما توفيقي إلاّ بالله، وأفوض أمري إلى الله

- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص143-144.
- ابن القطان: المصدر السابق، ص128.
- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص130.
- القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص139-140.

الواقع أن عبد المؤمن بن علي عمد على نهج سياسة دفاعية عبرت عن حسن استراتيجي ذو وعي دفاعي، خاصة بعد الاستقرار الذي شهدته دولته سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، فاتساع جغرافية امبراطوريته بمشروعيتها الدينية أو السياسية، حيث توحد المغرب الاسلامي في عهده من برقة وطرابلس إلى المحيط الأطلسي، كما استقرت الأوضاع بالأندلس، وهذا طبعا بفضل جيش قوي محكم التنظيم، وهنا تتراءى لنا عبقرية وفكر عبد المؤمن في هذه النقطة، فقد رأى الامبراطورية تحتاج إلى أساس معنوي غير القهر أو العصبية للحكم واستقراره، وأن هذه الدولة مهما كانت قوتها، لا بد لها من طاقات بشرية من الجنود والحاميات لأنه حين ينفذ هذا العدد تتوقف الدولة على التوسع، فانتهج سياسة الحلم اتجاه العرب، وحاول أن يجعلهم أكثر ارتباطاً بشخصه[1]، كما اعتمد على قبيلة كومية، ومنه نجد أن هذا الاتساع والتنوع في البيئات في نطاق الامبراطورية، كان له دور في حركة العمران وانتظام عجلة الحياة وتطورها وانتعاشها، كما كان له الدور في الأخذ والعطاء والتأثير والتأثر.

يحسن بنا القول أن عبد المؤمن بن علي، لم يكن مؤسسا لإمبراطورية عسكرية وسياسية عظيمة، بل كان أيضا مبدعاً وموحيا لطراز معماري فريد من نوعه تجلى في ضخامة عمارته العسكرية خاصة، وإلى حسن اختيار الموضع والموقع على حد سوى لهذه المنشآت[2].

فبعد مسح جميع أراضي امبراطويته والذي كانت له أبعاد سياسية واقتصادية وحضارية، فهو بذلك حصل من الولاة على بيانات دقيقة على سكان كل ولاية وعن

---

[1]- لقد برهن عبد المؤمن بن علي على معرفة تامة بنفسية البدو فقد خاطبهم شعراً، إلى جانب تذكيرهم بحقوق الجهاد في سبيل الله ركز على ما سينالونه من غنائم ومكاسب مادية وقد استجاب لنداء عبد المؤمن الجم الغفير من العرب، ففي عام جبل الفتح رتب بعضهم في نواحي قرطبة واشبيلية، ونقل اعدادا إلى المغرب وفي استعداده لغزو النصارى نقل إلى المغرب ألفاً من كل قبيلة من قبائل جشم

- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص226.
- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص173.
- ليفي بروفنسال: المرجع السابق، ص112-113.

[2]- أقام عبد المؤمن وخلفاءه على أرض امبراطوريته المترامية الأطراف سلسلة من القلاع والحصون، وذلك لأحكام السيطرة على مناطقه، ومراقبة القبائل خشية عصيانها وتمردها وقد انتشرت من مراكش في الجنوب حتى مدينة فاس في الشمال ومن تلمسان الشرق إلى طنجة في الغرب وسيأتي التفصل عن هذه المنشآت الفصول اللاحقة.

خواصها وثرواتها وعلاقتها حيث قدر الجانب الجبائي لها[1]، كما أمر بإمداد مملكته بالجند والسفن ويؤتى بها من افريقية والمغرب الأوسط والاندلس، أما الفرسان والخيول والدواب الحمل من المناطق الصحراوية، أما المناطق الأخرى فتقدم الجند، هذا من جهة من أخرى فهو عمد في بناء الثغور والرباطات على حسب موضع كل منطقة، وهي عبارة على حصون وأبراج تبنى على حدود الامبراطورية، وذلك إما لدفع العدو، وصد هجماته، أو لاتخاذها قاعدة انطلاق لمهاجمة العدو. هذا بالإضافة إلى إقامة قواعد التموين الهائلة التي تعتبر المحرك الأساسي للتوسع ومواصلة الفتوحات، دون توقف[2].

ولدينا أمثلة نسوقها من خلال الكلام الأنف ذكره فنجد عبد المؤمن بن علي يأمر بناء جبل الفتح وتحصينه، وكان الغرض منه جعله مركزاً للعبور ومترلاً للجيوش الموحدية المتجهة إلى عدوة الأندلس هذا بالإضافة إلى جعله قاعدة أمامية للدفاع عن بلاد المغرب، وهنا يخبرنا ابن صاحب الصلاة عن الاجتماع التمهيدي الذي ضم عدداً مهماً من المهندسين والعرفاء كأبو اسحاق براز والمهندس الحاج يعيش.. والعريف بن باسة، وحضر جميع الذين تمس حاجة البناء إليهم من البنائين والجيارين والنجارين والعرفاء إلى جانب القواد والكتاب وأهل الحساب الذين يشرفون على تقييد الأشغال والانفاق على الأعمال[3]. وهذا إن دلّ عن شيء إنما يدل

---

[1]- لما تولى عبد المؤمن شؤون الخلافة الموحدية التزم بسياسة ابن تومرت في الاكتفاء بالمصادر التي حددها الشرع، حتى سنة 555هـ-1160 لجأ إلى فرض الخراج على أرض المغرب وبقية المناطق التابعة للدولة وذلك من أجل مواصلة أعمال الجهاد، وما تحتاجه هذه الأقاليم من حماية ورعاية لمزيد من التفاصيل ينظر:

- عنان محمد عبد الله: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس القسم الثاني مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1964 ص620-624.

- حسن علي حسن: الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس، عصر المرابطين والموحدين، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي للنشر، مصر، 1980، ص194-218.

[2]- كانت هذه المراكز العسكرية الدائمة تضم عادة ثكنات لإسكان الجند وهي تختلف بحسب القيمة التعبوية والاستراتيجية للمدينة التي ترتبط الثكنة بها هذا إلى جانت الاصطبلات ومستودعات من المخازن التي تحفظ التجهيزات من أسلحة وطعام كما تحتوي هذه المراكز على ديوان وهو عبارة عن سجل خاص يضبط أسماء الجند وعددهم وأعطياتهم ويشرف عليها كاتب مختص.

لمزيد من الاطلاع: أنظر فتحي زغروت: الجيوش الاسلامية وحركة التغير في دولتي المرابطين والموحدين، المغرب والأندلس، الطبعة الأولى، دار التوزيع والنشر الاسلامية، القاهرة 2005، ص147-155.

[3]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص85-86.

على حسن استراتيجي وتطلع مستقبلي لهذا الخليفة المحنك الذي انتخب الوظيفة الحربية، وفق موضعها الجيد، الذي يحقق شرط التكتيك، فهو يجمع بين خط الدفاع والهجوم الأمامي وضمان الارتداد والحماية، أي خط خلفي.

وقد طبقت هذه الاستراتيجية العسكرية على المدن الساحلية كتلمسان وبجاية وتونس وغيرها فهي تعتبر الخط الدفاعي الأول عن أراضي اليابسة.

الواضح أن الموحدين قد حققوا ثورة معمارية مست الجانب الدفاعي، اذ اعتبرت أرقى ما وصل إليه الفكر العسكري خلال هذا العهد.

فقد تجاوزوا المعضلات الهندسية يوضح مخططات ورسوم وزخارف تدل على مستوى عال من المعرفة بالعلوم الرياضية والهندسية[1] كهندسة الري التي بلغت الذروة من الازدهار وخصوصا السواقي وجلب المياه واقامة الجسور والقناطر للربط ما بين ضفاف الأنهار وماله من أهمية ودور خاصة في حصار المدن أو الدفاع عنها في حالة الحروب، وأحياناً كثيرة تعطي الأولوية لبناء القناطر قبل الأسوار، فهذا المنصور يؤسس القناطر في مختلف أرجاء امبراطوريته الشاسعة وبنائه للملاجئ من منطقة سوس إلى بني مدكود، بطرابلس، كما تذكر عنه المصادر والمراجع الأثرية خصوصاً[2]. وكان اقتباسهم من الأساليب الاندلسية، لاسيما في بناء السواقي

[1]- من بين المهندسين الذي مازال التاريخ يذكرهم ويذكر ابداعاتهم ولمساتهم الرائعة أمثال: المهندس الشهير أحمد بن باسه الاشبيلي، والمهندس المغربي علي الغماري، والمهندس ابن جبير والمهندس الحاج يعيش المالقي، لمزيد من الاطلاع ينظر:

- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص66-322.

- مؤلف مجهول: الحلل: المصدر السابق، ص144-155-156.

- عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المجلد السادس، مطابع فضالة، المحمدية، 1987، ص68-74.

[2]- ابن أبي زرع: الأنيس المصدر السابق، ص216-217.

- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص176-181.

- ليوبولدوريس بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ترجمة سيد غازي، نشر منشأة المعارف الاسكندرية 1979، ص89-90، أنظر كذلك: مالكاجان بيير، الرباط بين الأسس واليوم، مراجعة عبد العزيز بنعبد الله مرسم الرباط 2002، ص 101-102.

وجلب المياه، ووضع القنوات من أجل نقل المياه إلى مدنهم مثل: سلا- رباط الفتح-وغيرها من المدن الموحدية[1].

وقد شكلت تلك المنشآت الدفاعية حزاماً أمنيا ضد أي تدخل خارجي أو قبلي لنيل من سلطتهم، وبذلك لجأ الموحدون إلى تحديد تقنيات التصميمات، كما هو الأمر في الأبراج ذات التصميم المتعدد الزوايا، وسيادة الحصون ذات التصميم الرباعي أو شبه مستطيل، كما استعملوا البرج المسمى على نحو منتظم في بناء أبراجهم البرانية وهو ما يعرف بالأبراج الخارجية عن نطاق السور[2].

كما تميزت هندسة أبواب الموحدين بالضخامة التي تعكس الثراء المتنوع من حيث التخطيط والدلالة على عظمة ورهبة هذه الامبراطورية، خاصة إذا لاحظنا التعقيد الذي أسس نظام الأبواب ذات المرافق حيث أنشأوا أبواباً مرافقها مزدوجة، وأخرى بثلاثة مرافق[3]،كما أنهم لم يسقفوا الممرات حتى تتاح الفرصة للجند بالإشراف من عال على المهاجمين وقذفه بالنبال والزيت المغلي كل هذا يبرز بجلاء شخصية وعبقرية المهندس والبناء المغربي في هذه الفترة والتي بعدها.

هذا ونجد أن الفنان المعماري الموحدي قد طور مواد البناء وطرقه التي استعملت من أجل انشائها فنجد طريقة التبابية التي جاءت لتعويض الحجر بالنسبة للتحصينات العسكرية والتي اثبتت فعاليتها وجودتها منذئذ الصلابة في البناء والسرعة في التنفيذ[4].

---

[1]-عبد العزيز بنعبد الله: رباط الفتح بين عاصمة تسالة وعاصمة القصبة، منشورات جمعية رباط الفتح، 1990، ص40-41.

Benstimane J.H Salé etude architecturele de trois maissions traditionnelles Rabat, 1979, P80.

[2]- عثمان عثمان اسماعيل: تاريخ العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى الجزء الثالث، عصر دولة الموحدين، الطبعة الأولى، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1993، ص117.

[3]- المرجع نفسه، ص123-126.

Allain (CH) et deverdin (G) : les portes anciennes de marrakech, D5 Hesp, T.X.L.U 1957, P119.

[4]- عثمان عثمان اسماعيل: المرجع السابق، الجزء4، ص99.

- Marçais (G): L’Art de l’islam. Paris 1950, P220.

عثمان عثمان اسماعيل: المرجع السابق، ج3، ص117.

إن هاجس الأمن والبحث عن الاستقرار واخضاع المجال الطبيعي والبشري، دفع بحكام الامبراطورية إلى خلق أنظمة دفاعية في المدن والأرياف فبنوا الحصون والقلاع والقصبات والأسوار وما إلى ذلك من تلك الأنظمة التي ابدع فيها الفنان المغربي الذي أثبت عبقريته في تلك الأشكال الهندسية المتبعة في العمارة الحربية إلى جانب تطويره في طبيعة مواد البناء وطرقه[1].

إن تلك المنشآت المعمارية الحربية المنتشرة والمتوزعة عبر أقاليم هذه الامبراطورية توضح لنا الامكانيات التي كانت تتوفر عليها الخلافة الموحدية وتوظيفها في المجال العسكري والبناء الذي كان جزءا أساسيا من البيئة السكنية والمعمارية والحربية.

ومن البديهي القول إن انتشار هذا البناء وبتقنية عالية قد أدى إلى صمود العديد من المواقع والمعالم في وجه التطورات الطبيعية والبشرية، وما بعض الحصون والقلاع والقصبات التي ما تزال قائمة إلى الآن، إلاّ دليل على ذلك وأن هذا البحث الذي نحن بصدد تقديمه من شأنه أن يساهم في إنارة الكثير من القضايا الخاصة بالفكر العسكري الموحدي في المجال الدفاعي.

[1]- منير أقصى: العمارة العسكرية بفاس عبر التاريخ، مطابع افريقيا الشرق الدار البيضاء، 2016، ص203.
- ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص372-374.

القسم الأول

العمارة العسكرية بالمغرب الأقصى

الفصل الأول

العمارة العسكرية المبكرة

تمهيد :

تعتبر الامبراطورية الموحدية دولة عسكرية بامتياز، حيث أولت جل اهتمامها لقضايا – الجهاد- داخليا وخارجيا، وإذا علمنا مدى شساعة المجال كان على الدولة الموحدية أن تراقبه وتدافع عنه ضد المنافقين والخصوم، أدركنا ولا شك أهمية القوة العسكرية الواجب توفرها .

فالملك عند ابن خلدون، يبنى على أساسين لا بد منهما، الشوكة والعصبية، وهو المعبر عنه بالجند وثانيهما، المال الذي هو توأم أولئك الجند، ولعل ما كان يزيد من حضور الحرب في الحياة اليومية للراعي والرعية على حد سواء، اعتبار الموحدين أنفسهم أصحاب العقيدة الصحيحة أما غيرهم فليسوا في نظرهم، سوى مجسمة كفار تجب محاربتهم وقتالهم لردعهم وردهم إلى جادة الصواب[1]، وليس غريبا أن نأخذ كل حروب الموحدين طابعا جهادياً فإمامهم ومنظرهم محمد بن تومرت خصص ضمن كتابه أعز ما يطلب بابا كاملا في الجهاد وما يرتبط به من قضايا وما يترتب عنه من مشاكل.

ويبدو هذا الاهتمام المتزايد بالحروب وأمور الجهاد في النقوش التي زخرف بها الموحدون بعض بناياهم، فقد دونوا على باب القصبة الشرقية للرباط. الآية: «... يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم...» [2] كما نقشوا على احدى نوافذ صومعة حسان المطلة على البحر، بسيفين متجهين نحو السماء[3] اعتماداً على هذه الأمثلة وغيرها والتي تبين كلها ارتقاء الحرب لدى الموحدين إلى مستوى العقيدة كان لابد وإن يطغى الميدان العسكري على بقية الميادين، وأن تتربع المؤسسة العسكرية على قمة الهرم الاجتماعي بل أن المغرب الاسلامي

(1)- البيذق: المصدر السابق، ص35-37-38-51.

(2)- سورة الصف، الآية [10-12]

(3)- عمرو موسى عز الدين: الموحدون في الغرب الاسلامي تنظيماتهم ونظمهم، الطبعة الأولى، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1991، ص251.

لقد رمز الموحدون لعلو همتهم في الجهاد برمزين ناطق وصامت فالناطق يتمثل في الآيات التي كتبوها على باب القصبة الشرقي بالرباط، والصمات هو نقش حول احدى نوافذ صومعة حسان جهة البحر، وهما يعبران عن ارهاب العدو المهاجم من البحر، ورمز إلى التهيؤ له والاستعداد.– محمد المنوني: حضارة الموحدين، الطبعة الأولى، دار توبقال للنشر الدار البيضاء، المغرب 1989، ص12. ولمزيد من التفصيل أكثر ينظر: سائح محمد بن عبد السلام الأندلسي، سوق المهر إلى قافية ابن عمرو، المطبعة الاقتصادية، الرباط 1938، ص114.

حسب رأي أحد الباحثين الاجانب[1]، لم يعرف بعد الموحدين تلك القوة العسكرية، وذلك التصميم الحربي اللذين كانتا سمتين بارزتين من سمات العصر الموحدي.

إن خطورة الحرب على الامبراطورية الموحدية أصبح من الأمور التي لا يرقى إليها الشك، فيكفي أن نشير إلى أن أغلب المؤرخين يقرنون بداية الدول ونهايتها بحدث عسكري، فنهاية المرابطين بدأت في الأفق بعد مقتل الأمير تاشفين بن علي على يد القوات الموحدية بمدينة وهران[2] أو إلى تأسيس مدينة عسكرية كما حدث في تينمل مهد الموحدين إن إعادة التفكير في إشكالية الحرب والمنشآت العسكرية خلال عهد الموحدين بمنظور جديد يتجاوز السرد الكرونولوجي للأحداث العسكرية، إلى الحفر في نتائجها المعمارية، لكفيلة بالكشف عن معطيات جديدة ستغنى البحث الأثري ولا شك، وإذا كنا نجهل عدد المنشآت العسكرية التي اقيمت في المغرب الأقصى خاصة والأقاليم الواقعة تحت سلطة الموحدين عامة بسبب ندرة الاحصائيات والأرقام في الحوليات الوسيطية على العمران العسكري خصوصاً في هذه الفترة محل دراستنا.

وذلك راجع إلى عدة عوامل، فبرغم من تعرض الميدان العمراني للكثير من الضرر الناتج عن عمليات الهدم والتخريب، فهذا عبد المؤمن بن علي نجده يلجأ إلى تطبيق سياسته هدم الأسوار المحيطة بالمدن المفتوحة مبرراً بذلك قوله الذي عدا مشهوراً، أننا لا نحتاج إلى سور، وإنما أسوارنا عدلنا وسيوفنا[3]حيث تم تهديم أسوار مدن فاس، وسلا وسبة، وهو ما أورده الشريف الإدريسي، وهو أحد معاصريهم، حينما ذكر أن المصامدة هدموا إلى حد الأندارس والمحو

---

[1]- Montagne (R) les berbères et le MAZERR. Dans le sud du MAROC Casablanca, 1989, P61.

[2]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص20-21.

- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص202-203.

[3]- الجزنائي أبو الحسن علي، كتاب جني زهر الآس في بناء مدينة فاس تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، الطبعة الثانية، المطبعة الملكية، الرباط، 1995، ص210-215.

- ابن أبي زرع: الأنيس، المصدر السابق، ص189.

- ابن القاضي أحمد، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس، المطبعة الحجرية الفاسية، 1309، ص34.

مدينتين كانتا تقعان إلى الشمال من فاس، وهما صالح وبني تاودا[1]، لكن عمليات الهدم التي كانت تلحق بالمآثر العمرانية المرابطية خاصة هي التي تفسر أعمال البناء والتشييد خلال فترة الموحدين، هذا فضلاً إلى الاضطرابات السياسية وما تمخض عنها من حروب وتطاحنات من العوامل التي ساعدت الاهتمام بالمنشآت العسكرية.

ومهما كان فإن أسلوب الإنتاج الحربي، كان هو الأسلوب المهيمن على المجتمع الموحدي، وذلك من أجل خدمة السياسة العسكرية والمذهبية الخلافة .

تأسيساً على ما سبق، يبقى مطروحا على البحث الأثري في هذه الفترة المراد دراستها، تركيز الاهتمام على لم شتات الحلقة المفقودة من آثار المنشآت العسكرية خاصة في عاصمة ملكهم، حيث تبقى هذه الحلقة من أهم الحلقات التي يجب دراستها واحياؤها، ذلك أن بوسعها أن تفسر العديد من النقاط الغامضة، التي تلف تلك المنشآت خلال تلك الحقبة والحقب التي تليها.

هذه المنشآت التي قامت بدور رئيسي في تمكين امبراطوريتهم المترامية الاطراف، سواء في مرحلة التكوين والتأسيس أو مرحلة القوة والازدهار، أو حتى مرحلة السقوط التي أصبحت العمارة العسكرية اطاراً ضروريا لمختلف الأنشطة العمرانية والبشرية والاقتصادية.

من المتعارف عليه أن مسألة الدفاع شكلت منذ القدم هاجسا لدى الإنسان حيث ظهر مفهوم التحصينات الدفاعية منذ انشغاله بالاستقرار واستشعاره بضرورة وضع حد للهجمات والاعتداءات، فلم يتوان في البحث عن أساليب مختلفة تقييه الخطر المحدق، فانتقل من تحصينات بسيطة، ببساطة فكره إلى اعتماد الصخور والأشجار، والانتقال في مراحل تاريخية لاحقة إلى اعتماد طرق ومناهج تتخذ من الهندسة والعلوم المصاحبة سنداً في تطوير استحكاماته الدفاعية

[1]- الادريسي أبو عبد الله الشريف: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص101-102.

- أنظر كذلك مقال: السيبي عبد الأحد علامات المدينة المغربية في الأدب الجغرافي الوسيط، دلالات الخراب، ضمن كتاب التاريخ واللسانيات، منشورات كلية الآداب، الرباط، العدد 90، 1992، ص11-25.

بنوعيها الخفيفة الوقتية أو القوية الدائمة[1] والتي كان الغرض الأصلي منها هو تقوية مواقع الدولة.

كالمعابر والثغور البحرية، والتي يلزم لأجل الوثوق بتملك هذه المواضع المهمة والاستمرار على الاستحواذ عليها أن يشيدوا بها في مبدأ الأمر حصوناً حصينة تكون فيها قابلية لمقاومة كل التأثيرات الطبيعية المخربة، وجميع المجهودات الناشئة عن هجوم منتظم[2]، إن خاصية الاستحكامات القوية هي دلالتها على درجة محققة من القوة تكون معلومة من قبل وهذه الدرجة تتحصل باستعمال الوسايط المعلومة الجيدة لأجل الوصل إلى الغرضين المذكورين أنفا بشرط أن يستغرق في إنشاء هذه الاستحكامات ما يلزم لها من المدة ويصرف عليها ما تحتاج إليه من النقود[3].

إن الحديث عن موضوع التحصينات أو الاستحكامات العسكرية خلال الفترة الموحدية يستدعي ضبط بعض المصطلحات التي كثيرا ما تتردد على الألسن دون معرفة مفهومها ودلالاتها وهو ما يدفع على تحديد سياقها التاريخي ومهماتها والغرض من إنشائها نذكر منها: القصبة والأربطة والحصون والمحارس والموانئ البحرية والقلاع والأبراج والأبواب والخنادق وتختلف هذه الاستحكامات تبعاً لاختلاف الوظائف المنوطة بكل نوع منها كالحراسة والمراقبة والاستطلاع والانطلاق للجهاد.

---

[1]- هي مجموعة من المنشآت والموانع والستائر تقام لتقوية موقع ما وحمايته من الهجمات، وهناك نوعان من التحصينات، الدائمة أو الثابتة وغالباً ما تبنى في وقت السلم، وتتمثل في الأسوار والمداخل والأبراج والمزاغل بالإضافة إلى القصبات والقلاع والممرات الخارجية والخنادق، أما التحصينات الميدانية فتقام إثناء المعركة.

- الهيثم مقدم الأيوبي: موضوع التحصينات الموسوعة العسكرية، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، ج1، بيروت 1977، ص257-258.

[2]- المطالب المنفية في الاستحكامات الخفيفة، ترجمة من الفرنسية إلى اللغة العربية، راجي توفيق السيد صالح مجدي، المطبعة العامرة، القاهرة 1278هـ، ص7-8.

[3]- المرجع نفسه، ص07.

أولا: ضبط المصطلحات المتعلقة بالاستحكامات العسكرية:

1- القصبة:

القصبة في اللغة: معناه جوف القعر كما قيل إنها القعر نفسه[1] والقصبة أيضا يراد بها البناء الذي يكون في جوف الحصن، وأحياناً يطلق اسم القصبة على المدينة أو على معظمها أي قسمها الرئيسي، ويقال كذلك: قصبة البلاد أي مدينتها كما ترد القصبة بمعنى القرية[2]. أو وسط القرية، وأن الاصطلاح الإداري الاسلامي فإن المسلمون استعملوا القصبات بمعنى عواصم الأقاليم الجهوية وصنفوها بمقام الحجات من الملوك وقد اعتبرها المقديسي بمثابة الحجاب كذلك وأضاف بأن لكل قصبة كورته وليس كل قصبة مصراً»[3].

أما في المغرب الاسلامي فقد اعتبرت القصبة من أهم بنايات المدنية لأنها ترمز إلى السلطة التي بدونها ألا تستقيم الأمور، ومن شروط بناء القصبة أن يكون موقعها استراتيجيا منيعا أمام الأخطار الخارجية، وللزيادة من التحصين فإن القصبات أحيطت بأسوار عالية مبنية بالحجارة ومحصنة بعدد من الابراج متصلة فيما بينها بطريق بأعلى السور تسهيل حركة المقاتلين فوقه[4]، وقد عرفت القصبات في العهد الموحدي، إذ اعتبرت من السمات العمرانية لهذه الامبراطورية وفي هذا الصدد يخبرنا ابن الخطيب عن قصبة الرباط (الأوداية) بقوله: "... وضربت ابراجها وصوعرت أدراجها، وحصنت أبوابها وعزز جانبها، ودار ببلدها السور والجسور والخندق

---

(1)- ابن منظور، لسان العرب، علق عليه ووضع حواشيه، علي بشري، الطبعة الأولى، الجزء الأول، دار أحياء التراث الغربي للنشر والتوزيع، 1988، ص676.

(2)- محمد عبد الستار عثمان: المدينة الاسلامية، عالم المعرفة، الكويت 1988، ص102.

(3)- المقديسي محمد: أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم، دار النشر مكتبة مدبولي القاهرة، الطبعة الثالثة، 1991، ص47.

(4)-المغازي، العقبة، معلمة المغرب، ج19، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 2001، ص33-66.

- بوجندار أبي عبد الله، مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح، مطبعة الجريدة بالرباط، 1345هـ، ص42-43.

المجمور..."[1]. ولم يكن للقصبات شكل هندسي معين بل قيدت بالهندسة الطبيعية التي يقتضيها الموقع الجغرافي الذي بنيت فيه.

2-الرباط:

يطلق الرباط على موضع خصين ينشأ على الحدود، يقيم فيه ويلازمه أولئك الذين نذروا أنفسهم للجهاد في سبيل الله، مستعدين للدفاع عن حدود البلاد وحراستها، وتقام الرباطات، غالبا على السواحل البحرية وذلك بخلاف الثغور التي تقام في التخوم البرية، ويمكن تقسيم الرباط إلى قسمين: رباط ديني وهو مكان للعبادة، ورباط حربي عسكري ذو موقع استراتيجي[2]. وقد اهتمت المصادر الجغرافية بذكر الرباطات في المغرب الاسلامي ابتداءاً من[3] ابن حوقل[4] مروراً بالبكري[5] حيث أكدوا لنا امتداد هذه الرباطات على شواطئ البحر المتوسط والذي كان يسمى ببحر العرب، والمحيط الاطلسي الذي أنشأ فيه عدة مدن ما كان يسمى الرباط.

- وقد عرفت العمارة الموحدية هذا الشكل من البناء العسكري خصوصا في المناطق الساحلية مثل رباط تيط.. ورباط الوداية[6] من الأربطة الممتدة على الساحل المتوسط. من امتداد النفوذ الموحدي لها، وكان الهدف منها الحراسة من أي هجوم سواء داخلي المتمثل في الفتن البرغواطية بنوغانية أو من أجل تجميع الجيوش وتحضيرهم للذهاب إلى الأندلس من أجل تدعيم الأمن

---

[1]- ابن الخطيب لسان الدين: معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شبالة، اللجنة المشتركة للتراث الاسلامي بين المغرب والإمارات، مطبعة فضالة، المحمدية، 1976، ص152-154.

[2]- الرباط لغة: هو المواظبة والملازمة على الأمر وعدم تركه، ومنه اشتق مرابطة ثغر العدو وملازمته بتجهيز الخيل والسلاح.

راجع: ناجي جلول: الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1999، ص15-21.

[3]- المرجع نفسه، ص39.

[4]- ابن حوقل: صورة الأرض، مطبعة لبدن 1967، ص113.

[5]- البكري أبو عبيد الله: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وهو جزء من الكتاب المعروف بالمسالك والممالك، ج2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1992، ص125

[6]- منير أقصبي: المرجع السابق، ص22.

أنظر كذلك: عثمان عثمان اسماعيل: تاريخ العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الاقصى، الجزء الثالث، عصر دولة الموحدين، الطبعة الأولى، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993، ص113-114.

وتثبيته هناك ومع امتلاك الموحدين اسطولاً قويا تضائل وقل شأن الرباط العسكري وذلك لتولي الأسطول حماية السواحل والثغور، وقد سانده في هذه المهمة الأربطة الساحلية التي كان هدفها مراقبة العدو والدفاع عن المدن الموحدية عند الاعتداء عليها.

3-الحصن[1]:

تطلق هذه الكلمة في الشرق الاسلامي على صروح عسكرية كبرى ذات تخطيط هندسي معقد وتتضمن عدة بنايات وطوابق وأبراج قادرة على استيعاب اعداد كبيرة من الجنود، وقد أخذت بعض المصادر التي كتبت عن تاريخ المغرب هذه الكلمة للتعبير عن بنايات عسكرية ضخمة، انشئت بجانب الأسوار من أجل تجميع العساكر وأحكام المراقبة على المدن[2]ومن أهم الحصون الموحدية نذكر حصن الفرج باشبيلية الذي يعتبر المشرف على مراقبته المدنية والسهل المحيط بها بشكل كامل، وكانت هذه الحصون في معظم الأحيان تشتمل على مخازن للطعام، وعلف للدواب وخزانات للمياه، تكفي حاجة المحاصرين داخلها اشهراً عديدة.

4- القلعة[3]:

هي استحكام حربي يبنى في منطقة استراتيجية كالجبل والتل والروابي الصخرية أو أعلى سواحل البحار، فهي قاصرة على المراقبة والدفاع ضد أي عدوان، فمكوناتها هي مكونات

---

[1]- هو كل مكان منيع لا يوصل إلى ما في جوفه، وهو نوعان: واحد يشكل بناء منفصلاً قائماً بذاته يبنى على السواحل أو طرق القوافل أو في المراكز العسكرية الحساسة المشرفة أو على حدود البلدان وثغورها، وآخر تابع لبناء سور أو قصر أو قصبة يسيطر على البوابات أو يحتل الأركان ينظر:

عبد الكريم غالب، موسوعة العمارة الاسلامية، الطبعة الأولى، نشر دار جروس برس للطباعة، طرابلس، بيروت، 1988، ص319.

- أنظر كذلك: ابن منظور، المصدر السابق، ج13، ص119.

[2]- الهيثم مقدم: المرجع السابق، ج1، ص257.

[3]- القلعة فتا: تعني الحصن الممتنع في جبل وجمعها قلاع وقيل القلعة بسكون اللام حصن مشرف، وجمعه قلوع.

- ابن منظور: المصدر السابق، ج12، ص178.

الحصن في البناء، وكلا البناءين يخدمان الغرض في مسألة الدفاع وصد أي هجوم خارجي[1] والقلعة بوصفها بناء حربياً فإن كل ساكنيها عسكريون بخلاف الحصن وتتوفر الدولة الموحدية على مجموعة من القلاع أهمها بالأندلس نجد قلعة جابر جنوب شرق الأندلس، كذلك قلعة وادي أيرة وقلعتا كاسيريس وبادافوست[2].

5- الخندق:

للخندق دلالات عديدة فهو الحفير حول الأسوار، ويطلق أيضا على الأخدود العميق المستطيل الذي يحفر في ميدان القتال[3] وعلى العموم فإن الخندق يعتبر المانع المعد لتعطيل العدو ومنعه من الدنو من الاستحكام العسكري مهما كان نوعه، وقد استغلت الخنادق أيام الموحدين في أيام الحرب والسلم، فهي تملأ بالماء أثناء الحروب أو تغطى بالحسك الشائك الذي يعتبر من أدوات الحرب الدفاعية بحيث يتألف من قطع حديدية، وبذلك تصبح عائقا أمام تقدم العدو[4].

أما خلال أيام السلم فإن الخنادق يتم استغلالها لأغراض خاصة كتجميع الماء لسقي البساتين التي تكون خارج أسوار المدن لقد أصبح حفر الخنادق ضرورة لازمة بالنسبة الخلافة الموحدية، حيث أدخلوا على الخنادق كثير من التحسينات فصاروا يحفرون حول المدينة أكثر من خندق ويبنون على كل خندق سوراً وقد استعمله الموحدون في كل من رباط تيط. ومدينة فاس وقصبة مراكش- وقصبة أشبيلية وغيرها من المدن.

---

[1]- المنوني محمد: **الحصون والقلاع العسكرية كفن أصيل في العمارة العسكرية**، في أبحاث مختارة، منشورات وزارة الثقافة، دار المناهل، 2000، ص141-146.

[2]- Marçais. (G), L’Architecture Musulmane d’occident, 3ed Arts et métiers, Paris 1954.p.110

[3]- الونشريسي: المعيار والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي، الرباط، 1981، ص229.

[4]- المطالب المنفية في الاستحكامات الخفيفة، المرجع السابق، ص21-31.

6- الأسوار:

السور هو نوع من التحصينات الدفاعية يلي الخندق، وقد اعتبرت من الأشياء الضرورية في المدينة للتصدي لهجمات العدو، ومقاومة حصار طويل الأمد[1].

- وقد ذكر ابن الرامي في إطار تحصين المنشآت من العدو، حيث ذكره من بين المنشآت العسكرية التي تنشأ لهذا الغرض[2].

لقد عرف السور منذ القدم بشكله الميداني والثابت، وكان السور الميداني يقام على عجل في زمن الحرب، أما الأسوار الثابتة أو الدائمة، فكانت تقام في زمن السلم، وهي أقوى من الأسوار الميدانية متانة واتقانا.

ويتشكل السور في أعلاه من درب يسير عليه الجنود ويسمونه أحياناً ممشى السور، بالإضافة إلى شرفات يقذفون منها سهامهم، ودورات يحتمون خلفها، ويتخلل جسم الدورة فتحات تساعد المدافع على النظر إلى أسفل دون أن يصيبه سهم الاعداء[3].

وقد شهد المغرب الاسلامي أبان حكم الموحدين ميلاد طريقة جديدة في بناء الأسوار تعتمد على قاعدة صلبة من الحجر والطابية، وقد بنيت عدة أسوار بهذه الطريقة منها سور مراكش والرباط وتازة.

[1]- الأيوبي مقدم هيثم: مقال الأسوار الموسوعة العسكرية، الطبعة الثانية، الجزء الرابع، دار الفارس للنشر والتوزيع، بروت، 1990،ص458-459. أنظر كذلك: جمال حمدان: جغرافية المدن، الطبعة الثانية، الجزء الأول، نشر عالم الكتب، القاهرة، 1987، ص22-23.

[2]- ابن الرامي، الاعلان بأحكام البنيان، تحقيق محمد عبد الستار عثمان، الطبعة الأولى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2002، ض192.

[3]- جمال حمدان: المرجع السابق، ص24-26.

كما اقتبس الموحدون من الناصرى السور الأمامي-الحزام البراني-[1] إذ أن هذا الأخير يمنع العدو المهاجم من شن هجومه مباشرة على الأسوار الأساسية الرئيسية ويعطل من تقدمه بفتح الثغرات التي يمكنه أن ينفد منها داخل المدينة، وقد اهتم الخلفاء الموحدين بهذا النظام. والعمل به كما فعل أبو يعقوب يوسف. من تحصين قلعة جابر التي تعد بمثابة المركز الأمامي الدفاعي لمدينة أشبيلية بهذه الأسوار الأمامية.

كذلك نجد قصبته بطليوس التي يشد بها الأسوار الأمامية، كما أقام الموحدين هذه النوعية من الأسوار في جيان وشريس والجزيرة الخضراء، ومالقة وسور أشبيلية الأمامي الذي حفر حوله خندقا[2].

7- الأبواب[3]:

كان لمداخل المدن وعلى طول الأسوار أبواباً وقد لعبت دوراً دفاعياً عن المدينة وقد تكون هذه الأبواب مصفحة بالحديد والخشب لمقاومة ضربات العدو إذا ما استطاع الوصول إليها وهو أسلوب شاع استخدامه في جل أبواب المدن الاسلامية، وكما كانت هذه الأبواب والمداخل في أسوار المدن والعمائر المختلفة خاصة الدفاعية، اضعف النقاط في المبنى حيث يمكن لاقتحام المبنى، فقد اهتم المهندسون بتحصينها بأساليب وابتكارات معمارية مختلفة كاستخدام

[1]- هذا النظام مقتبس من الأنظمة البيزنطية، وقد دفعت الحروب المستمرة بين المسلمين والنصارى إلى عنايتهم بهذه العمارة الحربية وليحكموا تحصيناقم الدفاعية، وكانت أسوار هذه المدن تتألف من ستارة أساسية تدور حول الحصن والمدينة، ثم سور أمامي آخر أقل من السور الأساسي، ويحيط هذا السور الأمامي بالأبراج ويدور حوله خندق.

- عبد العزيز بنعبد الله: مظاهر الحضارة المغربية، الطبعة الأولى، القسم الثاني نشر دار السلمي للتأليف والنشر والطباعة، الدار البيضاء، 1958، ص50-52.

[2]- سيأتي التفصيل أكثر حول هذه الأسوار في الفصل الخاص بالمنشآت العسكرية بالأندلس.

[3]- تعتبر الأبواب أو المداخل جزء مهم من أسوار المدن، فهي وسيلة الاتصال بين داخل وخارج المدينة، وتتكون المداخل من العناصر التالية: فتحة المدخل وممر المدخل وباب المدخل.

عثمان مرفت: التحصينات القتالية وأدوات القتال في العصر الأيوبي بمصر والشام زمن الحروب الصلبية، الطبعة الأولى، دار العالم العربي بيروت، 2010، ص110-111.

المداخل المنكسرة التي تعيق هجوم الفرسان ومنع دخولهم بسهولة، حيث نجد أن المرابطين استعملوا هذه الهندسة الجديدة في تخطيط أبوابهم والتي تعرف بالأبواب ذات المرافق[1].

وانطلاقا من تلك الفكرة استفاد المهندس الموحدي الذي ضاعف هذه الظاهرة لزيادة حجم العراقيل وتكرار مراحل المعوقات والعقبات في طريق المهاجمين، حيث انشأ المهندس الموحدي أبواباً مرافقها مزدوجة وأخرى ذات ثلاثة مرافق و لم يسقفوا هذه الممرات حتى تتاح الفرصة للجند بالإشراف من عال على المهاجمين وقذفهم بالنبال والنيران، ومن هذه الأبواب بابان ببيطليوس[2].

أما الأبواب ذات المرافق الثلاثة[3] فتوجد في مراكش –باب الأوداية وباب الرواح بالرباط– باب المحروق بفاس–هذا وتعطي هذه الأحجام الكبيرة للأبواب بعداً آخر لا يقتصر فقط على دورها الدفاعي بل يتعداه ليصبح رمزا ودلالة على عظمة هذه الدولة[4]. فالباب هو أول ما يشاهده عند ولوج كبريات الحواضر، وأبواب الرباط بأحجامها الكبرى وزخارفها الممتدة على واجهاتها والمصنوعة من الحجر المنجور المنتظم الشكل تشهد على عظمة الموحدين.

8- البرج[5]:

تشكل الأبراج أحد العناصر الدفاعية المهمة في أسوار المدن والقصبات ويمكن التمييز بين الأبراج الصغرى الموزعة بصفة منتظمة داخل الأسوار والأبراج المحصنة من جانبي الأبواب

(1)- Marçais (G). op cit, P223.

(2)- سحر السيد عبد العزيز سالم: تاريخ بطليوس الاسلامية أو غرب الأندلس في العصر الاسلامي، الجزء الثاني، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1991، ص252-255.

(3)- السيد عبد العزيز سالم: المساجد والقصور في الأندلس مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1986، ص141-143.

(4)- بيج بيرتون: البرج في العمارة الاسلامية الحربية، ترجمة ابراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس حسن عثمان، دار الكتاب اللبناني بيروت، 1981، ص46-47.

(5)- قد أشار ابن الرامي إلى مدلولات مهمة لهذا المصطلح، فقد أطلق على الدعامة الساندة التي تبنى مع الجدران بارزة عنها لدعمها، كما أشار إلى إنشاء الابراج في الجنات لكي تستخدم كأماكن للراحة، ومنها ما طور واستخدم كموضع للسكن.

– ابن الرامي: المصدر السابق، ص144.

الكبرى، والتي يكون حجمها كبيراً نظراً لما تتوفر عليه من مساكن وممرات للجند، وهناك من الابراج من يكون منفصلاً عن السور، حيث يوظف في أعمال دفاعية مستقلة كأبراج الحراسة وأبراج الاشارات[1]. وقد ورث الموحدون تلك التقاليد فعرفت أمثلة منها برج الذهب الموجود على الضفة اليسرى لنهر الوادي الكبير لاشبيلية من تخطيط ذي اثني عشر (12) ضلعاً.

وتتخذ الأبراج أشكال كثيرة، فمنها المسدسة الشكل[2] فقد شيد الموحدون هذه النوعية في البرج المطل على قنطرة القاضي بغرناطة كما ابتكر الموحدون تصميم جديد تمثل في البرج البراني[3] حيث نجد برج يوجد خارج السور الأساسي ويرتبط معه بسور ثانوي، وكان يهدف من ورائه تحصين أسوار المدن والقصبات، ومن أمثلة هذا النوع من الابراج أبراج قصبة بطليوس وقلعة باداخوس.

كما اتخذ الموحدون الابراج ذات الشكل المربع والشكل المثمن كما هو الحال في أسوار مدينة أستجة وقلعة جابر وعلى كل حال فإن البرج البراني المثمن يمتاز عن البرج البراني المربع حيث يمكن المدافعين من التحرك في كافة الاتجاهات.

[1]- تعتبر من الاستحكامات الدفاعية وتكون على مكان مرتفع، مثل قمم الجبال أو المباني المرتفعة كالأبراج والحصون بالمناطق الثغورية، وترفع على المحارس النار بالليل والدخان بالنهار، لتبليغ عن الخطر وهذه المحارس والأبراج الاشارات قد تتشعب إلى المناطق الداخلية.

- أنظر: محمد بن القاسم الانصاري السبتي: اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من تسني الآثار تحقيق عبد الوهاب بن منصور الطبعة الثانية، الرباط، 1983، ص32-33.

[2]- مانويل مورنيو جوميث، الفن الاسلامي في اسبانيا، ترجمة السيد عبد العزيز سالم ولطفي عبد البديع الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، 1968، ص210.

[3]- بيح بيرتون: المرجع السابق، ص46.

ثانيا: المدن العسكرية المبكرة

1: مدينة تينمل[1]

كان لظهور مؤسس المشروع الموحدي محمد بن تومرت، دور كبير في بروز اسم تينمل على مسرح الأحداث إبان ذلك العصر. ورغم ما كان للمكان قيل الموحدين من قدسية، تبعا للدلالة الطوبونيمية للاسم باعتباره مجمع القبائل لعقد المواثيق والعهود فيما بينها فإن ورود هذا الاسم في المصادر التاريخية والجغرافية بكثافة راجع لارتباطه باسم محمد بن تومرت، وسنحاول النظر إلى التحصين الموحدي في هذه المدينة بإعتباره بنية عسكرية وعمرانية هامة له علاقة مباشرة بالمجال الطبيعي والبشري والاقتصادي وبالسلطة السياسية. فهل كان اختيار موضع بناء تينمل خاضعا لشروط الدفاع والتأمين؟ وهل ساعد ذلك على خلق مدينة عسكرية محصنة بمكونات أساسية لصد جميع أشكال الاختراق؟

أ-التحصين الطبيعي: (**أنظر خريطة رقم:6**)

تبعد مدينة تينمل عن مراكش في اتجاه الجنوب الشرقي حوالي مائة وأربع كلم، على المسلك الطريق الذي يربطها ب- تارودانت- عبر الممر الجبلي –تيزي ن- تاسفت.

لقد كان اختيار ابن تومرت[2] لمدينة تينمل الواقعة على الضفة اليسرى لوادي النفيس ينم عن استراتيجية الدفاع المحصن، من حماية طبيعة كبيرة واستعصاء الوصول إليها بسهولة من قبل المرابطين وخطر القبائل المعارضة.

---

[1]- وقع اختلاف كبير في رسم ونطق لفظ تينمل، حيث كتبت في المصادر التاريخية والجغرافية بأشكال مختلفة، منها تينمال في الحلل الموشية ص112. وتينمل كتاب اخبار المهدي ص34. وتانملت في كتاب المغرب وأرض السودان للادريسي ص64، وتاململت في كتاب الروض المعطار ص128، وتينملل في نظم الجمان، ص224 وقد رسمها أحيانا ابن صاحب الصلاة كلمتين تين- ملل وهي تعني بالبربرية ذات الحواجز التي توقع في سفوح الجبال لجعلها صالحة للزراعة والسقي ص 149-170. كما رسمت عند ابن عذاري لمراكشي حيث رثى ابن مروان ابن خالد قبر ابن تومرت وقبر عبد المؤمن بقوله أقام بأعلى تينملل...ص148.

[2]- لقد تحكمت في هذا الاختيار عدة عوامل منها: الاجماع الذي كان يتمتع به المكان بين القبائل، فهي تعني بالأمازيغية المزار أو الحج- اجتماع القبائل فيه لعقد المواثيق والعهود إضافة إلى الحصانة الطبيعية- هذا إلى جانب اشراف المدينة على عدة طرق هامة فهي تقع في طريق تارودنت السوس إلى مدينة أغمات وريكة. إضافة إلى عامل العصبية .

- الادريسي: المصدر السابق، ص64.

– حيث يصفها الإدريسي المعاصر لابن تومرت بقوله... ومنها الحصن المنيع القليل مثله في حصون الأرض بنية وتحصنا ومنعه وهو في أعلي الجبل ومن حصانته وثقافة مكانه أن أربعة رجال يمسكونه ويمنعون الصعود إليه لأن الصعود إليه على مكان ضيق وعر المرتقى لأنه يشبه الدرج... واسم هذا الحصن تاغللت وهو كان عمدة المصمودي محمد بن تومرت..."[1].

كما يصفها صاحب الحلل الموشية بقوله: " ... ولا يعلم مدينة أحصن من تينمال لا يدخلها الفارس إلا من شرقها أو من غربها. فأما غربها وهو الطريق إليها من مراكش فطريق أوسع ما فيه أن يمشي عليه الفارس وحده وأضيقه أن يترل عن فرسه خوفا من سقوطه. كذلك شرقها..." [2].

وبسبب هذه الخصوصية يسميه باسيط وتيراس في مؤلفهما المشترك بالطريق الشيطاني[3].

ونفهم من كل هذا وخلال معاينتنا للمدينة أن الوصول إلى تينمل على ظهور الخيول كان أمرا متعذرا من جهة الشمال والجنوب أما من جهتي الغرب والشرق فكان صعبا جدا. وذلك أن الفارس كان بمقدوره أن يمر من جهة الغرب- طريق مراكش ببعض الممرات المتسعة نسبيا دون كبير صعوبة. لكن عند الوصول إلى الممرات الطبقة كان يتوجب عليه الترول من جواده تفاديا للسقوط أما من جهة الشرق فإن الفارس إذ مر بحصانه كان يجد أمامه انكسارا جبليا في الأعلى.

– إن الموقع الذي اختاره ابن تومرت عام 518هـ - 1124 [4] كان رهن الإطار السياسي واستمراره في تطور حركته الدينية والسياسية الجديدة، حيث قضى ما تبقى من سنة 518 ه

[1]- الإدريسي: المصدر السابق، ص64.

[2]- مؤلف مجهول: الحلل الموشية المصدر السابق ص،113.

[3]- Terrasse (H), et Basset (H), sanctuaires et forteresse Almohades » paris 1932 pp :37-38

أنظر كذلك:. Borely (J) : Tinmel douze carnets de notes, guthner, 1934, p111

[4]- البيندق: اخبار المهدي: المصدر السابق، ص33-34.

– انظر كذلك: ابن القطان: المصدر السابق، ص138-139.

وسنة 519 ه في تنظيم عاصمته الجديدة وقاعدة عملياته العسكرية في وقت قصير حصر اهتمامه بمنطقة الأطلس الكبير. بحيث أصبح في مركز يمكنه من نشر عقيدته بين قبائل البربر من حوله وبالتالي نجد أن ابن تومرت طبق شروط الموقع حول الاستراتيجية كما طبق شروط الموقع حول فكرة التكتيك، فالموضع الحربي لتينمل يوفر الحد الأقصى من الإمكانيات ولمناورات الهجومية والدفاع أي الحد الأقصى من الحماية والأدنى من المخاطر.

– أن مدينة تينمل وافقت الشروط التي جاء بها كل من ابن أبي زرع[1]وابن خلدون[2] وابن القاضي[3] فيما بعد والتي لابد منها لإنشاء المدينة وهي مجموعة من العناصر المرتبطة بتحقيق شرط الدفاع وتأمين الموقع واختيار المجال بناء على دفع المضار وجلب المنافع وتأمين عناصر الحكم التي هي: الجند والمال والعمارة والرعية، لقد راعى ابن تومرت في تأسيس هذه المدينة الموقع الطبوغرافي الدفاعي الطبيعي.

ب– التحصين المحدث:

بعد اختيار ابن تومرت لموضع تينمل، الذي كان متأصلا وخاضعا لمقاييس معلومة والتي تجمع بين التحصين والدفاع في آن واحد أخذ ابن تومرت في تحصين المدينة وتجهيزها لمقاومة خصومه المرابطين أو حتى القبائل المتمردة عن دعوته، وقد اعتمد في ذلك على جماعته وأهل شورته أمثال عبد الله الونشريسي– البشير– وعمر ازناج– وابنه الروحي عبد المؤمن بن علي، وغيرهم الذين هم من أظهر جماعته العشرة، فأوطن المدينة وبنى داره ومسجده، وفي هذا الصدد يخبرنا البيذق السنة التي تم فيها بناء مدينة تينمل الموحدية بقوله "... وفي عام تسعة عشر وخمسمئة شرع في بناء المدينة المباركه تينملل..." [4] وهو نفس التاريخ الذي أشار اليه ابن

(1)– ابن أبي زرع: المصدر السابق. ص53-54.

(2)– ابن خلدون: المصدر السابق. الجزء الثاني، ص210-211.

(3)– ابن القاضي أحمد: جذوه الاقتباس فيمن حل من الاعلام بمدينة فاس، دار المنصور. الرباط 1974، ص42.

(4)– البيذق: المصدر السابق. ص94.

القطان أما ابن زرع فجعل استطان ابن تومرت لتينمل هو سنة 514 ه- 1121 حيث يقول "... فخرج مسرعا مختفيا حتى بلغ تينمل وذلك شهر شوال من سنة أربع عشرة وخمسمئة فنزل هنالك..." [1]

– أما مؤرخ الدولة الموحدية عبد الواحد المراكشي فيجعل تعميرها سنة 515 ه.

من المعلوم أن مدينة تينمل أساس الدولة الموحدية الناشئة في الأطلس الصغير فكان لا مناص لابن تومرت سوى تشييد عمارة عسكرية قوية ومتينة تمثلت في الأسوار والقلاع والأبواب باعتبار أن هذه العمارة احدى الدعائم الأساسية في حماية بيضة هذه الدولة التي عملت على هدم أركان دولة المرابطين.

وقد اخبرنا الإدريسي في استحداث ابن تومرت بعض التحصينات في قوله: "...وهو الذي زاد في تشييده ونظر في تحصينه وجعله مدخرا لا مواله..." [2].

وتتمثل هذه المنشآت الدفاعية المحدثة من طرف ابن تومرت ومن بعده ابنه الروحي عبد المؤمن بن علي فيما يلي.

1. الأسوار:

خضعت مدينة تينمل لتطورات كثيرة منذ نشأتها مما يصعب معه تتبع مراحل التأسيس وبناء الأسوار لأن هذه الأخيرة كثيرا ما أصابها التلف والهدم الأسباب طبيعية أو بشرية فهي تعرضت للتهدم والتخريب المقصودين ابان ورثة الموحدين، حيث تم في عهد السلطان المريني

(1)- ابن ابي زرع. المصدر السابق. ص176.

(2)- الادرسي. المصدر السابق، ص64.

ولمزيد من الاطلاع ينظر: أبي الحسن علي ابن الأثير: الكامل في التاريخ. مراجعة وتصحيح محمد يوسف الدقاق ج9. الطبعة 04. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان، 2003 م. ص197-198.

يعقوب بن عبد الحق عام 673 ه/ 1275 م[1]. تخريبها وتدميرها الذي أجهز على المعالم الرمزية، كقبر ابن تومرت الذي أصبح مجهولا. وهذا بالإضافة إلى الكثير من المعالم العمرانية المادية.

وبصفة عامة فإن الأسوار الأولى التي بناها الموحدون في عهد ابن تومرت ومن بعده الخليفة الموحدي الأول عبد المؤمن بن علي بدأت في مدينة تينمل مهد دولتهم ، حيث اتجهت جهود ابن تومرت في أول الأمر ببناء سورين، على اعتبار أن المدينة لم تكن في حاجة إلى تحصينات إضافية نظرا لتمتعها بحماية طبيعية كما أشارنا إليه سابقا.

أ. السور الأول:

– كان السور الأول في جهة الغرب حيث كان يمتد على المنطقة الأعلى من النهر- خلف المسجد- وكان أقل سمكا على اعتبار أن الهجوم الذي يمكن أن يأتي من جهة السوس عبر فج- تيزي ن- تاسنت[2] لن يكون ذا خطورة.

ب. السور الثاني: (أنظر صورة رقم 1-2)

– أما السور الثاني فكان في جهة الجنوب الشرقي، بحيث يمتد على المنطقة السفلى من النهر. وكان سميكا جدا. حيث يصل إلى حوالي 2.20م وبه مجموعة من الأبراج وبهذا السور كان يوجد الباب الوحيد الذي يسمح بدخول المدينة والذي كان يسمى بباب الفخاريين[3].

– وقد بقي جزء من هذا السور- يصارع عوائد الطبيعية والزمان حيث كشفت الدراسات عن هندسة هذا السور المستقيمة التي تدعمها الأبراج على مسافات محددة كما أبانت عن مواد بنائه

[1]- مؤلف مجهول: الذخيرة السنية، المصدر السابق ، ص137.

[2]- لمزيد من الإطلاع حول جغرافية بلاد السوس ينظر: مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب. ج02 نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد مطبعة جامعة الإسكندرية القاهرة 1958. ص211-212.

[3]- البيذق. المصدر السابق. ص91.

[1] وعند معاينتها الميدانية لهذا الجزء تبين لنا أن تقنية بنائه أعتمد فيها على قطع الحجر الكبيرة الغير منجورة ذات ارتفاع يتراوح ما بين 1م و1.50م وفي أعلاه يبدأ فوقه التراب المدكوك. أو ما يسمى بالبتن المغربي وحسب الدراسات السابقة فإن هذا البتن يستمر حتى نهاية السور المطلوب – وستبقى طريقة هذا البناء الحربي مرتبطة بالموحدين.

– أما بخصوص تاريخ بناء السورين فمن المؤكد أنه تم في عهد ابن تومرت كما اشرنا سابق.

– ثم جددت على يد عبد المؤمن بن علي سنة 548 ه/ 1153 م عند زيارته للمدينة حيث أمر ببناء مسجدها وتوسيعه حسب ما جاء في الأنيس[2].

2. الأبراج:

انتشرت الأبراج وخاصة في السور الثاني، حيث كانت طريقة توزيعها على السور مركزة على الناحية المقابلة لناحية الشرق من النهر – أما من حيث العدد فلم نستطع احصاءها، وذلك راجع بطبيعة الحال إندتار أسوار تينمل كما اشرنا إليه سابقا وما بقي من السور الجنوب شرقي لا يمكنه أن يمدنا بالعدد الحقيقي للأبراج، لكن من خلال دراسة تيراس وبايسط[3]، ومن خلال معاينتنا الميدانية تبين لنا أن العدد التقريبي للأبراج الموجودة في السور الجنوب شرقي حوالي 20 برجا على اعتبار أن المسافة بين برج وآخر تتراوح بين ثلاثين وخمسة وثلاثين مترا. وأن طول هذا السور حوالي 780 مترا.

---

[1]– من بين هذه الدراسات نذكر دراسة تيراس وبايسط في مؤلفهما المشترك– المشاهد والقلاع الموحدية أنظر: أنظر:

–Terrasse (H) et Basset (H) : sanctuaires et forteresse Al mohades paris 1932 pp36–37.

كذلك دراسة فريول حول أطلاع تينمل سنة 1922 لمزيد من اطلاع انظر:

–Ferrial : les ruine de tinmel, hésperis, TXI.1922. p163.

[2]–ابن زرع المصدر السابق، ص194.

لمزيد من الاطلاع أنظر: عثمان عثمان إسماعيل المرجع السابق، ج3، ص113-183.

[3]–Terrasse (H) et Basset, op. cit. p38.

أما عدد الأبراج الموجود في السور الأول فلا يمكننا إحصاءها وذلك لاندثار هذا السور إلا أنه وبعد المعاينة الميدانية لمكان السور والذي يبلغ طوله حوالي ألف متر (1000 م) تبين لنا أن السور كانت تتخلله مجموعة من الأبراج يفوق عددها السور الثاني على اعتبار أن لهذه الأبراج وظيفة دعم السور وتقوية جزئه السفلي، وهي عبارة عن أبراج صغيرة موزعة بصفة منتظمة داخل السور.

وعند وصفنا للأبراج الموجودة في أسوار مدينة تينمل نستطيع القول أنها أبراج مربعة تتشابه في تصميمها المعماري الداخلي فهي تتكون على الأغلب من حجرة سفلية مقيسة فتحت بها باب على داخل المدينة يصل بينها وبين مطافي الجند بدرج صاعد، وتنتهي هذه الأبراج بشرفات ذات شكل هرمي. مزودة بمزاغل كما تبرز هذه الأبراج عن السور الشرقي ب3م، وعلى اعتبار أن هذه الأبراج استعملت للحراسة والمراقبة لمدى أكبر في مجال الرؤية ويمدى أعيد في كأبعد مجال الرمي فإن ارتفاعها إلى قمة الذراوي حوالي 10م.

أما الحديث عن أبراج المراقبة خارج المدينة والتي تحتل عادة مواقع مرتفعة وتضم حزاما محصنا بشكل طبيعي فنجد أن إبن تومرت بعد أن سور الأجزاء السفلى من جهتي الشرق والغرب، مد السور إلى قمة الجبل، حيث وضع برجا يمكن من خلاله مراقبة كل ما يوجد خلف الأسوار وهذا ما يؤكده صاحب الحلل الموشية بقوله: "... وبنى على رأس الجبل سورا، وأفرد في قمته حصنا يكشف على ما وراء الجبل..." [1] وهو ما يؤكده كذلك ابن القطان في قوله: "... وبنى على رأس الجبل سورا وأفرد في قبته حصنا يكشف ما وراء الجبل..." [2] ومن خلال كلام صاحب الحلل الموشية وابن القطان نستطيع القول بأن هذا البرج – يعتبر من أبراج المراقبة خارج المدينة بقمة المنحدر الذي يراقب القرية وكل الوادي، وما يدعم رأينا هذا البيذق في

[1]- مؤلف مجهول: الحلل الموشية المصدر السابق، ص112.

[2]- ابن القطان: المصدر السابق، ص140.

قوله: "وجعل المعصوم برجا يقال برج تيظاف[1]، وجعل فيه طبلا..." [2] وعند معايشتنا الميدانية لهذا المعلم الذي اندثر و لم يبق منه سوى قاعدته المبنية بالأحجار الخشنة. والتي تتراوح بين 7 مترا طولا. و5 مترا عرضا، وما نستطيع قوله أن هذا البرج يأخذ شكلا شبه مربع، ويتكون على الأغلب من طابقين: مع خلو الطابق السفلي من الأبواب التي توصل بداخل المدينة[3]. ذلك لأن الوسيلة الوحيدة للاتصال هو ضرب الطبل من طرف جنود يتناوبون الحراسة وخصوصا في الليل، ويحمل الواحد منهم طبلا لاستعماله في الإنذار بخطر العدو. ولقد كان ذلك واضحا عندما كلف ابن تومرت عبد السلام أغيي بالحراسة على هذا البرج، وقد أخبرنا البيدق بذلك في كتابه بقوله: "... وكان يمسك الطبل عبد السلام أغيي فلما كان في بعض الليالي أفلت الطبل وقامت عندنا رجة فقام عبد السلام يقول لالا الطبل أفلت لي..." [4] وبالرغم من اندثار هذا البرج نستطيع الجزم بأن طوله قد يفوق 12 متر بدليل أولا: رواية البيذق حول سماع سقوط الطبل والصوت الذي أحدثه بحيث لو لم يكن سقوطه من مسافة عالية جدا لما أحدث كل هذا الصوت الذي أخرج الجميع من المدينة خصوصا إذا علمنا بأن المسافة بين المدينة والبرج حوالي 500 متر.

ثانيا: وجود هذا البرج في قمة المنحدر الذي يراقب المدينة وكل الوادي بالإضافة إلى كشفه لما وراء الجبل، كان ابن تومرت في جلب هذا النوع من التحصينات الذي كان موجود أكثر في المشرق الإسلامي[5].

---

[1]- تيضاف: تعني العسة باللغة البربرية وبرج تيظاف هو المحرس في الإصطلاح العسكري المغربي القديم أنظر: التهميش الخاص بكتاب البيذق المصدر السابق، ص41.

[2]- المصدر نفسه، ص41.

[3]- لقد كانت الوسيلة الوحيدة لصعود هذا البرج تتم بواسطة سلالم أو حبال لخلوها من الدروج الصاعدة، وكان المقصود من هذه العملية هو الزام الحراس البقاء في أماكنهم، وعدم مغادرتهم إلا بوضع سلم أو وصلها بحبل.

[4]- البيدق، المصدر السابق، ص41.

[5]- حينما كان ابن تومرت في المشرق من أجل طلب العلم، كان قد علم بأخبار حسن الصباح وتنظيماته العسكرية في قلعة الموت التي اتخذها مقرا لدعوته الإسماعيلية الجديدة.

3. مداخل المدينة

لقد اقتصرت مدينة تينمل على باب واحد فقط عرف بباب الفخارين. وهو ما يؤكده البيذق حينما ذكر لنا الحصون التي هدمها الموحدون والتي كان قد بناها المرابطين ومنها – حصن تاسغيموت–[1]، حيث قال "... فأولهما تاسغيموت...فخرج إليها الموحدون من تينمل وبددنا شملهم وقلعنا أبوابها وهي الأبواب التي جعلت في تينمل على باب الفخارين..." [2] أما ابن القطان فيخبرنا كيف أخذ الموحدون صفائح الحديد من باب حصن تاسغيموت حيث قال: "...فأحرق الباب وقتل والي الحصن... وحملت صفائح الحديد من بابها، فركبت على تينمل شرفها الله تعالى..." [3]، بطبيعة الحال يبقى التساؤل مطروح حول اعتماد ابن تومرت لباب واحد فقط، فالبرغم من أهمية تعدد فتح الأبواب في المدن والتي تعتبر ضرورة ملحة، وذلك من أجل تنظيم دخول وخروج الناس وعدم التزاحم وفي رأينا أن ابن تومرت في انشائه لمدخل واحد ربما راجع إلى الموقع الذي من خلاله إمكانية السيطرة الواسعة على القادمين إلى المدينة زد على ذلك موقع المدينة المحصن طبيعيا وربما كان استحداثه لباب واحد كان ظرفيا يتم من خلاله ارسال خطاب الترهيب من خلال تعليق رؤوس المتمردين الخارجين عن طاعة ابن تومرت وتبقى هذه التفسيرات مجرد افتراضات، تنتظر أبحاث ودراسات يمكن أن تثبت أو تنفي ذلك.

رغم اندثار المدخل الرئيسي لهذه المدينة يصعب علينا وصف هذا المبنى وعناصره المعمارية المميزة وتفاصيله الانشائية والجمالية. إلا أنه باعتمادنا على الوصف التاريخي لمدينة تينمل خاصة ما جاء به كل من البيذق وابن القطان وعليه يمكننا نقل وصفا تقربيا لهذا المدخل.

---

[1]– وقد بنى ميمون بن ياسين قلعة أو حصن تاسغيموت، جنوب شرقي مراكش فوق هضبة يصعب غزوها، إذ تندمج اساسات السور في صخور الهضبة السفلى في مجموع محيط القلعة، وتشرف القلعة على وادي أغمات لحماية عاصمة المرابطين وقد تبقت بالجانب الغربي آثار بناء واسع ربما كان حصنا لرئيس الحامية للمزيد من الاطلاع راجع

–terrasse (H) et Basset : op–cit, p22.

[2]– البيذق: المصدر السابق، ص91.

[3]– ابن القطان: المصدر السابق، ص224.

يوجد هذا الباب في السور الثاني للمدينة وهو عبارة عن فتحة رئيسية يكشفه برجين ناتئين عن مستوى سور المدينة، ولا تؤدي فتحة الباب إلى داخل المدينة مباشرة إلا بعد المرور من عائقين أو أكثر- لإشارة فقط أن دفتا الباب كانتا من الخشب زمن ابن تومرت وفي سنة 526 ه/ 113 م عندما تمكن الموحدون من حصن تاسغيموت حملوا صفائح الحديد من بابه وركبتا بباب الفخارين وهنا تتجلى لنا ضخامة هذا الباب التي تبرز لنا عبقرية المهندس والبناء الموحدي في المجال الدفاعي: حيث تراوحت فيها ضخامة الأحجام بالتشديد على البساطة والكفاف، تماشيا مع ما دعا إليه ابن تومرت.

2- رباط تازة[1]

أ-الوقع الجغرافي: (أنظر الخريطة رقم :7)

تقع مدينة تازة بالممر الذي يصل المغرب الشرقي، ويشكل هذا الموقع نقطة تحول بين حوض ملوية الشبه جاف من جهة الشرق، وحوضايناون الخصب من جهة الغرب، الذي يمتد في اتجاه الحوض الأسفل لسهل سايس، كما يمكن اعتبارها منطقة وصل بين الأطلس المتوسط الشرقي الجنوبي ومقدمة الريف الشمالي، وتبعد مدينة تازة عن فاس حوالي 100 كلم[2]، ونظرا لموقعها الجغرافي المتميز والذي يرتفع عن سطح البحر ب:585 م فإنه يستحيل السيطرة على المغرب دون التحكم في تازة.

---

(1)- لعل تسميتها بهذا الاسم هو أنها كانت في الأصل "تيزي" بكسر التاء وتشديد الزاي ومعناها البربري – الثنية- أي العقبة. ويؤيد هذا أن كل من صعد إلى مكان مرتفع تظهر له هذه الثنايا من كل الجهات فهناك ثنايا تطل على مكناسة الشرقية، وثنايا تطل على ملوية وثنايا مكناسة الغربية.

أنظر: عبد الهادي التازي: رسائل مخزنية، مطبعة فضالة. المحمدية 1985، ص12-13.

(2)- عبد العزيز بن عبد الله. المرجع السابق. ملحق (02) ص126-127.

انظر كذلك: الحسن بن محمد الوزان: وصف افريقيا، ج1، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي، محمد الأخضر، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي بيروت. لبنان، 1983. ص354-355.

ب- تحصيناتها

تعتبر تازة ثاني رباط للموحدين بعد تينمل بحيث كانت الموقع المتقدم للدولة الناشئة، فمنها كان المنطلق نحو الريف وتلمسان والمغربيين، وأصبحت بذلك أهم مركز حربي في القسم الشرقي من المغرب الأقصى. ولقد حلت لمدة طويلة محل مدينة تينمل، التي أصبحت بعيدة بعد أن اتسعت أملاك الموحدين، وتتأكد مكانة تازة خلال عصر الموحدين، من طبيعة العمران العسكري، والديني حيث ضخامة الأسوار.

وقد اقتضى الدور الذي أصبحت تقوم به تازة في الاستراتيجية العسكرية والتحصينات الكفيلة بجعلها رباطا بوده تعكين الموحدين من مد نفوذهم بالقسم الشمالي للبلاد، لذلك قام عبد المؤمن بن علي ببناء تحصينات لأغراض عسكرية بالأساس والمتمثلة فيما يلي.

أ-الأسوار:

قام عبد المؤمن بن علي سنة 529 ه- 1135 م بإنجاز اشغال التحصين فأحيطت المدينة بسور من الحجر- وهو ما يؤكده ابن زرع في الأنيس في كلامه حول السنة التي تم فيها تسوير المدينة بقوله: ".. وفي سنة تسع وعشرين أمر ببناء رباط تازة. وأقام يحارب تاشفين بن علي..." [1]. أما صاحب الاستبصار فيقول حول تحصين المدينة خلال العصر الموحدي"... وعليها سور عظيم وقد بنى بالجير والحصى يبقى مع الدهر..." [2]. كما يورد لنا الحميري في كتابه نصا يؤكد فيه ما سبق ذكره حول تسوير المدينة. هذا ويخبرنا عن إعادة البناء والتسوير من جديد بقوله "... وسورت هذه المدينة سنة ثمان وستين وخمسمائة.." [3] أي في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن. وهنا تتأكد لنا فرضية الهدم والبناء التي قد تعرضت لها المدينة من قبل.

[1]- ابن ابي زرع المصدر السابق. ص187.

[2]- مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار ج1، المصدر السابق، ص186.

[3]- محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق. ص128.

- **وصف السور الشمالي الغربي لتازة: (العليا) المدينة العتيقة [1](أنظر صورة رقم 3-4)**

لقد وقع اشكال بين الباحثين الاثريين حول هذا السور فمنهم من اعتبره مرابطي ومنهم من جزم بأنه موحدي[2]

لكن باعتمادنا على معلومات المؤرخين وتناسقها وانسجامها والتي تتفق على أن هذا الجزء من سور تازة يعود إلى الموحدين وليس هناك مصدر ينسبها للمرابطين- هذا من جهة إما من جهة أخرى فنجد أن الاركيولوجيا تسعفنا وذلك أن طريقة البناء تعتبر موحدية كما أثبته المصادر التاريخية.

وعند معاينتنا الميدانية لهذا السور تبين لنا أن الجزء المتبقي منه يرجع إلى عهد يوسف بن عبد المؤمن بن علي أي سنة 568 ه، 1172 م[3] كما ورد في كتاب الاستبصار الذي افاد بحداثة السور المعني إلى أيامه وهو ما يؤكده الحميري في الروض[4] والظاهر أن السور الأول الذي يعود إلى عهد عبد المؤمن ظل غير كافي لحماية المدينة من كل هجوم محتمل أو ربما تعرض

---

[1]- تزخر المدينة العتيقة بالعديد من المعالم الحضارية والدينية وفي قلب هذه المآثر الأسوار والقصبات التاريخية والأبواب التي يبلغ عددها 11 بابا كانت تقوم بربط أسوار المدينة – باب القصبة باب المنارة باب الريح باب الجمعة الفوقية باب الجمعة التحبية باب طيطي باب القبور باب الزيتونة باب أحراش باب شريعة. وباب سيدي مصباح كما تفتخر بالعديد من المساجد أهمها المسجد الأعظم- الجامع الكبير حيث بني في عهد الموحدين لسنة 1135 م (52 ه لمزيد من الاطلاع حول هذه المدينة ومعالمهما التاريخية ينظر

– مارمو كربخال: افريقيا ج2، ترجمة محمد حيحي: محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد ينجلون، مطابع المعارف الجديدة الرباط 1988. 1989، ص272-273.

[2]- من بين الباحثين المختصين في العمارة وتقنيات البناء في العصر الوسيط نجد أندري بازانا الذي أرجع السور الغربي لتازة إلى الفترة المرابطية لمزيد من الاطلاع ينظر:

-A.BAZZANA « Eléments d’archeologie musulmane dans AL-Andalus :caraetéres specifiques de l’archtiecture mulitaire arabe de la region valencinne »in AL-Quantara : revista de estudios arabes, vol 1, fase1-2 madrid 1980, pp 360-361.

أما من جزم بأنه موحدي فنذكر هنري تيراس في مقاله حول تازة نبذة واركيولوجيه ترجمة الحوتي ج شرادي مجلة جسور التواصل نيابة التربية الوطنية العدد 119، تازة ماي 1996، ص160-161، حيث يقول: " فأحيطت المدينة بسور من الحجر، والوجه لسورها من باب الريح إلى البرج المستمر سرازين. هو كل ما خلد من هذا السور الموحدي"

[3]- مؤلف مجهول الاستبصار، المصدر السابق، ج1، ص186.

[4]- عبد المنعم الحميري المصدر السابق، ص128.

إلى الهدم لذلك أعيد بناؤه من جديد، لكن وراء السور الأول بمسافة قليلة ومدعما بأبراج متينة ومتقاربة فيما بينها.

وقد بلغ طول السور حوالي 3.5 كلم يتميز بالصلابة والتماسك الكبير بين مكوناته المؤلفة من الرمل والجير والحصى وبعض الأحجار الصغيرة بالإضافة إلى مكسرات الفخار وبقايا الرماد والفحم[1].

ويبلغ متوسط سمك الجدار حوالي 1.90 م، وبعض الأماكن يصل إلى مترين أما ممر الدورية فيصل 1.40 م وينتهي السور بشرفات غير متساوية الاستطالة بحيث يبلغ مقدار بروزها إلى 03 أمتار، كما يشرف هذا الجزء على وادي عميق، تجدر الإشارة أنه أثناء المعاينة الميدانية لهذا المعلم التاريخي قد صادف أعمال الترميم لأسوار تازة تحت إشراف المفتش الجهوي للمآثر التاريخية لجهة تازة محمد العزوزي والتي انطلقت خلال شهر أفريل من سنة 2013.

ولا بد أن نثير الانتباه هنا إلى السور الأول الذي بناه عبد المؤمن بن علي والذي تعرض للتخريب والهدم فلم يبق منه سوى الأسس من الحجر الخشن، وهنا ينبغي أن نصحح ما جاء به عثمان عثمان إسماعيل في كتابه حول العمارة الإسلامية بالمغرب الأقصى حين تكلم عن أسوار تازة.

فقد جمع بين السورين ونسبهم إلى عام 529 ه- 1135 م[2] على الرغم من تأكيده بوجود سورين منفصلين الأول عبارة عن بقايا الأساس مبني بالحجر والآخر من التراب المدكوك.

---

[1]- تعتبر طريقة بناء هذا السور والمتمثلة في التابية- سيأتي التفصيل عنها – أسلوب جديد لتقوية الجدران وسرعة الإنجاز ولهذا نجد أن الموحدين قد طبقوا هذه الطريقة فيما اقدموا على تشيده من أسوار وجدران وحصون. منها أسوار فاس ومراكش والرباط لمزيد من الاطلاع ينظر:

RICARD (P) : pour comprendre l'art misulman dans l'Afrique de Nord et espang,e paris. 1924 ; pp 119-126.

كذلك: ليوبولدوريسن بالباس، الفن المرابطي والموحدي ترجمة سيد غازي الناشر منشأة المعارف الإسكندرية. 1979 ص134، وما بعدها.

[2]- عثمان عثمان إسماعيل المرجع السابق، ج3، ص113.

وما يمكن استخلاصه مما سبق ذكره ان طريقة البناء المعتمدة في أسوار تازة ستظل مرتبطة بالموحدين وسيأتي التفصيل فيها في الفصول الآحقة.

ب- الأبراج:

أما بخصوص الأبراج التي تشكل الدعامة الأساسية للنسق الدفاعي لرباط تازة فتنقسم إلى قسمين أبراج مربعة ومستطيلة[1] مبنيته بالطابية وهي تشغل السور بالرباط من جميع جهاته وأركانه أما من حيث العدد فلم نستطع احصاءها وذلك راجع بطبيعة الحال إلى عملية الهدم والتخريب اللتان طالتهما زد على ذلك اشغال البناء التي مست أسوار تازة بحيث جعلت بنايات طمست معظم الأبراج وحتى السور في حد ذاته.

وكل ما تبقى من هذه الأبراج نموذجين من نشأهما أن يساهما في معرفة تقنية البناء والتكوين المعماري للمهندس الموحدي في تلك الفترة.

- **البرج المستطيل:** (**أنظر صورة رقم 5**)

ويوجد هذا النوع من الأبراج في الزاوية الغربية للسور الذي يشرف على الوادي العميق- وادي بوزكري- ويبلغ ارتفاع هذا البرج حوالي 10 م. كما أن بروزه عن الجدار يتراوح بين 4 م إلى 4.5 م إن هذا الارتفاع جاء لتحقيق الغرض الدفاعي.

يتكون هذا البرج من حجرة سلفية مقبية فتحت بها باب على داخل الرباط يصل بينهما وبين مطافي الجند بدرج صاعد إضافة إلى أن هذا البرج ينتهي بشرفات هرمية الشكل كما زود بمزاغل رأسية لرمي السهام، للإشارة أن هذا البرج يعيش حاليا في حالة مزرية جدا حيث سقطت منه بعض العناصر المعمارية.

---

[1]- يعتبر جورج مارسيه أول من تكلم على شكل أبراج رباط تازة لمزيد من اطلاع ينظر:
Marçais (G) :l'Archtecture Musulmene d'occident , paris 1955, pp :219-226.

أما عن تقنية بناء هذا البرج فقد اعتمد فيها على الطابية الصلبة جدا تتكون بالإضافة إلى التراب نسبة كبيرة جدا من الجير وأحجار كبيرة وصغيرة.

- **البرج المربع:**

لقد اندثرت من بنياته الداخلية عدة أجزاء كالقباب التي كانت تعلو الغرف من الداخل وما يمكن قوله أن هذا البرج يوجد في الركن الغربي لباب الجمعة الفوقية. وهو يتألف من طابقين على الأغلب ويبلغ ارتفاعه حوالي 10.50 م، وقد بني على قاعدة كبيرة من الطابية أما مدخله فقد تم إغلاقه بسور بدور من الحجر في وقت غير محدد.

ان حالة التدهور التي يعرفها هذا البرج من جهة ووجود عملية الترميم المقامة به تزيد من صعوبة القيام بدراسة دقيقة لمكونات هذه البناية وتفاصيلها المعمارية.

ت–الأبواب:

تبقي الزاوية الثالثة في مثلث النسق الدفاعي برباط تازة هي التي تشكلها الأبواب ذات القيمة الكبيرة جدا في المعمار الإسلامي، حيث يعتبر الباب معلما مستقلا بنفسه قائم الذات يخضع في بنائه إلى تفاصيل دقيقة، يمليها بالدرجة الأولى الموضع الذي جرى اختياره لتشييد الباب فوقه، وكذا الدور الأساسي الذي سوف يقوم به هذا الأخير، لذا قد نجد بابا بمدخل عبارة عن زاوية واحدة أو زاويتين مرادفتين مغطاة بالكامل أو جزئيا.

ويتوفر السور الدفاعي لرباط تازة على ثلاثة أبواب وهي باب طيطي وباب القبور وباب الجمعة الفوقية، هذه الأبواب لم يبق سوى اسمها بالرغم من اندثار البنايات المتعلقة بها.. وليس من السهل تصور هذه الأبواب في شكلها وطريقة بنائها في غياب النصوص التاريخية المكتوبة...ونظرا لتعرض هذه الأبواب لتهديم من طرف الدول الآحقة.

إما يهدف توسعه مدينة تازة وضم الأرباض المنتشرة من خارج أسوارها أو توحيد المدينة من خلال سور كبير واحد، وأما من خلال هاجس لطمس كل معالم الدولة الموحدية، ويبقى أهم عنصر يساعدنا في إعادة تصور أبواب تازة والأماكن المفترضة لبنائها في العهد الموحدي هو مواجهة أسماء هذه الأبواب للدلالة على الأحياء التي كانت توجد بها يعتبر عاملا مساعدا في هذا البحث، ما عدا ذلك فكل ما يتعلق بوصف المدخل ضمن تفاصيل المبنى عناصره المعمارية المميزة وتفاصيله الانشائية والجمالية، ويبقى لحد الساعة في غياب نصوص تاريخية أخرى شيئا غير دقيقا، وتعد كل محاولة لتعريف ذلك لا يخرج عن باب التكهن، ويبقى مجرد فرضيات تصاغ فقط من خلال مقارنات مع ما تكشف عنه الحفريات الأثرية.

ث- الخندق: (أنظر صورة رقم 6)

قام عبد المؤمن بن علي بهدف تقوية حماية رباط تازة من الجهتين الغربية والشرقية بإحاطتها بخندق، بحيث لا يستطيع أن يعبره أحد إلا من خلال قنطرة. وهو لاحظناه أثناء معاينتنا الميدانية حيث تبين لنا أن الخندق يحيط بالرباط والذي يبلغ عرضه حوالي 7 م، وعمقه الحالي حوالي 6 م، إلا أن هذا العمق كان يزيد بضعفين على الأقل فقد تعرض لكثير من الردم نتيجة الفيضانات التي اجتاحته كذلك نجد أن عرض الخندق قد تقلص نتيجة امتداد ارباض المدينة للخارج تبعا للتطور العمراني ومن الطبيعي أن يكون أمام كل باب من أبواب المدينة من الخارج قنطرة لامكانية عبور الخندق والدخول للمدينة، وتوضع بطريقة معيشة لترتفع وقت الخطر، فتصبح المدينة معزولة تماما لا يصل إليها أحد، إلا عن طريق هذا الخندق الذي يكون مملوء بالمياه[1].

[1]- على الأرجح أن ماء الخندق من حول رباط تازة كان يجلب من وادي- بوزكري- الذي كان يزود المدينة بالماء الشروب.

كما أنه على الأغلب كان يوجد إلى جانب الخندق من السور الخارجي مسنأة [1]، أي بناء حول المدينة تأخذ أقواس كل منها عكس هيئة ربع دائرة تصل بين كل باب وآخر، وجوانب تلك المسنأة مبنية بمواد متينة وصلبة كما توجد مسنأة أخرى خارجية تقع في الجانب الخارجي الملاصق للأرض خارج المدينة مما يلي الخندق من الخارج وكانت وظيفة ا المسنأة الأولى- الداخلية – حماية السور وجدران المدينة من تسرب مياه الخندق إليها التي قد يسبب بمرور السنين تآكلا في الأجزاء القريبة من الخندق أما المسنأة الثانية- الخارجية فهي لحماية جدران الخندق نفسه من التآكل. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يلقي المياه، التي قد تتسرب من أي جانب من الجوانب، كانت المسنأة الداخلية تحيط بالسور والجدران التي تحيط بالمدينة، وكذلك الخارجية تحيط بالخندق كله من الخارج، وفي الأخير يجب أن ننوه على أن وصفنا لهذا الخندق جاء وفق بعض المعطيات الأثرية التي ما يزال بعضها شاهدا على ذلك. كبقايا القناطر، وبعض المنشأة التي كانت تحمي جدران الرباط...

وفي الأخير يمكننا القول أن اهتمام الموحدين بمدينة تازة والدور البارز الذي ميز الحاضرة نفسها في مجموع العمليات العسكرية والعسكرية التي مكنت الخلفاء الموحدين من مد نفوذهم بالقسم الشمالي للبلاد على الأقل قد اضفيا طابعا حربيا على المدينة وجعل منها ومنذ تلك الفترة رباطا عسكريا وقاعدة يتحكم من خلالها في مناطق شاسعة من حولها لذلك أوجب على مؤسس الدولة الموحدية عبد المؤمن بن علي ومن بعده خلفائه من تحصين الرباط بأسوار عالية ودعموها بأبراج وأبواب منيعة وأداروها بخندق بهدف تقوية حماية الرباط.

---

(1)- المسناة: بمعنى بناء متين السمك بني بالحجر ويكون وظيفته حماية الجدران والأسوار من التآكل.

لمزيد من الاطلاع، ينظر: عبد العال الشامي جغرافية العمران عند ابن خلدون، طبع جامعة الكويت 1988، ص380-385.

3: مدينة رباط الفتح[1]

أ-الموقع وعبقرية المكان: (أنظر الخريطة رقم : 8)

تقع على ساحل المحيط الأطلسي وعلى الضفة الجنوبية لنهر أبي رقراق[2]. شمال الخط العرضي بدرجة 37.81 وغرب الخط الطولي ب10.19 درجة، وهي قائمة في منحنى ينحدر بنسبة 16 مترا ويرتفع جهة الجنوب بعلو 100 مترا[3].

لا شك أن تأسيس مدينة رباط الفتح واختيار موقعه كان محل تفكير عميق من طرف عبد المؤمن بن علي ومن بعده يوسف وابنه يعقوب المنصور. ويعود هذا الاختيار إلى أمرين اثنين:

- **الجانب العسكري الاستراتيجي:** فإن موضع مدينة رباط الفتح يتوسط خارطة الخلافة الموحدية، ويطل على المحيط الأطلسي كنقطة انطلاق الجيوش إلى الأندلس فالتباعد الجغرافي بين العاصمتين- مراكش واشبلية من جهة ووجودهما بالنطاق القاري من جهة ثانية أوجبت الضرورة اختيار عاصمة ثالثة للربط بينهما فوقع الاختيار على مصب نهر أبي رقراق لتأسيس عاصمتهم

---

(1)- سماها عبد المؤمن بن علي رباط الفتح والمهدية أيضا تخليدا لذكر محمد بن تومرت واعترافا بجميله. انظر ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق. ص355. وقيل فيها رباط الفتح تذكارا للفتح الأندلسي الذي كان بناؤه من غنائمه وأنه انما بني لغرض الجهاد والفتح وبه فتح على الموحدين فهو رباط الفتوحات. راجع عبد العزيز توري الرباط معلمة المغرب. العدد 13 الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا. 2001، ص 42-40.

(2)- ورد اسم نهر أبي رقراق في كتابات المؤرخين والرحالة بتسميات عديدة فنجده يحمل اسم- وادي أسمير عند الإدريسي ص72 ونجده يحمل اسم وادي الرمان عند المراكشي ص 359، وعند ابن عذاري ببحر سلا- ص 266، وغيرها من الأسماء.

(3)- Picard christophe : **locéon** Atlantique musulman de la conquête arabe a l'epoque almohade Maisonneuve : laros, édition Unesco paris 1997 p131-136.

ينظر كذلك:

-caillé jacques, laville de rabat jusqu'au protectorat français, Edition d'art et histoire 3 tomes, paris,1949, pp 16-16.

الثالثة – رباط الفتح – فهذا النهر يعتبر ملتقى طريقي فاس ومراكش. كما أنه يمكن السيطرة انطلاقا من المدينة على سهلي الغرب وتامسنا الخصبين، والغنيين بالموارد التي قد يستفاد منها في تموين الحملات العسكرية، بالإضافة إلى كل هذا يعتبر موقع رباط الفتح مجالا مناسبا جدا لحشد القوات سواء تلك المتجهة نحو الأندلس والتي عليها أن تمر عبر القصر الكبير ثم القصر الصغير(1) قبل عبور المضيق، أو تلك المتجهة نحو المغرب الأوسط والأدنى فاستراتيجية المنطقة تسمح بالتحرك نحو جميع الجهات برا وبحرا.

- **الظرفية التاريخية:**

يدخل قرار بناء رباط الفتح من طرف عبد المؤمن في اطار تجديد وتهيئة الطريق الساحلي المؤدي للأندلس- مراكش. رباط الفتح، قصر مصمودة(2).

اشبيلية- ضمن سياسته الجهادية، لأن هذا الطريق كانت تسمح بإستقبال جيوشهم الضخمة العدد والتي كانت تتراوح أعدادها أحيانا بين 400 و600 ألف من الجنود(3)، والتي كانت لا يسعها الطريق المرابطي القديم المار بالمدن الداخلية- مراكش، فاس، سبتة، قرطبة. ولا يستطيع تزويدها بكل المرافق والحاجات الضرورية لها. كما يدخل اهتمامه بها خلال القرن 6 هـــ في اطار سياسته البحرية الرامية إلى تهيئة الواجهة البحرية الأطلسية للخلافة الناشئة، خاصة الممتدة من غرب الأندلس إلى أسفي(4) لمواجهة مملكة البرتغال القوة البحرية الصاعدة التي ظهرت في النصف الثاني من القرن 12 م غرب الأندلس، ولهذا اتخذوا اشبيلية عاصمة إقليمية للأندلس عوض قرطبة الداخلية وهذه السياسة فرضت على عبد المؤمن وخلفائه تجديد العديد

---

(1)- خليل جزوليت: مدينة الرباط من خلال الوثائق والنصوص التاريخية منشورات جمعية رباط الفتح مطبعة يزناسن سلا، 2007، ص73-74.

(2)- قصر مصمودة: يقول صاحب الروض المعطار هو حصن كبير بينه وبين سبة اثنا عشر ميلا، وهو على ضفة البحر تنشأ به المراكب... وهو على رأس المجاز الأقرب إلى ديار الأندلس، وبين قصر مصمودة وطنجة عشرون ميلا". ص476.

(3)- ابن صاحب الصلاة. المصدر السابق، ص361.

(4)- يقول الادريسي: " ومرسى أسفي كان فيما سلف آخر مرسى اليه المراكب وبسبب التسمية يعود إلى القوم المغررين الذين ركبوا البحر المظلم ليقفوا على نهايته اهم صبروا إلى موضع أسفي وأن جماعة من البربر أوهم فتعرفوا أمرهم فقال زعيمهم واسفي تحسرا عليهم لما قاسوه فسمي المكان إلى اليوم اسفي تلك الكلمة"، ص74.

من المدن على الطريق الغربي مراكش سلا. قصر مصمودة منها القصر الكبير[1] ومنها رباط الفتح، زد على ذلك أن هذا الموقع الاستراتيجي يستجيب لمخططات على المدى البعيد: فهو لن يسمح فقط بالانطلاق ضد نصارى الأندلس ونورمان افريقية، وانما كذلك ضد الأمراء المسلمين الذين رفضوا الخضوع للموحدين مثل ابن مردنيش في مرسية وبني حماد في بجاية وكذا ضد برغواطة.

ب- إشكالية تأسيس مدينة رباط الفتح:

بنيت مدينة رباط الفتح على مراحل، ففي لم يكن بها إلا برجا صغيرا للسكن أسس في زمن غير معروف للدفاع عن سلا من العدوة المقابلة لها، ثم بنا فيه المرابطون قصبة عرفت بقصبة سلا[2].

ولما وصل الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي إلى سلا عام 545 ه. لاستطلاع أحوال جزيرة الأندلس والاجتماع برؤسائها وأعوانها. أمر بحفر أساس رباط الفتح في موضع القصبة المرابطية. كما يقول البيذق "وبعد الاعتراف وتمهيد البلاد... وأمر بسقاية من غبولة أن تحفر وتهبط إلى سلا... وأمر برباط الفتح أن يحفر أساسه. وبنا فيه قصرا ومكث في خدمة الساقية والأساس وبناء القصر خمسة أشهر"... وأقلع منها إلى بجاية والساقية لم تتم وبناء القصر وترك على اشتغالهما عبد الحق بن إبراهيم بن جامع..." [3].

[1]- من اسمائه قصر كتامة وقصر صنهاجة - السلاوي المصدر السابق ج1، ص189، كما يعرف بقصر عبد الكريم الذي كان من أشياخ كتامة القاطن في هذا المكان حيث بنى دارا سميت قصرا.

ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص192-193.

[2]- مؤلف مجهول. كتاب الاستبصار: المصدر السابق ج1، ص140.

[3]- البيذق، المصدر السابق، ص73.

ويسترسل كلامه بقوله: " ... وفي عام خمسين زار قبر الإمام المهدي ... وهبط إلى سلا، وبقي فيها عامين اثنين..." [1].

يتبين لنا من خلال نص البيذق أن رباط الفتح التي شرع الخليفة الموحدي في تأسيسه وتفسيره وهذا ببناء القصر كان سنة 545 ه، كما أنه أوكل عبد الحق ابن إبراهيم بن جامع باتمام الاشغال بعدما مضت خمسة أشهر. ولم تكتمل عملية البناء، كما يفهم من نص البيذق الذي يعتبر شاهد عيان على أعمال عبد المؤمن بن علي حيث يخبرنا بمكوث عبد المؤمن مدة سنتين أي من 550 ه إلى غاية 552 ه بسلا الذي يريد به مكان رباط الفتح، لأن عدوة الرباط قبل بنائه كانت من مضافات سلا، ونرجح هنا أن اكتمال القصر وتعمير الرباط بالإضافة إلى إدخال السقاية من عين غبولة إلى موضع المدينة كان سنة 550 ه/ 1155م.

وما يؤكد كلامنا هذا أن عبد المؤمن بن علي كان يراسل عماله من مدينة الرباط[2].

وها هو ابن صاحب الصلاة المعاصر للأحداث يخبرنا أن عبد المؤمن أول من اهتم بتنفيذ ما أوصى به ابن تومرت فابتدأ في بناء القصبة الحصينة التي كانت تسمى – المهدية- وأجرا إليها الماء من عين غبولة حيث يقول: "... فلما وصل أمير المؤمنين الخليفة...إلى سلى في عام خمسة وأربعين وخمس مائة لاستطلاع جزيرة الأندلس... أمر ببناء قصبة حصينة في ذلك الموضع على فم البحر الداخل إلى سلا... فأجروا لها الماء من عين غبولة المذكورة في سرب تحت الأرض حتى إلى قصبة المهدية المذكورة..." ودام اشتغال الأمر بذلك شهورا. وهو مقيم بمعسكره حتى وصل الماء المذكور إليها..."[3].

---

[1]- نفسه، ص79.

[2]- ليفي بروفنسال. المرجع السابق. الرسالة الثالثة عشر التي ورد فيها ما يلي: "... وهذا كتابنا اليكم ... حبًا خالصا ووداً... ومن رباط الفتح عمره الله..." ص56، كذلك ما جاء في الرسالة الثالثة والعشرون "... فإن كتابنا هذا اليكم... من رباط الفتح عمره الله..." ص28.

[3]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص358.

وبهذا يتضح لنا على ضوء نصي البيذق وابن صاحب الصلاة أن ابتداء عمران أرض رباط الفتح قد حدث منذ أيام الخليفة عبد المؤمن بن علي وإن كان قد استمر تشيد المنشآت وتمهيد وتمصير المدينة طوال عصر ابنه يوسف أي من سنة 558 ه إلى 580 ه.

وهو ما صرح به ابن صاحب الصلاة في قوله: " ... ولم يزل الخلفاء يخصونها بالاهتمام... حتى غدت عراقا وتلاحق الناس بها لحاقا ... وأمير المؤمنين بن أمير المؤمنين هذا هو الذي مصرها ومهدها وابتدأ بناء أسوارها من جهة الجوف والغرب..."[1].

ويسترسل كلامه بقوله: ".. وعند احتلاله بها ألفى الماء الجاري المسرب... فسد جريه، وأسسن ماؤه وتعطل في البطاح... فأمر بإعادته إلى حالته الأولى، وزاد فيه بناء صهريج عظيم..." [2].

ويفهم من سرد ابن صاحب الصلاة، أن يوسف بن عبد المؤمن هو الذي ألحق برباط الفتح المزيد من المباني لتصبح على هيئة مدينة أخرى ملحقة بها بعد أن خطط لذلك تخطيطا دقيقا ومسبقا كما أمر بناء معالمها وبتنظيم مواردها المائية ولكن الموت لم يمهله ليكملها فشرع أبنه يعقوب المنصور إتمام بناء أسوارها وأبوابها وبناء مسجدها الجامع، وتجمع المصادر التاريخية على أن مدينة رباط الفتح تم بناؤها في عهد بعقوب المنصور، كما يذكر عبد الواحد المراكشي في ترجمة يعقوب المنصور: "... ثم شرع في بنيان المدينة العظمى التي على ساحل البحر والنهر من العدوة التي تلي مراكش ... فشرع أبو يوسف. كما ذكرنا. في بنيانها إلى أن أتم سورها، وبنى فيها مسجدا عظيما..." [3] وقال في موضع أخر عندما كان يقوم بذكر أقاليم المغرب

[1]_[1]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق ، ص359.

[2]- نفسه، ص360.

[3]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص266.

والأندلس:" ... وقد بنى المصامدة على ساحل هذا البحر مما يلي مراكش مدينة عظيمة، سموها رباط الفتح كان الذي اختطها أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن واتمها ابنه يعقوب..." [1]

كما يؤكد ذلك مؤلف روض القرطاس بقوله: "... وكان لما جاز إلى الأندلس لغزاة الارك المذكورة لأمر ببناء قصبة مراكش... وبناء مدينة رباط الفتح، من أرض سلا..."[2]. وفي موضع آخر يقول "... وفي سنة ثلاث وتسعين بني رباط الفتح، وتم سوره وركبت أبوابه..."

يمكن القول من خلال ما ورد في الكتابات التاريخية أن قصبة المهدية رباط الفتح التي شرع الخليفة عبد المؤمن بن علي في بناءها وتحصينها وأن إتمام بناء هذه المدينة أو على الأقل الشطر الأكبر منها كان على يد يوسف بن عبد المؤمن كما يتبين لنا أن مدينة الرباط صارت تنسب للخليفة يعقوب المنصور الذي أكمل مشروع والده الذي عاقه الموت المحتوم عن اتمامه.

وكان انفاق الخليفة يعقوب المنصور على هذه المدينة من بيت المال ومن أخماس غنائم الروم[3]. وذلك من أجل إكمال سورها. وتركيب أبوابها وتنويع عمرانها واشتماله على القياصرية العظيمة والحمامات والفنادق والأسواق، وقد ترك لنا صاحب الاستبصار وصفا لهذه المدينة حيث يقول: "... وقد ابتنى... مدينة عظيمة سماها رباط الفتح على هيئة الإسكندرية في الإتساع وحسن التقييم واتفان البناء وتحصينه وتحسينه..." [4] .

وقد عرفت مدينة رباط الفتح تراجعا حضاريا بعد وفاة يعقوب المنصور وخاصة اثر انهزام الموحدين في معركة العقاب بالأندلس وقد بذل بعض الخلفاء الموحدين المحاولات الرامية إلى انقاذ رباط الفتح خاصة في عهد الخليفة الرشيد سنة 637 هـ/ 1240 م حيث نمت المدينة

(1)_(1)- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق ، ص35.

(2)- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص229.

(3)- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص360-361.

(4)- السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص184.

واتسع عمرانها وتطورت أوضاعها. وهذا بعد أن أذن الخليفة للأندلسيين بالهجرة إلى رباط الفتح واستثمار الأراضي المحيطة بها[1].

ج – تحصيناتها:

لقد كان هاجس الأمن أقوى العوامل التي كانت وراء اختيار عبد المؤمن بن علي لهذا الرباط، ليكون نقطة لتجمع المجاهدين ورد الهجمات البرغواطية كما أشارنا إليه سابقا وقد تم تحويل المكان إلى قصبة محصنة لحماية جيوش الموحدين التي كانت تنطلق في حملات جهادية صوب الأندلس.

ومع تقوي وتوسع دائرة الجهاد ضد المسيحيين أصبح مجال القصبة غير كاف لاستقبال الأعداد المتزايدة للجنود، وهو ما دفع الخليفة الموحدي يعقوب المنصور في بناء مدينة رباط الفتح وجعلها عاصمة لملكه، لكن المشروع كان ضخما وجد طموح استنزفت معه خزينة الدولة، مما جعل الموحدين يتخلون عنه[2]، وبالرغم من ذلك حصنت المدينة بأسوار متينة وأبراج منيعة، وأبواب ضخمة تعكس شخصية وعبقرية المهندس والبناء في هذه الفترة، ونستعرض الأن هذه العمارة العسكرية على مدينة رباط الفتح والمتمثلة فيما يلي:

1- قصبة الأوداية: [3](أنظر صورة رقم 7)

تعد قصبة الأوداية من أهم المنشآت المعمارية العسكرية في العصر الموحدي، ومن خلال معاينتنا الميدانية للقصبة، اتضح لنا أنها تقع على هضبة صخرية على ارتفاع 30 مترا على

---

[1]- عبد الله السويسي: تاريخ رباط الفتح، مطبوعات، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر الرباط 1979، ص55-56.

ينظر كذلك: عبد العزيز بنعبد الله: رباط الفتح بين عاصمة شالة وعاصمة القصبة، منشورات جمعية رباط الفتح 1990، ص 20-29.

[2]- ذكر صاحب القرطاس أنه لما حضرت المنصور الوفاة قال: ما ندمت على شيء في خلافتي إلا على ثلاث وددت لم أفعلها وذكر منها بناءه رباط الفتح الذي أنفق فيه من بيت المال وهو بعد لم يعمر. لمزيد من الاطلاع ينظر: ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص230.

[3]- اقترن اسم قصبة الأوداية باسم قبيلة الأوداية العربية التي سكن عدد أفرادها القصبة بعد أن جاء بها الملك عبد الرحمان بن هشام عام 1238-1276 ه/ 1822-1859 م لمزيد من الاطلاع ينظر: عبد العزيز توري: المرجع السابق ج3، ص880-885.

مستوى البحر بالزاوية الجنوبية لمصب وادي أبي رقراق، وساحل المحيط ولم يكن لبنائها شكل مستقيم، إذ لا تمثل شكلا هندسيا واضحا كالمربع أو القريب من المربع أو المستطيل، وهي محاطة بسور من جهة أبي رقراق وتجاه البحر والبر، وما تزال هذه القصبة تحتفظ بأجزاء كبيرة من أسوارها، وأبراجها وأبوابها. وخاصة الباب الأثري وسنحاول تتبع هذه العمارة العسكرية والمتمثلة في:

أ-الأسوار: (أنظر صورة رقم 9)

تتكون الأسوار الموحدية في قصبة الأوداية بشكل عام من أربعة أسوار

- السور الأول:

ويطل على شاطئ المحيط الأطلسي، كما يحتوي السور على ثلاثة أبراج تحمي القصبة من جهة البحر كما أنه شيد فوق الصخر على طول ضفة الساحل، وقد تم بناء هذا السور من الأحجار العادية في ترتيب غير منتظم، وأما الأحجار المستخدمة في الأركان فمن الحجارة المشذبة أو المنحوتة من نفس المقاييس تقريبا مرتبة بشكل منظم[1]. أما ارتفاع هذا السور فيقرب من ثمانية أمتار وما زال هذا السور متينا قوي الدعائم رغم عوائل الزمان.

- السور الثاني:

ويمتد هذا السور المطل على جهة وادي أبي رقراق بمسافة طولها 35 مترا، حيث هدم معظم هذا السور، إلا أنه ما زال يحتفظ بأهم معالمه سواء من حيث التخطيط أو من حيث مواد بنائه حيث نجده مبني بالحجارة العادية في الجزء الأكبر منه- الأساس بينما في الأعلى نجد البناء بطريقة الطابية، وسمك هذا السور حوالي 2.5 م أما ارتفاعه فيصل إلى 7.50 م. وهو ما

[1]- العربي الرباطي، الأسوار المرابطية والموحدية بقصبة الأوداية، ضمن الندوة العلمية أسوار ضفتي مصب نهر أبي رقراق سلا، الرباط، أيام 18-19 أكتوبر 2003 مطبعة دار المناهل، الرباط 2006، ص33-34.

سمح بممر أعلى السور يصل اتساعه حوالي 1.90 م، أما الأبراج فقد أعيد بناؤها في فترات لاحقة لكون الأبراج الأولى قد تهدمت بفعل الحروب خاصة في فترة الدولة الدلائية[1].

- السورين الثالث والرابع:

قد حافظ السورين في الجهة الشمالية والغربية على تخطيطهما الأصلي في القصبة، حيث يصل طولهما حوالي 220.80 م، في الزاوية الشمالية بالقرب من برج المراقبة[2]، وعلى طول الواجهة الجنوبية الغربية، بارتفاع ما بين 8 م و10 م، وسمك الجدار من 2.60 م إلى 3.50 م وهو ما سمح بتوسيع ممر الجند حيث يقدر اتساعه ب 1.95 م، وينتهي السوريين في الأعلى بشرفات هرمية الشكل وتعلوا الأسوار بعض الأبراج بنيت بتباعد يتراوح ما بين 15م و19 م بين البرج والآخر، وقد استعملت لتشيد هذين السورين حجارة متوسطة الحجم محكمة البناء مترابطة كما شيدت الزوايا بأحجار منحوتة متساوية الحجم وذلك من أجل تقويتها بينما نجد فوق أساس الأسوار والتي يبلغ ارتفاعها حوالي قامة الرجل التابية إلى نهاية علو السور وترجع كل أسوار القصبة إلى عهد عبد المؤمن بن علي كما تدل على ذلك الأبحاث الاثرية[3].

---

[1]- الدلائيون: أسرة عريقة نشأت في أحضان العلم والدين أولهم أبو بكر محمد بن سعيد مؤسس زاويتهم في الدلاء- توفي سنة 1025 ه- وخلفه ولده محمد بن أبي بكر الذي مات سنة 1046 ه. فخلفه ولده محمد بن أبي بكر وهو الملقب بمحمد الحاج. وقد استولى على الدلاء وما جاورها ودخلت في حكمه: فاس ومكناس والرباط. وقد جعل ابنه- عبد الله نائبا عنه الذي تلقب بأمير سلا وقصبتها ورباط الفتح.

- لمزيد من الاطلاع: ينظر: عبد الكريم كريم، رباط الفتح عاصمة المملكة المغربية. مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء المغرب، 1999، ص22-30.

[2]- قامت الباحثة سحر السيد عبد العزيز سالم، بدراسة وصفية لأهم معالم مدينة رباط الفتح، لمزيد من الإطلاع ينظر إلى كتابها بعنوان مدينة الرباط في التاريخ الإسلامي مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 1996، ص60-74.

[3]- من بين الأبحاث الأثرية الأجنبية يرجع:

- Terrasse. H, et j , Hainaut, les. Arts deccratifs du Maroc, edition Afrique orient, 1998. PP 140.-155.

- chastel Robert, Rabat – salé vigt siccles de l'oued. Bou, regreg, edition la porte, 1997, pp 120-125.

وأما الأبحاث التي جاءت بلغة الضاد فنذكر:

- عثمان عثمان إسماعيل: المرجع السابق، ج3، ص165-172.

ب – الأبراج: (أنظر صورة رقم 9)

يبرز على السور الشمالي الموالي لجهة المحيط ثلاثة أبراج، حيث تلتحم بالسور من أساسه إلى قمته بمسافة غير متساوية، تتراوح ما بين 15 م و19 م ، أما من حيث الشكل فهي من النوع المستطيل على الأغلب فبرج– الصقالة– الذي تم إعادة بنائه من جديد عن طرف السلطان محمد بن عبد الله وسماه برج الختريرة[1]، حيث نجده حافظ على شكله المستطيل، ويصل طوله حوالي 6.50 م وبروزه عن الحائط يتراوح ما بين 4 م إلى 4.5م وارتفاعه إلى قمة الذراوي حوالي 10.50 م، إن هذا الارتفاع جاء نتيجة حماية القصبة من جهة المحيط. ويتألف هذا البرج من طابقين، وقد لاحظنا أن الطابق الأول بني إلى ارتفاع ثلثي البرج فقط، ويتضح لنا أن هذا التكوين المعماري لهذا البرج وظيفته تدعيم السور وتمتينه، أما البرجين المتبقيين وهما — برج الدار وبرج الصراط. فإن تكوينها المعماري ينطبق على برج الصقالة. خاصة إذا علمنا أن تسميتي البرجين تم اثناء حكم السلطان محمد بن عبد الله، الذي انصب اهتمامه على القصبة لأهميتها الاستراتيجية، وكان استمرار القرصنة من الدواعي القوية لإعادة التشييد والترميم للقصبة من جديد ومن بينها الأبراج الموحدية الثلاث[2].

---

[1]- قام السلطان محمد بن عبد الله (1171- 1204 ه/ 1757-1790 م) بتحديد القصبة فبنى سورا على امتداد الواجهة البحرية للمجال الحضري الموحدي. وشيد أبراجا منها– برج ختريرة(صقاله)، وبرج الصراط حيث أضاف على ما بناه الموحدين سابقا. لمزيد من الاطلاع ينظر:

- بوجندار محمد بن الحاج مصطفى: الاغتباط بتراجم أعلام الرباط تحقيق، عبد الكريم كريم، الرباط، المغرب، 1987 ، ص119.
- يرجع كذلك إلى: عبد الله الجراري: أضواء على الرباط المدينة والجهة ج1، منشورات النادي الجراري، الرباط 2002، ص 15-35.

[2]- عبد العزيز صلاح سالم، المرجع السابق، ص 205- 206.

ت- المداخل

يعتبر الباب التذكاري لقصبة الأوداية من أروع رموز الفن المعماري الموحدي بما اشتمل عليه من تكوينات هندسية متنوعة وتفنن في وسائل الدفاع. وأساليب التغطية فضلا عن زخارفه الفنية والهندسية وقد أضيفت هذه البوابة إلى القصبة التي بناه الخليفة عبد المؤمن ابن علي في عهد يعقوب المنصور كما اخبرنا بذلك عبد الواحد المراكشي "... وفي سنة ثلاث وتسعين بني رباط الفتح وثم سوره وركبت أبوابه..." [(1)].

- **الوصف المعماري له لباب الأوداية:** (**أنظر مخطط رقم 1**)

يتوسط باب الأوداية الجهة الجنوبية للقصبة حيث يفتح على بعد 55 م من الزاوية. إذ يبلغ طوله 38.50 م وعرضه 16 م أما ارتفاعه فيصل ما بين 12 م و13 م. ويؤدي هذا الباب إلى سوق الغزل – سابقا-[(2)]. (**أنظر صورة رقم 10**)

وباب الوداية ذو مدخل بارز يحيط بفتحته برجان مربعان وقوس الفتحة عبارة عن عقد متجاور أو منفوخ. داخل عقد متجاوز مفصص وبين فتحتي الباب حيث تتحرك الدفتان غطاء أسطواني أي نصف برميل فتحته إلى الأسفل، وعلى محور الفتحة الرئيسية تحتوي طبقته الأرضية على ثلاث قاعات متداخلة ليست على مستوى أرضية واحدة مشكلا عقبة كأداة أمام المهاجم المندفع من قاعة لأخرى.

القاعة الأولى: تأخذ شكلا مستطيلا طولها حوالي 7.70 م وعرضا يقرب 6.50 م وتغطيها قبة قائمة على مثلثات كروية مقصوصة على نسق خاص يسميه. عثمان عثمان في كتابه

---

(1)- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص266.

(2) - Terrasse. H « le décor des portes anciennes du Maroc, in, Hesperis, T.III, 1923 pp 147-151.

ينظر كذلك- مالكاجان بيير، الرباط بين الأمس واليوم، مراجعة عبد العزيز بن عبد الله مرسم، الرباط، 2002، ص95-98.

العمارة. بالمغرب الأقصى- مثمن بالدائرة-[1]. ولا تزال بقايا التبليط القديم يغطي أرض القاعة يغطي أرض القاعة وكانت هذه القاعة معدة لإيواء حراس الخليفة الملازمين لأعتابه الواقفين ببابه لحراسة قصوره ومنازله ودوره.

القاعة الثانية: تأخذ شكلا مربعا 7.50 م × 7.50 م تغطيها قبة تستند على مثلثات كاملة بحيث تبدوا شبه مقصوصة، وترتكز في أسفلها على إطار قائم على قوقعة وزخرفة نباتية تكتمل بها الزاوية الدنيا للمثلث الكروي الذي تقوم فوقه القبة. للإشارة فقط أن هذه الغرفة وقع عليها بعض الاستحداثات خاصة في الجدار الذي يلي القاعة الثالثة حيث تم إعادة ترميم الباب الذي يدخل إلى القاعة الأخيرة وكان ذلك سنة 2013. من طرف الهيئة الأثرية برباط الفتح. جعلت كذلك الإيواء الحراس.

القاعة الثالثة: وتعتبر القاعة الأوسع حيث تأخذ شكلا مستطيلا مقاساتها 8.20 م×7.50 م. يغطيها قبو نصف أسطواني. أما المدخل المنكسر، فيتمثل في وجود حائط مسدود أخير على نفس الباب الرئيسي بالإضافة إلى أن الفتحات المؤدية إلى داخل القصبة توجد في القاعة الثانية والثالثة بحيث يلزم الانحراف يمينا للمرور داخل القصبة. هذا بالإضافة أن المهاجم لا يتوقع وجود منفذين إلى الداخل. كما أنه يجد نفسه يغطيها ويغطي نصف اسطواني، وكان يجلس بها الخلفاء لاستقبال الوفود والنظر فيها يتعلق بالجيوش والفصل في القضايا بين الجنود.

مقسما بين المنفذين كل منفذ يحوي قوة دفاعية كما أن المدافع عن القصبة وبفضل العمق الكبير بطول القاعات الثلاث المغطاة يستطيع أن يرى خصمه أكثر مما يراه الخصم المندفع من النور إلى الظلام. ويعتبر هذا من السمات الدفاعية العسكرية التي اختص بها المهندس والبناء في عصر الموحدين.

---

[1]- عثمان عثمان إسماعيل: المرجع السابق، ج3، ص137.
ينظر كذلك:

Caillé jacques. Opcit, pp 96-99.

وبإمعان النظر في التركيب الزخرفي لباب القصبة تبين لنا بجلاء المصاهرة المتينة والعلاقة الوثيقة التي حققها الموحدون فنلاحظ انحصار شريط الكتابة العربية والزخرفية بباب قصبة الوداية في الواجهة المطلة على ظاهر المدينة في ساحة ضيقة بينما تزيد المسافة في الواجهات المطلة على داخل المدينة انسجاما مع المساحة المتاحة في كل من الجهتين لان واجهة المدخل الخارجية أقل اتساعا في المساحة بسبب حصر الواجهة الرئيسية للمدخل بين البرجين المحيطين بفتحة الباب بقصد زيادة الخطة الدفاعية في مقابلة أي هجوم خارجي، في حين أنه لا داعي مطلقا لوجود برجين يحيطان بالمدخل من الجهة الداخلية للمدينة الأمر الذي أوجد مساحة فسيحة لشريط زخرفي عريض انتشرت فيه زخرفة المعينات المتجاورة[1]، هذا بالإضافة إلى انتشار العنصر الثعباني أو العنصر الملفوف عند منابت العقود بباب القصبة.

وقد نقش على واجهة هذا الباب عدة آيات قرآنية وعبارات تتضمن. الحمد، والشكر لله. كتبت بالخط الكوفي عبارات تقرأ بنحو "الشكر لله وحدة" وعبارة "الملك لله وحده" وهي من العبارات التي شاعت على العمائر الموحدية[2].

ويقرأ على مدخل القصبة الآيات القرآنية[3] التالية:

{ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما، وينصرك الله نصرا عزيزا هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما} [4].

---

(1)- عثمان عثمان إسماعيل: المرجع السابق، ج3، ص125.

ينظر كذلك: عبد العزيز التوري، العمارة المغربية مادة البناء في بعض استعمالاتها عبر العصور، مجلة المناهل. العدد 74/73. فبراير 2005، ص120-125.

(2)- عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج3، ص137.

(3)- يدل على الغرض المقصود للموحدين من تأسيس القصبة ما هو منقوش على باب القصبة من الآيات القرآنية المؤذنة بالفتح والجهاد. وهي مكتوبة بالخط الكوفي.

(4)- الآية 1-4، من سورة الفتح.

ونقرأ كذلك الآية الكريمة { ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبه في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين}[1].

يمكن القول من خلال ما سبق ذكره بأن تصميم باب قصبة الأوداية ونظامه يجعلان دوره الدفاعي ثانويا، فهو مدخل الخليفة أكثر منه مدخل حصن ومما يؤكد هذا جمال زخرفته المتعددة الأشكال والمحكمة الصنع وهي منحوتة مباشرة على الحجر الذي استعمل كمادة بناء ضف على ذلك التركيز على تزين واجهتي الباب الخارجية والداخلية على السواء وهو ما تفتقده أبواب المدن المغربية التي عادة ما ترتكز على واجهته الخارجية أكثر من الداخلية.

2- السور الموحدي: (أنظر صورة رقم 11-12)

لقد تم تشييد هذا السور من طرف الخليفة يعقوب المنصور، حيث أكمل ما أختطه ورسم حدوده والده يوسف الذي عاجله الموت[2]. وكان هذا السور يحمي مدينة رباط الفتح من الجهتين الجنوبية والغربية أما الواجهتان الشمالية والشرقية، فهما محصنتان طبيعيا بواسطة وادي أبي رقراق والمحيط الأطلسي.

يمتد هذا السور على طول 5263 م[3]، غربي وجنوبي المدينة ويبلغ عرضه أحيانا 2.50م وأحيانا أخرى إلى 3 أمتار خاصة عند قربه من برج- سوق الغزل- كما يتراوح ارتفاعه من 10 م إلى 9.50 م ويبتدأ هذا السور من برج الصراط إلى جهة الجنوب الشرقي، ثم ينحرف نحو الشمال إلى أن يصل للوادي قريبا من شالة، ويفصله السور الأندلسي الممتد من

[1]- الآية 11-13، من سورة الصف.

[2]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص269.

ينظر: كذلك عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص266.

[3]- خلال المعاينة الميدانية تبين لنا أن مسافة 74 م من السور الموحدي الشرقي قد هدمت وذلك من أجل امتداد شارع تمارة (الحسن الثاني حاليا) وذلك عام 1960 ولتأكيد هذا الكلام قمنا بمراجعة الصور والوثائق المتعلقة بالسور الموحدي، والمؤرخة في عام 1916- عن / جمعية رباط الفتح-.

باب الحد إلى برج سيدي مخلوف. المطل على الوادي[1]. ويوجد فوق السور الموحدي معهد للحراس يدعمه حاجز قوي فيه ثغرات للمراقبة في بعض المواقع[2]. خاصة بالقرب من باب العلو وباب الأحد وباب زعير.

أما المساحة الداخلية المحاطة بالأسوار الموحدية فتبلغ 418 [3]هكتار ينفذ الداخل إليها من خمسة أبواب متقنة البناء تعد من روائع الهندسة المعمارية الموحدية. وهي من جهة الغرب: باب العلو، وباب الأحد، وباب الرواح والباب المحادية للقصر الملكي، ومن جهة الجنوب باب زعير، ويشتمل السور الموحدي على 72 [4] برجا منها 07 أبراج تمتد من برج الصراط إلى باب العلو، و09 إلى باب الأحد، و25 برجا إلى باب الرواح، و07 على طول ثكنة الحرس الملكي و24 برجا إلى الجهة المطلة على نهر أبي رقراق.

وعند المعاينة الميدانية لهذا السور تبين أنه مبني على طريقتين فنجد أن السور الغربي استعمل في بنائه الحجر غير المنجور بارتفاع قامة الرجل ثم تبدأ فوقه التابية. –البتن المغربي– إلى نهاية علو السور أما السور الجنوبي فقد بني بالتابية، وهذا بعد زيادة نسبة الجير في تركيبها ووصولها إلى أكبر درجة من الصلابة[5]. إن هذه الطريقة في بناء الأسوار الموحدية تكشف عن نوايا الخلفاء العمرانية ورغبتهم الملحة في سرعة الإنجاز والاقتصاد في النفقات مع الصلابة التي

---

[1]– قسم السور الأندلسي الذي بني في مطلع القرن 11 ه /17 م إلى قسمين غربي للإقامة والسكن وشرقي تبلغ مساحته الضعف خصص للبساتين والحقول، وصار بعد ذلك لهذا السور أربعة أبواب رئيسية، لمزيد من الاطلاع ينظر: عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص86-88.

[2]– نلاحظ أن معظم هذه الحواجز المتوجه بشرفات هرمية على طول السور الموحدي قد استبدلت ببعض التعديلات في الفترة العلوية كي تتناسب مع تطور الأسلحة الحربية والوسائل الدفاعية.

[3]– عبد الله السويسي: المرجع السابق، ص114.

[4]– جل الباحثين الذين تكلموا عن الأبراج الموجودة بالسور الموحدي حصروها في 74 برجا وهذا ما لم نجده عند المعاينة الميدانية ومن الممكن أن عبد الله السويسي. أخطأ سهوا في كتابه العدد من 72 إلى 74 برجا وأن معظم من جاء بعده نقل العدد 74 برجا دون إحصاء عددها ميدانيا.

[5]– تعتبر هذه المرحلة الثالثة في تاريخ بناء الأسوار عند الموحدين وقد استعملت كل الدول التي أتت من بعد الموحدين الطابية في تحصيناتهم، حيث تختلف أحجامها وصلابتها ونسب المواد المكونة لها من فترة لأخرى. لمزيد من الاطلاع ينظر: الرباط العربي "تقنيات بناء الأسوار المغربية من خلال النصوص العربية والأوروبية والأبحاث الأثرية" في الندوة الوطنية حول أسوار المدن العتيقة منشورات وزارة الشؤون الثقافية 1989، ص115-125.

تقاوم الزمن، وكان تأمين السور يتم بالأبراج البارزة في جدرانه وزواياه المتصلة بعضها ببعض والمتأمل للأبراج في مدينة رباط الفتح والتي تشتمل على 72 برجا، تختلف في شكلها وحجمها بين أبراج الأركان وأبراج الأضلاع أما من حيث الشكل فهي على نوعين أبراج مستطيلة وتحتل أواسط الأضلاع وهي أكثر عددا وأبراج مربعة التي تحتل الأركان.

أ- الأبراج المستطيلة:

شيدت هذه الأبراج في كامل أنحاء السور ما عدا أركانه ويلاحظ أن المسافات الواقعة بين هذه الأبراج تختلف فيما بينها حيث تتراوح في العموم بين 7 م و8.5 م، كما يبلغ طولها ما بين 7 م. 8 م أما بروزها عن الحائط فيتراوح ما بين 4 و4.5 م وارتفاعها إلى قمة الذراوي، فيصل إلى 09 م.

وبعد المعاينة الميدانية لهذا النوع من الأبراج تبين أن تقنية بنائها متشابهة، كما أن تصميمها الداخلي يكاد يكون متطابقا إلا في عدد قليل منها بحيث تتألف هذه الأبراج من طابقين متركبتيين حيث يشغل كل من طابقين فراغ شبه مربع وغطى كل منها بقبو أسطواني يقومان على حائط عمومي على السور الأصلي إلى ارتفاعات مختلفة، إن هذا التكوين المعماري لهذه الأبراج وظيفته تدعيم السور وتقويته كما أن الطابق العلوي له القدرة على تحمل الثقل الأعلى لحركة الجند.

كما نلاحظ في الطابق السفلي لهذه الأبراج وجود باب بداخل المدينة حيث يصل بينها وبين مطافي الجند بدرج صاعد كما أن هذه الأبراج تنتهي بشرفات هرمية الشكل وقد زودت بمزاغل رأسية لرمي السهام وقد استعمل في تشييد هذه الأبراج الطابية.

تجدر الإشارة أنها واجهتنا صعوبات كبيرة في تتبع عمارة الأبراج وذلك بسبب فقدان الكثير من الأبراج أجزاءهما العليا. هذا بالإضافة إلى التجديدات والاضافات التي تمت خاصة في العصر العلوي والتي أدت إلى دمج وحداتها المعمارية بالعناصر الموحدية والمرينية.

زد على ذلك أن 07 أبراج نعذر علينا وصفها لكون هذه الأخيرة موجودة داخل نطاق- القصر الملكي- ثكنة الحرس الملكي.

ب- الأبراج المربعة:

شيدت هذه الأبراج في أركان أسوار رباط الفتح، وعددها قليل جدا مقارنة بالأبراج المستطيلة، وأحسن النماذج التي استطعنا تتبع عمارتها البرج الجنوبي الشرقي الذي يلتحم بالسور في زاويته، أما البرج الثاني فهو الموجود في الركن الشمالي الغربي، يبلغ طول أضلاع البرجين حوالي 6.5 م أما سمك جدارنها فيتراوح ما بين 2.50 و3 م ببروز 3.50 م عن الجدران الساترة ويتشابه البرجين في تصميمهما المعماري الداخلي، بحيث يتكون كل منهما من حجرة سفلية منخفضة مقبية فتحت فيها باب على داخل المدينة، ويوصل ما بينهما وبين مطاف الجند أعلاها بدرج صاعد ترتكز عتبته على الحيطان الأربعة الداخلية للحجرة وكان تشييد هذه الأبراج يتم بواسطة التابية.

3-مدخل مدينة رباط الفتح:

فتح في مدينة رباط الفتح خمسة أبواب متقنة البناء تعد من روائع الهندسة المعمارية الموحدية، حيث تعكس لنا الثراء المتنوع من حيث التخطيط والعمارة والتغطية والزخرفة، تجدر الإشارة إلى أن الأبواب الخمسة التي نحن بصدد دراستها من حيث التخطيط ووسائل تغطيتها المعمارية أو من خلال زخرفتها- قد رممت وجددت في العصر العلوي خاصة باب الأحد وباب الرواح، كما أن هذه الأبواب قد خضعت لدراسات وصفية ومعمارية من طرف بعض الباحثين

المختصين في مجال الآثار أو التاريخ[1]، وسوف نتطرق لهذه الأبواب وما تحمله من تطور سواء من حيث التخطيط المركب أو أساليب التغطية والزخرفة.

أ-باب الأحد: (أنظر صورة رقم 13)

يعتبر باب الأحد أو باب الحد كما يطلق عليه عموما لدى المغاربة هو من أشهر أبواب مدينة رباط الفتح. ويقع في وسط المدينة وهو أحد المنافذ الرئيسية إلى المدينة العتيقة. وقد قام بترميمه السلطان مولاي سليمان العلوي في عام 1229 هـ/ 1813 م[2]، ورغم هذه التغيرات التي طرأت عليه إلا أنه يعد تحفة معمارية رائعة حافظت على بصمات المهندس المعماري والبناء الموحدي.

وصف الباب: (أنظر مخطط رقم 2)

يشتمل باب الأحد على مدخل بارز يكتنفه برجان صماوان حيث نلاحظ حالة الشطف في التخطيط الأراضي لهذين البرجين، تحول هيئة البرج إلى الشكل المتمن بدل البدنة المربعة إلا أن هذا الشطف لا يحمل مقر نصا مقلوبا في أعلاه لإعادة التخطيط المثمن إلى تخطيط مربع في السطوح العليا[3]، وبهذا تضعف الأهمية الدفاعية في هذا الباب، لعدم وجود مقرنص مقلوب يمكن من بروز المساحة العليا ويمكن المدافعين من استخدامها.

---

[1]- مكنتنا بعض الأبحاث المتخصصة في مجال الآثار والتاريخ من أخذ فكرة عن حالتها المعمارية في ذلك الوقت حيث تبين لنا أن تخطيط وعمارة تلك المجموعة من الأبواب لا زالت كما هي وأن التجديدات والتغييرات التي مست بعضها لم تأثر عليها بنسبة كبيرة ويجب الإشارة إلى تلك الأبحاث والتي نذكر منها:

تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية لعثمان عثمان إسماعيل إلى جانب سحر السيد عبد العزيز سالم من خلال عملها والمتمثل في مدينة الرباط في التاريخ الإسلامي، كما يجب التذكير بكتابين شاملين لكل من تيراس تاريخ الفن الاسباني المغربي ومارسيه العمارة الإسلامية بالمغرب حيث قاما بوصف المباني العسكرية كأسوار وأبواب مدينة رباط الفتح.

[2]- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص96.

[3]- عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج 3، ص127.

ويبلغ ارتفاع الباب حوالي 11.20 م أما عرضه فيصل إلى 22 م وقد بنيت جدران الباب من الدبش في حين نجد أن الحجارة المنجورة منتظمة الشكل، تكسو الأركان في صفوف منتظمة، ويتميز باب الأحد بتخطيط بسيط فهو مدخل مباشر غير منكسر بحيث تنحصر فتحته الرئيسية بين عقدين متتاليين، فوقها قبو نصف أسطواني، يؤدي إلى القاعة الأولى التي فوقها قبو نصف اسطواني متقاطع بحيث تكون التغطية نتيجة تقاطع نصف برميل طولي فتحته إلى أسفل مع نصف برميل آخر في نفس الوضع- ثم قاعة ثانية على نفس المحور تغطيها قبة قائمة على مقرنصات، ثم قاعة ثالثة مكشوفة على يسار الداخل تمتد بطول القاعتين المتتابعين وتؤدي القاعة الثالثة الواقعة على محور المدخل والقاعة الأولى إلى فتحة الباب الداخلية المؤدية إلى داخل المدينة، تجدر الإشارة أن الغرفة الثالثة والممرات الأربعة المنكسرة، التي كان يشتمل عليها باب الأحد في الفترة الموحدية وحتى الفترة العلوية. قد أعيد تجديدها وطمس بعض معالمهما، بحيث تم تحويل الباب إلى ممر مباشر غير مزود بمدخل منكسر. وهذا خلال عهد الحماية[1].

[1]- بعد دخول الحماية الفرنسية سنة 1912 م كانت مدينة الرباط أولى المدن المغربية التي أحيطت بهالة التغيير لمزيد من الاطلاع ينظر: محمد السمار: تاريخ مدينة الرباط. معلمه المغرب، العدد 13 الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر. مطابع سلا، 2001، ص4248-4249 ينظر كذلك: عبد العزيز بنعبد الله المرجع السابق، الملحق 02، ص ص 203-204.

ب- باب العلو: (أنظر مخطط رقم 3)

هو باب بحري، يحمل أسماء مرادفة أخرى غير شهيرة ومنها الباب العالي لوقوعه على الهضبة المطلة على البحر، أو باب مراكش وباب أسفي لموقعه المقابل لطريق هاتين المدينتين[1]، ويشكل باب العلو مبنى ضخما طوله 19 م وارتفاعه 10 م، ويحتوي على مدخل بارز عبارة عن فتحة رئيسية بين برجين ذات عقدين يفتح أحدهما على ظاهر المدينة والآخر يؤدي إلى القاعة الأولى.

وبين العقدين يرتفع قبو نصف أسطواني لتغطية المساحة التي تتحرك فيها دفتا الباب نحو القاعة الأولى المغطاة بقبو نصف اسطواني وليها كوع أو منكسر يصنع حائطا مباشرا يواجه أي هجوم محتمل ثم نلج إلى القاعة الثانية عن طريق فتحة أخيرة إلى داخل المدينة وهذه القاعة مكشوفة، للإشارة فقط أن الغرفة الأولى من هذا الباب. قد أستحدث فيها قاعة صغيرة مربعة جعلت مستودعا للسلاح وكان هذا في عهد الدولة العلوية سنة 1224 ه/ 1813 م[2].

أما عن البرجان اللذان يكتنفان باب العلو فهما على شكل مربعات يصل طول واجهة كل منهما حوالي 5.20 م ويبروز مقداره 3 م. وكانت مادة بنائه بالدبش والطابية في جدرانه الخارجية أما قواعده فنجد الحجارة المصقولة وفتحة مدخل الباب المعقود بعقد ضخم متجاوز منكسر فمادة بنائه الحجر المصقول[3]. وينفتح في جدران هذا الباب ثمانية مزاعل تتوزع 04 منها في الشمال و02 في الجنوب، و02 في جهة الغرب.

---

(1)- الناصري جعفر بن أحمد، سلا ورباط الفتح أسطولهما وقرصنتهما الجهادية، تحقيق أحمد بن جعفر الناصري ج1، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة تاريخ المغرب، مطبعة المعارف الجديدة الرباط 2009، ص259.

(2)- عثمان عثمان إسماعيل: المرجع السابق ج5، ص119.

(3)- عبد العزيز صلاح سالم، المرجع السابق، ص214.

كما نجد في جدرانه كتابات قد نقشت في صلب الحجارة المنحوتة وقد تعذر علينا قرائتها نظرا لطمس أغلب الحروف المكتوبة.

كما نلاحظ صور لسيف وخناجر وصورة قوس يحمل سهما مصوبا نحو الأعلى ويبقى هذا الباب من الأبواب التي يتسم مخططها بالأصالة والصلابة.

ت- باب زعير: (أنظر مخطط رقم 4)

يقع هذا الباب في الجانب الجنوبي لمدينة رباط الفتح، منفتحا على الطريق المؤدية إلى إقليم زعير[1]، يبلغ علوه حوالي 12.50 م وعمقه 18.20 م وهو يشبه في تخطيطه باب العلو. إلا أن الفرق الوحيد يتمثل في كون القاعة الثانية مغطاة في باب زعير أما باب العلو فهي مكشوفة وقد تعرض هذا الباب لعدة تجديدات وتغيرات خاصة في العهد العلوي[2]. مما أفقده شكله الأصلي. **(أنظر صورة رقم 14)**

ث- باب الرواح: (أنظر مخطط رقم 5-6)

يتوسط باب الرواح[3] السور الشرقي لمدينة رباط الفتح ويبعد مسافة 1020 م جنوبي باب الأحد، كما يعد باب الرواح من أهم أبواب رباط الفتح خاصة من حيث التخطيط الذي يحقق الغرض العسكري الدفاعي الجيد وقد بقي هذا الباب صامدا أمام عوائل الزمن وشاهدا على عبقرية البناء الموحدي خاصة في مجال البناء الحربي. **(أنظر صورة رقم 15)**

---

[1]- يبدو أن هذا الباب استمد اسمه من قبيلة زعير وهم من عرب السوس استقروا في رباط الفتح.

ينظر: السلاوي: المصدر السابق ج3، ص108.

[2]- عبد الكريم كريم. المرجع السابق، ص97.

[3]- يعود تاريخ بنائه إلى سنة 1197 م/ 593 ه من طرف الخليفة يعقوب المنصور. ويعتقد أن اسمه مشتق من كلمة الريح والغالب أن التسمية تدل على الرواح أي التغريب أو مغادرة المدينة عن طريق الجهة الغربية ينظر:

Terrasse, H, le décor des portes ancinnes du maroc, in hesperis, T III, 1913, pp 148-149.

يبلغ ارتفاع باب الرواح حوالي 12 م أما عرضه فيصل 28 م، وعمقه 26.90 م، يشمل هذا الباب على مدخل بارز تنحصر فتحته بين برجين مربعين، ويتكون شكل الباب من أربع عقود متتالية ومتراجعة الواحد يعلو الآخر، فالعقد نفسه يحيط به عقد ثان متشابك والعقد الأول منكسر مطول، أما صنجاته فهي خالية من العناصر الزخرفية أما العقد الثاني الذي يليه فمفصص، ويرتكز عند بدايته على شكل ثعباني أو الملفوف[1].ويلي ذلك عقد صنجاته بارزة، أما العقد الأخير فهو مفصص وفصوصه متساوية ونصف دائرية تظهر زخرفة زهرية متمثلة في – سعف النخل- وهي محفورة حفرا غائرا، بحيث تبدوا هنا بفصوصها الاشعاعية عنصرا نباتيا يذكرنا بالقوقعة التي عرفها الفن الإسلامي منذ عصر الدولة الأموية[2]. وتماثل تلك الزخارف المنفذة على باب قصبة الأوداية، كما نلاحظ وجود بعض النقوش المحزوزة على باب الرواح في الحشوة الوسطى بالجانب الشرقي منها زخرفة عبارة عن سيقان نخيلية وقوسا للرمادية.

كما يحيط شريط من الخط الكوفي باللوحة المركزية المأطورة للباب في وضوح وتجانس وتتضمن هذه الكتابة عبارات تتضمن الحمد والشكر لله. وهي نفسها الموجودة بباب قصبة الأوداية.

ودون أن نغفل مادة بناء باب الرواح والتي تمثلت في استعمال الحجارة المنجورة منتظمة الشكل والتي تم بها كسوة الباب.

وعند محاولة الدخول إلى المدينة فإن فتحة الباب لا تؤدي مباشرة إلا بعد المرور من عائقين متتابعين كوع أو مزدوج[3]، وبين فتحتي المدخل اتجاه المدينة حيث تتحرك دفتا

---

(1)- سحر عبد العزيز سالم، المرجع السابق. ص ص131-140.
ينظر كذلك

terrasse, H, et, j, Hainaut, opcit, pp 150-151.

(2)- عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج3، ص126.

(3)- عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج3، ص128.

caille jacques, opcit, pp 135-136.

الباب[1]، مساحة يغطيها قبو نصف أسطواني للذكر فقط فإن هذا القبو قد أعيد بناؤه سنة 1292 ه/ 1813 م[2].في عهد الدولة العلوية التي قامت بمجموعة من التجديدات والترميمات مست معظم أبواب وأسوار الدولة الموحدية. نواصل كلامنا أن المدخل يؤدي إلى قاعة أولى وهي مربعة الشكل ذات أبعاد 4× 4 م تغطيها قبة اشعاعية[3]. ذات ضلوع تتفرع من المركز بقمة القبة لترتكز في النهاية على مقرنصات والتي يتكون كل منها من انصاف قبوات اسطوانية متعارضة محصورة داخل قوس يرسم حدود المقرنص المذكور وبمجرد الدخول من فتحة الباب الرئيسية إلى القاعة الأولى لابد من تغيير المحور والانحراف يسارا في المنعطف الأول للوصول إلى القاعة الثانية والتي تغطيها قبة قائمة على مثلثات كروية وهي عبارة عن مقرنصات يتكون كل منها من مثلث يقتطع من جسم الكرة. وعلى نفس المحور من القاعة الثانية نجد قاعة ثالثة وهي مكشوفة تمكن المدافعين من صب السوائل وتوجيه السهام من جميع الجهات العليا المكشوفة[4].

وبعد القاعة الثالثة نواجه المنعطف المرفقي الثاني الذي يضطرنا إلى الانحراف يمينا لدخول قاعة رابعة، ذات قبة قائمة على مقرنصات من المثلثات الكروية، والتي تؤدي مباشرة إلى فتحة الباب المطلة على داخل المدينة[5]. وهذه الفتحة عبارة عن قوسين بينهما قبو نصف إسطواني فوق المساحة التي تتحرك فيها دفتا الباب.

[1]- لسنا متأكدين إذ كان دفتا الباب من حديد أو من خشب.

[2]- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص88.

[3]- عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج3، ص136.

[4]-عثمان عثمان إسماعيل ، المرجع السابق ،ج3، ص136.

[5]- نفسه، ج3، ص136.

ج- باب القيادة[1].**(أنظر مخطط رقم 7)**

يقع هذا الباب في نطاق القصر الملكي ويبعد هذا الباب عن باب الرواح جنوبا مسافة نصف كلم. وقد تعذر علينا معاينته ميدانيا وذلك لظروف أمنية. وقد حاولنا كل جهدنا خلال سنة 2012 ثم سنة 2014، لكن كل المحاولات باءت بالفشل ومهما كان فقد اعتمدنا على كتاب الآثار الإسلامية في مدينتي سلا ورباط الفتح لدكتور عبد العزيز صلاح سالم، وذلك من أجل محاولة سد النقص الذي واجهنا وقد جاء في وصفه لهذا الباب بقوله "... ويبرز – الباب الموحدي – من جهته الغربية بنحو 12.60 م وكان في الأصل بابا مزودا بممر منكسر، ويبلغ طوله 21.21 م وعمقه: 22.80 م، ويشتمل على ثلاثة غرف مثل – باب الأحد- ويتشابه في نظامه مع الأبواب السابقة (باب الرواح- باب الأحد. باب زعير. باب العلو)" [2].

وفي الأخير نستطيع القول أن الفن الموحدي تمكن سواء على مستوى البناء أو الزخرفة من خلق تركيبة متجانسة من التأثيرات الشرقية والأندلسية. فتشكيلة الأبواب الموحدية في مدينة رباط الفتح تنبثق من مكونات أبواب ومحراب المسجد الكبير بقرطبة[3]، والزخارف الركنية المكونة من عناصر نباتية خاصة من السعيفات المختلفة الأشكال تبين تأثير الفن الأندلسي الذي يعود لفترة الخلفاء الأمويين[4]، وهي زخارف تستقي بدورها تأثيرها من الفن القديم، أما الأقواس المخصصة التي تحيط بقوس أملس فتذكر بالإرث الشرقي لفترة ما قبل الإسلام ونجده فيا بعد بالجعفرية بسرقسطة وبتلمسان وفي تينمل[5].ومن جهة أخرى فالقوس على حدوة استخدامه فرس الذي كان شائع الاستعمال خلال هذه الفترة، سبق استخدامه في المساجد المرابطية. ونجده في عدة بيانات موحدية كتينمل. والكتيبية.

---

(1)-من الملفت لانتباه أن حل من تكلم عن هذا الباب لم يشير إلى إسمه وأطلقوا عليه الباب الموحدي أو باب القيادة وذلك بطبيعة الحال لوجوده داخل القصر الملكي، بطبيعة الحال نستطيع القول أن هذا الباب الغير معروف اسمه يبقى محل تساؤل أثري يصعب تحديد مصدره إلا إذا أقيمت فيه تنقيبات أثرية والتي ستمكننا من معرفة العلاقة بين بنيالها والتحقق من مدى انسجامها من حيث مواد البناء وطرقه. وبالتالي مساعدتنا في تحديد انتماء هذا الباب إلى أي حقبة يعود إضافة إلى معرفة التدخلات التاريخية التي عرفها هذا الباب من اصلاح أو إعادة البناء.

(2)-عبد العزيز صلاح سالم، المرجع السابق، ص291.

(3) -Marcais (G) opcit, p212.

(4)- عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج3، ص126.

(5) – نفسه، ج3، ص 293.

وأخيرا نلاحظ أن مدميك العقود تزينها اشكال ثعبانية تعد من ابداعات الفن الموحدي[1].

من خلال الدراسة الميدانية حول العمارة العسكرية في مدينة رباط الفتح: والتي تعتبر غير كافية لاعطاء صورة دقيقة عن مجموعة المعالم التي كانت تتوزع على الأسوار – أبراج. أبواب- في تعقيدها وتفاصيلها الفنية. فما زالت هناك أسئلة لم نجد لها أجوبة نهائية. لكن بالإمكان القول أن هذه المعالم تعد شواهد أثرية بالغة الأهمية تساهم في معرفة جوانب من تاريخ المدينة كما تعد نماذج للعمارة العسكرية خلال العهد الموحدي.

(1)- عبد العزيز صلاح سالم، روائع الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى، مركز الكتاب للنشر القاهرة، 2010، ص110 -111.
ينظر كذلك: عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج3، ص225.

خلاصة الفصل :

من خلال ما سبق يتبين لنا أن الموحدون تفوقوا على المرابطين في فنون الدفاع، وهم في بداية ثورتهم، حيث نجد ابن تومرت عند اختياره لمدينة تينمل مهد البذرة الأولى للخلافة الموحدية، وهو ما ينم عن استراتيجية الدفاع المحصن الطبيعي فالمدينة وافقت تحقيق شرط الدفاع وتأمين الموقع واختيار المجال بناءً على دفع المضار وجلب المنافع وتأمين عناصر الحكم التي هي: الجند والمال والعمارة والرعية.

ومن المعلوم أن مدينة تينمل أساس الخلافة الموحدية الناشئة في الأطلس الصغير فكان لامناص سوى تشييد عمارة عسكرية قوية ومتينة تمثلت في الأسوار والقلاع والأبراج والأبواب.

نستطيع القول أن الموحدون قد بدأو أسوارهم الأولى في كل من مدينة تينمل وتازة على خطو العمارة المرابطية وذلك باستخدام حجارة ضخمة غير منجورة.

كما اثبتنا على أن مدينة تينمل اشتملت على باب واحد فقط عرف بباب الفخاريين بالرغم من أهمية تعدد الأبواب في المدن وقد فسرنا ذلك لسببين اثنين الأول طبيعية الموقع المحصن طبيعيا والثاني راجع إلى الترهيب من خلال تعليق رؤوس المتمردين على الدعوة الموحدية.

اتضح لنا الخلافة الموحدية في بداية أمرها اتبعت سياسة هدم الأسوار المحيطة بالمدن المفتوحة حيث برر عبد المؤمن ذلك قوله الذي عدا مشهورا إننا لا نحتاج إلى سور وانما أسوارنا عدلنا وسيوفنا حيث تم تهديم أسوار فاس وسلاوسية وأغادير بتلمسان.

من خلال قرار عبد المؤمن بن علي بناء مدينة رباط الفتح يتضح لنا الحسن العسكري الذي كان يتمتع به هذا الخليفة فقد جعلنا نقطة تجمع الجيوش وانطلاقهم نحو الأندلس أو نحو المغرب الأوسط والأدنى.

تأسيسا على ما سبق يتضح لنا أن العمارة الحربية الأولى قد جاءت وفق اخضاع المجال الطبيعي والبشري للخلافة الناشئة حيث عمد الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى خلق انظمة دفاعية في المدن والأرياف وكانت كلها خاضعة لشرط الدفاع وتأمين الموقع واختيار المجال بناءً على دفع المضار

وجلب المنافع كما قاموا بما قام الخليفة باستحداث مختلف التحصينات العسكرية تلك العمارة متتبعة خطى العمارة المرابطية لكن بعد ذلك استعين بتقنية أخرى تمثلت في استعمال الحجر غير المنجور بارتفاع قامة الرجل تبدأ فوقه التابية كما حدث في أسرار تينمل فيما بعد تازة الأولى.

الفصل الثاني

العمارة العسكرية في عصر القوة

تمهيد:

بعد نجاح الموحدون نجاحا سياسيا وعسكريا كبيرا قاد إلى نجاحات أخرى اجتماعية واقتصادية وحضارية جمة أدخلت الخلافة الموحدية التاريخ الحضاري من بابه الواسع، لم تطل فترة الاهتزاز والضياع التي عرفها المغرب الإسلامي كله أواخر دولة المرابطين فلم يلبث الموحدون أن نهضوا لاحياء حركة الإسلام ودفع رسالته وبعث حضارته وجمع مشعله و لم شتتاته، فانتصب المغرب فاستقام وصلح حال الأندلس، ذلك أن الموحدون أخذوا على عاتقهم صد غارات الممالك والامارات الاسبانية على ربوع الأندلس الإسلامية وأوقفوا زحفهم، وبسطوا رعايتهم وحمائهم على جميع أراضي المسلمين، التي كانت في حماية المرابطين، وأخروا سقوط الأندلس المسلم إلى حين، فتوحد المغرب الإسلامي إذن من برقة وطرابلس الغرب إلى المحيط الأطلسي، تحت راية واحدة.

واستقرت الأوضاع حينها بالمغرب الإسلامي والاندلس عرضا وطولا، بفضل جيش الموحدين القوي وتنظيماتهم العسكرية وخططهم الحربية وبفضل أساطيلهم البحرية الكبيرة المتطورة التي سيطرة على مياه البحر الأبيض المتوسط وتجارته سيطرة كاملة، وفي عصرهم تم انصهار عناصر المجتمع المغربي عربا وبربرا، وأندلسيين انصهارا نهائيا ومصيريا.

لقد اعان استقرار الأوضاع بالمغرب الأقصى، ثم وحدة أطراف الخلافة الموحدية، على إعادة بناء المدن والمصالح والمرافق ومستلزمات التحضر، ومظاهر التمدن والعمران.

هذا بالإضافة إلى ثراء المغرب في عصر الخلافة الموحدية كل ذلك كان وراء حركة التشييد الدائمة، وذلك من خلال الأعمال المعمارية الخالدة بمراكش وفاس، ومكناس وتيط وغيرها...

لقد أدى الموحدون خدمات كبرى للفن الإسلامي العام وفنون المغرب الإسلامي على الخصوص حيث وقع تمازج الفنون المعمارية والصناعة بشطري المغرب – الأقصى- الأوسط-

والأدنى، والأندلس زهاء قرن من الزمان أيام الموحدون، وتنقلت المناجر والهدايا والموضوعات بل والأسلحة والجيوش بهيئتها وعتادها بين أجزاء الخلافة الموحدية الواسعة كما تنقل البناؤون والصناع، ونشطت حركة التطعيم والتلاقع الفكري والفني، ورسخ قدم الوحدة الثقافية، واستقرت مسيرة العمارة والفن بكل قطر من تلك الأقطار تحت رعاية الطراز المغربي الأندلسي على الرغم مما استلزمه تغير الوضع السياسي والعسكري الجديد.

لقد حظيت خلافة الموحدون بعدد كبير من كبار الخلفاء المولعين بالبناء والتعمير الذين لا تعادل آثارهم في العظمة والاتزان آثار أخرى فيما عدا آثار المرينيين، حيث بنى هؤلاء الخلفاء منشآت فذة وعلى رأسها العمارة الحربية حيث حصنوا الحصون. الوقت هذا بالإضافة إلى بناء القناطر والجسور، وحفر الخزانات وقد استأثرت بعض المدن بروائع معمارية وفنية، خاصة منها عاصمة ملكهم مراكش، وفاس وغيرها...، وسنحاول التطرق إلى تلك العمارة منها الحربية التي محل دراستنا.

1- قصبة وأسوار مراكش[1].

أ-الموقع الجغرافي: (أنظر خريطة رقم :9)

تقع مدينة مراكش في وسط المملكة المغربية. تحديدا في جهة مراكش. تانسيفت الحوز[2]. وهي أحد التقسيمات الإدارية للمملكة وتعبد مراكش ب327 كلم. جنوب غرب الرباط.

وبسبب تمركزها عند سفاح جبال الأطلس. فهي لا تطل على أية مسطحات مائية. وهي ترتفع عن مستوى سطح البحر ب: 450 مترا. وتبلغ مساحة المدينة تقريبا 230 كلم^2[3].

أكتسب موضع مراكش مكان محايد يوجد بسهل في أسفل حادور طويل يمتد من الدير إلى وادي تانسيفت، وعلاوة على توفر المساحات المنبسطة وحجارة البناء بجبل جليز والصخور الكلسية لإنتاج الجير ورمال تانسيفت، فإن تربة المنطقة خصبة جدا ويمكن تشكال التضاريس من استغلال السديمة المغذية بواسطة سواقي تحت أرضية تمكن من إيصال المياه الباطنية إلى وجه الأرض في مكان معين، وقد مكنت هذه التقنية أهل المدينة من الاستفادة من ثلوج الأطلس ومن التساقطات على طول السنة ومن تزويد السكان والمنشآت الحضرية بالماء الشروب[4]. وإذا كانت مؤهلات موضع مراكش جد مهمة فإن موقع مراكش الاستراتيجي مكن المدينة من

---

(1)- لا يوجد نص مؤكد حول أصل تسمية مراكش بهذا الاسم بل هناك فقط الروايات الشعبية المتضاربة فالبعض ينسبها إلى مر+ كش يعني مروأ نصرف بسرعة والبعض ينسبها إلى -اكش- ويقول أنه اسم اله قديم، والبعض يقول أن أصلها هو -مراكس- التي تعني المقالب أو المهالك لأنها من فعل أركس. لمزيد من الاطلاع ينظر: أحمد التوفيق مراكش من التأسيس إلى أخر العصر الموحدي. اشغال الملتقي الأول جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية 1988. ص ص 16-19.

(2)- إن مصطلح الحوز قد تغير مع التاريخ، حيث كان يعني المجال السهلي الذي ينحصر بين جبال الأطلس والجبيلات والذي عاصمته مراكش. ويقع سهل الحوز بين خطي عرض 32.31 شمالا خط الاستواء. وهو عبارة عن سهل يمتد على مسافة تقترب من 180 كلم من الشرق نحو الغرب، ويتبع بحوالي 30 كلم. ينحصر بين واحدات تضاريسية مرتفعة لمزيد من الإطلاع ينظر: حسن بن محمد الوزان وصف إفريقيا ترجمة عبد الرحمان حميدة. مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005، ص138.

(3) – Gaston. Deverdun, Marrakesh, des Origines à 1912, Tome I, Rabat, 1959, pp 10-19.

(4) – f. Meunie, Nouvelles recherches, Archélogiques à Marrakech, paris, 1957, pp 20-21.

مراقبة الطرق الشمالية الجنوبية والشرقية الغربية، فالجبيلات بالشمال لا تشكل حاجزا طبيعيا في وجه التنقل كما تراقب مراكش الممرات الطبيعية الجبيلية بالأطلس: تزن تلوات وتزن قدغات، وتزن تاست وممر اركلنة وعبر هضاب إذا وتنان في الغرب كما تراقب المدينة الطريق المؤدية إلى شمال المغرب عبر السراغنة وسهل تادلة إلى فاس[1].

تلك هي الظروف التي جعلت موقع وموضع مراكش تخرج عن قاعدة التصور الهندسي التمدني المعمول به، فهي المدينة الوحيدة بالمغرب الأقصى مبنية في موضع غير محمي ومحصن طبيعيا، فلا توجد بجواره عيون ولا مجاري مائية دائمة سطحية كما هو الشأن بمدينة فاس أو سجلماسة. ولا جبال محصنة كما هو الحال. بتينمل وأغمات، فهو واحة متعددة ستجعل منها الحضارات وخاصة في العهد الموحدي- هبة الأطلس الكبير وستأهلها إمكانياتها الطبيعية والاستراتيجية لتصبح أكبر حاضرة في المغرب الإسلامي.

إن اختيار الموحدين لمراكش لم يكن اعتباطيا أو خاضعا للصدفة بل تم لاعتبارات استراتيجية محددة الأهداف على المدى المتوسط والمدى البعيد في آن واحد.

ب- التحصينات الدفاعية لمدينة مراكش:

بعد استتباب الأمر للموحدين عقب دخولهم مراكش سنة 1146 م/ 541 ه اتخذوها عاصمة لحكمهم [2]، فأكثروا عمارتها وشيدوا مبانيها وقد مر تعمير مدينة مراكش خلال العهد الموحدي بمرحلتين.

تمثلت المرحلة الأولى في توسيع المدينة خاصة في عهد يوسف بن عبد المؤمن ونسوق النص التالي لابن عذارى لأن فيه البيان الشافي حيث يقول"... وفي سنة تسع وسبعين وخمسماية أمر الخليفة أبو يعقوب رحمه الله بتوسعة مدينة مراكش وهدم سورها الأول وإقامة سور

---

[1]- الادريسي، المصدر السابق، ص 69-70.

[2]- حول اتخاذ مراكش عاصمة لملك الموحدين ينظر: مؤلف مجهول: الحلل: المصدر السابق، ص144.

آخر"[1].ويواصل كلامه حيث بين لنا السبب في توسعه مراكش. بقوله"... أنجلى الناس إلى مراكش من كل مكان... فضاقت بالناس فلم يجدوا موضعا للبناء ولا محلا للسكنى، وكان الأمير أبو يعقوب أمر القبائل هسكورة وصنهاجة أن يرتحلوا من بلادهم إلى سكناها بأهلهم وبنيهم فامتثلوا ذلك ووصلوا و لم يجدوا حيث يترلوا فشكوا ضيقتهم...

فنظر أمير المؤمنين في ذلك فركب السيد المنصور ابنه أول يوم ربيع الآخر ومعه شيوخ الموحدين وعرفاء البنائين ينظرون تحت نظره حيث يكون هذا الاتساع... فأتفق رأيهم على زيادة مدينة متصلة من جهة القبلة..." [2] وقد أكد لنا الادريسي سبب توسعة مراكش بقوله"... مدينة مراكش في هذا الوقت من أكبر مدن المغرب الأقصى... واكتسبت شخصيها وازداد عدد سكانها وامتلأت الفرغات المتواجدة بين أحياءها السكنية حتى ضاقت بأهلها وأصبحت شكوا الاكتظاظ"[3].

أما المرحلة الثانية: ويتمثل في بناء تمراكشت- قصبة الموحدين على يد يعقوب المنصور. بحيث أنشأ له مدينة متاخمة لمراكش المرابطين ومدها بكل ما تحتاجه من مرافق سكنية وإدارية واقتصادية واجتماعية، وتمراكشت مدينة بأسوارها وأبوابها ومسجدها تكون من ثلاث وحدات دار الخلافة وملحقاتها وبها 12 قصرا. المشور أو الأسراك المسجد وملحقاته وما يحيط به من منشآت إقتصادية وتتصل هذه الأقسام الثلاثة بواسطة مجموعة من الأبواب وقد ترك المؤرخ العمري وصفا جيدا لهذه المدينة. حيث يقول "...وبها قصر الخلافاء بناه المنصور يعقوب... اختطها خارج مراكش خاصة به وخواصه. وتعرف بتمراكشت"[4].

---

[1]- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق،ج3، ص153.

[2]- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص، ص،ج3، 153-154.

[3]- الشريف الادريسي، المصدر السابق، ص68.

[4]- ابن فضل الله العمري مسالك الأبصار في ممالك الأمصار تحقيق كامل سليمان الجبوري، ج4، الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية، بيروت، 2010، ص100.

وما يؤكد هذا الكلام صاحب كتاب الاستبصار حيث يقول: "...وزاد في قبلة المدينة حصنا انفذه الآن ابنه الإمام الخليفة أبو يوسف... وزاد عليه مدينة أخرى تقارب الأولى في دورها وكانت بحائر عظيمة..." [1].

نستخلص من مختلف النصوص السالفة الذكر أن مدينة مراكش في العهد الموحدي شهدت ترميمات واضافات حيث ظهرت الضرورة إلى توسعة مراكش ونقل مركز الخلافة إلى الجنوب حيث بنيت تمراكشت والتي أصبحت تنافس المدينة الأم في الصدارة. واستقلت هي الأخرى بكل مراجعها.

وأصبحت تمثل عظمة السلطة السياسية بحيث تم انعزال دار الخلافة بعيدا عن الأوساط السكنية العادية واحتمائها داخل أسوار وأبواب ضخمة. وقد اعتمد في بناءها على تقنيات نقلها الموحدون من الجنوب الصحراوي الافريقي. ومن الشمال الاندلسي.

وسنحاول أن نسلط الضوء على العمارة العسكرية في هذه المدينة، من خلال ما تبقى من أسوار وأبواب وأبراج. والتي تعتبر الشاهد على عظمة دولة الموحدين.

1- الأسوار: (أنظر صورة رقم 16)

يخبرنا البيذق في استفتاح الموحدين لمدينة مراكش بقوله: "... وبقيت مراكش لم يدخلها داخل ولم يخرج منها خارج ثلاثة أيام، وكانوا يتشاورون على سكناها فامتنع الموحدون أن يسكنوها فقام إليهم الفقهاء فقالوا لهم لأي شيء لا تسكنوها؟ فقال لهم الموحدون امتنع المهدي من ذلك ولاسيما تشريق مساجدها عن القبلة... فقال الفقهاء تهدم جوامعها وتبنا جوامع أخرا... وحينئذ دخل الخليفة رضى الله عنه البلد وقسم أزقتها بالمروس للموحدين فسكنوها..." [2].

---

[1]- مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار، ج1، المصدر السابق، ص210.

[2]- البيذق: المصدر السابق، ص66.

من خلال هذا الكلام يتبين لنا أن الموحدين دأبوا على طمس آثار المرابطين من خلال تهديم مساجدهم، لكنهم في المقابل قرروا البقاء في المدينة واتخذوها عاصمة لملكهم. دون المساس بالجانب المعماري لمراكش على الأقل خلال حكم الخلفاء الأوائل عبد المؤمن بن علي وابنه يوسف، وقد تم فيما بعد أي أثناء حكم يعقوب المنصور باستحداث مراكش جديدة ممتعة بأبواب ضخمة وأسوار عالية وساحات كبرى.

أ-وصف أسوار المدينة العتيقة لمراكش : (أنظر مخطط رقم 8)

استمرت أسوار مدينة مراكش قائمة خلال العصور المختلفة من تاريخ المغرب الإسلامي وآثارها الحالية شاهدت على ذلك وفي هذا السياق يخبرنا صاحب روض القرطاس بقوله: ".. ولم تزل كذلك لأسور لها فلما ولي بعده ولده علي بنا سورها في ثمانية أشهر. وذلك في سنة ست وعشرون وخمسمئة... ولم تزل مدينة مراكش دار مملكة المرابطين ثم الموحدين من بعدهم من يوم أسست إلى إنقراض الدولة الموحدية.."[1].

ويقدر الجغرافي الادريسي طول هذه الأسوار المرابطية بحوالي 09 كيليومترات[2]. وقد احتسب دوفردان سنة 1912 مساحة مراكش داخل الأسوار في عهد المرابطين بـــ606 هكتار و44 هكتارا لقصبة المنصور[3].

وقد بنيت هذه الأسوار بتقنيات محلية، التي اعتمدت على الجير والرمل الممزوجين بالتراب، وكانت جل أجزاء السور المحيطة بالمدينة قد توفرت فيها القوة والصلابة بكيفية متشابهة وهذا ما أكده لنا مارمول كربخال في وصفه لمدينة مراكش حيث يقول: "... مدينة مراكش مسورة بأسوار متينة بالجير والرمل الممزوجين بتراب جيد يجعل الخليط صلبا لدرجة أنه إذا أصيب بضربة معول، تطاير منه الرشاش كأنه صخر... ورغم كون المدينة تعرضت للنهب مرارا فإنه لا

(1)- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص139.

(2)- الشريف الادريسي، المصدر السابق، ص69.

(3) – G. Deverdun, op.cit, tom, I, p276.

توجد بالسور ولو تلمة واحدة وهذا شيء غريب..."[1]. ومن خلال المعاينة الميدانية تبين لنا أن سمك الأسوار يتراوح ما بين 2 م و2.50 م أما ارتفاعها فتصل على الأغلب إلى 7م في المتوسط لكون الأجزاء العلوية – الشرفات ودرب الدورية – قد تهدم:

أما عن تخطيط سور المدينة فيأخذ شكلا غير منتظم. وذلك راجع بطبيعة الحال بالدرجة الأولى لكون المدينة كانت دون سور. أي أن تعمير مراكش[2]. (من بناء قصر الحجر والمسجد وملحقاته وما يحيط به من منشآت اقتصادية واجتماعية ومدنية) سبق تسوير المدينة. وأن اتساع المدينة أوجب ضرورة تسوير المدينة أما عن الأبراج التي شغلت السور المحيط بالمدينة من جميع جهاته وأركانه فإننا لا نجازف بمقارنتها بالأبراج القائمة حاليا بالمدينة- إلا أننا نعتقد أن ما تضمه المدينة من أبراج والتي تعود إلى حكم السلطان- سيدي محمد العلوي...[3] الذي عمل على انشاء أحياء ومعالم جديدة في مراكش. قد تكون لها علاقة بتلك التي هدمت باعتبارها احتلت امكنة مثيلتها في الأسوار.

ورغم توفر الدراسات حول مدينة مراكش خاصة في الفترة السعدية والعلوية فنحن ما زلنا نجهل الكثير عن أبراج وأسوار وحتى أبواب مدينة مراكش خاصة في الفترة الموحدية. وقد واجهتنا مجموعة من الألغاز الأركيولوجية خلال المعاينة الميدانية فالوقوف عند تحصيناتها العسكرية يجعلنا نتساءل حول مسألة دخول الموحدين من أسوار مراكش بواسطة السلاليم[4]. فهل يمكن القول أن أسوار باب دكالة وأسوار باب الدباغين وأسوار باب يينتان كانا بدون أبراج دفاعية؟ أو أن الأسوار اقتصرا على الأبواب فقط؟

---

[1]- مارمول كربخال، إفريقيا ج2، ترجمة محمد حجي ومحمد زنيبر محمد الأخضر أحمد التوفيق، أحمد بن جلون مطابع المعارف الجديدة 1988-1989، ص47.

[2]- حول بناء مدينة مراكش ينظر: مؤلف مجهول: مفاخر البربر تحقيق. عبد القادر بوباية. الطبعة الأولى مطبعة أبي رقراق للطباعة والنشر, الرباط. 2005، ص88-89.

[3]- لمزيد من الاطلاع. حول مدينة مراكش في العهد العلوي ينظر أطروحة

G. Deverdun : opcit, Tome I et II.

[4]- حول فتح الموحدين لمدينة مراكش ينظر: البيذق: المصدر السابق، ص 63-64-65-66.

فهل يمكن القول أن الأبراج بنيت في فترة الموحدين؟ وأن العلويين قاموا بإعادة بناءها بعد تهدمها؟ إننا بحاجة إلى تهييئ وتنفيذ برنامج للبحث الأركيولوجي يجب أن ينصب على مختلف الأجزاء الأثرية لهذه التحصينات لإماطة اللثام. على هذه التساؤلات وأخرى.

ب- السور الموحدي:

يخبرنا ابن عذارى المراكشي أن بناء هذا السور قد تم في عهد يوسف بن عبد المؤمن كما أشرنا إليه سابقا حيث تم هدم السور المرابطي من الجهة الجنوبية للمدينة. وذلك من أجل توسعتها حيث بنيت حومة أكادير كحل لأزمة السكن التي يبدوا أن العاصمة الموحدية كانت تعاني منها في أواخر القرن 6 ه/ 12 م خاصة بعد ترحيل قبيلتي هسكورة وصنهاجة إليها وفي هذا السياق يخبرنا صاحب البيان المغرب بقوله: " ... وأمر العبيد والرجال بهدم السور القديم بجهة باب الشريعة وكان الابتداء في بناء الأساس المذكور صبيحة يوم الإثنين الخامس والعشرين من ربيع الآخر من السنة المؤرخة – 579 ه- واتصل بناء السور المذكور وبناء باب الشريعة مدة من أربعين يوما حتى كمل وجاء على ما قدر فيه وأمل..." [1].

أما عن تقنية بناء هذا السور فهي الطابية، حيث اعتمدها البناء في الجزء العلوي من السور أما أساسه فهي مبنية بالحجارة إلى علو 01 م فوق مستوى الأرض، أما سمك هذا السور فيصل إلى 2.5 أما طوله فيصل إلى 500 م وهو ما أكده دوفرادان في دراسته عن مراكش سنة 1912 [2].

إن السرعة التي تم فيها انجاز هذا السور بهذا الطول يدل على إختيار البنائين للوقت المناسب للبناء سواء من حيث المدة الزمنية بطبيعة الحال في الأيام المشمسة والتي تساعد على سرعة جفاف الخليط قبل وبعد عزل القالب عنه أو من حيث وقت السلم كي لا يتأثر المبنى

[1]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج3، ص154.

[2] -G.Deverdun : opcit, tome II, p275-276.

بعامل التسرع في الإنجاز فيفقد الصلابة المطلوبة في مثل هذه المنشآت الدفاعية[1]. هذا دون أن ننسى كثرة موارد البناء التي تمتلكها مراكش من أرضية طينية جيدة تصلح لانتاج مواء البناء كما توفر محاجر الجير على مسافة قريبة إلى جانب الغابات الجبلية على بضع عشرات الكلمترات إلى الجنوب كما توجد بشمال المدينة كديتان حجريتان جبل- ايجليز- وجبل العبيد تستخرج منهما الحجارة للبناء[2]. وهكذا تنوعت مواد البناء واستعملت كلها في إعطاء مراكش الثانية رونقها وشكلها المعماري المتميز خاصة قصبتها للإشارة فقط فإن هذا السور تعرض إلى تجديد سنة 1802 م في عهد السلطان مولاي سليمان العلوي[3].

كما سارعت التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية إلى فتح المدينة على التيارات الجديدة. حيث تم تهديم أجزاء من هذا السور وذلك من أجل أن تنصهر النواة التقليدية في هذا المحيط الجديد وتندمج به، وهذا الوضع أضر بمعالم مدينة مراكش عامة وبأسوارها خاصة.

2-المداخل المندثرة والباقية لمراكش العتيقة : (أنظر مخطط رقم 8)

إن الحديث عن الأسوار يقودنا بالضرورة إلى الحديث عن الأبواب التي كانت تتخلل أسوار مدينة مراكش سواء في العهد المرابطي أو الموحدي، ومن المعلوم أن توسع العمران خارج القصبة الزم الزيادة في توسع محيطها بالأسوار وفتح مزيد من الأبواب وتمكينها بالأبراج وتأمينها بالفتحات والسراديب لتسهيل ولوج وخروج العابرين، وهو ما دفع الخلفاء الموحدين خاصة في عهد يعقوب المنصور وأبوه يوسف من تدعيم القصبة العتيقة والقصبة الجديدة بعدة أبواب اندثر بعضها ولم يبق منها إلا باب أكناو الذي يعتبر الباب الرئيسي للقصبة الموحدية والذي ينفرد بشكله عن باقي الأبواب.

---

(1)- لمزيد من الاطلاع حول تقنية البناء والمواد المستعملة في بناء الأسوار ينظر: ابن خلدون المصدر السابق، ج2، ص320-323.

(2)- عن موارد البناء التي استعملت في مراكش ينظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص66-67.

(3)-Deverdun. G inscription arabes de Marrakech Rabat. 1956, pp 209-211.

ويخبرنا حسن الوزان عن عدد أبواب مراكش في عهد علي بن يوسف بن تاشفين حيث يشير إلى احتواء المدينة على 24 باب حيث يقول "... وفي حياة علي بن يوسف بن تاشفين كان بها ما ينيف على مائة ألف كانون، وأربعة وعشرون بابا..." [1]، أما صاحب كتاب مسالك الأبصار فيخبرنا بوجود 17 باب في مراكش القديمة و03 أبواب بالمدينة المحدثة- تامراكشت[2].

وإذا تم الأخذ بعين الاعتبار نتائج تحقيق مواقع الأبواب سيتقلص عدد أبواب سور المدينة في فترة المرابطين، ليصبح 14 بابا بدل 17 بابا لكون التحقيق جعل باب الشريعة وباب فاس اسمين لباب واحد، ونفس الشيء فيما يتعلق بباب المخزن وباب الصالحة، وهو خطأ والصحيح بالنظر إلى ما تقرر هو أن كل اسم من هذه الأسماء يجري على باب معين يعرف به في سور المدينة وفيما يلي أبواب مدينة مراكش سواء المندثر أو الباقية والتي يعود تاريخها غالبا إلى عهد المرابطين.

أ- أبواب الواجهة الشمالية:

- **باب فاس**[3]: ويعتبر باب فاس من الأبواب الأولى في سور مراكش، حيث يعود تاريخ تأسيسه إلى زمن بناء السور المرابطي، ويقع في القسم الشرقي في الواجهة الشمالية لسور المدينة وهو لا يزال قائما لكن التغيرات التي طرأت عليه سواء من طرف السعدين أو حتى العلويين أفقدته الجانب الدفاعي، وذلك نظرا لتحول وظيفة الباب والمتمثلة في ولوج المزارعين إلى بساتينهم وحقولهم وأغراسهم وقد تم إعادة بنائه من طرف السلطان مولاي سليمان العلوي سنة 1802 م[4].

---

[1]- حسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص127.

[2]- ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ج4، ص100-102.

[3]- يقول صاحب مسالك الأبصار " ويليه باب فاس وهو مفض إلى فضاء يفضي إلى نهر كبير لا يخاض إلا في زمان الصيف، وعليه بساتين جليلة ومنتزهات..." ج4، ص102.

[4] -Deverdun- G : instription….op. cit, p227.

• **باب تاغزوت:** ويقع بجانب باب فاس من الجانب الأيسر وقد اندثر و لم يبق منه إلا الاسم وقد تم تأسيسه أثناء بناء السور المرابطي للقصبة. وقد حدد معالمه الباحث دوفيردان سنة 1912[1].

وقد تضاربت الأقوال حول معنى تاغزوت. فهناك من يرى أنها اسم وادي وهناك من رأى انها اسم حديقة وأخرون ذهبوا إلى اسم فرع قبيلة.

ب- مدخل الواجهة الغربية:

• **باب الرخاء:** [2] يعتبر من أبواب مراكش المرابطية بحيث يحده من الجنوب باب دكالة وقد ظل اسم باب الرخا موجودا إلى عهد السعديين على الأقل ثم تهدم ولا توجد منه حاليا أي بقايا له، وقد حاول الباحث- دوفيردان تحديد موقعه في الخريطة التي وضعها لمدينة مراكش[3]، من خلال كتاب مسالك الأبصار، حيث جعله بين باب دكالة والنهاية الشمالية لواجهة السور الغربية.

• **باب دكالة:** [4] تعود تسمية هذا الباب إلى المجال المجاور للمدينة، والذي كانت تقطنه الساكنة الموحدية. إضافة إلى اتجاهات القوافل إلى سهول دكالة. وقد شهد عدة تغيرات في عهد السعدين ثم العلويين. وعلى كل فإن باب دكالة يتشكل من برجين كبيرين يتوسطهما ممر يؤدي إلى قلب المدينة العتيقة.

[1] -Deversun- G : Marracach…op. CIT tome II, p95.

[2]- لم نتوصل إلى معنى الرخاء ولكنه من المرجح أن يكون هو نفسه باب الراحة أو العريصة نسبة إلى بستان صغير يوجد قرب منطقة الوالي سيدي مسعود المعروف بباب الراحة .ينظر: عبد العزيز التوري مراكش، المرجع السابق العدد 15، ص214.

[3] -Deverdun G. Marrakch, op. cit, tome II, p101.

[4]- البيذق، المصدر السابق، ص64.

- **باب مسوفة- الموصوفة-** ويعود اسم التسمية إلى مسوفة احدى القبائل المرابطية[1]، وقد اختفت هذه الباب ويظن دوفيردان[2]. أن موقعها التقريبي حوالي 400 م عن باب دكالة عبر روض العروس
- **باب المخزن:** يحمل اسم المخزن دلالة سياسية ترمز إلى الدولة المركزية المرابطية[3]، والوظيفة التي ميزته عن غيره من أبواب مراكش فهو يجاور مباشرة الجهة الغربية من قصر الحجر إذا لم يكن جزءا منه، ويعتبر المنفذ الخاص للقصر إلى خارج المدينة، وقد أخطأ محقق كتاب – نظم الجمان- محمد علي مكي – حين حدد موقع باب المخزن بالقسم الجنوبي للسور اين يوجد الباب الأحمر، الذي يعتبر حديث النشأة وهو من منجزات القرن 18. عهد العلويين[4] ومهما يكن فإن باب المخزن لا يعرف بالضبط تاريخ اختفائه، كما أننا نرجع أن باب المخزن هو الموجود حاليا بين باب الجديد جنوبا وباب سيدي غريب شمالا.
- **باب الرب (نفيس):** ويسمى بباب القصر وباب نفيس،[5] ويقع في أقصى غرب الواجهة الجنوبية للسور المرابطي بين باب الصالحة شرقا وباب الشريعة غربا.. وينسب الباب بتسميته إلى شراب الروب، وهو الباب الوحيد بين أبواب المدينة الذي ينسب إلى منتوج غذائي.

أما عن تاريخ بنائه فإنه على الأغلب كان خلال عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، ويرجع ترجيحنا لذلك أن الرب يباع بمكان بمدينة مراكش وبالضبط بباب الرب. ولما كانت

---

(1)- عبد العزيز التوري، مراكش، المرجع السابق، العدد 15 ، ص1122

(2) –Deverdun. G. Marraksh, op. cit, Tome II, p104.

(3)- يقول صاحب مسالك الأبصار في جزئه الرابع "... ويليه باب مخزن السلطان كان به وإلى جانبه قصر سعيد وقصر أمة العزيز وقصر ابن جامع..." ص102، من خلال هذا الكلام يتبين لنا أن الخلفاء الموحدين وعلى رأسهم عبد المؤمن بن علي قد أبقى على قصر الحجر وتسمية الباب وأضاف قصر لوزيره ابن جامع بجانبه.

(4)- ينظر التهميش للمحقق كتاب نظم الجمان، المصدر السابق، ص159.

(5)- ينظر التهميش الخاص بكتاب المن بالامامة، المصدر السابق، ص113-114.

سنة 580 ه، تم مصادرة هذا الرب في سائر المملكة الموحدية. ورجع الناس إلى مبدأ ابن تومرت[1].

لكن على العكس فقد رجح الباحث دوفردان تاريخ تأسيس باب الروب إلى عهد يعقوب المنصور[2]، وقد اعتمد على إشارات ابن صاحب الصلاة حينما وصف هذا النوع من الشراب الذي كان يقدم في الحفلات الرسمية حيث يقول "... وقد قدمها – الرّب- الخليفة يعقوب المنصور الموحدي للحضور في احدى حفلاته بالبحيرة بظاهرة مراكش، حيث أطعم الناس بها مدة 15 يوما..."

وقد أدى هذا الباب عدة وظائف منها الوظيفة المجالية حيث كان يمثل نقطة التقاء بين المدينة المرابطية وحومة أكادير وحومة الصالحة، وهو محطة عبور بينها والمصلي وسوق بيع البقر والغنم والأطلس الغربي، كما كانت له وظيفة أمنية حيث كان مركز لمراقبة التحركات السكانية من وإلى المدنية كما كان موقعا لإرسال خطاب الترهيب والترغيب من خلال تعليق رؤوس المتردين الخارجين عن الطاعة فوقه[3]. كما كان يستخلص مستحقات الجباية على السلع الداخلة إلى المدينة، كما أنه جعل باب أكناو المجاور له بابا فنيا أكثر منه باب وظيفيا وقد تعرض هذه الباب شأنه شأن الأبواب الموجودة في المدينة إلى تجديد من طرف السعديين والعلويين.

ويأخذ شكل بناية الباب شبه مستطيل يكتنفه برجين مربعين ويتكون من بابين خارجي وداخلي، حيث يربط بينهما ممر منعرج وفضاء مكشوف وقاعة مربعة الشكل مغطاة بقبة ذات زاوية بارزة يفصل بين نصفيها قوس نصف دائري تجاورها قاعة صغيرة ذات شكل يقرب من المستطيل أما كسوة الباب فهي على الأغلب من الحجارة المنجورة منتظمة الشكل شأنه شأن الأبواب الموحدية الموجودة في رباط الفتح أو فاس.

---

(1)-ينظر التهميش الخاص بكتاب المن بالامامة ، ص113-114.

(2) -Deverdun. G. Marraksh, op. cit, tome, II, pp 105-106.

(3) -ALLain et Deverdun (G), les portes anciennes de Marrakche Hespers, Tome 44, 1957, 121-123.

- **باب الشريعة**[1]: يعتبر هذا الباب أحد أبواب مراكش التي عرفت منذ العهد المرابطي[2]، وكانت تنفذ إلى مصلى العيدين ومعلوم أن موضع الشريعة في تعابير الفقهاء المسلمين يعني المصلى أي مكان اقامة صلاة العيدين التي تكون عادة ظاهر المدينة، ويعتبر باب الشريعة المرابطي أول باب حاصره الموحدون بعدما تمكنوا من الوصول إلى أسوار المدينة، وقد ظل هذا الباب يحتل أحدى نقط القسم الجنوبي للواجهة الغربية لسور المدينة إلى أن هدم في عهد يوسف بن عبد المؤمن سنة 579 ه. وأصبح موقعه جزءا من المجال الذي توسعت فيه المدينة حيث بينت حومة أكادير كحل لأزمة السكن كما أشرنا اليه سابقا.

وقد تم إنشاء باب الشريعة الثاني سنة 579 ه كما أخبرنا ابن عذارى في بيانه وقد جمع هذا الباب الموحدي بين وظيفتين: الأولى عامة ودائمة. وتتعلق بخدمات التنقل من وإلى المدينة وأداء المغارم. وتعليق رؤوس المتمردين[3].

أما الوظيفة الثانية فهي ظرفية وخاصة. منها خدمة دينية لكون باب الشريعة يشكل أقرب باب يربط المدينة بمصلى العيدين وخدمات مخزنية ظرفية، حيث كانت تجري بخارجه الاستقبالات الرسمية للوفود[4].

وقد هدم معظمها عندما تقرر بناء ضريح الإمام السهيلي وكادت تختفي هذه الباب لولا جهود الذين تتبعوا أثاره بالبحث. [5]

---

(1)- هو الباب الذي يعرف اليوم باسم باب الخميس الذي أطلقه السعديون عليه. ينظر: ...عبد العزيز التوري مراكش. المرجع السابق، العدد 15، ص1123.

(2)- البيذق: المصدر السابق، ص64، ينظر كذلك: ابن القطان المصدر السابق، ص159.

(3)- في هذا الصدد يخبرنا البيذق أن الغنائم كانت تباع بباب الشريعة كما أن أخوي ابن تومرت. عبد العزيز وعيسا بعد قتلهما سنة 548 ه، ثم تعليقهما بباب الشريعة أنظر، ص77-78.

(4)- لمزيد من الاطلاع حول هذه الاستقبالات والاحتفالات التي كانت تقام بباب الشريعة ينظر: ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص214-218.

(5)-من بين الباحثين الذين اجتهدوا في تحديد مكان هذا الباب نذكر: دوفردان وأليان سنة 1912 و1957.

ت- مدخل الواجهة الشرقية:

- **باب الدباغين:** ويرجع أصل التسمية إلى مجاورة الباب لحي الدباغين، ويرجع تاريخ تأسيسه إلى زمن بناء سور المدينة في عهد المرابطين، وقد ارتبطت عدة أحداث سياسية وعسكرية بهذا الباب حيث وقعت معركة البحيرة سنة 524 ه. بما فيها حصار ومواجهات خارج شرق سور المدينة على رقعة تمتد بين باب الدباغين وباب إيلان- كما تم سنة 541 ه اقتحام المدينة من طرف الموحدين من هذا الباب كما شهد هذا الباب عملية تصفية المناوئين والمعاديين لعبد المؤمن بن علي حيث تم قتل عيسى أخ ابن تومرت سنة 548 ه بالقرب من هذا الباب، كما كان لباب الدباغين ارتباط بالجانب الديني حيث يقع ضمن المجال الشرقي الذي عرف بكثافة النشاط الصوفي به [1].

كما ان صلاة الاستقاء كانت تقام خارج باب الدباغين وهذا يوحي بأفضلية المكان وقيمته الخاصة عند السكان.

وتطل باب الدباغين على أكبر مقبرة التي يوجد بها عدد كبير من صوفية المدينة.

وقد خضعت هذه الباب للعديد من الترميمات والتجديدات في فترات مختلفة وعلى العموم فإن باب الدباغين يتوفر على بابين خارجي وداخلي، فالباب الداخلي أكبر حجما، واجهته ذات خمسة مستويات متدرجة.

يحتوي على شريط زخرفي عريض انتشرت فيه زخرفة المعينات المتجاورة كما هو الشأن في الأبواب الموجودة برباط الفتح والمسافة الفاصلة بين الباب الداخلي والخارجي تتميز هندستها بالمرور بينهما بطريقة ملتوية عبر 06 منعرجات أو منعطفات ثم الوصول إلى ساحة مستطيلة

---

[1]- تميز الجانب الشرقي لمدينة مراكش خاصة في منتصف القرن الثاني من القرن السادس الهجري بالنشاط الصوفي واعتبارها مقصدا للمتصوفة وأهل الصلاح واحتضانها لأعلام في التصوف لمزيد من الاطلاع ينظر:

ابن الزيات: كتاب التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق مطبعة البيضاء، دار الكتاب 1984، ص53، 83، 320.

مكشوفة يشرف عليها سطح به ستارة لاستعماله كمنطلق للهجوم المباغت ضد كل من أمكنه الولوج بين البابين، وهو آخر نقطة دفاعية داخل باب الدباغين قبل دخول المدينة.

أما الباب الخارجي فهو أصغر حجما واجهته ذات مستوى واحد مع انعدام الزخرفة يحتوي على نافذة واحة مع فتحات، وقد أحيط ببرجين مربعين ولا تؤدي فتحة الباب إلى داخل المدينة مباشرة، حيث نجد أن هذا الباب لا ينفتح على نفس الاتجاه للسور، وبالمقابل انفتح على الاتجاه الموازي له في اتجاه الشمال وذلك من أجل المراقبة التامة لمسافة السور الطويلة.

- **باب اينتان:** هذا الباب اندثر و لم يبق سوى اسمه حيث كشفت لنا بعض المصادر بأن اسم الباب ينسب إلى شخص زمان المرابطين[1]

باب أيلان: حسب بعض المصادر فإن هذا الباب نسب إلى قبيلة هيلانة[2] وقد ارتبطت شهرة هذا الباب بهزيمة الموحدين أمام المرابطين في معركة – البحيرة-[3] وقد اندثر هذا الباب و لم يبق سوى اسمه.

ث- الواجهة الجنوبية.

- **باب الصالحة:** يرجع بناء هذا الباب إلى زمن انشاء السور المرابطي. وقد خلد هذا الباب اسم الصالحة. نسبة لتسمية السيدة بحيرة الصالحة[4] قبل أن تحل محلها حومة الصالحة زمن الخليفة يعقوب المنصور أي سنة 580 ه، وقد اختفت معالم هذه الباب لأسباب مجهولة تجدر الإشارة

---

[1]- يذكر صاحب الحلل الموشية أن هذا الباب ينسب إلى الوزير المرابطي -ينتان بن عمر أو اينتان بن عمر. خلال حكم علي بن يوسف أنظر: ص84.

كما عرف عند البيذق باسم باب ييتنان، أنظر ص 64.

[2]-عبد العزيز التوري. مراكش. المرجع السابق، العدد 15، ص1231.

[3]-ابن القطان: المصدر السابق، ص159.

[4]- يسميه ابن فضل الله العمري بباب الصالحية، أنظر ج4، ص102.

أن السعدين أطلقوا اسم باب الصالحة على حي كان مكان الملاح حاليا، وقد اختفى كذلك بسبب فيضانات 1639 م[1].

- **باب اغمات:** ويرجع تسمية الباب لكونه يطل على مدينة اغمات[2]، ويعود إلى العهد المرابطي وبالضبط إلى سنة تأسيس سور مدينة مراكش وهو يشكل منافذ أحد الأبراج التي تتخلل الجهة الجنوبية الشرقية لأسوار المدينة. ويخبرنا صاحب كتاب إفريقيا أن يوسف بن عبد المؤمن نقل الحي اليهودي الذي كان موجود في وسط المدينة إلى القرب من باب اغمات حتى يكونوا مفصولوين عن المسلمين كما كان يوجد خارج باب اغمات المقبرة اليهودية[3]. وقد شهد هذا الباب عدة تغيرات كان أخرها في العهد العلوي حيث غيرت كثيرا من معالمه الحضارية[4].

- **باب أكناو**: (**أنظر صورة رقم 17**)

إن باب أكناو يحمل اسما امازيغيا والذي يعني – الأبكم- [5] يرجع تأسيس هذا الباب إلى عهد عبد المؤمن بن علي وبالضبط إلى سنة 551 ه- 1156 م، حينما شرع عبد المؤمن بالقيام بمشاريع عمرانية كبيرة واضفاء طابع الأبهة والجمال على عاصمة ملكه. وقد اخبرنا البيذق في هذا الإطار أنه أثناء عودته من سلا شيد بضواحي مراكش حديقة، حيث يقول: "... وفي عام خمسين زار قبر الإمام المهدي ... وهبط إلى سلا، وبقي فيها عامين، ثم رجع إلى مراكش، وغرس البحيرة التي بشنطولية ثم رجع إلى سلا..." [6].

---

(1) -Allian et deverdun (G), op.cit, pp126-127.

(2)- يخبرنا حسن الوازان بأن أغمات مدينة واقعة على بعد نحو أربعة وعشرين ميلا من مراكش وهي مبنية على منحدر جبل من جبال الأطلس وكانت أيام الموحدين متحضرة جدا وتدعى مراكش الثانية، أنظر ج1، ص 135-136.

ولمزيد من الاطلاع ينظر: عبد العزيز بنعبد الله، المرجع السابق، ج2، ص40- 41.

(3)- مارمول كربخال: المصدر السابق، ج2، ص55.

(4) Allian et deverdun, op.cit, p127.

(5)-عبد العزيز التوري. مراكش، المرجع السابق، ص1233.

(6)- البيذق، المصدر السابق، ص79.

وقد كان الباب الرئيسي للقصبة في عهد عبد المؤمن بن علي ثم أصبح فيما بعد بابا داخليا يفصل القصبة الجديدة تامراكشت عن المدينة القديمة، وأصبح بابا فنيا أكثر منه بابا وظيفيا.

حيث ينفرد بشكله البديع وهندسته الفريدة ويتميز بفتحة رئيسية للقوس ذو أربعة عقود ذات الصنج الأول والأخير يتألفان من صنج متناوبة بروزا وتراجعا[1]. والثاني والثالث عقدان مفصصان، كما تظهر في بنيقات الباب زخرفة زهرية تشبه الورقة النخيلية كما نلاحظ انتشار العنصر الثعباني عند منابت العقود بالباب، وعلى كل فإن هذا الباب تعرض في عهد المرينيين والوطايس والعلويين إلى تجديدات. وقد اشرف على ترميمه المعماري الفرنسي- شارل ميسو في سنة 1963[2].

وبقي وصف هذا الباب مقتصرا فقط على زخرفته لكون الأبراج المحيطة بالباب قد تهدمت وذلك راجع بطبيعة الحال إلى عمليات التجديد التي لحقت به خاصة في الفترة العلوية.

ج- القصبة الموحدية:

لقد استعمل الموحدين في البداية قصر الحجر الموجود بمدينة مراكش المرابطية لكن مع قوة الموحدين، وتكاثر حاشيتهم لم يعد قصر الحجر ينسجم مع عظمة هذه الدولة. فأقاموا مدينة أخرى جنوب مراكش هي مدينة الإمارة حملت اسم – تمراكشت وأصبحت تنافس المدينة الأم في الصدارة، بحيث اجتذبت إليها الاهتمام واستأثرت بالنفوذ لأنها مقر الحكم والسلطان وما يؤكد هذا الكلام وصف صاحب مسالك الأبصار بقوله " قال ابن سعيد:... وفيها قصور عظيمة وبها قصر الخلافة بناه المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن. وهو وسط المدينة اختطها خارج مراكش خاصة به وبخواصه وتعرف ب تامراكشت.... قال ابن سعيد: ولا أدري كيف أصل إلى غاية من الوصف به ترتيب هذه المدينة المحدثة... ذات أسوار ضخمة

---

(1)- عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج3، ص125.

(2)- عبد العزيز بنعبد الله، المرجع السابق، ج2، ص49.

وأبواب عالية، وبها قصر الخلافة وبه ديار عظيمة منها دار البلور، ودار الريحان، ودار الماء..."[1].

بينما يصف لنا صاحب كتاب الاستبصار هذه المدينة المحدثة بقوله"... وزاد في قبلة المدينة حصنا أنفذه الآن ابنه الامان الخليفة أبو يوسف... وزاد عليه مدينة أخرى تقارب الأولى في دورها وكانت بحائر عظيمة فبناها قصورا وجامعا وأسواقا وفنادق..." [2].

1- تاريخ تأسيس القصبة الموحدية:

يخبرنا صاحب كتاب البيان المغرب أن يعقوب المنصور قرر إنشاء حي أو حومة أطلق عليها إسم – الصالحة- وحتى تكون في مستوى ما يطمح إليه استقدم للمساهمة في تشيده الصناع والبنائيين من مختلف أرجاء مملكته. وقد بدأت أعمال البناء في حي الصالحة – القصبة- سنة 581 ه- 1185 م، أما الانتهاء منها فكان سنة 584ه – 1188 م[3].وقد بلغ مجموع المباني الموجودة في القصبة 12 قصرا ومسجدا.

أما صاحب روض القرطاس فيعتبر أن المنصور شرع في تشييد القصبة سنة 585 ه/ 1189 م، وانتهى منها سنة 593 ه/ 1198 م حيث يقول: "... وفي سنة ثلاث وتسعين بنى رباط الفتح...وفيها تمت قصبة مراكش وجامعها بالبناء..." [4].

كما ذهب صاحب كتاب الاستبصار إلى أن تشيد القصبة يعود إلى سنة 585 ه حيث يقول: "... وأمر يعمارها (القصبة) أول سنة 585 ه..." [5].

[1]- ابن فضل الله العمري: المصدر السابق، ج4، ص100.
[2]- مؤلف مجهول: الاستبصار. ج1، ص210.
[3]- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج 3، ص174.
[4]- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص269.
[5]- مؤلف مجهول: الاستبصار... ج1، ص210.

ونحن نرجح إلى ما ذهب إليه ابن عذارى المراكشي فمن من غير المعقول ان يتم بناء رباط الفتح في نفس الوقت الذي أتم فيه بناء تمراكشت مع العلم أن يعقوب المنصور كان ينوي أن ينقل عاصمة ملكه إلى مدينة رباط الفتح سنة 593 ه/ 1198 م [1].فكيف يفكر في أن يبني مدينة جديدة وتزينها بمختلف البناءات والقصور حشد لها العرفاء والصناع وصارت بها حضرة مراكش مصر الامصار وغاية في الفخامة وارتفاع المقدار.

2- وصف القصبة الموحدية:

لقد احتسب الباحث دوفردان مساحة القصبة وقدرها ب: 44 هكتارا [2]. وبالرغم من توفر القصبة على منشآت معمارية من أحياء سكنية ومرافق اجتماعية ودينية واقتصادية، وتجملها بالمآثر الفنية والروائع المعمارية التي شدت أنفاس المؤرخين والجغرافيين فخلدوها في كتاباتهم. ولكن هدمت تلك المعالم واندرس معظمها وقد أخبرنا مارمول كربخال أن معظم قصور ودور قصبة مراكش الموحدية قد دمرت حيث يقول"... عام ألف ومائتين وسبعة وعشرين، وبنى الشريف الحالي هنالك الآن مخازنه حيث تصنع ستة وأربعون قنطارا من البارود في الشهر... لكن عندما ثار مستعربو غرناطة احرقتها صاعقة أضرمت النار في البارود، ودمرت معها عدة قصور ودور مجاورة..." [3].

3- تحصيناتها .

أ. الأسوار والأبراج

اعتمادا على بعض الأخبار المصدرية نشير إلى توفر القصبة على أسوار قوية كانت تحيط بقصور ومسجد يعقوب المنصور، ويقدم لنا مارمول كربخال وصفا لهذه المنشآت حيث

(1)- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص360-361.

(2) -Deverrdun. G. Marrakash…, Tome II, op.cit, p85.

(3)- مارمول كربخال. المصدر السابق، ج2، ص51.

يقول"... وتوجد في جهة الجنوب قصبة جميلة كبيرة تستطيع أن تضم أكثر من أربعة آلاف دار مسورة بأسوار متينة وأبراج وخندق ونهر صغير" [1].

وقد بينت هذه الأسوار بالتراب المدكوك (التابية) ولا نعتقد أن جل أجزاء السور المحيطة بالمدينة توفرت فيها القوة والصلابة بكيفية متشابهة، لأن اختفاء معظم ذلك السور بعد خرابها والذي تنعدم اطلاله حاليا يدل على هشاشته وعدم قوته وربما يرجع إلى التدمير الذي لحق بالمدينة في العصر العلوي، أما عن الأبراج فهي على الأغلب كانت تلتحم بالأسوار من أساساتها إلى قمتها حيث كانت تشغل السور المحيط بالقصبة من جميع جهاته وأركانه. أما عن تصاميمها المعمارية الداخلية فهي تتشابه على الأغلب بأبراج مدينة رباط الفتح.

ب- المداخل

إن من جملة مظاهر التحصن توفر القصبة على ثلاثة أبواب تعتبر منافذها على الخارج وبالرغم من امتداد السور على مسافة طويلة إلا أن القصبة تقتصر على عدد قليل من الأبواب وقد ترك لنا المؤرخ العمري وصفا لهذه الأبواب حيث يقول: "... قال ابن سعيد: ... ولها أبواب مختصة بها باب البستان... يفضي إلى بستان يعرف بالبحيرة... والباب الثاني " باب القراقين" وهو داخل في المدينة مراكش... والباب الثالث "باب الرياض" وأمامه رحبة عظيمة تحمل طراد الخيل..." [2].

أما مارمول كربخال فيخبرنا بأن القصبة كانت تتوفر على بابين فقط حيث يقول:"...ليس فيها (القصبة) سوى بابين أحدهما في جهة الجنوب ويفضي إلى البادية والآخر في جهة الشمال نحو المدينة حيث يقيم عادة حرس من جزولة..." [3]. للإشارة فقط فإن الباب

[1]-مارمول كربخال ،المصدر السابق، ج2، ص48.

[2]- ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ج4، ص100.

[3]- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص 48.

الشمالي يعرف بباب أكناو الذي سبق الإشارة إليه ونرجح أن مداخل أبواب القصبة تتشابه بشكلها وحجمها وتكوينها المعماري إلى حد كبير باب أكناو. وأبواب رباط الفتح.

ويخبرنا حسن الوزان عن أبواب القصبة فيقول"... فهذه المدينة قصبة كبيرة كأنها مدينة... فتحت فيها أبواب في غاية الحسن. قوائمها وأعاليها من الحجر المنحوت ومصاريعها مصفحة بالحديد..." [1].

من خلال هذا الوصف لأبواب القصبة يتبين لنا أن كسوة الأبواب كانت من الحجارة المنجورة منتظمة الشكل ذات مدخل بارز تنحصر فتحته بين برجين على الأغلب مربعين كما هو الشأن في أبواب مدينة رباط الفتح، كما تتميز أبواب القصبة بكثرة الزخرفة على الواجهة المطلة على ظاهر القصبة وداخلها.

إن اندثار أغلب أبواب القصبة وقلة الأخبار المصدرية يزيد في صعوبة مهمتنا في محاولة الكشف عن التخطيط والعمارة والتغطية والزخرفة لتلك الأبواب.

ج- تخطيط الهندسة المائية

لقد استفاد الموحدون من أسلوب الري والتوزيع الذي أقامه المرابطون[2]، إلا أنهم كانوا بحاجة ماسة إلى الماء تفوق حاجة سابقتهم ولذلك نجد أن عبد المؤمن بن علي أكمل المشروع الذي فكر فيه المرابطون وهو جلب ماء الأطلس، فمد ساقية تسلطانت سياقة السلطان[3]. من وادي وريكة وكانت الساقية – القناة- مغطاة تحول دون مصدر الماء ومجراه ويرجع ذلك في اعتقادنا أنه في حالة حصار المدينة لا يمكن قطع الماء عنها بتاتا. وقد تعرضت تلك القناة إلى

---

[1]- حسن الوزان: المصدر السابق ج1، ص130.

[2]- واجه المرابطون في البداية مشكلة الماء خاصة مع الشروع في بناء قصر الحجر والدور الخاصة، وسرعان ما تم إيجاد حل لمشكلة الماء وذلك بحفر الآبار على الطريقة الصحراوية ولم يكن ببعيد، كما يقول ابن أبي زرع"... ولم يكن بها ماء، فحفر الناس بها آبارا فخرج لهم الماء على قرب ..." ص138، إلا أن الأزمة قد بلغت حدها عندما ارتفع عدد السكان وتحول مدينة مراكش إلى عاصمة للدولة المرابطية، وعندما عزم الخليفة علي بن تاشفين ببناء المسجد والأسوار فكان لا بد من أسلوب آخر غير الآبار فاستخرج المهندس الأندلسي عبيد الله بن يونس لنظام الخطارات بمراكش.
لمزيد من الاطلاع حول هذه الخطارات ينظر: حسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص135-136.

[3]- محمد الحميري، المصدر السابق، ص540.

التجديد من طرف الخليفة يعقوب المنصور سنة 585ه، وأجرى ساقية أخرى عرفت بالساقية اليعقوبية[1].كانت تشق المدينة من القبلة إلى الجوف، وانشأ عليها السقايات لسفى الخيل والدواب واستسقاء الناس، وهذا ما نستشفه من كلام صاحب الروض المعطار حيث يقول"... وأجرى المنصور.... في وسطها- قصبته – ساقية... يخرج ماؤها من قصره فتشق المدينة من القبلة إلى الجوف..." [2].

وقد تعرضت تلك القناة للهدم في العهد العلوي حينما قاموا بحفر آبار كبيرة خارج مراكش وجمع مياهها في خزان واحد، واستحداث قناة تسوق تلك المياه داخل المدينة[3].

كما عمل الخلفاء الموحدون على بناء منشآت معمارية تقوم باستقبال وجمع وتخزين وإعادة توزيع المياه التي تأتيها من مواردها الطبيعية الأصلية من خلال استخدام سلسلة من الآليات والتقنيات التي تقوم بتدبير الماء، هذا النظام الذي اعتمد على عدد من الصهاريج[4].التي لا تزال مجموعة منها متواجدة حاليا كصهريج المنارة الذي أسس سنة 1157م من طرف عبد المؤمن بن علي وكان من تصميم الحاج يعيش المالقي[5].

وقد بلغ طول صهريج المنارة حوالي 200 م وعرضه 160 م أما عمقه فيتحدد في 2.50 م[6]. وقد اتخذ مكانا لتدريب الطلبة على السباحة كما كانت مياه الصهريج تسقى

---

[1]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ج1، ص210.

[2]- محمد الحميري: المصدر السابق، ص541.

[3] –Deverrdun .G. Marrakach….opcit, Tome, II, p180.

[4] –Gueytal : les adduction d'eau de la cité Marrakach édition – Maroc, 1913, p53.

ينظر كذلك:

- Rouche, p. lirrigation dans le sud du marocn rabat 1946, pp 18-19.

[5]- يعتبر الحاج يعيش المالقي: من ألمع وأشهر المهندسين الذين تألق نجمهم على عهد الموحدين وقد كانوا يلجأون إليه في كل المشاريع الهامة، فهو الذي صنع بأمر من عبد المؤمن بن علي بمدينة مراكش مقصورة الجامع الكتبية لمزيد من الإطلاع ينظر: مؤلف مجهول: الحلل – المصدر السابق، ص144-145.

[6] –Deverrdun. G. Marrakach, op.cit, Tom II, p521.

ينظر كذلك: بن الشرقي محمد: ارتسامات ومعطيات تاريخية حول مدينة مراكش، مطبعة فضالة المحمدية 1992، ص92-102.

حديقة المنارة وقد تعرض هذا الصهريج لتجديد واضافات خاصة في عهد السلطان العلوي محمد الرابع سنة 1870 م[1]. حيث بنى المقصورة الخاصة به من أجل الاستحمام والهروب من حر المدينة[2].

كما عمد عبد المؤمن بن علي ببناء صهريج – بركة- آخر عرف باسم صهريج البقر[3]. وذلك لصالح مربي المواشي وساقية الخيل والدواب كما تم بناء صهريج اكدال[4]. الذي كان يسقي البساتين والجزء الأكبر منه مخصص للماء الشروب لقد تمكن الموحدون بذلك من سقي منطقة طولها حوالي 20 كلم وعرضها 10 كلم جنوب المدينة هذا إن دل عن شيء إنما يدل على الدور الذي كانت تضطلع به تلك الصهاريج في تزويد السكان والدواب من الماء الصالح للشرب. من جهة ومن جهة أخرى تبين الأهمية الفلاحية التي أصبحت للمدينة وضاحيتها.

خ– قنطرة تانسيفت:

يخبرنا الشريف الادريسي بأن الخليفة المرابطي علي بن يوسف هو أول من بنى هذه القنطرة الموجودة على بعد 3 كلم من مراكش وكان السبب في ذلك أنه في فصل الشتاء ونتيجة للأمطار والمياه التي يزيد منسوبها خصوصا من الينابيع الموجودة في جبل درن من ناحية مدينة أغمات أيلان والتي تجعل المرور من هذا النهر مستحيلا ولذلك كان لا بد من انشاء هذه القنطرة وهو ما نستشفه من كلام الإدريسي حيث يقول"... وكان أمير المسلمين علي بن يوسف بنى على هذا النهر قنطرة عجيبة البناء متقنة الصنع. بعد أن جلب إلى عملها صناع الأندلس وجملا من أهل المعرفة بالبناء فشيدوها وأتقنوا بنيانها حتى كملت..." [5]. لكن هذه

---

(1) –Deverrdun. G. Marrakach, op. cit. Tome, II, p535.

(2)– لمزيد من الاطلاع حول هذه المقصورة ينظر: مارمول كربخال المصدر السابق، ج 1، ص53-54.

(3)– عبد العزيز بنعبد الله، المرجع السابق، ج2، ص48.

ينظر كذلك: Deverrdun. G. Marrakch, op.cit, Tome, II, p536.

(4)–ابن فضل الله العمري. المصدر السابق، ج4، ص102.

(5)– الادريسي: المصدر السابق، ص79.

القنطرة لم تلبث إلا أعوام ثم هدمت نتيجة الفيضان الذي ضربها وفي هذا الصدد يخبرنا الإدريسي بقوله: " ...ثم لم تلبث غير أعوام... حتى أتى عليها السيل... وأفلت عقدها وهدمها ورمي بها في البحر الزخار..." [1].

وقد بقيت تلك القنطرة على تلك الحالة إلى أن أمر الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بإعادة بنائها من جديد وهو ما يؤكده ابن زرع حيث يقول"... وفي سنة ستة وستين وخمسمئة أمر أمير المؤمنين يوسف ببناء قنطرة تانسيفت وشرع في بنائها يوم الأحد ثالث شهر صفر من العام المذكور..." [2].

وبالرغم من شح المعلومات حول هذه القنطرة في المصادر التاريخية والجغرافية- مما يصعب علينا تتبع الهندسة المعمارية لتلك القنطرة زد على ذلك أن هذه الأخيرة تعرضت للهدم وإعادة بنائها من جديد في فترات متأخرة من الحكم العلوي. حيث وصفها مارمول أثناء سرده لمحاولة البرتغاليين اقتحام مراكش حيث يقول"... فعزم المسيحيون على الانسحاب من احدى مجازات وادي تانسيفت.... ولما وصلوا إلى المجاز الذي لا يستطيع أن يمر فيه سوى فارسين أو ثلاثة معا..." [3].

لاشك أن بناء هذه القنطرة من طرف يوسف جاء لاعتبارات عسكرية بحيث أن الفيضانات المتكررة التي عرفها وادي تانسيفت خاصة في فصل الشتاء تحتم على الجيوش العابرة من مراكش إلى رباط الفتح أو العكس الانتظار إلى حين يقل منسوب المياه ولأجل ذلك عمد يوسف على انشاء جسر يستخدم للعبور وهو ما يعرف بالقنطرة الافردية[4]. والتي تتألف من قوس واحدة على شكل نصف دائرة وهو الأغلب في عمارة الموحدين.

---

(1)-الادريسي: المصدر السابق ، ص79.

(2)- ابن أبي زرع. المصدر السابق، ص211.

(3)- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص60.

(4)- تطرق دوفردان إلى عمارة هذه القنطرة باختصار ولمزيد من الاطلاع ينظر:

Deverdun. G. Marrakach..., op. cit, Tome, II, pp420-423.

كما اعتمدوا في بنائها على الحجر المتوافر في المنطقة، بحيث تبنى على قالب خشبي يتم فكه وازالته بعد الانتهاء من البناء.وتسند إلى أعمدة أو ركائز تنقل الحمولات، وتعمل على استقرار القوس، حيث تبنى الدعامات على أساسات صخرية متينة.

وفي الختام لا بد من الإشارة إلى أن الخلفاء الموحدين قد اهتموا ببناء القناطر وصيانتها سواء في عاصمة ملكهم أو في المناطق التي تحت نفوذهم لأهميتها في ربط الأجزاء المنعزلة مثل ضفاف الأنهار والجزر المنعزلة حيث تعتبر القنطرة هدف استراتيجي يجب حمايته مهما كلف الأمر.

2- : مدينة سلا[1].

أ-الموقع الجغرافي : (أنظر خريطة رقم 8)

تقع مدينة سلا على الضفة الشمالية لنهر أبي الرقراق، على اليمين من مصبه في المحيط الأطلسي، وتحيط بها عدة مناطق هامة منها: مدينة الرباط من جهتها الجنوبية، ومنطقة الخميسات من جهتها الشرقية، ومنطقة القنطرة من جهتها الشمالية[2].

لقد اكتسب الموقع الجغرافي لمدينة سلا أهمية استراتيجية عسكرية واقتصادية في العهد الموحدي بحيث اتخذت من طرف عبد المؤمن وبنوه من بعده مركزا حربيا بريا وبحريا متميزا تجتمع جيوشه فيها وفي رباطها الفسيح على الضفة اليسرى قبل بناء مدينة رباط الفتح، وتستعد للعبور إلى الأندلس لجهاد النصارى أو التوجه لفتح أقطار المغرب وتوحيدها تحت السلطة

[1]- سلا أو سلي هي مدينة ازلية قديمة كانت في الأصل قرية بربرية يرجع بنائها إلى حوالي عام 1500 ق. م. وقد انشأ بها القرطاجيين متجرا عرف في عهدهم باسم سلفيس، ثم احتلها الرومان في مطلع القرن الأول الميلادي وسموها. سلا. وقد ضلت سلا خاضعة للحكم البيزنطي بعد حكم الوندال من بعد الرومان إلى أن قام القائد عقبة بن نافع بفتحها عام 62 ه، ثم فتحها ادريس الأول عام 172 ه، وتداول ملكها بنوه من بعده ثم صارت عاصمة ملك بني يفرن عام 317 ه، وفي سنة 466 ه. أصبحت تحت حكم المرابطين: وفي سنة 540 ه أصبحت سلا تحت طاعة الموحدين لمزيد من الاطلاع ينظر: حمدي عبد المنعم محمد حسين: مدينة سلا في العصر الإسلامي- دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1993، ينظر كذلك السويسي عبد الله: المرجع السابق، ص70-82.

[2]- كينيث براون، موجز تاريخ سلا، ترجمة محمد حبيدة وأناس لعلو منشورات أمل، الدار البيضاء، المغرب،2001، ص12-14.

الموحدية إلى تخوم ليبيا، كما شيد دار الصناعة التي كانت من أنشط معامل السفن بحلق المعمورة المكونة للأسطول العظيم الذي وطأ أكتاف الدولة الموحدية وقهر بحرية الروم في البحر المتوسط وفي هذا الصدد يخبرنا ابن صاحب الصلاة بقوله: "....وأن أمير المؤمنين -عبد المؤمن- وجدد عزمه وحزمه...في غزو الروم، بجزيرة الأندلس وأضمر غزوة عظمى برا وبحرا..... فأمر بانشاء القطائع في سواحل العدوة والأندلس فصنع منها زهاء مائتي قطعة، أعد منها في مرسى المعمورة بحلق البحر على وادي سبو بمقربة سلا مائة وعشرين قطعة..." [1].

لقد اعتبرت مدينة سلا واسطة العقد بين مراكش وفاس والأندلس كما ظلت المدينة ذات أهمية تحت سلطان الموحدين، وقد أنشأ عبد المؤمن بن علي جسرا يربط بين رباط الفتح وسلا ليجمع بين العدوتين، ويربط بين الضفتين وهو ما نستشفه من شهادة ابن صاحب الصلاة، إذ يقول: "... وكذلك ألفى الجسر الذي كان قد نصبه أبوه... عبد المؤمن بن علي – ما بين سلا والمهدية لاجازة الناس عليه، قد خرقته البحور وهدمته الدهور فأمر بنصب جسر آخر إلى جانبه أعظم منه بناء وأساسا واعتلاء من الحجر العادي والجيار الثابت لأمواج البحار فصنع في أقرب مدة بأعظم آلة وعدة ووصله بالقوارب والخشب. حتى جاء في أمن له من الزمان والحقب..." [2].

وهكذا تحول المعسكر منذ عام 543 ه إلى مدينة [3]. التي كان لا بد لها أن تتطور وتتسع نظرا لأهمية الموقع العسكري استراتيجيا حيث يكسبها هذا الوضع مجالا أوسع لعمليات نقل الجنود بمعداتها إلى ما وراء نهر أبي الرقراق لتندفع هناك في اتجاه الأندلس شمالا.

---

[1]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص147.

[2]-المصدر نفسه، ص360.

[3]- كانت سلا عبارة عن رباط كما يطلق عليه في كتب التاريخ والوثائق الإسلامية فيذكر أنه في سنة 543 ه قدم الخليفة عبد المؤمن بن علي من مراكش إلى سلا فنظر في أمرها وأجرت اليه ماء عين غيولة، وارتحل عنها ثم عاد إليها في سنة 548 ه، ونزل في قصر بن القشرة، وفي العام التالي عقد الولاية لإبنه محمد وأمر أن يذكر في الخطبة بعده لمزيد من الإطلاع ينظر:

ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص25-43.

ب- تحصيناتها

لا شك أن الاهتمام الواسع بمدينة سلا سياسيا وعسكريا، منذ بدأ عبد المؤمن يستقبل وفود الأندلس بها كما تستقبل المنطقة جميع الجيوش الجهادية يتأتى دون نشاط حركة التعمير والانشاء بما في ذلك من عمارة حربية وأخرى مدينة تقوم بالضرورة حول التجمع البشري الذي سوف يكون متواصلا دون انقطاع وقد شكلت سلا العاصمة الثانية للدولة الموحدية بعد كرسي الملك بمراكش وفيما يلي سنحاول التطرق لأهم التحصينات العسكرية للمدينة مع العلم أن أغلب معالمها قد اندرست أو أعيد بناؤها في فترات تاريخية لاحقة.

1- الأسوار : (أنظر مخطط رقم 9)

إذا كانت مدينة سلا فتحت أبوابها للمرابطين، بعد مقاومة بسيطة بسبب اتحاد نظرا للمتونيين[1]. واليفرنيين[2]. في مجاهدة البراغواطيين، فإنها بالعكس من ذلك تمنعت على الموحدين، واضطر عبد المؤمن إلى محاصرتها قبل أن تفتح له أبوابها سنة 540 ه/ 1146 م، وفي هذا المقام يخبرنا ابن عذراى بقوله: "... وقال ابن بجير: كان فتحتها على يد رجل يسمى يبورك وابنيه محمد وعلي وذلك أنهم أرسلوا إلى الموحدين. -540 ه-... فوصلوهم ليلا وصنعوا السلاليم... ودخلوا سلا... وولي عليها عبد الواحد الشرقي واقامت سلا على طاعة الموحدين..." [3]. ثم لم تلبث سلا أن خرجت عن طاعة الموحدين بقيادة ابن هود الماسي

---

[1]- اللمتونيين: هم بطون كثيرة منهم بنو ورتنطق وبنوزمال وبنو صولان وبنو سيحة. وكان موطنهم من بلاد الصحراء يعرف كادم، وكانت الرياسة فيهم للمتونة لمزيد من الاطلاع ينظر: عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص214-215.

[2]- بنويفرن بطن من بطون قبيلة زناتة كانت مواطنهم الأصلية ما بين تلمسان وتاهرت، ومن بين أبرز زعمائهم أبو زيد مخلد بن كيداد ويعلي بن محمد اليفري، وقد استولى نفوذه غربا إلى فاس وقد كانت حروب بينه وبين المعز لدين الله الفاطمي سنة 349 ه وما بعدها، وقد استقروا بسلا واتخذوها عاصمة لدولتهم منذ سنة 381 ه لمزيد من الاطلاع ينظر: ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص 163-164. ينظر كذلك: مؤلف مجهول: الحلل... المصدر السابق، ص ص 12-13.

[3]- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج3، ص25.

السلوي[1].الذي تعبت الدولة الناشئة كثيرا في القضاء على ثورته ولما فتح عبد المؤمن سلا للمرة الثانية 543 ه/ 1148 م هدم سورها الشرقي والجنوبي وهو ما أخبرنا به ابن عذارى بقوله"... وفي سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة خرج أمير المؤمنين... لغزو القبائل الثائرة وذلك لما تفاقم نفاق برغواطة ودكالة... وأتته المخاطبات في السنة بعدها 543 ه من الأندلس... وكذلك وصل إليه أهل سلا فأمرهم بهدم سورها، فهدم، وصفح عن دمائهم..." [2].

وما يدعم هذه الحقيقة كلام صاحب كتاب الاستقصا في قوله: "... وأمر عبد المؤمن مع ذلك بهدم سور سبته فهدم وكذلك فعل بفاس وسلا..." [3].(**أنظر صورة رقم 18**)

ان قرار هدم أسوار سلا وغيرها من الحواضر التي استعصت على عبد المؤمن بن علي، لا يمكن تفسيره إلا من زاوية واحدة وهي معاقبة أهالي تلك المدن نتيجة تمردهم وثورتهم على الحكام الموحدين أو قد يدخل ذلك ضمن الاستراتيجية السياسية العامة التي نهجها الموحدون في عهد عبد المؤمن عملا بشعاره القائل" أسوارنا سيوفنا" لكن وبعد أن تم لهم زمام الأمور السياسية قد أدركوا خطورة تواجد مدنهم معراة من حصونها في وقت كان فيه الصراع الإسلامي المسيحي قد بلغ أشده، فعمدوا إلى اعادة بناء أسوار تلك المدن بالشكل الذي حدث بالنسبة لمدينة سلا.

فقد أعاد يعقوب المنصور الموحدي بناء سور سلا من ناحيتي الشمال والجنوب الشرقيين، وبقيت الجهتان المشرفتان على النهر والبحر مكشوفتين[4].

كما عمد محمد الناصر إلى بناء جزء من السور وذلك عندما تجاوز البناء نطاق السور القديم فأدخل العمران الجديد في داخله، لكنه لم يتم هذا السور من الناحية الغربية.

[1]- يقول البيذق أن اسم هذا الثائر هو عمر بن الخياط ويلقبونه ببويكندى والظاهر أن هذا الثائر اتخذ حين ثورته. اسم محمد بن عبد الله بن هود راجع البيذق. المصدر السابق، ص67-68.

[2]- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج3، ص37.

[3]- السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص146.

[4]- نفسه، ج1، ص180.

- **تخطيط السور:**

يتوقف تخطيط المدن على طبوغرافية الموقع إذ يتبع سور المدينة موقعها الطبوغرافي ويساير خطوطها التضاريسية، ينجر عنه عدم انتظام أشكالها فقد شيد سور سلا على موقع ذو تضاريس مختلفة، وهذا ما لاحظناه من خلال معاينتنا الميدانية للموقع، حيث شيد جزء منه على مرتفع والجزء الآخر على سهل، وهذا ما أدى إلى عدم انتظام شكل السور.

ويبلغ طول السور حوالي ثلاثة كيلومترات (3 كلم) ممدودة على مساحة تقدر ب80 هكتار وتعتبر أسوار مدينة سلا المقابلة لمدينة رباط الفتح احدى الحصون الدفاعية الأولى للمدينة وقد بينت عبر حقب تاريخية مختلفة كما أشرنا اليه سابقا.

مع العلم أن أسوار مدينة سلا قد عرفت عدة تجديدات خاصة في العصر المريني. حينما قام يعقوب بن عبد الحق سنة 658 ه 1260 م ببناء السور الجنوبي الغربي المقابل للوادي والذي يمتد في مساحة حوالي 1600 م ودعمه بعشرين برجا[(1)].

كما بنى في طرفه المقابل للبحر برجا عظيما سمي برج الدموع كما شهدت مدينة سلا وخاصة اسوارها عدة اضافات معمارية عسكرية عديدة في العهد العلوي خاصة خلال حكم السلطان- عبد الرحمان سنة 1270 ه/ 1854 م[(2)].

ويمكننا وصف السور الشمالي والشرقي بغض النظر عن التجديدات التي مسته فيما يلي:

- **السور الشمالي:**

ويمتد على مساحة تقدر بحوالي 1700 م وقد بنى هذا السور من أجل حماية المدينة من جهة الطريق الممتدة من سبتة في الشمال إلى فاس في الشرق ونجد انقطاع في السور عند موقع باب سبتة وهو خاضع حاليا للترميم (سنة 2012 م) من طرف الهيئة المختصة بالترميم. بمنطقة سلا. ويرجع هذا السور إلى عهد يعقوب المنصور، ويتميز هذا السور بعرضه الهائل الذي يصل

---

(1) -ELOMARI ROCHRD…op.cit, pp, 82-83.

(2) - ibid, p84.

إلى حوالي 2.50 م وطولها يصل إلى 6.50 م، ونظرا لتعرض هذا السور للتهديم بعض أجزائه إما بهدف توسعه المدينة وضم الأرباض المنتشرة من خارج السور كما فعل محمد الناصر الموحدي، أو من خلال هاجس لطمس كل معالم الدولة الموحدية ومهما يكن فإن تقنية بناء هذا السور ومن خلال المعاينة الميدانية له خاصة وأننا وقفنا على عملية ترميم أسوار سلا، حيث وقفنا على مختلف الطبقات السطحية للسور حيث تبين لنا أنه شيد من الحجارة المشذبة في الأسفل أما في الأعلى فنجد تقنية الطابية- التراب المدكوك-.

كما يلاحظ تهدم درب الدورية- ممشى الجند- كما أننا لم نستطع تتبع الأبراج التي تلتحم بالسور وذلك راجع بطيعة الحال إلى تهدمها في فترات لاحقة خاصة بعد تعرض سلا للقصف الفرنسي سنة 1851[1]. وما إنجر عنه من أضرار فادحه بأسوار المدينة.

- **السور الشرقي:**

يرجع تأسيسه إلى عهد يعقوب المنصور وعندما تجاوز البناء نطاق السور بنى الخليفة محمد الناصر جزءا منه وأدخل العمران الجديد في داخله كما أشرنا إليه سابقا، وتبدأ الواجهة الشرقية من أقصى الشمال من البرج المثمن[2].الذي ما يزال تاريخ تأسيسه غير واضح. ويستمر إلى نهاية الواجهة الشرقية في أقصى الجنوب الغربي عند – برج الملاح[3]. بطول 700 م ويفتح في هذه

---

[1]- رشيد السولامي: بعض مظاهر تنظيم مجال الأسوار المغربية في العصر الوسيط. ضمن الندوة العلمية أسوار ضفتي مصب نهر أبي رقراق، سلا، الرباط 18-19 أكتوبر 2003، مطبعة دار المناهل، الرباط 2006، ص ص 69-70.

[2]- يقع البرج المثمن في الركن الشرقي لمدينة سلا القديمة، وقد بني هذا البرج لمراقبة القادمين إلى المدينة والتحكم في الطريق الممتدة من سبتة في الشمال إلى فاس في الشرق، وهو عبارة عن برج مثمن مشيد من الحجر يرتفع عن الأرض حوالي 11 م، لمزيد من الاطلاع ينظر:

-Joudia Hassar- Benslimane, le passé de la ville de sallé dans tous étals : histore, Archeologie, archives, édition Maisonnenve et larose, paris, 1992, pp 114-116.

[3]- برج الملاح نسبة إلى حي الملاح وقد بني في عهد يعقوب بن عبد الحق المريني، لمزيد من الاطلاع ينظر:

Goudia. Hassar, opcit, p119.

الجهة باب فاس (الخميس) إضافة إلى باب المرسية المريني[1]. ويبلغ عرض السور حوالي 1.60م وارتفاعه 7.50 م، وقد ضم هذا السور ثمانية أبراج كلها تعود إلى العصر العريني[2]. وقد شيد هذا السور بشكل عام من الحجارة المشذبة في القاعدة أما في الأعلى فنجد تقنية الطابية- التراب المدكوك- والثابت تاريخيا أن هذا السور قد تعرض للتخريب خلال سنة 1851[3]. مما استدعى ترميمه في سنوات لاحقة، وقد اعتمد على نفس المواد التي بني بها السور الأول وذلك من أجل الحفاظ على المباني التاريخية لمدينة سلا.

2- المداخل :

تتمثل الأبواب الموحدية في مدينة سلا في بابين شهرين هما باب سبتة في السور الشمالي، وباب فاس، أو باب الخميس في السور الشرقي وكلاهما يرجعان إلى نفس السنة التي بنيت فيها الواجهة الشمالية والواجهة الشرقية لمدينة سلا...

أ-باب سبتة: (أنظر صورة رقم 19)

سمي بهذا الاسم لأن الذاهب إلى مدينة سبتة انطلاقا من مدينة سلا كان لابد أن يمر عبر هذا الباب[4]. حيث يقع في الجانب الشمالي للسور الموحدي، وقد أعيد بناؤه في العصر العلوي، بعد هدم قصبة كناوة على يد الأمير- عبد الحق فنيش. في سنة 1738م[5].

---

(1)- يعتبر هذا الباب نموذجا فريد من الأبواب الدفاعية البحرية وقد شيد بعد الأحداث التاريخية المتعلقة باحتلال الاسبان لمدينة سلا سنة 658 ه/ 1260 م، وقد انشأ هذا الباب محمد بن عبد الله بن الحاج الاشبيلي لمزيد من الاطلاع ينظر:

-EL omari Rachid… opcit pp 70-73.

(2) -joudia, Hassar, op cit, pp 121-123.

(3)- رشيد السولامي، المرجع السابق، ص72.

(4) -ELomari Rachid… op cit, pp 82-83.

(5) – ibid p 83.

وقد اتخذ هذا الباب الشكل البسيط في التخطيط فهو عبارة عن مدخل مباشر غير ملوي وغير مرفقي، وتنحصر فتحته الرئيسية بين عقدين متتالين فوقهما قبو نصف اسطواني يؤدي إلى قاعة أولى فوقها نصف اسطواني متقاطع ثم قاعة ثانية على نفس المحور تغطيها قبة قائمة على مقرنصات إلى جانب قاعة ثالثة مكشوفة إلى يسار الداخل تمتد بطول القاعتين المتتابعتين.

وتؤدي هذه القاعة إلى داخل المدينة ويصل ارتفاع هذا الباب حوالي 6 م وعرضه حوالي 05 م، ويكتنف فتحة الباب من الخارج على الجانب الأيمن برج أصم أما كسوة الباب فهي من الحجارة المصقولة إن عمارة هذا الباب قد تأثر إلى حد كبير بالأبواب الموحدية خاصة باب الأحد من حيث التصميم العام، أو استخدام العقد المفصص أو في رسم الورقة النخيلية البسيطة.

ب- باب فاس (الخميس): (أنظر مخطط رقم 10)

سمي بباب فاس لأن المتوجهين إلى مدينة فاس كانوا يخرجون منه كما عرف بباب الخميس نسبة إلى سوق الماشية الذي كان يقام بالقرب من موضع الباب خارج السور كل يوم خميس[1]. ويقع هذا الباب في السور الشرقي للمدينة، وقد كان هذا الباب المدخل الوحيد للمدينة من هذه الجهة قبل أن يغلق نهائيا سنة 1991[2].

ويغدوا معلمه سلاوية تستقر قربها مدفعين حربيين، ويستخدم حاليا معرضا للفنون وقد فتحت بجانب هذا الباب بمسافة 8 م بوابة صغيرة فرعية مجاورة له. وقد تعرض هذا الباب للتجديد في العهد العريني والعلوي[3]. وعلى الرغم من أن هذا الباب لا يحمل كتابات تسجيلية تشير إلى تاريخ تجديده إلا أنه يمكن من خلال فحص وتحليل التكوينات المعمارية- تخطيط عمارة ومقارنتها بمثيلتها على العمارة الموحدية والعرينية، مع الأخذ في الاعتبار ما ورد في

(1)- عبد العزيز بنعبد الله، سلا ... المرجع السابق، ج1، ص51.

(2) -Benslimane. Hassar, J. op.cit , P102.

(3) -EL. Omari Rachid, op.cit, p80.

المصادر التاريخية يمكن تأريخه إلى العهد الموحدي وأنه جدد في فترات لاحقة دون المساس بتخطيطه الهندسي.

وعلى العموم فإن باب فاس ذو مدخل بارز يحيط بفتحته الرئيسية برجين مربعين، وتبلغ مساحته حوالي 19 م وعرضه 12 م أما ارتفاعه فيصل إلى 4.50 م، أما قوس الفتحة فهو عبارة عن عقد متجاوز منكسر أو منفوخ يشبه فتحة باب الواديا برباط الفتح.

وقد شيد الباب من الأحجار الكبيرة غير المشذبة ويفتح على ردهة تنتهي ببرجين وغرفة مقبية للمراقبة تم استخدامها في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان سنة 1276 ه/ 1859م.

كما نلاحظ خلو الباب من العناصر الزخرفية والكتابية والتي كانت على الأغلب موجودة لكنها طمست أثناء التجديدات التي لحقت بالباب.

3- مدينة فاس[1]

أ- الموقع الجغرافي: : (أنظر خريطة رقم10)

تقع مدينة فاس في الجهة الوسطى من المغرب الأقصى، وتبعد عن رباط الفتح بحوالي 320 كلم، وترتفع على مستوى سطح البحر 383.7 م[2].

لا شك أن الموقع المتوسط في المجال الواسع والمتنوع من حيث شكله التضاريسي وبنيته الجيولوجيا، قد ساهم في تنمية هذه المدينة وزيادة حجم علاقتها الاقتصادية سواء داخل المغرب الموحدي أو خارجه. وقد افاض صاحب روض القرطاس القول في فوائد هذا الموقع الذي جمع

---

(1)- اختلف في السبب الذي سميت من أجله، فقيل أن ادريس لما شرع في بنائها كان يعمل فيها بيده مع الصناع والفعلة والبنائين فصنع له بعض خدمته فاسا من ذهب وفضة، فكثر عند ذلك ذكر الفاس على ألسنتهم في طول مدة البناء، فسميت مدينة فاس لأجل ذلك، ويقال أن ادريس لما شرع في حفر أساسها في جهة القبلة وجد في الحفير فأس كبير فسميت المدينة به، وقيل لما شرع في بنائها قال له خاصته أيها الأمير كيف نسميها؟ قال سموها باسم أول رجل يطلع عليكم فمر بهم رجل فسألوه عن اسمه وكان الثغ وقال اسمى فارس فأسقط الراء من لفظه لأجل اللثغة فسموها فاس، وقيل أن ادريس سماها باسم المدينة التي كانت قبلها في موضعها اسمها مدينة ساف. ولكن اقلبوا اسمها وسموها فاس

لمزيد من الاطلاع: ينظر: ابن ابي زرع المصدر السابق، ص45.

(2)- عبد العزيز بنعبد الله، المرجع السابق، ج2، ص، 226-227.

"... بين عذوبة الماء واعتدال الهواء وطيب المدرة وحسن الثمرة، وسعة المحرث وعظيم بركته، وقرب المحطب وكثرة عوده وشجره..." [1]، بالإضافة إلى معدن الملح المجاور، وينبغي كذلك أن نأخذ بعين الاعتبار مواد البناء التي توفرها تربة فاس بسخاء بما فيها الطوب وأحجار الجير والطين والجبس، كل ذلك موجود في حدور وادي ادريس ذاتها أو على بعد قريب منها.

كما تحظى فاس بموقع استراتيجي مهم باعتبارهما ملتقى للطرق التجارية بين الشرق والغرب فهي واقعة في ممر لابد منه لمن يريد الذهاب من السهول الأطلسية إلى وادي ملوية العليا ونواحي المغرب الأوسط إذ لا يوجد إلا مسلك واحد هو ممر تازة الذي ينساب بين كتلة جبال الريف وكتلة الأطلس المتوسط وليس بين تازة وفاس إلا طريق سهلة واحدة هي وادي ايناون أحد روافد نهر سبو[2]، وفيما وراء فاس إلى جهة الغرب يشكل سهل سايس منطقة أخرى للمرور الإجباري تقريبا نحو الساحل الأطلسي بين الأطلس المتوسط. وجبال ما قبل الريف (زرهون ومرتفعات لمطة) وهاتان الشقتان للمر الكبير بين الشرق والغرب. أي سهل سايس ووادي ايناون. يفصلهما خندق سبو الذي لا يسهل اجتيازه أكثر إلا على مستوى فاس، إذ تفصله نحو الشرق عن وادي ايناون عتبة واحدة قليلة الارتفاع، فيجتا زونه في ثنية عنق الجمل[3] الواقع بالضبط شرقي وادي فاس وفي امتداده فتقع فاس إذن في نقطة التقاء سهلة جدا إن لم تكن اجبارية، وفي مكان من هذا الممر يمكن مراقبته منه بسهولة أكثر.

إن الأمر لا يتعلق بمدينة عادية، بل بمركز استراتيجي مهم يتحكم بواسطته في مناطق شاسعة من الشمال والغرب والشرق، ولهذا أدرك الخليفة عبد المؤمن بن علي ان مدينة فاس من المواقع الحصينة والمعاقل المهمة التي تمثل قاعدة لانطلاق القوات المرابطية في حربها ضد الموحدين،

---

[1]- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص43-44.

لمزيد من الاطلاع ينظر: مؤلف مجهول: الاستبصار المصدر السابق، ج2 ، ص180-181.

[2]- سبو: من أشهر أنهار بلاد المغرب يمر على مدينة فاس، منبعه من جبل بني وارتين ورأس العين في شعراء: ينظر: الحميري: المصدر السابق، ص354.

[3]- روجي لوطورنو: فاس قبل الحماية ج1، ترجمة إلى العربية محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان ، 1992، ص173-174.

لذا عمل على السيطرة عليها واتخاذها قاعدة تنطلق منها جيوشه للدفاع أو الهجوم، كما عمد الخلفاء من بعده من جعل مدينة فاس، إحدى قواعدهم الرئيسية للعمليات العسكرية فاضطروا إلى إعادة بناء ما حطموه، وعرفت فاس تحت حكم الموحدين فترة طويلة من الازدهار لم تعترضها سوى مجاعة قاسية مصحوبة بالفتن بين 1224 م و1232 م[1]. عندما اقتربت الدولة من نهايتها ويشهد لهذا الازدهار النص الآتي للجغرافي "... وبمدينة فاس ضياع ومعايش ومبان سامية ودور وقصور، ولأهلها اهتمام بحوائجهم ومبانيهم وجميع آلاتهم، ونعمها كثيرة والحنطة بها رخيصة الأسعار جدا..." [2] ويؤيد هذا الوصف الجزنائي حيث يقول "... أن المشرف علي بن عمر الأوسي ذكر أنه هو نفسه، نقلها من خط مشرف مدينة فاس، في أيام المنصور وولده محمد الناصر حيث ذكر لنا بالأرقام حول النشاط الاقتصادي القوي والمزدهر..."[3].

وفي الوقت الذي تعكس فيه مباني فاس الموحدية سواء الدينية أو المدنية أو حتى التجارية المتعددة تاريخا شعا ومزدهرا. حيث تطورت برحابها العلوم[4]، وحفلت أسواقها بالبيع والشراء، وحج إليها التجار من كل حدب وصوب[5].

---

[1]–Heniri terrasse : Histoire du Maroc des origintnes à l'etbi ssement du protectoret francais case blance, rabat, 1949 ; p62.

[2]– الادريسي: المصدر السابق، ص75-76.

[3]– علي الجزنائي: جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط 1911، ص43-45.

[4]– شهدت مدينة فاس هجرات كثيرة من مختلف المدن المغربية وكان أغلب هذه الهجرات من أجل طلب العلم بالمدينة حيث صارت فاس نجما يتألق بما فيها من تيارات ثقافية وبما يموج بداخلها من حركة علمية دفع عبد الواحد المراكشي أن يصفها بأنها حاضرة المغرب وموضع العلم منه في العهد الموحدي. أنظر ص: 443.

[5]– أصبحت أسواق مدينة فاس في العهد الموحدي مقصدا للقوافل والتجار من مختلف الأقطار فارتبطت بعلاقات تجارية مع الأندلس التي توافد تجارها للاحتراف بالتجارة في هذه المدينة، حيث كان يتم تصدير الأقمشة والألبسة الصوفية وأيضا الزيتون والزعفران... ونشطت أيضا الحركة التجارية بين فاس وبلاد السودان. جنوب الصحراء- حيث كان يتم استراد الذهب والرقيق من بلاد السودان، في حين يتم تصدير الثياب الحريرية والمنسوجات والقمح وأدوات الزينة، كما ارتبطت فاس بعلاقاتها التجارية مع بلاد المشرق لمزيد من الاطلاع ينظر: عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، القاهرة 1983، ص16 وما بعدها.

فإن مبنايها العسكرية الكثيرة، تعكس بالمقابل الأوقات العصبية التي مرت بها من حصارات وحروب خاصة أثناء بداية أفور الدولة الموحدية وما صاحبه من ثورات بين خلفاء البيت الموحدي، فأصبحت فاس تبدوا بعدد تحصيناتها الكبير هذا بمثابة قاعدة عسكرية مؤهبة في كل وقت للحروب، ويعزي ذلك ربما إلى أن هذه الحياة المزدهرة كانت محط أطماع القبائل من حولها. فكانت تحصن نفسها أكثر فأكثر، كما أن أهل هذه المدينة الذين استطاعوا أن يصنعوا لها إسما كبيرا يضرب له المثل في العديد من الميادين وجعلوا منها قطبا مهما يستدرج إليه الناس من كل المناطق، هذه الأسوار والأبراج والأبواب والقصبات كان من ضمن أهدافه أيضا مراقبة أهل فاس وإحكام السيطرة عليهم.

ب- تحصيناتها :

لقد حرص الخلفاء الموحدين بعد عبد المؤمن بن علي، على تحصين مدينة فاس، وجعلها بمنآى عن الفتن والقلاقل، فقد كانت السيطرة على المدينة، والتمكن من استخلاص بيعة أهلها، يعدان مؤشرين مهمين للخلفاء على تمكنهم من حكم المغرب الإسلامي، لقد كان للخلفاء الموحدين وعلى الأخص محمد الناصر دور كبير في تحصين مدينة فاس، إما ببناء تحصينات جديدة متمثلة في الأسوار والأبواب والأبراج والقصبات، أو اصلاح ما كان موجودا بها أو تدعيمه. إن نظام مدينة فاس الدفاعي الذي خلفه الموحدون من حيث التصميم ومواد البناء وتقنياته هو نظام معقد جدا كان الهدف منه بالأساس إلى جعل المدنية حصنا منيعا ضد المعتدين مهما كانت درجة قوتهم، بالإضافة إلى جعلها إحدى قواعدهم الرئيسية للعمليات العسكرية.
تجدر الإشارة أنه لم يكن من السهل اطلاقا إعادة تصور شكل كل البيانات العسكرية التي عرفتها مدينة فاس ومكان بنائها بالتحديد في ظل المعطيات النصية والميدانية التي تتوفر عليها فبالإضافة إلى النقص الكبير فيما يخص الإشارات المتعلقة بالموضوع في النصوص التاريخية فإن تعرضها للهدم والتدمير المستمر بسبب الحروب والحصارات الكثيرة جعل العديد منها عرضة للاندراس، زد على ذلك عمليات الإصلاح المتعددة التي عرفتها الأسوار الموحدية وأبوابها،

خصوصا وأن مواد بناء هذا النوع من العمارة وتقنياته لم تكن تختلف بالضرورة باختلاف الدول. وهنا يجب الإشارة إلى اعتمادنا على الباحث والمتخصص في مجال الآثار منير أقصبي خاصة وأنه شارك في تأطير عملية ترميم أسوار فاس وأبوابها من سنة 2007 إلى 2011.

حيث تمكنا بفضله من تتبع على ما تبقى من آثار السور الموحدي وأبواب المدينة وقصبتها كما تمكنا من فهم وتمييز العناصر المعمارية الأصلية والعناصر الحديثة المضافة إليها.

وفيما يلي سنتطرق لأهم التحصينات العسكرية بمدينة فاس:

1. الأسوار: : (أنظر مخطط رقم 11)

إن تفحص المصادر والمراجع التاريخية حول مدينة فاس يسمح بتسطير مرحلتين مر بها حزام الأسوار في العهد الموحدي.

- **المرحلة الأولى:** وتتميز باستغناء عبد المؤمن بن علي عن الأسوار لأنه كان على ثقة كبيرة بقوة جيشه الذي لا يقهر حيث أمر في بداية حكمه بهدم الأسوار المرابطية بفاس، وقد أمدنا ابن زرع بتفاصيل تلك الأحداث حيث يقول"...وفي سنة أربعين وخمسمئة فتح عبد المؤمن مدينة فاس بعد الحصار الشديد، وقطع عنها النهر الداخل إليها بالألواح والخشب والبناء حتى انحصر الماء فوقها في الوطا. فوصل إلى مركزه......

تم خرقه فهبط الماء عليهم دفعة واحدة، فهدم سورها وهدم من دورهما ما يزيد على الفي دار... فدخل عبد المؤمن مدينة فاس .... وأمر بالسور فهدم فيه ثلمات كثيرة ومسافات وقال أنا لا نحتاج إلى سور، وإنما الأسوار سيوفنا وعدلنا..." [1].

وهذا ما يؤكده البيذق الذي قال"... وأمر الخليفة – عبد المؤمن- بقطع الشجر... وأخذوا الررب وجمعوه وقطع به الوادي، ورده الخليفة إلى السور وهدم باب السلسلة ثم نزل الوادي... وكان استفتاح فاس عام أربعين وخمسمئة وقد مكثنا عليها تسعة أشهر..."[2] و لم

[1]- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص189.

[2]- البيذق: المصدر السابق، ص66-63.



يكتف عبد المؤمن بتهديم الأسوار، بل أمر كذلك بتخريب قصبة المرابطين وقد بقيت مدينة فاس بدون أسوار حتى عهد الخليفة يعقوب المنصور وابنه محمد الناصر.

- **المرحلة الثانية:** وتتميز هذه المرحلة بإعادة بناء ما هدم سابقا وهذا تحت حكم الخليفة محمد الناصر: يقول ابن أبي زرع: "....وخرج – محمد الناصر- في أول جمادا الأولى من سنته خمس وتسعين المذكورة قاصدا إلى مدينة فاس. فأقام بها وبنا قصبتها وأسوارها إلى سنة ثمانية وتسعين..." [1].

يستفاد من هذا النص أن تاريخ ابتداء بناء أسوار فاس قد تم منذ سنة 595 ه- 1198م. وأن المدة التي استغرقت في البناء تمثلت في ثلاث سنوات أي إلى غاية 598 ه/ 1202م.

أما صاحب الذخيرة السنية فإنه يورد لنا عكس هذا بحيث يحدد الانتهاء من بناء سور مدينة فاس إلى سنة 600 ه- 1204 م، حيث يقول"... أول حدث بالمغرب في أول عام ستمئة قيام العبيدي بجبال ورغة... وكان حرقه في اليوم الذي تم فيه سور المدينة – فاس – بالتجديد والبناء والإصلاح.." [2].

ولقد انساق منير أقصبي وراء ما ورد في هذا المصدر حيث اعتبر أن الانتهاء من بناء أسوار فاس تم في سنة 600 ه في عهد محمد الناصر.

ونحن نرجح أن انتهاء من بناء أسوار فاس قد تم في سنة 598 ه. كما أشار ابن زرع. ومما يدعم رأينا أن محمد الناصر قد خصص كل سنة 600 ه/ 1204 م لتجهيز الحملة التي هدف من خلالها استعادة افريقية، حيث دامت تلك الحملة من 601 ه إلى غاية 603 ه

---

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص231-232.

[2]- مؤلف مجهول: الذخيرة السنية...المصدر السابق...، ص38.

(1207 م) [1]. ومن جهة أخرى يستحيل الإنتهاء من بناء السور وبناء الباب وتركيب مصارعة في نفس اليوم.

- **وصف السور: (أنظر صورة رقم 20)**

بالرغم من إعادة بناء العديد من مكونات حزام أسوار فاس خصوصا على العهد العلوي إلا أنه استطاع أن يحافظ على مساره الأصلي، الذي كان يشكل الحدود الحضرية لمدينة فاس البالي إلا أنه فقد أجزاء عديدة منه خصوصا مع بداية عملية تعبيد بعض الطرق بضواحي المجال العتيق لفاس البالي ابتداءً من خمسينات القرن الماضي، بما في ذلك الأبواب[2]، كما استحدث فيه الكثير من المداخل الجديدة، ويمكننا تقسيم هذا الحزام الذي يتعدى 14 كلم إلى عدة مقاطع:

1- ويمتد هذا المقطع من باب المحروق- باب الشريعة سابقا- إلى باب الجيسة، ويضم هذا المقطع عدة شواهد من السور الموحدي خصوصا من الناحية اليمنى لباب المحروق، حيث لم يفقد شيئا من مكوناته، ويترل السور انطلاقا من باب المحروق يمينا في اتجاه عين إزليتن على نمط واحد.

يبلغ علوه 8.50 م، وتعلوه شرفات ذات شكل هرمي، ويشكل السور الحد الشمالي لقصبة فيلالة العلوية[3]، وتتوزع على هذا السور 5 أبراج. بتصميم محرودي وتفصل المسافة بين

---

[1]- تعتبر هذه الحملة التي قام بها الناصر إلى افريقية كانت من أجل تأديب العرب وحلفائهم بني غانية والتي دامت ثلاث سنوات. لمزيد من الاطلاع ينظر: أحمد عزاوي: المرجع السابق، ج2، رسالة رقم 55، ص144-147.

[2]- منير أقصبي: المرجع السابق، ص 121.

[3]- تعتبر قصبة فيلالة أو قصبة الأنوار هي أول قصبة بناها المولى الرشيد بفاس سنة 1668/1080 م. غرب فاس البالي بجوار باب المحروق في مكان يدعى عرصة- ابن صالح- وقد بنيت لايواء النازحين على المولى الرشيد بفاس من العرب والبربر، وقد اتخذت شكلا مثلثا و لم يبق منها سوى بعض العناصر كالسور المطل على ساحة بوجلود وبابها ببرجيه الكبيرين والمعروف بباب الشرفا ومسجدها الكبير لمزيد من الاطلاع حول هذه القصبة ينظر:

-Boressolette (h) et Delaroziére (j) « Fés-jdid de sa fondation en 1276 au milieu du XX éme siécle », in Hesperis Tamuda, XX-XXI, 1982-1983. PP 245-285.

البرج والآخر حوالي 40 م، بعد ذلك يتقطع هذا السور عند منطقة عين إزليتن[1] على إثر تهيئة منفد للسيارات واعدادية في تسعينيات القرن الماضي من وسطه[2].

ثم يأخذ مساره في اتجاه باب الجيسة في منطقة وعرة تتميز بوجود صخور كثيرة أستعملت في الأصل كقاعدة لبنائه ويوجد هذا الجزء في حالة متدهورة، وقد فقد أجزاء كثيرة مثل الشرفات التي كانت تعلوه، ولهذا السبب نجد أن علوه يختلف من مكان لآخر، كما أن أبراجه هي عبارة على اطلال، وعندما يقترب هذا السور من باب الجيسة يسلك منحدرا ويطل من الخارج على مقابر عديدة يطلق عليها اسم سيدي علي المزالي، وقد لاحظنا في هذا الجزء وجود إضافات جديدة، تمت ازالتها مؤخرا أثناء ترميمه[3]، فأصبح يظهر من الأعلى على شكل سلم منحدر ينطلق من برج الكوكب المريني[4] حتى باب الجبيسة.

كما نلاحظ من داخله ممر الجند الأصلي والذي يصل سمك طابيته إلى حوالي 02 م، وينتهي هذا السور المنحدر عند باب الجيسة، وقد بني هذا السور بطابية صلبة غنية بالجير، وبسمك يتراوح ما بين 02 م و2.30 م وتظهر في هذا السور سلسلة من الثقب الأفقية التي كانت تحوي الأخشاب الضرورية لتثبيت الطابية أثناء بنائه.

---

(1)- عين أزليتن أو ازليطن: هو اسم موقع من أصل بربري راجع: ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص45.

(2)- حسب كلام منير اقصبي

(3)- منير أقصبي، المرجع السابق، ص126.

ينظر كذلك:

Barrucard (m), « Remarques sur l'arehitecture militaire au Maroc » in Revne des etudes islamiques, 1980. PP 170-171.

(4)- هو برج كان يوجد بأعلا ارتفاع للسور بعدوة القرويين وبه يوجد الآن ضريح سيدي علي المزالي وقد بناه السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق سنة 681 ه، وقد استغنى عن هذا البرج فيما بعد عندما انشأ السلطان أحمد المنصور الذهبي أشهر سلاطين الدولة السعدية البرج العظيم المعروف ببستيون باب المحروق وقد سموه الفرنسيون أيام احتلالهم لفاس البرج الشمالي أو برج النور لمزيد من الاطلاع ينظر: علي الجزنائي: المصدر السباق، ص109.

2- ويمتد هذا المقطع من باب الجيسة إلى باب سيدي بوجيدة[1] ويشهد هذا الجزء حالة مزرية جدا، وهو معرض للسقوط في أي لحظة. يتقطع هذا السور على بعد 50 م تقريبا من على يمين باب الجيسة، وقد أخذ مكانه سور آخر جديد يبرز عن مسار السور الأصلي، ثم يظهر هذا الأخير من جديد ليسير بشكل منحدر ومنعرج، ويتخلل هذا السور على بعد كل 40 م برج ذو شكل مستطيل، وتعلوه في بعض النقاط شرفات ذات شكل مستطيل، ويبلغ ارتفاع هذا السور حوالي 7.50 م، كما أنه لا يتوفر إلا على أجزاء صغيرة من ممر الجند، وتعثر بعد ذلك على بقايا من هذا السور مختفية داخل بعض الحدائق الخاصة في حالة متدهورة، وعندما يقترب هذا السور من حي البليدة يتغير شكله ليصل سمكه حوالي 2.10 م لكنه يتقطع عند مدخل السيارات الجديد الذي تمت تهيئته مؤخرا والمعروف بالحبيل[2].

ثم يختفي بعدما إندثر معظمه على أثر بناء حي سيدي بوجيدة الجديد ابتداء من ستينات القرن الماضي[3] ولم يعد هذا الجزء من السور مرتبطا من الناحية الأخرى بباب- سيدي بوجيدة- بل أضحى منعزلا تماما عنه، وقد بني هذا السور بنفس التقنية وهي الطابية الصلبة الغنية بالجير الذي يتراوح سمكها ما بين 02 م و02.20 م.

3- ويمتد هذا الجزء من باب سيدي بوجيدة إلى باب الفتوح وينقسم إلى قسمين، فالقسم الأول يمتد من باب سيدي بوجيدة إلى منطقة – ميزان باب الخوخة- وقد اندثر تقريبا بأكمله، وعوض في نقاط مختلفة بأسوار حديثة مبنية بالحجر والاسمنت المسلح، ولم يتبق من هذا السور

---

(1)- أبو جيدة ابن أحمد اليزغتني يقول ابن القاضي: ".... الدعاء عند قبره مستجاب وله نفع الله به كرامات وتوفي في العشر الأوسط من ذي الحجة سنة 595 ه، ودفن خارج باب عجيسة" أنظر: ابن القاضي أحمد: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور الرباط 1974 ص137.

(2)- منير أقصبي، المرجع السابق، ص127.

(3)- cressier (p), « la fortification islamique au maroc éléments de biblio graphie » in Archeo logir islamique v5 ; 1995, pp 129-130.

ينظر كذلك: منير أقصبي: المرجع السابق، ص127.

إلا آثار قليلة عبارة عن ثلاثة مقاطع تتراوح ما بين 15 م و 30 م ويبلغ ارتفاعها حوالي 4.50 م وقد بني بطابية صلبة يبلغ سمكها حوالي 02 م، ولا يتوفر على عناصر معمارية أخرى.

أما القسم الثاني والذي يبتدأ من – ساحة الميزان- وينتهي عند باب الفتوح. ويتميز بانتظام بنائه من حيث تناسق شكله وتسلسل أبراجه بنفس المسافات أي بين البرج والآخر حوالي 40 م وقد بني هذا السور بالطالبية الصلبة ذات سمك حوالي 02 م ويفوق علوه 7.50 م في حين يبلغ عرض شرافاته ذات الشكل الهرمي 0.70 م وطولها 0.80 م أما أبراجه الثلاثة الأولى فقد بنيت على شكل مستطيل.

4- ويمتد هذا الجزء من باب الفتوح إلى باب الجديد ويعتبر هذا الجزء مهم جدا من الناحية الاثرية لأنه مازال يحتفظ بآثار السور الموحدي على مستوى الأساسات وبقايا من جهة باب الجديد، حيث نلاحظ بقايا صغيرة مهدمة من السور الذي كان يحمل قناة المياه وقد أعاد بناء هذا السور السلطان أبو يوسف يعقوب المريني بمناسبة بناء باب وبرج زيتون بن عطية سنة 681 ه/ 1282 م كما أنه رمم على عهد الغالب السعدي[1].

5- ويمتد هذا الجزء من باب الجديد إلى باب الحديد بحيث يسير انطلاقا من باب الجديد في مرتفع حاد مخترقا مجموعة من الحدائق و لم يتبق منه هنا سوى آثار قليلة ذات سمك يصل إلى 02 م، وهو مبني كذلك من الطابية الصلبة، مع العلم أن ارتفاعه لم يبق منه سوى 5.10 م كما أنه فقد أبراجه الدفاعية وممر الجند، وكذا معظم الشرفات التي كانت تزينه.

[1]- منير أقصبي: المرجع السابق، ص133.

ينظر كذلك:

-Berssollette (H) et Dalaroz iére (J), opcit , p274.

2. الأبراج:

انتشرت في السور الموحدي العديد من الأبراج سواء في مداخله أو بالتحامهما بالسور من أساساته إلى قمته، فبالرغم من اندثار معظم أبراج السور وما بقي من هذه الأبراج فيعيش في حالة مزرية آيلة للسقوط. وذلك راجع بطبيعة الحال إلى تهدم معظم السور الموحدي. وعلى كل فإن طريقة توزيع تلك الأبراج على السور كانت مركزة على الناحية المقابلة للمدينة أما المسافة بين البرج والآخر فتتراوح ما بين 40 م و45 م، وتختلف من حيث الشكل فهي على نوعين أبراج ذات شكل محرود، كما نلاحظ في السور الممتد من باب المحروق في اتجاه عين أزلتين حيث يبلغ عرضه 4 م وطوله حوالي 6 م، ويتواجد بهذا البرج صدع كبير يخترقه من الأعلى إلى الأسفل على مستوى جهته اليسرى وذلك بالرغم من صيانته مؤخرا وذلك باستخدام قطع صغيرة من الآجر التقليدي وبعض القطع الخشبية المعروفة بالمتانات[1].

أما من حيث التصميم الداخلي فهي على الأغلب تتكون من حجرة سفلية مقبية فتحت بها باب على داخل المدينة يصل بينها وبين مطافي الجند درج صاعد الذي بقيت بعض آثاره، أما عن طريقة بنائه فتمثلت في الطابية الصلبة، أما عن النوع الثاني فتمثل في الأبراج المستطيلة والموجودة في السور الممتد من باب الجيسة إلى باب سيدي بوجيدة فبالرغم من حالتهم المتردية إلا أنهم مازالوا يعطوا لنا فكرة عن الحجم الكبير الذي يبلغ حوالي 8 م ارتفاعا أما العرض فيصل إلى 5 م، كما نلاحظ توزعها على مستوى السور مسافة 45 م بين البرج والآخر وقد بنيت بالطابية الصلبة، أما عن تركيبها المعماري فإننا لم نستطع أخذ القياسات أو حتى وصفها داخليا وذلك راجع إلى إعادة بناء تلك الأبراج من طرف المرممون. من جديد سنة 2011، كما أخبرنا منير أقصبي.

(1)- قد ساهم منير أقصبي في تأطير عملية الترميم هذه خاصة سنة 2011.

3. المداخل :

كان اهتمام الموحدين بفاس يميل أكثر إلى تحصين الأبواب ودعم قدرتها الدفاعية أكثر من اهتمامهم بزخرفة واجهاتها، ومن أهم الأبواب التي بناها الموحدون خاصة في عهد محمد الناصر وبالضبط أثناء تكملته لأسوار فاس سنة 598 ه/1202 م نجد كل من باب الجيسة (عجبسية) وباب المحروق (الشريعة) في عدوة القرويين. هذا وقد بنيت بنفس المناسبة أبواب أخرى سواء في عدوة القرويين أو عدوة الأندلس.

أ. أبواب عدوة القرويين:

- **باب المحروق (باب الشريعة)**: يوجد هذا الباب في الجهة الشمالية الشرقية لسور فاس كان يطلق عليه في بادئ الأمر باب الشريعة، ليكون مكانا لإقامة تنفيذ العقوبات وإقامة الحدود شأنه في ذلك شأن باب الشريعة بمراكش وباب الشريعة في رباط تازة، ثم تغير اسمه إلى باب المحروق والسبب في ذلك يرجع إلى حرق جسد الثائر بجبال ورغة الذي يدعي العبيدي- محمد بن عبد الله يقول صاحب الذخيرة السنية: "... أول حدث حدث بالمغرب في أول عام ستمئة قيام العبيدي بجبال ورغة... وادعا أنه الفاطمي المهدي... فظفر به فقتل وحمل رأسه إلى الناصر... فعلق رأسه على باب الشريعة من أبوابها وأحرق جسده في وسط الباب... وتم الباب المذكور بالبناء وركبت مصارعه فسمي به باب المحروق لأجل حرق العبيدي في وسطه يوم تمامه..."[1].

أما عن سنة تأسيس هذا الباب فإنه تم بعد بناء السور أي بعد سنة 598 ه وتتفق النصوص التاريخية التي تحدثت عن هذا الباب على أن بناء هذا الباب تم في سنة 600 ه/ 1203 م[2].

---

[1]- مؤلف مجهول: الذخيرة .. المصدر السابق، ص38.

ينظر كذلك: السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص190-191.

[2]- من بين النصوص التاريخية التي تتحدث عن تاريخ انشاء هذا الباب: ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص254، مؤلف مجهول: الذخيرة ...، المصدر السابق، ص38، السلاوي ج1، ص291، علي الجزنائي، ص43.

وقد خضع هذا الباب شأنه في ذلك شأن الأبواب الموحدية فيما بعد إلى عدة عمليات اصلاح وترميم خصوصا على العهد العلوي. حيث كان آخر اصلاح له على عهد المولي سليمان العلوي في سنة 1205 ه/ 1792 م[1]. وبقي على ذلك الشكل حتى يومنا هذا وهو يخضع حاليا إلى ترميم (2014).

- **وصف الباب**: (**أنظر مخطط رقم 12**)

يقول الجزنائي: "... وباب الشريعة وهو باب يدخله الفارس بالعلم العالي، والرامح الطويل من غير أن يميل العلم ولا ينثني الرمح لارتفاعه..." [2]. من خلال هذا الوصف ومن خلال المعاينة الميدانية يتبين لنا أن هذا الباب من أكبر الأبواب الموحدية بفاس وأعقدها من الناحية الهندسية، كما أن غياب الجانب الزخرفي عنه يؤكد طابعه الحربي الصرف، فهو ذو تصميم مرفقي معقد[3]. تختفي مكوناته من خلف السور، ويلاحظ أن مدخله الخارجي مدعم من على يساره وعلى بعد 1.90م ببرج ذي شكل محرود يبلغ عرضه 2.80 م وطوله حوالي 5.30 م في حين لا يوجد البرج الذي يكتنفه على يمينه، وهو ما يطرح التساؤل الأثري: هل إكتفى المعماري ببرج واحد فقط؟ على اعتبار أن النصوص التاريخية لم تتحدث عن اندثار البرج الموجود على يمين الباب. ويشبه هذا الباب من حيث التخطيط والعمارة إلى حد بعيد أبواب رباط الفتح، بحيث يفتح هذا الباب على شكل قوس كامل الحزام متجاوز منكسر، رسم من فوقه إطار مستطيل خال من الزخرفة، ويؤدي إلى مدخل منعرج ينقسم إلى جزئين:

---

(1)-Eustache(A), ELBasra : « capitale idrisside et son port » in Hespéris, 1955, pp 119-120.

ينظر كذلك:

-Bellaire (M) « Description de la ville de Fés » in Archives marocaine XI ; 1907, p230.

(2)- علي الجزنائي: المصدر السابق، ص43.

(3)- يعتبر نظام المنعرجات بمجالات مفتوحة إلى السماء من التصميمات المعروفة في العمارة العسكرية الموحدية والتي تسمح بصد العدو الذي يريد أن يقتحم الأبواب بأعداد كبيرة من الجند لمزيد من الاطلاع ينظر:

-terrasse (H)l'art hispano-maurresque des origines jusqu 'au ;12 ème siecle, paris 1935, pp28-29.

- الجزء الأول هو عبارة عن ممر مباشر يحد من جنباته بمقاعد وتعلوه ثلاث قباب، أما الجزء الثاني فينعرج عن الأول يمينا ليشكل معه زاوية قائمة على السماء تبلغ مسافة كل واحد من اضلاعه 2.60 م، وقد استخدم هذا التصميم المرفقي لمنع الخصوم عند مهاجمتهم للباب من الدخول دفعة واحدة وكذلك من أجل صدهم من الفوق عند وصولهم المكان المنفتح على السماء[1].

ومن جهته الشمالية نشاهد غرفة مستطيلة الشكل مفتوحة كذلك يوجد فيها سلم يمكن من الولوج إلى البرج الخارجي، أما بالنسبة لمدخله من الداخل والذي يفضي لسوق السلالين فإنه يكرر نفس شكل قوس المنفذ الخارجي.

- **باب الجيسة:**

يقع هذا الباب في الشمال الشرقي للمدينة العتيقة مقابل جبل زالاغ ويطلق عليه أيضا باب الكيسة أو عجبيسة، وهو ما أخبرنا به ابن زرع في قوله:"... فلما كثر الناس بالمدينة واتسعت الأرباض بخارجها في أيام زناتة أدار عليها الأمير عجيسة بن المعز سورا، وضع فيه بابا فوق باب حصن سعدون المذكور وسماه باب عجيسة، كما فعل أخوه الفتوح في عدوة الأندلس..." [2].

ولما تولى محمد الناصر الحكم، وبعد أن أتم سور المدينة سنة 598 ه، أمر ببناء الباب وتغيير اسمه وفي هذا المقام يخبرنا صاحب القرطاس بقوله"... فلم يزل باب عجيسة على حاله بقية أيام زناتة وأيام لمتونة إلى أيام أمير المؤمنين محمد الناصر الموحدي حين أمر ببناء سور المدينة الذي كان هدمه جده عبد المؤمن عام أربعين وخمسمئة. فبنا فوق باب عجيسة بالقرب منه بابا

---

(1)- عثمان عثمان إسماعيل: المرجع السابق، ج3، ص136.
ينظر كذلك:

-Dernade (L) les portes de Fès France, 1922, pp96-97.

(2)- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص42.

كبيرا. وسماه باب عجيسة، وترك باب عجيسة على حاله، ثم أمر بتغير إسم الباب الذي بناه وترك اضافته إلى عجيسة وأسقط الناس العين وادخلوا الألف واللام عوضا منها فقالوا الجيسة..." [1].

وقد جدده السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 684 ه/ 1285 م بعد أن تهدم وتخرب أكثره مع مر السنين، لكنه ترك قوسه البراني لكونه كان في حالة جيدة. وهو ما أخبرنا به ابن زرع في قوله: "... ولم يزل باب الجيسة على ما بناه عليه إلى أن تهدم وتخرب أكثره بمر السنين عليه... فعرف أمير المؤمنين يعقوب بن عبد الحق... وهو ببلاد الأندلس فنفذ أمره الكريم من الجزيرة الخضراء ببناء الباب واصلاحه فجدد بأمره ما عدا القوس البراني فإنه وجد صحيحا فترك على حاله. وذلك في سنة أربع وثمانين وستمئة..." [2].

ثم تعرض بعد ذلك إلى الهدم والتخريب من طرف حمدون الروسي وزير السلطان العلوي مولاي عبد الله اثناء حصاره لمدينة فاس فقام السلطان مولاي سليمان بتجديده فيما بعد أي سنة 1205ه/1792 م[3].

لكنه احتفظ بطابعه الموحدي المتميز بالمدخل الملتوي أو المدخل ذي الزاوية القائمة الذي لا تغيب فعاليته الدفاعية عن المهتمين بالعمارة العسكرية الوسيطية.

– وصف الباب: : (أنظر مخطط رقم 13)

ينفتح هذا الباب عن طريق قوس منكسر متجاوز أو منفوخ ذو عرض يصل إلى 1.15م، ويعلوه قوس آخر متجاوز مفصص، حيث رسم الاثنان معا داخل مستطيل بارز بحوالي 1.50 م مصنوع من الآجر المملوء وقد زين ما بداخله بالآجر المتشابك ويغطيه طلاء

---

[1] -ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص42.

[2] -المصدر نفسه، ص42-43.

[3] - منير أقبصي: المرجع السابق، ص83.

أصفر وقد أضيف القرمود الأخضر الذي يعلوه سنة 1950 [1]. ويتوفر هذا الباب على ممر أول مكون من قسمين، بحيث يشكل القسم الأول مربعا تعلوه قبة، أما الثاني فهو مفتوح على السماء يضم من جانبيه بابين صغيرين: حيث يفضي الباب الأول إلى سلاليم السطح أما الباب الثاني فيصل إلى عرضة صغيرة تمتد على طول هذا الممر ثم يأتي ممر آخر مقبب يؤدي إلى فضاء مربع تحده أربعة أقواس على شكل حدوة الفرس، وبني في احدى جنباته مقعد يبلغ طوله 03 م ثم يأتي بعد ذلك ممر آخر مقبب يفضي يسارا إلى المدخل الآخر للباب حيث يشكل مرفقا مع الممر الأول.

- **باب الحديد:** [2]: **(أنظر مخطط رقم 14)**

يقع هذا الباب في الناحية الجنوبية الغربية لعدوة القرويين، وقد تم بناء هذا الباب بعد الانتهاء من بناء السور الجديد لمدينة فاس، واحتفظ الموحدون بهذا الاسم بعد اندثار الباب الادريسي و لم يستطع هذا الباب الحفاظ على طابعه الأصلي، حيث نراه اليوم وقد فقد العديد من عناصره المعمارية وقد أوضح لنا منير أقصبي أن سبب هشاشته يرجع إلى مرور السيارات من داخله خاصة بعد سنة 1952 وإلى يومنا هذا.

وقد صمم هذا الباب بشكل بسيط ومن دون عناصر زخرفية تذكر، بحيث نجد مدخل مقبب ومباشر يبلغ طوله حوالي 10.40 م، ويحد من واجهتيه الداخلية والخارجية بقوسين كاملي الحزام متجاوزيين بعرض 2.81 م وبإرتفاع 4 م، أما واجهته الخارجية فلم يتبق منها سوى افريز مكون من سبعة شرفات ذات شكل هرمي: كلها ترجع إلى خمسينات القرن الماضي.

---

[1]- حسب كلام منير أقبصي.

[2]- يقول ابن زرع "أن الإمام ادريس بعد أن أدار السور على عدوة القريين سنة (191ه/806 م) الذي ابتداه من رأس عقبة عين علوان ثم أجاز النهر أيضا بالسور إلى عدوة القرويين وطلع به النهر الكبير في أسفل القلعة إلى عيون إبن اللصاد إلى الجرف وصنع هناك بابا سماه باب الحديد..."، ص40.

- **باب الجديد: : (أنظر مخطط رقم15)**

يعتبر هذا الباب مستحدث أيام محمد الناصر، فلم يكن موجود على العهد الادريسي، وقد تم بنائه أثناء انشائه ممرا كبير للمياه من أجل تزويد عدوة الأندلس بالماء العذب المتواجد خارجها، وهو ما أخبرنا به ابن زرع في قوله:"... وهو الوادي الكبير الداخل من ناحية باب الجديد من أبواب عدوة القرويين، فيجري بين العدوتيين حتى يخرج من موضع يسما بالرملية قد صنع له هنالك في السور بابان عظيمان يخرج عليهما بشبابيك من خشب الأرز مزردة وثيقة يخرج منها الماء... فلعدوة القرويين في سورها الغربي باب الجديد..."[1].

وقد عرف كذلك بباب زيتون بن عطية في العهد المريني، وقد ذكره الجزنائي في حديثه عن بناء السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق لسور زيتون بن عطية الملاصق للباب الذي يحمل اسم الجديد، حيث يقول"...كما بنى مولانا أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق سور زيتون ابن عطية... وباب زيتون بن عطية..." [2].

وقد خضع هذا الباب شأنه في ذلك شأن الأبواب الموحدية فيما بعد إلى عدة عمليات اصلاح وترميم خاصة على يد عبد الله الناصر سنة 1044 ه/ 1605 م وكذلك في عهد المولى سليمان العلوي سنة 1205 ه/1792 م[3].وكان آخرها سنة 2014 م، وهو باب متوسط الحجم ذو معبر مباشر وبدون أبراج للحراسة، وجاء تصميمه البسيط عبارة عن مدخل مقبب يبلغ طوله 3.50 م، ويحد من جهته الداخلية والخارجية بقوسين كاملي الحزام ولا يحتوي عناصر زخرفية أما واجهته الداخلية فتحتوي يسارا على ساقية وسلم يفضي إلى ممر المياه

---

[1]-ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص42.

[2]- علي الجزنائي: المصدر السابق، ص43.

[3]-Brunner (E) , « Fès : la ville au antique portes » in lectures du foyer 25 september 1954, pp 5-10.

المنصوب من فوقه، وحسب منير أقصبي أن هذا النظام المائي التقليدي يرجع إلى العهد الموحدي.

ب. أبواب عدوة الأندلس: : (أنظر مخطط رقم 11)

- **باب الجزيين:**

يقع هذا الباب عن يمين الخارج من باب الفتوح وقد أنشئ هذا الباب على العهد الموحدي وبالضبط في عهد الخلفية محمد الناصر واصل كلمة الجيزة تعني الناحية والجهة المقابلة لك من الوادي[1]. وما زالت الكلمة مستعملة في العامية إلى اليوم.

لكن العامة تقلب جيمها فتقول (ديزة) كما نقول في كلمة جاز (داز)، وقد اطلق عليه ابتداء القرن 8 ه/ 14 م اسم باب الحمراء[2]. وقد اشتهر باب الجيزيين بمقبرته القديمة وببعض المقابر القريبة منها وقد أشار ابن زرع إلى ذلك بقوله "... وفي سنة ست وخمسين وستمئة في رجب منها مرض الأمير أبو بكر بمدينة فاس، فمات بها بعد أيام... ودفن بباب الجيزيين من أبواب عدوة الأندلس بإزاء قبر الشيخ الفقيه الصالح محمد الفشتالي تبركا به فإنه رحمه الله كان أوصا بذلك في حياته..." [3].

وقد شهد هذا الباب عدة ترميمات بدءا من السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني بمناسبة إعادة بنائه للسور الموجود بين باب الفتوح وباب زيتون بن عطية سنة 618 ه/1282 م. بعدما كان مغلقا أيام المجاعة التي عمت المدينة ما بين 619 ه/ 1220 م و637 ه/ 1239 م، حسب ما جاء في روض القرطاس[4].

---

[1]- عثمان عثمان إسماعيل : فاس وباديتها. مجلة كلية الأدب والعلوم الإنسانية بفاس، 1980-1981، ص19-20.

[2]- انظر التهميش الخاص بكتاب الأنيس، ص196.

[3]- المصدر نفسه، ص296.

[4]- نفسه، ص42-43.

كما قام بترميمه السلطان السعدي الغالب سنة 981 ه/ 1573 م [1]. ثم اهمل فيما بعد واندثر ولم يتبق منه اليوم سوى آثار قليلة، وهو يخضع حاليا من طرف الهيئة المختصة لترميمه وإعادة بناء الأجزاء المفقودة من هذا الباب وذلك بتعميق البحث في الأرشيف والصور القديمة لمعرفة شكله.

- **باب الفتوح: : (أنظر مخطط رقم 16)**

يعد هذا الباب من الأبواب الرئيسية بفاس، شيد في مرحلة عسيرة من تاريخ المدينة، تمثلت في الصراع المرير بين الأخوين. فتوح وعجيسة[2].- ابني دوناس بن حمامة المغراوي، ومنذ تشييده قام باب الفتوح بأدوار تاريخية ذات طابع عسكري واقتصادي وتواصلي، كخروج الجيوش المتجهة نحو المناطق الشرقية ودخولها وتجمعها بجواره، وإدخال وإخراج البضائع وقد قام الموحدون بإعادة بنائه. وذلك خلال عهد محمد الناصر.

وتعرض هذا الباب لتحول كبير خلال الفترة العلوية إذ أن السلطان مولاي سليمان أمر عام 1205 ه/1792 م[3]. بإعادة بنائه من جديد وأصبح بحجم باب المحروق وبذلك طمس شكله الهندسي، لأول الذي يرجع إلى العهد الموحدي.

- **باب الخوخة:**

يقع هذا الباب في الجهة الشرقية الوسطى، واسم الخوخة بالدارجة المغربية يعني الخشب السميك العظيم، وقد بناه ادريس الثاني[4]. ليفتح في السور منفذا للمسافرين من فاس إلى بلاد تلمسان، ثم شيد بابا شرقيا يعرف بباب الكنسية على امتداد السور بجهة بلاد قبيلة حرواوة (كرواوة)، ثم

---

(1)- منير أقصبي، المرجع السابق، ص86.

(2)- راجع ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص41-42.

(3)-Dernade (L), opcit, p100.

(4)- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص40.

هدمه الخلفية الموحدي عبد المؤمن بن علي سنة 540 ه. وأعاد بناءه حفيده محمد الناصر، سنة 601 ه وسماه باب الخوخة[1].

وقد أغلق في أيام يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 658 ه/1259 م بعدما أمر بنقل المرضى الجزامي من خارج هذا الباب إلى كهوف برج الكوكب[2]، وبقي كذلك إلى أن اندثر بحلول سنة 1953[3]. لأسباب تتعلق بمرور السيارات وحسب محمد اقصبي فإن اسمه يدل اليوم على كل الحي السكني الجديد الذي يوجد بين باب الفتوح وباب سيدي بوجيدة.

- **باب بني مسافر:**

حسب محمد أقصبي فإن هذا الباب أخذ مكان باب أبي سفيان الإدريسي على السور الموحدي، وقد استمر استعمال هذا الاسم حتى القرن 10 ه/ 16 م، وقد تعرض هذا الباب إلى الهدم أيام السلطان مولاي عبد الله العلوي قبل أن يعيد بناءه السلطان مولاي سليمان[4].وقد فقد دوره الحضاري باعتبار أنه يعد متصلا بأسوار المدينة التي تم تهديمها منذ سنة 1953 . وذلك لتسهيل مرور السيارات.

3 – القصبة الموحدية:

عمل محمد الناصر على تحويل فاس إلى قاعدة عسكرية كبيرة تنطلق منها عمليات حربية من أجل الزحف إلى الشرق نحو تازة وتلمسان، أو اخضاع قبائل الريف وجباله وكذلك للذهاب إلى إغاثة مسلمي اسبانيا، وهي نفس السياسية التي اتبعها جده الأول عبد المؤمن بن علي، ولهذا

---

[1]- يقول ابن أبي زرع: "...فصنع هناك بابا شرقيا (ادريس الأول)، يعرف بباب الكنسية ... فلم يزل الباب على ما بناه ادريس إلى أن هدمه عبد المؤمن بن علي... وذلك سنة أربعين وخمسمئة. فلم يزل الباب مهدوما إلى أن بناه الناصر بن المنصور... وذلك في سنة أحدا وستمئة وسماه باب الخوخة" ص40.

[2]- المصدر نفسه، ص43-44.

[3]-Bernade (L), opcit, p100.

[4]-Ibid, pp 100-101.

الغرض فقد أعاد بناء القصبة المرابطية وسماها قصبة الوادي وفي هذا الصدد يخبرنا الجزنائي بقوله:" ... وبقيت الأسوار كذلك إلى أن بدأ ببناء ما هدم يعقوب المنصور وكمله ولده محمد الناصر وبنى قصبة الوادي..." [(1)].

- **وصف القصبة:**

ليس من اليسير تقديم عناصر بناء القصبة الموحدية من ناحية تخطيطها وشكلها بسبب انعدام المعطيات المعمارية عليها في النصوص التاريخية وكذلك نظرا لاختفاء آثارها إلا أنه يمكن تحديد مكان بناء هذه القصبة في ساحة بوجلود الحالية أو كما تعرف في الوثائق الإدارية. بساحة البغدادي، أما فيما يخص شكلها فيقول تيراس، أنها ذات شكل مستطيل عرضها 30 م وطولها 200 م[(2)]. وقد كانت تتوفر على قصر استقر فيه الملك المريني يعقوب ابن عبد الحق بعدما دخل مدينة فاس بسنة 646 ه/ 1248 م[(3)]. وأضاف لها الموحدون ثالث أكبر مسجد في فاس بعد مسجدي القرويين والأندلس[(4)]، وبعد بناء فاس الجديد سنة 674 ه/1276 م تم التخلي عن هذه القصبة وأصبحت تذكر باسم القصبة القديمة، وقد استعمل قصرها منذ القرن 11 ه/ 17 م، كإقامة لحاكم المدينة وسجن الثور، كما جاء في وصف حسن الوزان لمدينة فاس[(5)]. وفي نهاية القرن 13 ه/19 م[(6)]. عمل مولاي الحسن على تحويل جزء كبير من هذه القصبة القديمة إلى حديقة كبيرة وقام ببناء سور كبير من ناحيتها الشمالية.

---

(1)- علي الجزنائي: المصدر السابق، ص43.

ينظر كذلك: ابن أبي زرع المصدر السابق، ص232.

(2)- Terrasse (H), « Linfluence de l'Afriqia sur l'architecture musulmane du Maroc avant les almohades », in revue africaine, III, Alger , 1938, pp 556-564.

(3)- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص293-294.

(4)- المصدر نفسه، ص46-47.

ينظر كذلك: مؤلف مجهول: الاستبصار: المصدر السابق، ج2، ص181.

(5)- حسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص248-249.

(6)- المصدر نفسه، ص249.

ولم يتبق في وقتنا الحالي من هذه القصبة سوى المسجد الموحدي وموزع المياه المرابطي الذي كان يزود القصبة والمدينة بالمياه، ومع الزحف العمراني الذي عرفته المدينة منذ نهاية القرن 13 ه/ 19 م، احتلت البنايات السكنية جزءا كبيرا من مكان القصبة الموحدية خصوصا من الناحية الجنوبية في حي البطاطحة.

4- مدينة مكناس[1].

أ-الموقع الجغرافي وأهميته الاستراتيجية: : (أنظر خريطة رقم 11)

تقع فلكيا على دائرة عرض 33.53 درجة شمال خط الاستواء وعلى خط طول 5.33 درجة غرب خط غرينيتش، أما جغرافيا فتقع في الجهة الشمالية الشرقية من المغرب، حيث تبعد عن الرباط العاصمة مسافة 140 كلم، وتحدها من الجهة الشمالية وزان وشفشاون، وطنجة وتطوان، وتحدها من الجهة الشرقية الناظور والحسيمة وفاس ووجدة وتحدها من الجهة الغربية القنيطرة والدار البيضاء والرباط وتحدها من الجهة الجنوبية بني ملال[2].

تتميز هذه المدينة بأنها واقعة عند ملتقى الطرق التجارية، مما خولها لتكون منطقة عبور واستقرار منذ عهد قديم، مما أكسبها أهمية كبيرة عند حكام المغرب المتعاقبين خاصة في الفترة المرابطية والموحدية. وفي هذا الصدد يخبرنا الادريسي الذي كتب جغرافيته حوالي 550 ه حيث سجل لنا أن مدينة مكناس استمرت على حالها دون أن يلحقها كبير تغيير، بحيث أنها تركت على وضعها المرابطي كقلعة كبرى يقول"... ومدينة مكناسة هي المسماة تاقررت وهي

---

(1)- جاء في روض القرطاس أنها سميت باسم مكناس البربري لما نزلها مع بنيه عند حلولهم بالمغرب واقطاعه لكل ابن من بنيه بقعة يعمرها مع ولده، انظر: ص544.

أما صاحب كتاب الاستبصار أنها سميت مكناسة الزيتون لكثرة أشجار الزيتون بها انظر: ج2، ص182.

(2)- لمزيد من التفاصيل حول جغرافية مكناس ينظر: عبد العزيز بنعبد الله، المرجع السابق، ج2، ص352-353..

الآن باقية على حلها لم يدركها كبير تغيير، وهي مدينة مرتفعة على الأرض يجري في شرقيها نهر صغير عليه ارجاء وتتصل بها عمارات وجنات وزروع..."[1].

أما في سنة 587 ه/ 1191م أي عهد الخليفة يعقوب المنصور فيذكر لنا مؤلف الاستبصار"... وهي مدينة جليلة فيها أسواق حفيلة وأحدث فيها الأمر العالي – يعقوب المنصور- بحائر عظيمه في نهاية من الاتساع ... وفيها اليوم تسع خطب... وهي من عز بلاد المغرب لها انظار واسعة وقرى عامرة، وعمائر متصلة تشقها الأنهار والمياه السائحة ... وتطحن عليها الأرحية، وتضم بها الحمامات..."[2].

وهو ما ذهب إليه صاحب الروض المعطار في كلامه فيقول"... وانشأ فيها بعض ملوك بني عبد المؤمن بحاير عظيمة في نهاية الاتساع وجلب ماء نهرها... انظارها واسعة وقراها عامرة وعمائرها متصلة..."[3].

يتضح من إفادات المادة المصدرية، أن هناك معرفة جزئية، لمراحل تطور البنية الحضرية لمدينة مكناس خصوصا على عهد يعقوب المنصور وابنه محمد الناصر، حيث تم الزيادة في الجامع الأعظم بالمدينة كما بني بمقربته دار الوضوء الشبيهة بفاس- دار الوضوء بجامع القرويين- كما زودت المدينة بالماء حيث جلب إليها من عين – تاكما- حيث كان يتوزع بين مرافق المدينة الدينية والاجتماعية، وقد كان مجرى هذه العين يقع في قناة خصوصية ومتسعة مبدؤها من السور القريبة من وادي أبي فكران- إلى أن تتصل بالمعدة المجاورة للجامع الكبير حذاء باب الجنائز من جهة باب عيسى، كما صارت المدينة تشتمل على ثلاث حمامات.

حيث يذكر لنا ابن غازي ضمن الملامح الحضارية لمدينة مكناس أيام الموحدين حيث يقول:"... وكانت في المدينة بداوة ثم تمدنت واكتسبت حضارة وزيد بعد الستمائة في جامعها الأكبر... وجلب اليها الماء على ستة أميال... بموضع يقال لها تاجيما. وأجرى الماء إلى الباب

[1]- الادريسي، المصدر السابق، ص77.

[2]- مؤلف مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ج1، ص188.

[3]- الحميري: المصدر السابق، ص544.

الجوفي من أبواب الجامع ويسمى بباب الحفاة... وبنيت قريبا من هذا الجامع دار الوضوء حفيلة ... وكان بهذه المدينة في أيام الموحدين ثلاث حمامات البالي والجديد والصغير... ثم تفاقم الأمر عند قيام بني مرين على الموحدين وأتت الفتنة على الجوائر المذكورة واندثرت ولم يبق منها إلا الصوامع والجدارات العتيقة..." [(1)].

ب- تحصيناتها

تمثل مدينة مكناس ومجالها يحمل بصمة قصبة الجيش، فموقعها وأسوارهما وأبوابها جعلها تضطلع بوظيفة عسكرية على امتداد حقب تاريخها، فقد اعتصمت على الموحدون مدة سبع سنين حسبما جاء عند صاحب الأنيس حيث يقول: "... وفي سنة خمس وأربعين فتح الموحدون مدينة مكناسة فدخلت عنوة بالسيف بعد حصار سبعة أعوام وقتل أكثر رجالها..." [(2)]. ومما يدل على مقاومة هذه المدينة للموحدين وذلك بقيادة الوالي المرابطي- يدر بن ولكوط من أواخر عام 540 ه إلى أول عام 545 ه، حسب ما جاء عن البيذق حيث يقول: "... فلما كان يوم الأحد برز الخليفة على مكناسة وكسر الحوائر كلها إلى تاكرارت..." [(3)]. ومن خلال كلام البيذق يتضح لنا جليا أن مدة الحصار دامت 04 سنوات ونصف خلافا لابن زرع، "كما يتبين لنا أن المدينة كانت محصنة بقلعة عرفت بتاكرارت أو تاجرارت عند ابن أبي زرع. وقد تعرضت إلى التخريب شأنها في ذلك شأن باقي المدن التي استعصت على الموحدين، ولا تعوزنا الشهادات الدالة على قولنا هذا فابن زرع في سياق حديثه عن فتح المدينة يؤكد الخراب الذي أصاب مكناسة حيث يقول: "... وفيها * سنة 545 ه* بنيت مكناسة تاجرارت المدينة وخرجت القديمة..." [(4)].

---

(1)- ابن غازي العثماني: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الطبعة الثانية، المطبعة الملكية الرباط 1988، ص10-12.

(2)- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص191.

(3)- البيذق، المصدر السابق، ص62.

(4)- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص263.

ان في غياب تصاميم لمساحة الأرض وغياب معطيات مفصلة عن القصبة الموحدية خاصة ضئالة البحث الأثري، وعدم دقة الأوصاف التي تمدنا بها المصادر التاريخية المتاحة، ناهيك عن كون معظم المنشآت باتت في عالم الدوارس، كلها عوامل لا تسمح بإعادة تصور دقيق للقصبة الموحدية، ومهما يكون سنحاول تتبع القصبة من خلال بعض بقايا الأسوار وأسماء الأبواب والأحياء.

1- القصبة الموحدية:

يذهب محمد المنوني أن القصبة من بناء محمد الناصر الموحدي عام 600 ه، حيث يقول "... ومن الواضح أن هذه التسمية تتوافق في شطرها الأخير مع اسم قصبة النوار المعروفة بفاس وهي من بناء الناصر الموحدي عام 600 ه وقد يكون هو نفسه الباني لقصبة مكناس ولدار الاشراف..." [1].

ونحن نستبعد كون القصبة تأسست سنة 600 ه من طرف محمد الناصر كما قال. محمد المنوني وذلك راجع إلى أولا: أن القصبة النوار- الأنوار[2]. والتي تسمى بقصبة فيلالة هي من تشييد العلوي- المولي الرشيد سنة 1080 ه/ 1668 م. كما أشرنا إليها سابقا في التهميش الخاص بالسور الموحدي بمدينة فاس ثانيا اغفال محمد المنوني لرواية ابن الزرع الذي يؤكد بناء القصبة سنة 545 ه/ 1150 م.

حيث يقول "... وفي سنة خمس وأربعين فتح الموحدون مدينة مكناسة... وفيها بنيت مكناسة تاجرارت المدينة الآن وخربت القديمة..." [3]. ومما يؤكد كلام ابن أبي زرع، صاحب كتاب الاستبصار الذي تكلم عن سنة 587 ه/ 1191 أي في عهد الخليفة يعقوب المنصور

---

[1]- محمد العنوني "التخطيط المعماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور" مجلة الثقافة المغربية العدد 07 السنة 1972، ص36.

[2]- سميت بقصبة الوادي، ينظر: الجزنائي المصدر السابق، ص43.

[3]- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص263.

ينظر كذلك: السلاوي: المصدر السابق، ج 1، ص146.

حين قال "... المدن منها تاقرارت وتفسيره المحلة وهو محدث البناء وهو مشرف على بطاح وبقاع مملوءة بفيضات وهذه المدينة عليها سور كبير وأبراج عظيمة... ونحن في سنة 587 ه/....."[1].وبهذا يمكن ترجيح بناء هذه القصبة الى عهد عبد المؤمن بن علي. وشهدت أزهى فترات الازدهار العمراني خاصة ابان فترة حكم الخليفة يعقوب المنصور، فقد شيدت بها البيانات ذات الطابع العسكري بالإضافة إلى بنايات أخرى.

- **وصف القصبة: (أنظر صورة رقم 21)**

إن ما تبقى حاليا من آثار هذه القصبة التي أخذت مكان القصبة المرابطية لا يكفي لإعادة تصور شكلها بدقة، حيث أن جزءا كبير منها استغله المرينيين لبناء زاوية باب المشاورين[2]. حيث لا يزال من اطلالها القوس العالي لبابها الخارجي عن يسار الداخل لدرب سيدي غريب، وكذا التخريب الذي لحقها في فترة انتقال الحكم من الموحدين الى المرينين وفي هذا المقام يقول ابن غازي "... وأتت الفتنة على الحوائر المذكورة كلها، ودثرت و لم يبق منها إلا الصوامع والجدارات العتيقة..." [3].ومن الطبيعي أن ينتقل سكان هذه الحوائر بعد خرابها إلى السكن بمكناسة الجديدة عند أواخر العهد الموحدي، فقد جاء في الذخيرة السنية "... وثم دخلت سنة سبع وخمسين وستمئة... وفيها بنا عمر بن أبي بكر قصبة مكناسة وبنالها الستارة الدائرة بالسور..." [4].

ويبدو أن قصبة تاكرارت أو تاجرارت الموحدية كانت تتخذ شكلا مربعا خصوصا إذا ما عرفنا أن بقايا سوريها الشمالي والشرقي يكونان زاوية قائمة وتمتد طولا من درب القرع إلى نهاية زنقة الأنوار وعرضا من السور الآنف الذكر حتى جامع سيدي غريب.

[1]- مؤلف مجهول: الاستبصار... المصدر السابق، ج2، ص177-178.

[2]- ابن غازي: المصدر السابق، ص14.

[3]- المصدر نفسه، ص12.

[4]- مؤلف مجهول: الذخيرة... المصدر السابق، ص89.

وقد بينت أسوار القصبة بطابية صلبة لونها أصفر غنية بالجير، وبسمك يتراوح ما بين 02 م و2.20 م وتوجد أجزاء هذه الأسوار في حالة متدهورة جدا حيث تتقطع في عدة نقاط ولذلك فإن علوها يبدوا مختلفا من نقطة لأخرى، حيث تتراوح بين 04 م و06 م أمتار.

كما أن هذه الأسوار لا تتوفر اليوم إلا على أطلال لبعض أبراجه وتتوفر القصبة على باب يسمى بالشلحية بباب ايمي أي يجمي ومعناه باب الدار أو باب القصبة[1]. ويقول ابن غازي في هذا الصدد: ".. وباب المشاوريين وبمقربته منه هو ايمي أي يجمي ودار الإشراف، وجامع الخطبة القديمة ويعرف لهذا العهد بجامع النجارين..." [2]. ويقع هذا الباب من خلال كلام ابن غازي أنه كان على مقربة من باب المشاوريين وبالضبط بشارع الحمامصية عند السور الذي يبتدئ خلف فندق المستضيء.

لقد عرف هذا الباب[3]. شأنه شأن مرافق القصبة إلى تغيرات جذرية في بنيتها من الداخل خاصة إبان فترة حكم السلطان المولى إسماعيل العلوي والذي قام بتشيد قصبة تيزمي[4]. حيث قام بتعديلات كبيرة على القصبة الموحدية وحتى على المدينة القديمة حيث زيدت في مساحتها وقد وصل طول الأسوار إلى 40 كلم[5].

---

[1]- هذه الإفادة حسب متخصص في اللهجة الشلحية

بنظر: محمد المنوني: المرجع السابق، ص52.

[2]- ابن غازي: المصدر السابق، ص11.

[3]- لمزيد من الاطلاع حول التغيرات التي لحقت بهذا الباب، وحتى أبواب المدينة القديمة ينظر إلى مقال:

-SALDIB (H) « les portes de Meknés » in Bulletin archéologique du comité des travaux historiques et scientifiques 1915, pp 242-268.

[4]- تأسست هذه القصبة من طرف السلطان مولاي إسماعيل العلوي سنة 1048 ه/ 1673 م، ويرجع أصل تسميتها إلى قبيلة يتزمي التي طردت من سجلماسة، ونقلت إلى الموضع الذي يحمل اسمها لمزيد من الاطلاع حول هذه القصبة

ينظر:

-BARRUCAND (M), « l'architecture de la kasba de Molayismail à Mekinés » in Bulletin archeologique du comité des travaux historiques et scientifique 1915, pp 128-142.

[5]- محمد المنوني، المرجع السابق، ص 46-47.

5- مدينة سبتة[1]. (أنظر خريطة رقم :12)

أ-الموقع الجغرافي وأهميته الاستراتيجية:

تقع فلكيا على دائرة عرض 35.53 درجة شمالا خط الاستواء وعلى خط طول 5.18 درجة غرب خط غرينيتش[2]، أما جغرافيا فهي تقع في أقصى الشمال الغربي للمغرب الأقصى، وتحتل موقعا استراتيجيا بالغ الأهمية، فهي تعد شبه جزيرة مطلة على حوض البحر الأبيض المتوسط، وعلى بوغاز جبل طارق يحيط بها الماء من الجهات الثلاث الشمالية والشرقية والجنوبية، ولا يفصلها عن السواحل الأندلسية سوى 21 كلم، وتبلغ مساحتها حوالي 28 كلم2 وطولها من الشرق إلى الغرب حوالي 1000 م ومن الشمال إلى الجنوب حوالي 1500 م. علما أن 20 كلم من مساحتها تشكل شريطا بحريا والباقي 08 كلم يمتد غربا عبر الشريط الأرضي المتصل بالحدود المغربية[3]، وفي هذا المقام يصف لنا الادريسي موقع سبتة فيقول "... ومدينة سبتة سمية بهذا الاسم لأنها جزيرة منقطعة والبحر يطيف بها من جميع جهاتها إلا من ناحية المغرب فإن البحر يكاد يلتقي بعضه ببعض ولا يبقى بينهما إلا أقل من رمية سهم..."[4].

---

(1)- قد اختلفت الروايات في أصل تسمية – سبتة هناك من ذهب إلى تسمية سبتة مشتقة من الكلمة الآتية septem التي تعني سبعة، لوجود سبعة جبال حول المدينة ينظر: الادريسي، المصدر السابق، ص167. كما يميل الإعتقاد أن للوجود الروماني بموريتانيا صلة باسمها، إذ أنهم دعوها septme trolés ومنه اشتق اسم septa وبالتالي اطلقت عليها المصادر العربية – سبتة- ويعود أول تعريف بالاسم إلى سنة 204 ق.م لمزيد من الاطلاع ينظر: محمد المعزوزي وجعفر بنعجيبة- سبتة ومليلة حتى لا تنسى شركة الهلال العربية للطباعة والنشر. ط1، الرباط، 1986، ص21.

(2)- Devis (jean) ; « routes de commerce et échanges Afrique occidentale en relation avec la Médilerranée XI^em . XV^en, siecles » Revue d'histoire economique et sociale 50, 1972, pp42-43.

(3)- أمين توفيق الطيبي، دراسات في تاريخ مدينة سبتة الإسلامية، طرابلس، 1989، ص16-17.

(4)- الادريسي، المصدر السابق ، ص167.

ينظر كذلك: الحميري: المصدر السابق، ص302-303.

لقد لعبت مدينة سبتة بفضل موقعها الجيو- استراتيجي الهام على مضيق جبل طارق، دورا محوريا خلال العصر الوسيط خاصة على العهد الموحدي، فالمدينة كانت بوابة المغرب نحو العالم الخارجي. فقد سمح لها موقعها الجغرافي المتميز أن تصبح أحدى المراكز الرئيسية في التجارة المتوسطية والمنفذ الأساسي للتجارة الخارجية، وقد كانت الهيمنة على هذه المدينة رهانا تتنافس من أجله القوى المسيحية – قشتالة أرغون جنوة – والقوى الإسلامية والمتمثلة في الدولة الموحدية[1]، كما أن المدينة ظلت على امتداد تاريخها الإسلامي ممر للفتح والجهاد في الأندلس حتى أنها كانت احدى المراكز العلمية المشعة الكبرى في تاريخ الثقافة الإسلامية لما أبدعه أعلامها من نتاج علمي ولما ساهموا به من معرفة غطت جميع الميادين[2].

إن الأهمية التي اكتسبتها سبتة في العهد الموحدي، لا يمكن اعزاؤها إلا لموقعها الاستراتيجي الذي جعل منها ثغرا منيعا وحصنا حصينا، ولهذا نرى عبد المؤمن بن علي يأمر سنة 557 ه بإنشاء الأساطيل الجهادية بهذا الثغر. وجعلها قاعدة للعمليات البحرية[3] وفي سنة 579 ه/ 1183 م وبعد أن اشتد عدوان البرتغال الذين عزوا وادي اشبيلية قر الخليفة يوسف بن عبد المؤمن توجيه أسطول سبتة بقيادة عبد الله بن جامع بعد أن أنظم إليه أسطول اشبيلية الذي كان يقوده أبو العباس الصقلي، حيث وصل عدد السفن بعد تجميعها في ميناء قادس إلى أربعين. حيث قتل من البرتغاليين حسب ابن صاحب الصلاة حوالي 1800 من رجال الأسطول، وغنم الموحدون ثلاثين سفينة بكل ما فيها من أسلحة وعتاد [4].

---

[1]- سالم عبد العزيز وأحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط، ج2، البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية. 1993، ص11-35.

[2]- لمزيد من الاطلاع حول اعلام سبتة ينظر: عبد العزيز بنعبد الله: سبتة ومليلة معقلان مغربيان أماميان على البحر الأبيض المتوسط (مقاومة وجهاد طوال خمسة قرون). مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1981، ص41-83.

[3]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص147.

[4]- نفس المصدر، ص155.

وبعد اعتلاء يعقوب المنصور الحكم وفي ظل التطورات التي عرفتها بجاية حيث احتلت من طرف بنوغانية، ارسل الخليفة بعض الطلبة إلى سبتة لمراقبة الأعمال الجارية في اعداد الأسطول المزمع مشاركته في الحملة، والذي حرص أن يتم تجهيزه في وقت قياسي. حيث وضع على رأس الأسطول الذي خرج من سبتة سنة 1185 م/ 580 ه. أمير البحر أبا محمد بن إسحاق بن جامع[1].

وفي عهد محمد الناصر وبالضبط سنة 598 ه/1202 م استعداد أسطول سبتة الموحدي ميروقة وكان يقوده السيد أبو العلاء ادريس بن يوسف[2].

لقد احتلت مدينة سبتة مكانا ممتازا في قلب الموحدين بحيث أهلها موقعها الجغرافي الممتاز ووقوعها على مرمى السهم من الشواطئ الأندلسية لأن تكون مرسى السفن ومحط الرجال ومقصد الرجال طوال المدة التي حكم فيها الموحدون شبه الجزيرة الايبيرية، إذ كان منها الصادر وإليها الوارد[3]، وعليها يجتاز المجتاز من احدى العدوتين إلى الأخرى سواءً كان خليفة يقود الجيوش للجهاد، أو سفير يسعى في إصلاح ذات البين وتوثيق عرى الوداد، أو تاجرا يحمل السلع طلب للربح والثراء.

إن موقع سبتة ساهم في انتشار ظاهرة التحصين التي خضعت لتطورات مختلفة منذ عهد يوسف بن عبد المؤمن، إذ عملوا على تأطير المدينة في الميادين الاقتصادية والمالية والبشرية

---

(1)- ابن عذاري، المصدر السابق، ص177.

(2)- أحمد عزاوي: المرجع السابق، ج2، الرسالة رقم 36، ص139.

(3)- كانت سبتة تلعب نقطة نهاية خط ملاحي وتجاري هام على خارطة المبادلات المتوسطة فالمدينة لم تكن فقط محطة السفن القادمة من اسبانيا، وانما كانت نهاية خط ملاحي وتجاري مثلث يربط بين جنوة وفرنسا واسبانيا. ونقطة انطلاق للرحلات التي تجوب الساحل الشمالي لافريقيا نحوالشرق، هذا الدور المضاعف لسبتة كمنفذ رئيسي على الواجهة المتوسطة لتسويق الإنتاج الداخلي للمغرب، وكنقطة نهاية وبداية طريق تجارية وملاحية متوسطية يفسر أهمية العلاقات التجارية للمدينة مع العالم المتوسطي لمزيد من الاطلاع حول التجارة الداخلية والخارجية لمدينة سبتة ينظر:

-Bartier (R.M.), « les rélations commerciales entre l'Europe et l'Afrique du nord et léquilibre mediteranéen du .XIIe au XIVe siécle », bulletin philolgique et historique du comité des travaux historiques et scientifique, 1953-1954, pp 120-170.

والعسكرية، وذلك عبر الولاة أو ممثليهم[1] الذين كانوا يتخذون من القصبات والأحياء المجاورة لها مقرا لسكناهم وجنودهم بحيث جعلت المدينة بفضل عملية التحصين والمتمثلة في القصبة والأسوار والخنادق كأنها في حالة استنفار دائم.

ب- تحصيناتها

لقد ظلت المدينة محتفظة بتحصيناتها الموروثة عن العهد السابق أي أثناء الحكم المرابطي، حيث نجد المصادر تتحدث عن تكريس جهود يوسف بن تاشيفس من أجل وضع حزام قوي على الميناء السفلي للمدينة على حد قول صاحب الحلل الموشيه "... ولما كان في سنة أربع وثمانين وأربعمائة تحرك يوسف بن تاشفين إلى سبتة... وأمر ببناء سور الميناء السفلي..." [2].

إلى حين وصول الموحدين إلى المدينة، بعدما ثار أهلها سنة 543 ه/1148 م برئاسة الفقيه القاضي عياض بن موسا اليحصبي، على الخليفة عبد المؤمن بن علي بعدما بايعوه ومكنوه من المدينة سنة 542 ه فقتلوا من بها من الموحدين[3]، ولذلك قرر الخليفة تهديم أسوار سبتة[4]، وهو قرار لا يمكن تفسير إلا من زاوية واحدة وهي معاقبة أهل سبتة نتيجة تمردهم وثورتهم على الحاكم الموحدي بالمدينة. كما تدخل ضمن الاستراتيجية التي نهجها عبد المؤمن بن علي والتي تستهدف تحطيم أسوار بعض المدن التي كانت تشكل أوكار الفتن والثورات كفاس وتلمسان ومكناس ووهران وغيرها من المدن، لكن بعدما ادركوا خطورة تواجد مدنهم معراة من حصونها في وقت كان فيه الصراع الإسلامي المسيحي قد بلغ اشده، ومع إقرار نفوذهم وتمكين سلطتهم

---

[1]- كانت الإدارة في عواصم الولايات تشبه إلى حد كبير في عناصرها الإدارة المركزية، إذ كان على رأسها الوالي وهو غالبا أحد السادة من بني عبد المؤمن ومساعدوه هم. الطلبة- والحفاظ والقضاة والأمناء، حسب رسالة من عبد المؤمن إلى أهل سبتة وعلى الخصوص الحافظ والقاضي والعامل ومن المساعدين الأقربين للوالي كاتبه الخاص، لمزيد من الاطلاع ينظر: أحمد العزوي، المرجع السابق، ج2، الرسالة رقم 14، ص226-228.

[2]- مؤلف مجهول: الحلل .... المصدر السابق، ص72.

[3]- البيذق، المصدر السابق، ص68.

ينظر كذلك: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص264.

[4]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص37-40.

قد عمدوا إلى إعادة بناء تلك الأسوار التي كان قد أصابها غضبهم، إن هذه السياسة كان يقودها هاجس الأمن والبحث عن الاستقرار وإخضاع المجال الطبيعي والبشري، وذلك ما تحقق بالفعل في هذه المرحلة والتي تزامنت مع أوج قوة الخلافة الموحدية، ولم تكتف بذلك أي اخضاع المجال داخليا بل تطلعت إلى مراقبة المجال الخارجي سواء في الواجهة المسيحية، أو في افريقية والمغرب الأوسط، وتتفق المصادر[1]، أن سبتة خلال فترات ازدهارها خصوصا خلال العهد الموحدي كانت تتمتع بوسائل دفاعية، من أسوار وأبراج وأبواب وحفائر وغيرها، مما جعل قوتها لم يكن من السهل قهرها سواء من جهة البر أو البحر، ونذكر من بين هذه التحصينات.

1- الأسوار والمداخل :

لقد لعبت أسوار وأبراج مدينة سبتة ضد غارات العدو البرتغالي الذي كان يهدف إلى الاستلاء على هذه المدينة الساحلية والاستراتيجية، بالإضافة إلى إيقاف الهجومات المضادة الاسبانية ناهيك لتصديها لتحركات القبائل والثورات المتمردة عن حكم الموحدين.

وبالتالي نجد أن مدينة سبتة كانت تشكل خلية مغلقة على نفسها كباقي المدن الموحدية، وضمن هذا الإطار الكبير كانت تذوب خلايا صغرى مسورة أيضا تمثلها أرباض المدينة الستة[2]، لقد

---

[1]- من بين المصادر التي تتحدث عن ازدهار سبتة وتحصيناتها، نذكر:

- عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص302-303.
- مؤلف مجهول: الاستبصار...، المصدر السابق، ج2، ص337-338.
- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص217.

[2]- أرياض جمع ربض بفتح الباء وسكونها، ما حول المدينة يطلقه المغاربة والأندلسيون على الضاحية القريبة من أسوار المدينة والمشتملة في الغالب على دور الطبقة العاملة والفقيرة، وقد جاء في كتاب اختصار الأخبار أن عدد الأرباض هي ستة، حيث يقول: "... وعدد الأرباض في الحقيقة ستة: الثلاثة العامرة المتصلة بالبلد والربض البراني حيث الحارة والكسابون الذي هدم سوره السلطان أبو سعيد من حافة الغدار إلى مضرب الشبكة وأفراك المدينة المحاذية له حيث القصر الملوكي الذي اعده ملوك بني مرين هنالك لنزولهم والميناء من الجانب الشرقي، دورها ستة أميال كل ذلك تحت أسوار وأبراج..."

محمد بن القاسم الأنصاري: اختصار الأخبار بما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، الرباط 1938، ص42-43.

كانت الظروف الأمينة وراء ظهور هذا النوع من الأشكال العمرانية سواء على المستوى الداخلي بين ربض وآخر، أو على المستوى الخارجي، إن الحديث عن أسوار سبتة يقودنا إلى صمود أهل سبتة لكثير من المرات.

ومما يؤكد لنا صحة هذه المعلومات مجموعة من المؤرخين حيث أوردوا في كثير من المناسبات كيف قام المأمون سنة 629 ه/ 1232 م. بحصار المدينة لمدة ثلاثة أشهر كاملة. وقصفه لها بثلاثة مجانيف وضعهم بجوارها، لكنه اقتنع بعدم جدوى مواصلته، ...وفي هذا الصدد يقول صاحب البيان: "... وفي هذه السنة وهي سنة تسع وعشرين وستمائة... وحينئذ توجه المأمون بعساكره... إلى مدينة سبتة فحاصرها من جهة البر... وقد نصب عليها ثلاث منجنيقات ترمي كل يوم عدة أحجار فما ثلمت شيئا من السور، ولا هدمت دار من الدور، فأقام عليها ثلاثة أشهر متوالية، وأهلها في بلدهم كما كانوا في الأيام الخالية لم يعدموا فيها طعاما ولا أداما ولو حاصرهم كذلك أعواما... فأحرق المجانيق وأشعل في محلة السوق نارا، وأقطع عنها اضطرارا لا اختيارا... [1].

كما أن المدينة شهدت استقلالا عن الموحدين منذ أواخر عصر المأمون. بعد أن فشل هذا الأخير أمام أسوارها[2].

نستطيع القول بأن الموحدين خاصة بعد الخليفة عبد المؤمن الهم زادوا في أسوار المدينة بل وعملوا كذلك على ترميم بعض الأجزاء التي سقطت منها أثناء تخريبهم لها، ومما يدل على أن بعض الأسوار قد بقيت والتي كان قد بناها محمد بن أبي عامر به وذلك من خلال صاحب كتاب الاستبصار حيث وصف لنا المدينة في عهد يعقوب المنصور، يقول: "... وقد كان محمد

[1]- ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص297-298.

[2]- لقد استبد العزفيين لحكم مدينة سبتة من سنة 646 ه/ 782 ه لمزيد من الاطلاع حول تاريخ سبتة في هذا العهد ينظر: محمد بن تاويت: تاريخ سبتة، ط1، دار الثقافة الدار البيضاء، المغرب 1982، ص101-133.

بن أبي عامر أمر أن يبني بهذا الجبل – المبنا- وينقل إليها أهل سبتة فبنى سورها ومات و لم يتم ما أراد والسور باقي إلى وقتنا هذا كأنه مبني بالأمس..."[1].

وفي ظل غياب المعطيات الأثرية حول هذه الأسوار والأبراج التي تلتحمها لكون المدينة عرفت تصفية جذرية بعد احتلالها من طرف البرتغال سنة 1415 م/ 818 ه[2]. فقد عمد البرتغال إلى وضع مشروع استهدف تخريب الأسوار وتعويضها بأخرى، وفق تقنيات جديدة مستوردة خصوصا من إيطاليا، وقد وضع هذا المشروع بمبادرة من مهندسين أحدهما إيطالي والثاني اسباني، وحددت مدة تنفيذه ما بين سنتي 1541 م/ 1549 م[3]. إلا أنه لم يتم تطبيقه إلا على مراحل عديدة خصوصا خلال العهد الاسباني، كما يفهم ذلك من خلال خريطة سمانك المؤرخة سنة 1585 م ثم من خريطة 1774م[4]. وعلى كل فقد استحدثت أسوار جديدة ذات أحجام كبيرة، كما وسعت مواقع الأبراج. كما حول حفير السهاج الجاف إلى قناة صالحة للملاحة.

إن كل ما يمكن معاينته من بقايا أسوار المدينة التي تعود إلى الفترة الموحدية عبارة عن نتف مترامية هنا وهناك علما أن تلك الأسوار كانت تحيط بالمدينة من الشرق إلى الغرب على طول 12500 م، بالإضافة إلى تدعيمها بأبراج والمرتفعات ثم ينحدر صوب الشرق، ليمتد على طول الخط الشمالي، وهي المنطقة الأكثر خطورة لمقابلتها لكل الأخطار القادمة من البحر الشيء الذي يجعل تعدد الأبراج ضرورة ملحة.

إن ما نشاهده اليوم من بعض بقايا السور، والتي استطاعت أن تقاوم الزمن وتبقى مائلة لحد الآن، لا يعطينا إلا فكرة نسبية عن مواد بنائها فهي خليط ما بين الحجر الذي استعمل في بناء

---

(1)- مؤلف مجهول. الاستبصار، المصدر السابق، ج2، ص137-138.

(2)- زليخة بنرمضان: قضية أسوار المدن المحتلة: نموج سبتة ضمن الندوة الوطنية حول أسوار المدن العتيقة مديرية التراث الثقافي تترنيت. المغرب 1989، ص52.

(3)- المرجع نفسه، ص53.

(4)- نفسه، ص53.



أساسات السور، والطابية التي استخدمت في بناء جسم السور، لكن نلاحظ اختلاف كبير في حجمها فهي تتراوح ما بين 02 م و1.70 م. وهذا الاختلاف نرجحه إلى تعرض الأسوار السبتية إلى عملية الترميم والإصلاح. خلال فترات لاحقة.

إن الحديث عن الأسوار يقودنا بالضرورة إلى الحديث عن الأبواب التي كانت تتخلل أسوار سبتة والتي كانت تفي بضرورة الدفاع العسكري. فقد جاء في اختصار أخيار سبتة الذي فرغ مؤلفه أو جامعه من تأليفه عام 825 هـ/1421 م.

حيث يذكر لنا أن عدد أبواب مدينة سبتة 50 بابا، حيث تميزت عموما بضخامتها، واحتوائها لعدة منعطفات أو منعرجات تكون بمجالات مفتوحة على السماء، وما جاء في وصفه للباب الجديد أو ما يعرف بالباب الأعظم يتبين أنه كان يتوفر على جميع الخصائص المعمارية التي تميزت بها الأبواب الموحدية والمرينية. حيث يقول: "...منها الباب الأعظم الشهير الضخم الهيكل الذي لا يلفي له نظير المعروف بالباب الجديد، وهذا الباب من مفردات سبتة ومن آثار الملوك بها، اكتنفه قلهرة عظيمة البناء هائلة المنظر سامية في الجو، قد استقلت على عشر قباب وأربعة عشر قوسا، وبابه الأوسط بين قلهرتين اثنتين بارزتين من القلهرة العظمى، والباب في السعة والارتفاع قد أربى على الغاية وجاوز الحد والنهاية وقوسه وفياصله قد أحكم بناؤه بالكذان بأعجب صنعة وأبدع اتقان، ويذكر أنه على شكل باب مدينة همذان..." [1].

من خلال هذا الوصف يتبين لنا أن هذا الباب قد عكس الطراز المعماري للموحدين بشكل واضح، حيث يشتمل على مدخل بارز يكتنفه برجان كبيران، على الأغلب بتخطيط مربع كما يتميز بفتحة رئيسية للقوس ذات عقود متعددة متتالية.

كما أن القباب العشرة كانت تغطي بلا شك القاعات التي لم تكن على مستوى أرضية واحدة. إذ يتغير مستوى الأرض من قاعة لأخرى مشكلا بذلك عقبة كأداة أمام المهاجم المندفع.

[1]- محمد بن القاسم الأنصاري، المصدر السابق، ص44-45.



ويشبه هذا التخطيط المركب وأساليب تغطيته أبواب مدينة رباط الفتح، وأبواب فاس الموحدية، إضافة إلى ذلك نجد أن تشييد عقودها وسنجاتها من مادة الحجر ذات النوع بومث[1]، وهي من الأعمال الانشائية العظيمة، لقد محى المشروع البرتغالي معظم أبواب سبتة، وحتى الأبواب التي أبقي عليها، أدخلت عليها تغييرات جذرية غيرت كثيرا معالمها الحضارية الإسلامية.

1- المحارس البحرية:

لقد مثلت مدينة سبتة خلال المرحلة الموحدية نموذجا في مجال التحصين البحري، حيث كانت هذه التحصينات عبارة عن قلاع يعلوها برج للإشارة – الناظور- وهي تسمية كانت تطلق عادة على منائر الرباطات[2].حيث كان يرابط بها الجنود الذين يقومون بالدفاع عن السواحل السبتة المهددة بالخطر، كما أنه في حالة حدوث هجوم كان الحراس يقومون بإيقاظ النار في المعقل للإعلام بالخطر المحدق، كما أنه في حالة تهديد الشواطئ المغربية فإن المسؤول عن البرج. المنار- يقوم بالنفخ في بوق النفير حتى ينبه إلى ظهور الخطر.

هذا بالإضافة إلى تولية وظيفة أخرى والمتمثلة في تزويد سكان سبتة بالمؤونة في حالة حدوث مجاعة أو حصار طويل[3].

إن في غياب معطيات أثرية حول ممارس سبتة في العهد الموحدي من جهة وعدم وجود دراسات تاريخية وأثرية من جهة أخرى، لا تسمح لنا بالوقوف على حقيقة هذه الهياكل خاصة وأن تلك المحارس عرفت عدة تغييرات سواء من طرف البرتغال أو الإسبان، مما أفقدها معالمها العتيقة.

---

(1)- يعرف بالكذان، وهو عبارة عن حجارة فيها رخاوة وربما كانت نخرة مثل الأحجار الرملية الموجودة بشطوط الأنهار ومجاري المياه، وبفاس حومة قريبة من مجرى وادي بوخرارب تسمى الكذان لأن حجارتها وتربتها من هذا النوع ويسمى الكذان بالبربرية. تافزة وقد يطلق على الصلصال المتحجر المنعقد من صمود البخار داخل الأباريق والبقارج عند غليان الماء وهو ما يسمى عند البربر أيضا بتافكرة، ينظر: محمد القاسم الأنصاري: المصدر السابق، ص32.

(2)-Merçais (G), « notes sur les ribats en Berberie » in Melanges d'histoire et d'archéologie de l'occident musulman ; Alger, 1925 ; pp 395-396.

(3)- محمد القاسم الأنصاري: المصدر السابق، ص32.

وهذا يجعلنا نعتمد في دراسة هاته المحارس بالرجوع إلى صاحب كتاب اختصار الأخبار لسبتة، حيث يذكر لنا أن عدد محارس سبتة يصل إلى 18 محرسا، حيث كانت تشغل مسافة 12 كلم موزعة على ساحل سبتة وكان أكبرها عمرانا. المسمى بالناظور وهو موجود بأعلى جبل ميناء سبتة. وقد كان من بناء المرابطين على يد القاضي أبي الفضل عياض[1]. ويصفه من أعجب الطلائع لكونه يكشف البرين ويشرف على العدوتين إلى بادس[2]. من بر الريف، وإلى طرف القسيس شرفا من مالقة، وإلى ما وراء طريف غربا إلى طرف شنيل من بر الأندلس فلا يخفي عليه مضيق جبل طارق- الزقاق شيء.

ولا شك أن الموحدين قد اعتنوا بهذا الحصن وأولوه كل اهتمامهم، وحسب وصف صاحب كتاب اختصار الأخبار فإن هذا الحصن- الناظور- ذو شكل مربع، تقوم في زواياه أبراج نصف دائرية، عدا برج الزاوية الشرقية الهرمي الذي ترتكز عليه منارة أسطوانية يتناقص غلظها في الارتفاع.

كما يشتمل على تجمعا عمرانيا بأكمله، وبه مسجدا كما يتخلل أسوار الحصن بابان[3]. وقد وقع إصلاحه خلال العهد الموحدي، حيث أضيف له باب ثالث[4]، وهذا التجديد سببه بدون شك تطور رقعة الحصن نتيجة لتواجد عدد المجاهدين بالإضافة إلى تعدد المرافق ومخازن لخزن المؤن والأسلحة.

---

(1)- محمد القاسم الأنصاري: المصدر نفسه، ص32-33.

(2)- بادس: مدينة ومرسى بساحل قبيلة بقوية على البحر المتوسط وعلى بعد 100 م منها توجد جزيرة صغيرة معروفة باسمها بالبحر عند انحسار الماء ذراع رملي، احتلها القائد الاسباني بيدرو نافارو سنة 1508م واسترجعها المغاربة سنة 1522م، تم أعادت اسبانيا عليها الكرة سنة 1564 م وانشأت بها معسكرا تقيم به حامية باستمرار وسجنا للمجرمين. لمزيد من الاطلاع حول هذه المدينة ينظر: ماومول كربخال: المصدر السابق، ج2، ص230-243.

(3)- محمد القاسم الأنصاري: المصدر السابق، ص232-233.

(4)-Tarres- Balbas (L), « rabitas hispano- musulmanas » in Al-Andalus XIII/2 ; 1948, pp475-476.

6-رباط تيط[1]

أ- الموقع الجغرافي (أنظر خريطة رقم :13)

تقع تيط على الساحل الأطلسي بمنطقة دكالة [2]بعيدا عن مدينة الجديدة بحوالي 11 كلم على الطريق الساحلية المؤدية للوليدية وتعرف اليوم تيط بمركز مولاي عبد الله[3]، وتعتبر هذه الحاضرة من المراكز العمرانية القديمة، وذلك راجع بطيعة الحال لموقعها الاستراتيجي حيث يصفها مارمول كربخال بقوله"...تيط مدينة قديمة ... بناها الأفارقة على شاطئ المحيط، تحيط بها بادية واسعة حيث ينبت الزرع الجيد بكثرة كاثرة ... وفي الحقيقة يرتدون لباسا لائقا بسبب تجارقم وعلاقاقم مع البرتغاليين[4]."

لقد أهلها موقعها الجغرافي والذي يتوفر على كل الخصائص الطبيعية التي تسمح بالقيام بتجمعات بشرية وتسيير الحياة بها بالإضافة إلى وقوعها وسط شبكة من الطرف التجارية.

إن هذا الموقع الذي تميزت به مدينة تيط ابتداءً من جعلها رباطا دينيا محصن للقصاء على بقايا البرغواطيين في تامسنا سواء من طرف المرابطين أو الموحدين، الذين استكملوا مظهر المدينة، وتحويل الرباط إلى مركزا عسكريا لحماية المنطقة من المخاطر البحرية المسيحية المحتملة كما يدخل اهتمامهم بها خلال القرن 6 ه في اطار سياستهم البحرية الرامية إلى تهيئة الواجهة البحرية الأطلسية لدولتهم، خاصة الممتدة من غرب الأندلس، إلى أسفي لمواجهة مملكة البرتغال القوة

---

[1]- قد رسم اسم هذا الرباط: تيطن فطر، وكثيرا ما اقتصر من يذكرونه على تسميته ب: تيط ومعناها العين، والمقصود هنا: منبع الماء، وأقرب تأويله يقبله هذا الاسم هو أنه: تيطنفطر أي عين انفطر. ومعنى انفطر: اناء معروف من قديم يشبه المد الذي به تحسب زكاة الفطر، ويعمل فيه ثقب في أسفله ويوضع في منبع العين ليحسب به توزيع الماء للسقي بين المستفيدين بوحدات قدر كل منها قدر ما، يستغرقه استلاء الاناء من ثقب الأسفل لمزيد من الاطلاع ينظر: محمد المازوني : "رباط تيط من التأسيس إلى ظهور الحركة الجزولية، ضمن الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1997، ص9 وما بعدها.

[2]- يخبرنا حسن الوزان أن ناحية دكالة تبتدئ من تنسيفت غربا وتنتهي على شاطئ المحيط شمالا، وعند وادي العبيد جنوبا وأم الربيع غربا. وتمثل هذه الناحية مسيرة أربعة أيام طولا ويومين عرضا، وهي أهلة جدا بالسكان، ولا يوجد فيها غير عدد قليل من المدن المسورة... لمزيد من الاطلاع: ينظر حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص147.

[3]- محمد الشياظمي الحاجي السباعي: تاريخ مدينة تيط أو مدينة مولاي عبد الله أمغار، مطبعة المعارف الجديدة 2003، ص، 19-20.

[4]- ماومول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص85.

البحرية الصاعدة التي ظهرت في النصف الثاني من القرن 12 م، كما اشرنا إليه سابق، وهذه السياسية فرضت عليهم بتجديد العديد من المدن والتي من بينها مدينة تيط.

ان حديث المصادر التاريخية وخاصة الجغرافية عن مدينة تيط كان حديثا مقتضبا لا يتجاوز بعض الجمل القليلة التي لا تشفي غليلا، مما يترك المجال مفتوحا أمام العديد من الأسئلة حول عمليات الإبحار في المحيط الأطلسي، وهل توفرت المدينة على مرسى للسفن ودور للصناعة، شأنها في ذلك شأن أصيلا والعرائش والزرقاء أو مرسى مولاي بوسلهام التي كانت ميناء مدينة البصر الإدريسية[1].

لعل من نافلة القول اعتقادنا أن المدينة لم ترق إلى مستوى قاعدة بحرية أو دار صناعة رئيسية، وذلك بالنظر لدور الصناعة التي أمر عبد المؤمن أن تنجر وكذلك خلفاءه من بعده. وإنما كانت حصنا منيعا ورباطا للمجاهدين ضد أي غزو يأتي من جهة المحيط، وهو ما يكشف عن وعي بحري بأهمية وخطر الساحل الأطلسي، إذ كانت الخلافة الموحدية ترغب في الحصول على طاقة بحرية وعدة قواعد يمكنها من كبح الامارات البرتغالية المتربصة بهم، وقد شهدت المدينة نشاطا اجتماعيا واقتصاديا خلال عصر بني مرين وعصر الوطاسين[2].

ونظرا لقيمة الموقع وأهمية الناحية فقد تعرضت تيط للاحتلال من طرف البرتغاليين، جيث خربت المدينة من طرف الوطاسين وهدموا حصونها حتى لا تصل سليمة إلى يد المحتلين.

أ-تأسيس رباط تيط

يمكن أن نصنف رباط تيط ضمن البنايات المحصنة والمخصصة لحماية المنطقة من المخاطر البحرية المسيحية المحتملة، رغم أن انشاءها لم ينسب إلى زعيم دولة مدافع عن البلد، بل إلى

---

(1)-picard, CH, l’ocean atlantique muslman de la conquéte arabe l’epoque Almohade paris, 1919, pp 119-120.

(2)- عثمان عثمان إسماعيل: المرجع السابق، ج3، ص113.

زاهد مدافع عن الدين وهو أبي عبد الله محمد بن أمغار[1]. المعروف عند الناس بمولاي عبد الله أمغار، صاحب الضريح الشهير باسمه قرب مدينة الجديدة في الطريق إلى أسفي عبر ساحل البحر.

أما عن سنة تأسيس هذا الحصن وتعميره فهي غير محددة، إنه بالرجوع إلى ما توفره لنا المصادر المغربية نلاحظ أن أخبار رباط تيط جاءت في الغالب الأعم مجرد تلميحات هامشية عارضة إذ لم يتبين في أي مصدر مغربي ما يكفي لمعرفة كيف تأسس وسنة تعميره، فأغلب مشاهدات المؤرخين وأوصاف الرحالة كانت محدودة الفائدة وضنينة القيمة، وفي اطار هذا التقصير وفي ظل اندثار معظم معالم هذا الرباط. حيث قام الملك الوطاسي محمد البرتغالي سنة 912 ه/1506 م بتهديمه بغرض معاقبة سكانه على استسلامهم للبرتغاليين[2].

ومن بين الذين أرخوا لهذا المبنى نذكر:

عثمان عثمان إسماعيل حيث أشار إلى أن الحصن أسس في أيام عبد المؤمن بن علي لكن بدون تحديد التأريخ. وبدون إعطاء أدلة مادية تثبت ذلك[3].

أما عبد العزيز بنعبد الله. فيحدد سنة البناء حيث يقول "... تيط أو طيط أو عين الفطر قرب دكالة، بناها سيدي محمد بن عبد الله عام 1182 م(578 ه)، وإليه ينتسب آل أمغار..." [4].

[1]- هو أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر إسحاق بن سعيد الصنهاجي المعروف بابن أمغار من أهل رباط تيطنفطر من بلاد أزمور، وقد نشأ في بيئة أسرية صوفية، حيث أخذ النصوص عن والده وعن بعض متصوفة المنطقة كما تلقى العلم على أيدي بعض علماء دكالة لمزيد من الاطلاع. ينظر: أبو يعقوب يوسف التادلي، التصوف إلى رجال التصوف وأخبار العباس السبتي تحقيق أحمد توفيق، ط1 منشورات كلية الآداب الرباط، 1997، ص60-61.

[2]- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص85.

[3]- عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج3، ص113.

[4]- عبد العزيز بنعبد الله. معلمة المدن، المرجع السابق، ج2، ص159.

أما باسيط وتيراس فيؤرخان المبنى إلى العهد الموحدي لكن بدون تحديد عام معين حيث استدلا بالمئذنة ذات القبة القنديلية الموجودة بالرباط[1]، هذا بالإضافة إلى المنار المثمن- البرج-.

أما باسيليو بابون مالدونادو. فيرجع أن معظم أبواب رباط تيط ترجع إلى العهد المرابطي أي القرن 11 م، لكنها جددت فيما بعد أي في العهد الموحدي[2]. وهنا نطرح الإشكال التالي: إذا كانت أبواب تيط ترجع إلى العهد المرابطي حسب باسيليو بابون فمن غير المعقول أن يكون تأريخ تأسيس الرباط إلى أواسط منتصف القرن 12 م.

ونحن نرجح أن التأسيس تم ابان العصر المرابطي وبدايات الحكم الموحدي على اعتبار أن أول اللبنة للعمارة الأمغاربة في تيط كانت في بداية القرن 05 ه، وهذا بفضل الشيخ إسماعيل بن أمغار[3]. ولعله لن يجانبنا الصواب إذا قلنا أن أول ما بناه الأمغاريون في تيط، كان هو دار سكنى الشيخ الأمغاري القادم وأهله ودور من صحبه، بالإضافة إلى المسجد المنسوب إليه والمعروف بالمسجد العتيق ومنارته والمؤرخة لبنائهما في أوائل القرن 11 م[4]. وهذا بالذات ما يمكن أن نسميه بالرباط الأمغاري الأول، ثم جاء إتمام بناء المدينة (القصبة). حيث زيد في أسوارها وأبراجها كما جددت أبوابها. ومنارتها وهذا طبعا تم على مراحل ابتداء من الخلفية عبد المؤمن بن علي ثم خلفاؤه من بعده.

---

[1]–Basset : H et Henri Terrasse sanctuaire…. Opcit, pp336-337.

ينظر كذلك:

–Marçais. G. Architecture…..opcit, pp 222-223.

[2]– باسيليو بابون مالدونادو. العمارة في الأندلس عمارة المدن والحصون، ترجمة علي إبراهيم منوفي مراجعة وتقديم، محمد حمزة الحداد، ط1، ج2، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 2005، ص153-154.

[3]– محمد المازوني، المرجع السابق، ص25-26.

[4]–Basset, H et Henri Terrasse. Sanctiaire…opcit, pp 337-338.

ج-تحصيناتها

1. الأسوار والأبراج: (أنظر مخطط رقم:17)

تقع قصبة الرباط قرب البحر، وقد استغل في بنائها طبوغرافية المكان كأحسن ما يكون، حيث جعلت في موقع لا تصله الحملات المسيحية بسهولة، وقد احيطت المدينة بسور تصميمه شبه منحرف وقد تم تدعيم السور الواقع على واجهة البحر بستتة (06) أبراج ذات شكل مستطيل، ونصف دائرية. تتكون من طابقين على الأرجح، وقد استخدمت مادة الحجر التي استخدمت في هذه المجموعة المعمارية سواء في الأسوار أو الأبراج، ومما هو جدير بالذكر أن أسوار المدينة وأبراجها قد تعرضتا إلى التهديم كما أشرنا إليه سابقا وقد أعاد بنائها السلطان العلوي سيدي محمد بن عبد الله سنة 1206 ه/ 1759م[1].(**أنظر صورة رقم 22**)

كما شرع البرتغاليون عند احتلالهم لبعض السواحل المغربية، خاصة أزمور الجديدة أسفي وتيط في إعادة بناء الأسوار التي لحق بها الهدم لكن جاءت أسوارهم في صورة جديدة من حيث مادة البناء ونمطه، حيث نجد الصخر المقدود، كما نلاحظ استعمال نمط جديد والمتمثل في استدارة الأبراج واتساع الممرات فوق الأسوار من أجل تمكين الحاميات الصغيرة المرابطة بها من الحماية الفعالة، كما عملوا على تضييق المساحات التي تحتويها الأسوار لأسباب أهمها رفض المغاربة خارج الأسوار الخضوع والتعامل.

إن محاولة تصور أسوار وأبراج مدينة تيط ابتداء من المرابطين ووصولا إلى الموحدين، يبقى أقصى ما يمكن تقديمه حول هذه الفترة حتى الآن في علاقة بهذا الموضوع كفرضية تحتمل الكثير من الصحة في غياب معطيات نصية أو ميدانية أخرى بإمكانها أن تعطي حقائق تاريخية لا يرتابها أدنى شك، ومع ذلك فإنه يتبين جليا من خلال المعاينة الميدانية أنه كلما أريد للبناء أن يكون شاهقا ومتينا كلما يستعمل في تشييده مواد صلبة جدا وبقاعدة ذات سمك كبير.

[1]- عثمان عثمان إسماعيل. المرجع السابق، ج3، ص113.



2. الأبواب:

ننفذ إلى رباط تيط بواسطة ثلاثة أبواب، ورغم إعادة بنائها كلها سواء على يد المرينيين أو العلويين، أو حتى البرتغاليين، إلاّ أنها حافظت على شكلها الأول ذو الطابع الحربي الصرف.

أما فيما يخص هذه الأبواب: الباب القبلي وباب أسفي والباب الجديد، فيمكن القول أن الوصف الذي جاء به باسيليو بابون، يعطينا فكرة نسبية عن هاته الأبواب التي تعكس لنا الثراء المتنوع من حيث التخطيط والعمارة والتغطية والزخرفة في ابراز واجلاء شخصية وعبقرية المهندس والبناء المغربي، كما تعطينا فكرة حدود المدينة ونظامها الحضري الذي يعتمد على محاور كبرى تنطلق من أبوابها وتقضي إلى قلب المدينة حيث تتمركز كل الأنشطة الروحية والعلمية والتجارية. فبالإضافة إلى دورها الدفاعي فقد كانت تسهل ولوج بعض الأحياء وقد تعرضت تلك الأبواب إلى إعادة الترميم وذلك سنة 2015.

أ. الباب القبلي: (أنظر مخطط رقم:18)

يقع هذا الباب في الناحية الجنوبية للرباط، وهو ذو مدخل بارز من الداخل على عكس الأبواب الموحدية الموجودة في رباط الفتح ومراكش وفاس، وتنحصر فتحته بين برجين مربعين، حيث لا يزال احدهما قائما حتى الآن، وقد تعرض ارتفاعه مع البرج الباقي إلى عملية ترميم في سنة 2001، ثم سنة 2015، ولا تؤدي فتحته إلى داخل المدينة مباشرة إلى بعد الانعطاف يمينا، أي منعطف مرفقي ذو انحناء واحد[1]. وبين فتحتي المدخل حيث تتحرك دفتا الباب مساحة يغطيها قبو نصف أسطواني ويؤدي هذا المدخل إلى قاعة مربعة بها كوتان بهما مصطبتان وعليهما قبة بيضاوية من مداميك أسطوانية متراكزة، وقد أشار باسيليوبابون لوجود طبقة جصية عليها زخارف مرسومة عبارة عن مربعات متشابكة[2]. لكننا لم نلاحظ هذه الطبقة الجصية. وذلك ربما راجع إلى عملية الترميم التي مستها حيث ازيلت واستبدلت بأخرى ذات

---

(1)- باسيليونبابون: المرجع السابق، ج1، ص153.

(2)- المرجع نفسه، ج2، ص153.

اطار مربع به مجموعة من الزخارف النباتية، أما كسوة الباب فهي الحجارة المنحوتة منتظمة الشكل.

ب. **باب أسفي**: ذو مدخل مباشر غير ملوي وغير مرفقي، وهو يشبه في تخطيطه باب الأحد في رباط الفتح، وتنحصر فتحته الرئيسية بين بروزين أو نتوئين عبارة عن برج من كل جهة ذات تخطيط مربع[1]. وعلى طول فتحة الباب يوجد دهليز امتداده حوالي 5 م، يولج إلى داخل المدينة أما مادة بنائه فهي من الحجر المنحوت، وقد خضع هذا الباب شأنه في ذلك شأن أبواب تيط إلى عدة عمليات اصلاح وترميم كان آخرها سنة 2015.

ج. **الباب الجديد**: يظهر من خلال الاسم أن هذا الباب قد تم استحداثه على الأقل خلال فترات متأخرة من الحكم الموحدي، ولا نعرف شكله الهندسي بما أنه زال من الوجود وعند الرجوع إلى الباحث: باسيليوبابون. فإنه يذكر لنا أن الباب ذو مدخل مباشر وأن على جانبيه برجان كما أنه يخبرنا أن رباط تيط ربما كان يحوي باب رابع صغير يرجع إلى عصر المرابطين[2].

3. البرج المنار:

كان هذا البرج البحري المثمن الاضلاع مشيد على قاعدة نصف دائرية الشكل مكونة من أحجار مهندمة موضوعة على شكل أحجار الربط[3]. وتفوض بكل طولها في الكتلة، وفي ظل غياب المعطيات التاريخية والأثرية حول هذا البرج. الذي وقعت عليه عدة إصلاحات افقدته الجانب المعماري، نستطيع القول أن هذا البرج استحدث ليكون محرسا لمراقبة البحر الأطلنطي من أي هجوم على المدينة.

---

(1)-باسيليوبابون، المرجع السابق ، ج2، ص154.

(2)- نفسه، ص154.

(3) –Basset. H. et Henri terrasse, sanctuaire….. op.cit, p338.

أنظر كذلك : باسيليو بابون، المرجع السابق، ج2، ص160.

وهو على الأرجح عبارة عن مبنى مستدير الشكل مفرط الارتفاع قد انتظم من فصوص الحجارة الضخمة

7- مدينة أسفي[1].

أ-الموقع الجغرافي . (أنظر خريطة رقم :14)

تقع مدينة أسفي على خط العرض 32° و20° شمالا وخط الطول 9° و17° دقيقة غربا، وهي تقع جغرافيا بين مدينتي الجديدة والصويرة، وتبعد عن مدينة الدار البيضاء بحوالي 200 كلم، وتعتبر أسفي الميناء الرئيسي لمدينة مراكش على المحيط الشمالي الغربي منها مسافة 160 كلم[2]. وما كانت عمارة أسفي إلاّ على كونه مرسى مراكش وخصوبة أرضه كما، أنه مقصد البواخر التجارية من أوربا وقد ذكرها الإدريسي في قوله « ... ومرسى أسفي كان فيما سلف آخر مرسى تصل إليه المراكب وأما الآن فهي تجوزه بأكثر من 03 مجار وأسفي عليه عمارات وبشر كثير» [3].

وقال عنها صاحب الروض المعطار« ... ووقوف المراكب عند أسفي لأنه آخر مرسى تصل إليه المراكب كان فيما سلف، وأما الآن فهي تجوزه بأربعة مجاز وأسفي عليها عمارات... والمراكب تحمل منها أسواقها في وقت السفر وسكون حركة البحر المظلم... » [4].

---

[1]- أسفي لفظ بربري مأخوذ من قول البربر للضوء أسفو يضم الفاء فحرف في الاستعمال إلى الكسر على أن البعض من البربر ينطقون به مكسورا، لمزيد من الاطلاع ينظر:

- محمد بن أحمد الكانوني العبدي: أسفي وما إليه قديما وحديثا تحقيق علال ركوك. الرحالي الرضواني، محمد الظريف، ومحمد السعيدي الرجراجي، تقديم محمد بنشريفة، منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر، ط1، الرباط، 2005، ص19.

[2]- لمزيد من التفاصيل حول جغرافية آسفي: ينظر:

عبد العزيز بنعبد الله: الموسوعة المغربية....، المرجع السابق، ج2، ص27-29.

[3]- الشريف الادريسي: المصدر السابق، ص74.

[4]- عبد المنعم الحميري: المصدر السابق، ص56-57.

ولقد قال مارمول كربخال يصف أسفي:« ... الأراضي المحيطة بها { أسفي} غنية بالقمح والمواشي... والتجارة في أسفي لا بأس بها... لأن تجار اسبانيا كانوا يحملون إليها في كل آن الجوخ والقماش وبضائع أخرى، يستبدلون بها الجلود والشمع والنيلة والصمغ عند أفول نجم بني مريين... » [1].

إن المتأمل في موقع أسفي سيدرك مزاياه الطبيعية والاقتصادية والبشرية فإليه يعود الفضل في وجودها وازدهارها طيلة العصر الوسيط خاصة أثناء عهد الموحدين، على الرغم من عدم توفر ما يؤكد أو ينفي ذلك اللهم إشارة كل من الإدريسي وصاحب الروض المعطار والتي تؤكد أن المدينة كانت تبوأت في هذا العهد أوج تطورها في إطار العناية بالمراسي، حيث توفرت المدينة على مرسى مأمون محمي من الرياح، تقصده السفن بالحط والإقلاع وكان هذا الميناء يعرف حركة تجارية نشيطة، خاصة على عهد يعقوب المنصور، كما اتخذوها رباطا للجهاد ضد أي هجوم سواء من ناحية البحر أو من ناحية دكالة، وقد جمع لنا الكانوني في كتابه أسفي وصفا للمدينة أثناء العهد الموحدي فيقول:« ... وفي دولتهم – الموحدين- تحضرت أسفي وعمرت وسورت بسور متين وبنيت بها المعاهد الدينية والعلمية وانبثق بها روح المعارف والعلوم ونبغ في دولتهم من علماء أسفي وما إليه الشيخ الإمام أبو محمد صالح الماجري المتوفى سنة 631 ه.... » [2].

كما استرسل كلامه حول اهتمام الموحدين في تخطيط الهندسة المائية بمدينة أسفي فيفصل تنظيم مجاري المياه بالمدينة نجد كثرة الإنتاج والعمارة والاستقرار فيقول: « الماء النبع بأسفي وضواحيه قليل ... وقد كان للملوك الأقدمين اهتمام زائد بهذا القطر وقد رفع إليه السلطان يعقوب المنصور ساقية عظيمة غاية في الاتقان من الوادي الأخضر بتساوت ولا تزال تحفظ اسم الساقية اليعقوبية، ويوجد آثارها في بلاد الرحامنة إلى أرض دكالة الحمراء- عبدة- حيث اتخذ

[1]- مارمول كربخال: المصدر السابق، ج2، ص71.

[2]- محمد بن أحمد الكانوني: المصدر السابق، ص138.

لها حوضا كبيرا بموضع زرول جنوب أسفي توزع منه المياه على الأجنة والفدادين... وهو عبارة عن صهريج كبير وكان حوله مخازن كثيرة منحوتة في الأرض لخزن الحبوب... » [1].

لقد كانت مدينة أسفي زمن الموحدين تقوم على أسس معمارية وعمرانية تستجيب لضرورات الساكنة، وموقع المدينة وقربها من الطرق التجارية وحركتها التجارية- الميناء-.

كما ساهم الموحدين في دعم النظام الدفاعي لهذه المدينة وذلك خوفا من أي هجوم يأتي من الساحل الأطلنطي، وكذا تأمين التجارة البحرية هذا بالإضافة إلى تأمين المدينة من أي هجوم يأتي من قبائل دكالة التي كانت بين الحين والآخر محاولة الاستلاء على هذه المدينة.

ب- تحصيناها

تجمع كل المصادر التاريخية التي أرخت لمدينة أسفي، أن المدينة في عهد الموحدين كانت محصنة بأسوار تحيط بها، كما تشيدت بها الأبراج والأبواب إلى جانب انشاء محارس لمراقبة الساحل الأطلنطي من أي هجوم مباغت أو عملية قرصنة تكون في مرمى هذه المحارس، هذا بالإضافة إلى تجديد قصبة السلطان لكونها أهم أقطاب النظام الدفاعي للمدينة وهي بمثابة دار الحاكم أو من يمثله وتتمركز بها وحدات من الجيش تكون مستعدة لأي طارئ.

لكن السؤال المطروح هو أين تحصينات أسفي الموحدية من كل هذا؟.... والجواب أن تلك التحصينات عرفت تصفية جذرية من طرف البرتغاليين، حيث قاموا بتدمير الكثير من المعالم العمرانية والحضارية والعلمية والدينية للمدينة، ومن ذلك تدمير المسجد لأعظم واتخاذه

---

[1]- محمد بن أحمد الكانوني: المصدر السابق، ص172.

إسطبلا للخيول ومحلا لوضع القاذورات[1]. كما أحدثوا تغيرات جذرية على القصبة، هذا ونجد أن بناء السور البرتغالي[2] قابله تخريب للسور الموحدي التاريخي.

كما أدخلت تغيرات جذرية على أبواب أسفي غيرت كثيرا من معالمها الحضارية الموحدية، فكل ما يمكن أن نحصيه الآن مما تبقى من تحصينات المدينة عبارة عن تنف مترامية هنا وهناك.

1. الأسوار والأبواب:

حسب رواية الكانوني فإن السور الموحدي المحيط بالمدينة العتيقة بني في عهد الخليفة يعقوب المنصور، وقد كان يمتد حتى البحر حسب رسم للمدينة يعود لسنة 1507 م[3]. وقد خضع هذا الأخير للعديد من الترميمات والتجديدات من طرف الدول التي حكمت المغرب بعد الموحدين، وحسب الكانوني فإن آخر تجديد للسور المتبقى كان سنة 1302 ه/ 1884م، من طرف السلطان الحسن بن محمد، حيث أوفد مختصين من مراكش لغرض التجديد[4].

أما في سنة 2015 م، فقد خضع لتجديدات وإضافات خاصة الأجزاء التي في حالة مزرية وأصبح أغلبها أيلا للسقوط.

مما يلاحظ في الميدان أن أجزاء السور الموحدي الذي لا يزال يحيط اليوم بجزء كبير من أسفي القديم، يضم عدة شواهد خصوصا من ناحية الجنوب حيث يبتدأ من وسط تراب الصيني

(1)-محمد بن أحمد الكانوني: المصدر السابق ، ص94.

(2)- بني هذا السور تحت إشراف المهندس العسكري البرتغالي، جاك العرودي بطول 03 كيلو مترات، وهو من الحجارة المنحوتة من الشاطئ الصخري لأسفي، وكان الغرض منه تحصين المدينة خوفا من هجمات السعديين، لمزيد من الاطلاع ينظر: الناصري، المصدر السابق، ج4، ص141-142.

(3)- محمد بن محمد أحمد الكانوني: المصدر السابق، ص79.

(4)- المصدر نفسه، ص149-150.

من زنقة القنطرة، حيث مازلنا نشاهده في بعض المقاطع في نصف مستواه الحقيقي 4 م و لم يفقد شيئا من مكوناته البنائية. إلاّ أنه فقد أجزاء كثيرة مثل الشرفات التي كانت تعلوه.

كما يلاحظ أنه قد بني بطابية صلبة وبسمك يتراوح ما بين 02 م و2.20 م: ويترل شمال المستشفى الأهلي، ويوجد هذا الجزء في حالة متدهورة جدا حيث أنه يتقطع في عدة نقاط وبالرغم من حالته المتردية إلاّ أنه ما زال يعطي فكرة عن حجمه الكبير حيث يبلغ علوه أكثر من 8 م، للإشارة فقط. فإن هذا الجزء والأجزاء المتبقية تخضع حاليا * سنة 2015* لعملية ترميم.

ثم يسير هذا السور أمام رحى الريح الأثرية[1]، و لم يتبق منه هنا سوى آثار قليلة ذات سمك مهم يصل إلى 02 م وبصنع جيد من الطابية الصلبة ذات اللون الأصفر، لكنه فقد علوه الأصلي وأبراجه الدفاعية وممر الجند ومعظم الشرفات التي كانت تزينه، و لم يعد ارتفاعه يفوق 4 م، ثم نشاهد مقاطع أخرى أمام القصبة العليا، حيث لم تعد تبلغ هذه الأجزاء من الارتفاع سوى 0.50 م.

ثم نلاحظه في وسط بياضة شمالا من أسفي حتى يبلغ البحر، وهو جزء مهم من الناحية الأثرية لأنه ما زال يحتفظ بآثار السور الموحدي[2]. على مستوى الأساسات، وحسب الكانوني فإن السور كان يحوي 87 برجا، ويمتد هذا السور مسافة 1200 م تقريبا. وبما أننا لا نعرف عن السور الموحدي إلاّ النزر اليسير فإننا بالتأكيد لا نعرف الأبواب الأصلية للمدينة باستثناء ما يذكره الكانوني حيث أشار إلى وجود 05 أبواب وهي باب الأقواس، وهو منفذ المدينة على البحر، والباب الجنوبي المواجه لرباط أبي محمد صالح كان يعرف بباب أحمر، والذي هدمه

---

[1]- وكان موقع هذه الرحى أمام رباط أسفي سابقا في أعلى ربوة وهي كانت مستخدمة في الطحن ويقول عنها الكانوني «...وهدة الرحى كانت مستخدمة في الطحن إلى حوالي منتصف القرن الثالث عشر هجري أو بعد قليل تحت إدارة الأوقاف ثم اهملت وبقي رسمها محفوظا إلى الآن...» ص110.

[2]- المصدر نفسه، ص109.

الفرنسيون وباب الشعبة وباب أكوز وباب المجاديم[1]، وقد جاءت أبواب أسفي متفاوتة فيما بينها من حيث الأهمية ومن حيث الحجم فباب الشعبة المزدوج المنفتح على الشمال الشرقي كان قريبا من سوق الخميس، وباب الأقواس المفتوح على الجهة الغربية حيث الميناء وما يتطلبه من دخول التجار وسلعهم ومواكب السفراء الذين استقبلت أسقي العديد منهم عندما كانت ميناء للعاصمة مراكش الموحدية، فهذان البابان أكبر وأهم من غيرهما فدور وظيفة الأبواب يتكامل فيها الجانب المعماري بالجوانب الاقتصادية والأمنية.

للإشارة فقط فإن هذه الأبواب تعرضت للهدم وإعادة البناء على العهد البرتغالي ثم العلوي، ولا نعرف شكلهم الهندسي الموحدي بما أنه قد أعيد بناؤهم من جديد.

2. قصبة دار السلطان:

ذكر الكانوني بأنه: «... يوجد بأسفي دار السلطان بالقصبة العليا وهي دار ملوكية واسعة الأرجاء شامخة الأركان جاءت بفضل موقعها مشرفة على المدينة والبحر كما أنها أخذت من البر حسن البهجة والمنظر... »[2].

من خلال الوصف يتبين لنا أن القصبة كانت تحتل موقعا استراتيجيا حيث تشرف على البحر واليابسة، ولا شك أن هذه القصبة تعود إلى العهد المرابطي باعتبار أن المرابطين حين استرجعوا أسفي من البراغواطيين قاموا بتعمير آسفي، واكتفوا بتحصين المدينة ببناء القصبة حيث جعلت احدى المحارس البحرية، والبرية. ولا شك أنه قد طرأ عليها تخريب في فترة انتقال الحكم من المرابطين إلى الموحدين[3].

---

[1]-محمد بن أحمد الكانوني: المصدر السابق ، ص111.

[2]-المصدر نفسه ، ص79-80.

[3]- الناصري: المصدر السابق، ج1، ص109-110.

الذين قاموا بتجديدها وإعادة تسويرها وتجهيزها بأبراج ذات شكل مربع أو مستطيل، في احدى جوانب السور الذي يحيط بها كما ضمت دار السلطان أو القائد الذي ينوب عن الدولة الموحدية. هذا بالإضافة إلى ضمها جميع المرافق التي يحتاجها الجيش من مسجد ومخازن للمؤنة.

وقد بقيت القصبة تمر بمراحل التجديد والاضافات إلى حين احتلال البرتغال مدينة أسفي، حيث احدثوا بالقصبة تغييرات جذرية، وأضافوا إليها أبراجا جديدة تعكس طابعهم المعماري وطرازهم في البناء والتشييد، وقد هدمت هذه العمارة.

كما امتدت الإصلاحات سنة 1915 الموافق 1334 ه [1]. حسب الكانوني، و لم يتبق هذه القصبة حاليا من آثار يكفي لإعادة تصور شكلها بدقة.

3. رباط الشيخ أبي محمد صالح:

يقول صاحب الاستقصاء:« ... وفي سنة سبع عشر وستمائة كان الجراد والقحط... وفيها ألف الفقيه أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي المراكشي الدار عرف بابن الزيات كتابه المسمى بالتشوف إلى رجال التصوف... وذكر أن من جملة أولياء زمانه الذين كانوا في قيد الحياة الشيخ الصالح الصوفي أبا محمد صالح بن ينصارى بن عفيان الدكالي ثم الماجري نزيل رباط أسفي قال، وهو الآن لا يفتر من الجهاد والمحافظة على المواصلة والأوراد... »[2].

كما جاء ذكر رباط الشيخ أبي محمد صالح عند الكانوني بمناسبة حديثة عن الشيخ أبي محمد المتوفى سنة 631 ه. والحديث عن زواياه ورباطاته فيقول:« ...وهذا الرباط بآسفي هو مركزه الوحيد طار له الصيت في الآفاق وشدت إليه الرحلة الرفاق فكم تخرج منه من الأئمة الأعلام والشيوخ المرشدين العظام... » [3].

---

[1]- محمد أحمد الكانوني، المصدر السابق، ص80.

[2]- الناصري: المصدر السابق، ج2، ص236.

[3]- محمد بن أحمد الكانوني: المصدر السابق، ص98.

مما سبق يتضح لنا أن هذا الرباط جمع ما بين الوظيفة الدينية، إلى جانب الوظيفة العسكرية، كما أننا نعتقد أن وجود هذا الرباط له علاقة مباشرة بطبيعة السلطة الموحدية السياسية والعسكرية خاصة إذا علمنا أن الفترة الممتدة من سنة 615ه إلى سنة 617 ه[1].

كانت تشهد فترة جفاف ومجاعة تفاقمت بشكل كبير مما جعل الأمن ينعدم فيها، هذا الوضع استغله المرينيون الذين بسطوا سلطتهم على المناطق القروية، وهو ما جعل سلطة الموحدين تنحصر في المدن فقط، كما أن الخلفاء المتأخرين غدوا عاجزين عن القيام بأي مجهود حربي، زد على ذلك استئناف حروب الاسترداد خصوصا بعد التحالف بين ليون وقشتالة، وتزايد قوة أراغون[2].

لقد لعب هذا رباط دورا هاما في مجالات عدة، في وقت عصيب تميز بكثرة الفتن وعرف عدة تمردات وصراعات خاصة بين المأمون والمعتصم، وكان هذا الصراع بين السادة الموحدين حول الخلافة ودعم الأشياخ لهذا وذاك سبب في الزحف الاسباني في الأندلس وتجاوزه لتهديد السواحل المغربية.

ولهذا كان لزاما على الأسفيين تقوية هذا الرباط من الناحية التحصينية والعسكرية لردع أي هجوم أو غزو خارجي محتمل.

ويمكن تحديد مكان بناء هذا الرباط، في جهة السور الموحدي من الناحية الشمالية الشرقية، وقد استدلينا هذا من خلال موقع مسجد رباط أسفي الذي حدده الكانوني خارج سور المدينة البرتغالية حيث يقول« ... هذا المسجد مؤسس برباط أسفي خارج سور المدينة البرتغالي وكان أول من أسسه الشيخ أبو محمد صالح...بمباشرة أصحابه... وقد اندرس هذا المسجد باستيلاء البرتغال على هذه البلدة.... » [3].

[1]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص266-227.

[2]- أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج2، ص201-205.

[3]- محمد بن أحمد الكانوني، المصدر السابق، ص93.

ليس من السهل أن نستطيع اليوم تحديد ملامح هذا الرباط المعمارية في غياب الشواهد الأثرية والنصوص التي تتكلم عنه زد على ذلك تعرض هذا الرباط للتهديم خاصة من طرف البرتغاليين سنة 910 ه، عند احتلالهم لاسفي أو أثناء خروجهم منها عنوة بعد حصارهم من طرف السعديين سنة 948 ه، بقيادة السلطان أبي عبد الله محمد المهدي المعروف بالشيخ ابن الأمير عبد الله القائم بأمر الله. كما جاء في كتاب الاستقصاء، وما جاء به الكانوني.

ثم تناولتها عدة إصلاحات وزيادات مست عمران المدينة بأكمله وذلك سنة 1208 ه، في رئاسة القائد العلوي عبد الرحمان بن ناصر العبدي[1].

وفي سياق آخر فقد ساهمت بعض البيانات الحضرية التي صممت بداخل المدينة في رسم شكلا جديدا في تصميم أسفي الجديدة وساهمت في اختفاء معالم الرباط والمسجد الموحدي، الذي أعيد بناؤه في العهد السعدي[2]، وعلى كل يمكننا القول بأن رباط أسفي هو عبارة عن نموذج رباط معسكر ورباط مدينة في آن معا، في انتظار ما قد تأتي به الأبحاث الأثرية المقبلة من تفصيل لهذه العمارة التي لعبت دورا بارزا في الحياة الدينية والعسكرية بأسفي خلال العهد الموحدي.

---

(1)- محمد بن أحمد الكانوني، المصدر السابق ، ص94.

(2)- نفسه، ص94.

خلاصة الفصل :

بالرغم من السياسة التي ابتعها عبد المؤمن ابن علي والمتمثلة في تحطيم أسوار المدن إلا أنه في مدينة مراكش لم يطبق سياسته بها فقد اتخذها عاصمة ملكه وقد شهده في عصره بعض الترميمات وبناء الصهاريج وانشاء الحدائق لكن بعد تولي الخليفة يوسف مقاليد الحكم ظهرت الضرورة إلى توسعة المدينة وذلك ببناء مدينة جديدة جنوب الأولى حيث عرفت بتمراكش حيث أصبحت تضاهي المدينة الأم وأصبحت تمثل عظمة السلطة السياسية بحيث تم انعزال دار الخلافة بعيدا عن الأوساط السكنية العادية واحتمائها داخل الأسوار والأبراج والمداخل الضخمة وقد اعتمد في بنائها بواسطة تقنية التابية وهذا بعد زيادة نسبة الجير في تركيبها ووصولها إلى درجة من الصلابة وقد طبقت هذه الطريقة فيما بعد في أسوار مدينة رباط الفتح وفي فاس وغيرها من المدن الموحدية.

قد برع الموحدون في الهندسة المائية حيث شهدت تطورا كبيرا من خلال بناء القنوات والصهاريج والبرك كما جددوا القناطر والجسور.

تميزت العمارة العسكرية في مرحلة قوة الخلافة الموحدية بنظام دفاعي معقد جدا كان الهدف منه بالأساس إلى جعل مدعهم محصنة وظهر ذلك جليا في ضخامة أبوابهم والتي تعكس الثراء المتنوع من حيث التخطيط والعمارة والتغطية والزخرفة، وظهر ذلك جليا من خلال أبواب مدينة رباط الفتح ومراكش وغيرها.

هذا وقد اهتم الخلفاء بالمدن الساحلية فبنوا ثغورها وهيئوا مراسيها وأنشأوا بها دور الصناعة ومن بين المدن التي كانت مرسى الفن ومحط الرحال ومقصد الرجال طوال المدة التي حكم فيها الموحدون مدينة سبة واسفي ورباط تيط، حيث ساهم موقع تلك المدن في انتشار ظاهرة التحصين من قصبات وأسوار وأبراج ومنارات وقد جاءت عمارتها محكمة البناء شديدة الدفاع. وعلى كل فإن العمارة الحربية في عصر الازدهار تنوعت أنماطها ومواد بنائها.

القسم الثاني

الإستحكامات العسكرية الموحدية بالمغرب الأوسط والأندلس

الفصل الأول

العمارة العسكرية ببلاد المغرب الأوسط

تمهيد:

يمكن تقسيم تبعية المنطقة للموحدين إلى المراحل الآتية:

المرحلة الأولى: هي التي تمت حوالي 540ه في القسم الغربي من المغرب الأوسط أي المنطقة الموروثة عن العصر المرابطي، ثم المرحلة الثانية: التي تواجه فيها الموحدون مع الدولة الحمادية، وبعض الأسر الحاكمة في بعض مدن افريقية[1]، ومع عرب المنطقة زيادة على النورمانديين في الساحل وقد امتدت هذه المرحلة على العموم من سنة 547 ه إلى حوالي 568 ه[2] عندما بدأ عنصر الغزو يدخل افريقية وهنا تبدأ المرحلة الثالثة: بظهور العنصر الأجنبي ومعه بنوغانبة، القادمون من جزر شرق الأندلس – مدعمين بعناصر بربرية وعربية، هذه المرحلة تمتد إلى عهد حملة المنصور إلى افريقية سنة 583 ه، حيث أصبحت الدعوة للعباسيين تنافس الدعوة للموحدين[3] فتقلصت سلطة هؤلاء عن شرقي افريقية المتلف حول قراقوش زعيم الغز وعن (الجريد)، الذي سبق أن التف حول أسرة بني الرند أمراء قفصة منذ أواسط القرن الخامس ثم خضع لابن غانية الميروقي المرابطي، وبعد حملة المنصور الافريقية سنة 583ه ، وعودته إلى المغرب الأقصى عمل ابن غانية على اقصاء كل منافس في المنطقة حتى اصبحت البيعة له من طرابلس إلى بونه بما فيها مدينة تونس سنة 600 ه، مما فرض تحرك الخليفة الناصر إلى افريقية لإبعاد بني غانية عنها[4] وكان من النتائج البعيدة لهذه الوضعية قيام الدولة الحفصية بالمنطقة.

---

(1)- من الأسر المحلية التي كان لها نفوذ قبل الموحدين نجد أسرة بني الرند بقفصة إذ كان جدهم: عبد الله بن محمد بن الرند عاملا بني زيري الصنهاجيين بقفصة وما حولها- لمزيد من الاطلاع ينظر: عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص193-195.

(2)- ابن أبي دينار (محمد بن أبي القاسم): كتاب المؤنس في اخبار افريقية وتونس الطبعة الأولى، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية 1286 ه/ 1869 م، ص170-108.

(3)- منذ سنة 568 ه خرج جماعة من الاغزاز- التركمان- نحو افريقية بزعامة قراقوش- ملوك تقي الدين بن أخي صلاح الدين- فاستولى على طرابلس وقابس بدعم عرب منطقتها محولا الدعوة للعباسيين والايوبيين، راجع الرسالتين 30 و31 لليفي بروفنسال: مجموع رسائل موحدية، المرجع السابق، ج10، ص180-199.

(4)- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص 243-244.

ينظر كذلك: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص317-318.

إن السلطة الموحدية كانت تواجه في شرق المغرب الأوسط وافريقية تعدد العناصر أو المنافسة، فهناك القبائل العربية التي كانت تمثل العنصر المتغلب منذ أواسط القرن 5 ه فبعظهم مثلا كانوا يقتسمون مع بني حماد بالمغرب الأوسط الجبابات مناصفة ولذا حاولوا منع الجيش الموحدي من الاستقرار أو التوسع بالمنطقة، بعد القضاء على مملكة بني حماد[1].

فلم يستقروا على الطاعة للموحدين وانما كان بعضهم يظهرها عند تحرك الحملة الموحدية نحوهم، وقد يتراجعون عنها بعودة هذه الحملة إلى مراكش، فكانوا عنصرا مدعما للزعامات السياسية مثل بني الرند بقفصة والغز خاصته فيما بين الجريد وطرابلس.

ولهذا عمد عبد المؤمن بن علي على انشاء خطوط مستمرة من المدن العسكرية ترسم وتتبع خطى التقدم والتقهقر وتحدد مراحل الفتح والاسترداد.

وقد حظت بعض المدن في المغربين بكثرة المباني والتعمير التي أنشئت فيها، ومن هذه المدن مدينة. القرمدين بتلمسان وندرومة، لكون هذه الأراضي تحتل موقعا استراتيجيا هاما بحيث تتحكم في الطرق التجارية الهامة[2]، كما اهتم الموحدون بالعديد من المراسي أهمها مرسى هنين الذي يعتبر الواجهة التي تمكن تلمسان من الاتصال بباقي المدن التجارية في البحر المتوسط، هذا بالإضافة إلى ميناء جزائر بني مزغنة[3] حيث كانت له أهمية كبيرة خاصة وأن إمكانية استعابه للأسطول الموحدي الذي كان يزيد عن الأربعمائة قطعة، زد على ذلك قربة من معقل بني غانية

---

(1)- عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص292.

(2)- استطاعة السلطة الموحدية من خلال تحويلها لبلاد المغرب الإسلامي إلى كتلة سياسية موحدة أن تهيء الجو المناسب لانسياب الحركة التجارية وفق مسالك تجارية آمنة، لعبت دورا كبيرا في رواج الأنشطة التجارية على المستوى الداخلي والخارجي، وتجلى ذلك في إصرار الدولة على القضاء على كل الحركات التي تهدد أمن المسالك التجارية خاصة في الناحية الشرقية، المغرب الأوسط الأدنى- كالعرب الهلالية وبني غانية، والنور مانديين في افريقية، فأدى ذلك إلى احياء المسالك التجارية، كما ولد مجموعة من المراحل والمحطات التي انبثقت عنها كتلة هائلة من المراكز التجارية التي لعبت دور المروج للتجارة على مستويات جغرافية واسعة من الناحية الداخلية- كما لعبت الدور الوسيط التجاري على المستوى الخارجي، إذ من خلالها حققت الدولة حاجياتها من خلال الواردات، وترويج تجارتها من خلال حركة التصدير عبر هذه المراكز لمزيد من الاطلاع حول الطرق التجارية للدولة الموحدية ينظر:... عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6 ه، ط1، دار الشروق بيروت، 1983، ص41 وما بعدها.

(3)- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص232.

في جزر البليار، وقد استخدم من قبل الخليفة محمد الناصر الذي فضل الانطلاق بالأساطيل من هذه القاعدة عوض القاعدة الرئيسية سبتة[1].

كما اهتم الموحدون بمدينة بجاية التي تعتبر من أهم القواعد في المغرب الأوسط، وذلك نظرا لحصانتها طبيعيا كما كان ميناء المدينة يحتوي على دار صناعة السفن[2] ومنه كانت تنطلق عمليات الغزو نحو صقلية ونحو اسبانيا، كما شكلت المدينة محور الصراع بين القوى الموحدية والثوار من بني غانية، هذا وساهم ميناء المدينة في حركة التجارة سواء الداخلية أي بين موانئ الدولة، أو في التجارة الخارجية بنقل البضائع المغربية إلى موانئ المدن الإيطالية والمتوسطية عامة.

كما أرست الدولة الموحدية دعائم الأسطول التجاري والحربي عبر بناء وتوسيع وتطوير دور الصناعة والانشاء على امتداد سواحل افريقية[3]- بترت- تونس- سوسة- المهدية- صفاقس- قابس- طرابلس- فموقع افريقية وسط البحر المتوسط وقربها من الدويلات الإيطالية في هذه الفترة فرض على الموحدين ان ينظموا علاقاتهم مع هذه الكيانات وخاصة، (جنوة وبيزة) [4].

[1]- جزائر بني مزغنة هي مدينة الجزائر الحالية، وكانت هذه المدينة في القديم تحمل اسم ايكسيوم، ثم خربت اثناء هجمات بني مزغنة، وفي أوائل القرن الرابع الهجري /10 ميلادي، أسس بلقين بن زيري بن مناد الصنهاجي مدينة هناك دعاها جزائر بني مزغنة، لمزيد من الاطلاع ينظر:

-Marcais (G), La Barbérie Musulmane et l'orient au moyen- âge paris 1947, pp 121-122.

[2]- عبد المنعم الحميري: المصدر السابق، ص81.

[3]- مؤلف مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ج2، ص110-125.

[4]- كان لموقع بلاد افريقية الدور الكبير في توثيق العلاقات التجارية بينهما وبين الجمهوريات الإيطالية، وكانت جمهورية جنوة أول من تبعث بوفد إلى السلطان الموحدي- عبد المؤمن بن علي عام 1161 م، وابرمت معه معاهدة تقرر فيها دوام السلم بين الموحدين وجمهورية جنوه لمدة 15 سنة أما جمهورية بيزا فقد وقعت هي الأخرى معاهدة مع الموحدين حيث وقع سفيرها عام 1166 م، معاهدة مع أبي يعقوب يوسف، وسمح لهم بإقامة فندق خاص بهم في زويلة وهي الضاحية الكبرى لمدينة المهدية للمزيد من الاطلاع ينظر: سلفاتوري بونو، **العلاقات التجارية بين بلدان المغرب وإيطاليا في العصر الوسيط**، ترجمة: عمر الباروني، مجلة البحوث التاريخية، العدد 02، 1986، ص309-310.

فنجدهم حددوا الضرائب الجمركية وتحديد مراسي التبادل وبكل منها ديوان خاص لضبط التجارة الخارجية، وعادة ما يؤدي تطور المبادلات المنظمة إلى تراجع القرصنة البحرية، مما يزيد في الرواج التجاري.

يمكن القول أن الخلفاء الموحدين، قاموا بضبط أمور افريقية، وذلك عن طريق أعمارها، وبث القضاة فيها، وتحصين ثغورها والاكثار من تشييد العمائر ذات الصفة الحربية، وكان ذلك للحفاظ على دولتهم من أي خطر خارجي أو داخلي.

هذا و لم يكتف الموحدون، ببناء تحصينات جديدة أو اصلاح النظام الدفاعي الذي كان موجودا سواء بالمغرب الأوسط أو افريقية بل قاموا كذلك بتأسيس مدينة جديدة عرفت بمدينة البطحاء، التي كانت تعتبر من أبرز المدن الواقعة على ضفاف وادي – مينا- بغليزان- والتي تميزت بخاصية الضبطية المتمثلة في تأمين الطرق التجارية، والخاصية الجبائية لإستحصال الضرائب من القبائل، ولضمان استقرار القبائل خاصة تلك المتمردة باستمرار.

لقد كان تشييد العديد من التحصينات من طرف الخلفاء الموحدون في المغرب الأوسط وافريقية وذلك للدفاع عن سيادهم، وتدعيم سيطرهم عليها وذلك بالارتكاز على تنظيم عسكري محكم باعتبار أن أساس الدولة هو التنظيم العسكري السليم، ولهذا عمد الخلفاء الموحدون على تقسيم المنطقة إلى ولايات ضمت كل من – تلمسان- بجاية وافريقية كما تم تعيين على رأس هذه الولايات ولاة لإدارتها[1]

---

[1]- نجد أن عبد المؤمن بن علي قام بتعين ابنه السيد أبا حفص بتلمسان وأحوازها- كما قام كذلك بتعيين على مدينة سوسة أحد الحفاظ وهو عبد الحق بن علناس الكومي، كما عين على مدينة صفاقس أحد الحفاظ من الموحدين، كما عين ابنه أبي محمد عبد الله على بجاية وقام بتعيين أحد الموحدين المتمتعين بثقته إلى جانبه وهو أبو سعيد يخلف بن الحسن، وقد اتبع خلفاء الموحدين سياسة الخليفة عبد المؤمن في تعيين الولاة، حيث نجد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ولى أخاه أبا زكريا يحي على بجاية سنة 561 ه، وولى أخاه أبا الحسن على افريقية سنة 576 ه ثم وكل اليه عمل تلمسان سنة 580 ه.

للمزيد من الاطلاع: ينظر: حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والاندلس، عصر المرابطين والموحدين، ط1، مكتبة الخانجي، مصر 1980، ص85-91.

غالبا ما يكونون من طبقة السادة أو أشياخ الموحدين، وكان تعيينهم من صلاحيات الخليفة وحده، كما قسمت الولايات بدورها إلى أقسام إدارية صغرى يحكمها أحد الحفاظ وعن المهام التي أوكلت إلى الوالي، فنجد أن مهمته كانت عسكرية بالدرجة الأولى، فهو يعمل على القضاء على الفتن والثورات ويحفظ الأمن ويدفع الخطر الخارجي، ويساهم في مساعدة الولايات المجاورة عسكريا، ويشارك في غزوات الخليفة كما أوكلت له مهام إدارية مدنية أخرى كالإشراف على البناء والعمران والزراعة وغيرها من الشؤون الخاصة بولايته.

إن حركة بناء المنشآت العسكرية والمؤسسات الحربية الموحدية في المغربيين الأوسط الأدنى) كانت تتبع بالضرورة اتساع نفوذ دولتهم، هذه المنشآت المعمارية التي لا يتسرب الشك إلى أهميتها رغم قلة ما وصلنا منها سالمة الأثر، وذلك راجع بطبيعة الحال في رأينا إلى سببين اثنين. تمثلا في:

1. تعرض تلك البنايات للتهديم من طرف الدول الآحقة إما بهدف توسعة المدن وضم أرباضها المنتشرة من خارج أسوارها، كما حصل على العهد الزياني والمريني بكل من تلمسان وهنيين، أو من خلال ترميم وإصلاح اعادة بناء لتلك المنشآت، كما فعل الحفصييون، بالمهدية وتونس وبجاية أو كما فعله الزيانيون حينما قاموا ببناء حصن- تمزيزكت- ببجاية- حيث كان الغرض من بناءه التضييق على المدينة، أو من خلال الطمس والهدم وإعادة البناء من جديد لكن بانشاء تحصينات خاصة ومؤهلة لاستعمال الأسلحة النارية الثقيلة، وهو ما نجده في مدينة تلمسان حيث عمل السلاطين الزيانيين على تقوية المدينة خشية العثمانيين في الشرق أو الاسبان في الشمال فكانت في حالة حصار دائم، فما إن تنتهي حربها مع أهل الشرق حتى تبدأ مع الشمال (اسبانيا).

2. وربما يرجع قلة تلك المنشآت العسكرية التي ترجع إلى العهد الموحدي لكون اعتبار المغربيين- خاصة افريقية- نقطة ضعف بالنسبة للموحدين سواءا سياسيا أو عسكريا فانهم ركزوا جل اهتمامهم على المغرب الأقصى، وكذلك على الأندلس، التي كانت ظروفها انسب

لهم سواء من حيث ممارسة مبدأ- الجهاد- ضد النصارى والضد المجسمين أي بني مردنيش على الخصوص الذين قاوموا طويلا الزحف الموحدي نحو شرق الأندلس- أو من خلال بناء عدة مراكز حضرية وحصنوها بأبراج، وأبواب، وأسوار، وقصبات وذلك من أجل حماية الخطوط الدفاعية ضد أي هجوم يقع عليها من الشمال.

وبالتالي فإنه من الضروري جدا وضع قرار بناء هذه الصروح في سياقها التاريخي حتى نفهم الأهداف التي خلقت من أجلها.

إذ أن هناك مؤشرات عدة تدل على أن نظام المدن الموجودة في المغربين- الأوسط والأدنى- الدفاعي الذي يقدم لنا نماذج متنوعة من حيث التصميم ومواد البناء وتقنياته هو نظام معقد جدا بدأه الموحدون بأسوار عالية وذات سمك كبير وأبواب مرفقية، ثم اضافت إليه الدول اللاحقة – الزيانيين- المرينيين الحفصيين العثمانيين الإسبان- الفرنسيين أسوار وأبراج وقصبات وقلاع أخرى لتدعيمه وتحصينه أكثر.

ان ما تبقى من هذه المنشآت حاليا فهي معدودة على رؤوس الأصابع، لكنها تقدم نماذج استطاعت أن تقاوم الزمن وتبقى شاهدة على ما صنع في المغرب الأوسط خاصة من عمارة عسكرية، وتؤرخ لتطورها من خلال تنوع عناصرها المعمارية ومواد بنائها وتقنياته.

للإشارة فقط فانه يجب التنويه على أن دراستنا اقتصرت على المغرب الأوسط وذلك راجع بطبيعة الحال لعدم وجود منشأة في يالمغرب الأدنى والتي ترجع إلى العهد الموحدي من جهة ومن جهة أخرى أنه فيما يخص العمارة العسكرية الموحدية في المغرب الاوسط تحديدا لم يتم التطرق لها على حد علمي، إلا من خلال إشارات سطحية في بعض الأبحاث العامة، بحيث لم تنفرد أي دراسة بالحديث عنها بشكل مفصل، وكل ما نعثر عليه لا يتعدى أفكارا عامة عن تاريخها خصوصا تلك التي ما زالت قائمة وذلك ضمن دراسات شاملة عن المدن كتلمسان وهنيين وبجاية وغيرها، حيث يأتي الجانب العمراني بجميع اصنافه كجزء من موادها.

وسنحاول من خلال هذه الفصل تجميع أقصى ما يمكن من المعلومات المتوفرة في النصوص التاريخية وما استطعنا أن تقف عليه في الميدان بخصوص المباني العسكرية التي بنيت في المغرب الأوسط خلال العهد الموحدي، ووصف مكوناتها بشكل دقيق وفي الأخير استقراء لخصوصيتها التاريخية والعمرانية، وذلك في انتظار بحوث أكثر دقة من حيث الحقبة التاريخية أو المجال الجغرافي التي كانت تتحكم فيه تلك الدولة.

أولا: مدينة تلمسان[1]

1. الموقع الجغرافي : (أنظر خريطة رقم15)

تقع مدينة تلمسان على خط طول 1.30 دقيقة غرب غرينيتش، وخط عرض 34.53 دقيقة شمال خط الاستواء. وتبعد مدينة تلمسان عن الجزائر العاصمة حوالي 444.62 كلم[2].

وتتجلى أهمية المدينة بكونها تتربع على السفح الشمالي من جبال سلسلة التلي، يرتفع موقعها ب: 806 م على مستوى سطح البحر، وتحيط بها الجبال والهضاب الصخرية من الجهة الجنوبية وتحدها من الشمال الغربي مرتفع ترارة، وجبل فلاوسن، أما من الشمال الشرقي فتوجد مرتفعات السبعة شيوخ وتاسلة، وتتألف المدينة من أربع سلاسل جبلية وهي: [3]

---

[1]- يرى عبد الوهاب بن منصور ان لفظ تلمسان مشتق من الكلمة الأمازيغية تيلموس أو تيلماس، وكلا اللفظين يجمع على تيلميسان وتيليماسين، ومعناها العيون أو نقط الماء أو العيون الغزيرة بالبربرية، ومنهم من رأي أن تلمسان من اللفظ البربري- تلمسان- بفتحتين وسكون الميم باندماج اللفظين "تلا" وامسان" وتعني عينا ناضبة حيث تحولت الأولى إلى "تيلي" وحذفت الهمزة من الجزء الثاني من اللفظ فأصبحت تلمسان- لمزيد من الاطلاع ينظر: عبد الوهاب بن منصور: تلمسان تحليل لغوي وتاريخي للأسماء التي دعيت بها حاضرة المغرب مطبعة ابن خلدون. تلمسان 1365 ه، ص09 وما بعدها.

[2]–richard. l. Lawlless : tlemcen capital du magreb central analyse des fonctions d'une ville islamique médieval ; revue de l'occident musulman et de la mediterrannée N° :20 2éme semestre Aix en provemcal 1975, p110-111.

[3]- الحاج محمد بن رمضان شاوش: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2011، ص27، 29، 31.

- سلسلة جبال تنوشفي التي يبلغ ارتفاعها 1483 م، وهذه السلسلة تشرف على المفازة التي توجد بها مدينة سبدو الواقعة على نحو 59 كلم جنوب تلمسان.
- سلسلة جبال بني إسماعيل المشرفة على المفازة الممتدة من قرية أولاد الميمون شرقا إلى مدينة سبدو غربا وهذه السلسلة المؤلفة من 12 قمة تدعى الاثنا عشر رسولا.

– سلسلة جبال رأس عصفور التي يبلغ ارتفاع أعلى قمة بها 1566 م وهي تشرف على السهل الذي توجد به مدينة وجدة.

– سلسلة جبال لالة ستي التي يبلغ ارتفاع أعلى قمة بها 1306 م، وهذه السلسلة تشرف على مدينة تلمسان الموجودة في سفحها الشمالي وتنبع من هذه الهضبة عين غزيرة تدعى الفوارة

كما تشرف المدينة من الناحية الشمالية على سهول خصبة تعرف بسهول – الحنايا- الممتدة نحو الغرب، حيث تتصل بسهول لالة مغنية، وكانت هذه الجبال والهضاب التي تكسوها غابة، من شجر الصنوبر بمثابة حصون قوية تحميها من أي هجوم وأعظم هذه الغبابات غابة زريفت وغابة أحفير وكلتاهما واقعة في الجنوب الغربي من مدينة تلمسان.

أما البسائط المكتنفة للمدنية فإنها تمتاز بجودة أراضيها المنتجة لجميع أصناف الحبوب من قمح وشعير، وكذلك جميع الخضر.

كما تتوفر جبال تلمسان الواقعة في غربها وشمالها على معادن كثيرة ولاسيما معادن الحديد والرخام والمرمر[1]، وبحكم التكوينات الجيولوجية الذي يساعد على تخزين كميات هائلة من مياه الأمطار نجد توفر موقع المدينة على المسطحات المائية، هذا بالإضافة إلى وادي متشكانة الذي يمر بجنوب المدينة وبشرقها حيث يقول الادريسي:« .... ولها نهر تلمسان يأتيها من جبلها المسمى بالصخرتين....» [2]كما تنحدر من جبالها أودية أخرى كوادي الصفصيف

---

(1)– Alengrin (m), tlemcen et sa région, imprimerie régional, tlemcen, 1941, p11-12.

(2)– الادريسي المصدر السابق، ص80.

ووادي الوريط، وبمقارنة شروط أحسن مواضع المدن والتي تجمع خمسة أشياء مع تلمسان، يلاحظ أنها متوفرة فيها من خلال موقعها الجغرافي، والسلطة السياسية فيها، فالأنهار موجودة داخل المدينة وخارجها، والأرض والسهول المحيطة بتلمسان مكنتها من توفير الغذاء لسكان المدينة والمناطق المجاورة لها أحيانا، الأمر الذي أدى إلى وجود الأحراش التي استخدمت كمحطب قريب للمدينة وقت الشتاء.

لقد ساهمت مدينة تلمسان بدور كبير في تطور تاريخ المغرب الإسلامي خاصة اثناء الحكم الموحدي، فقد كانت حاضرة كبرى قصدها العلماء والزهاد والأولياء وازدهرت فيها التجارة والحرف، وبنيت فيها أجمل الجوامع والدور والقصبات، ويرجع ذلك بالتأكيد إلى موقعها الجغرافي الاستراتيجي بحيث تقع في مكان تقاطع الطريقين التجاريين الهامين في بلاد المغرب وهما: الطريق الرابط بين الشرق والغرب، والمار بوادي الشلف إلى تلمسان ومنها إلى فاس فسجلماسة، والطريق الذي يصل الشمال بالجنوب، مرورا بمدينة فجيج وتوات إلى بلاد السودان[1].

كما كانت لها ممرات سهلة، تربطها بالساحل، فقد كانت لها طرق حيوية نحو موانئ هنين ووهران وأرشقول، وهو الشيء الذي زاد من أهميتها فإزدهرت اقتصاديا، وانتعشت فكريا وتطورت عمرانيا ونمت ديمغرافيا، لأن موانئها تقترب من موانئ الأندلس، لقد جعلها موقعها المميز هذا تفتح أبوابها لتجارة أوربا وتجارة المغرب الأقصى والمشرق.

إن أهمية تلمسان لن تقتصر على المنافذ التجارية البرية منها والبحرية فحسب، بل تعدت أهميتها إلى الملامح الطبوغرافية، التي ضمنت لها حصانة طبيعية قوية فقد وفر لها موقعها سهولة الدفاع وقوة الصمود أمام أي هجوم.

---

[1]–Abbé Barges, souvenir d'un voyage a tlemcen, imprimerie orientale de nicolas, paris, 1859, pp 189-190.

ينظر كذلك: الحاج محمد، المرجع السابق، ص27.

2- تحصيناها:

يقول ابن عذاري المراكشي: قال الأشيري:« وكان قدوم أبي محمد عبد المؤمن على تلمسان بعد فتح وهران يوم الجمعة... من عام تسع وثلاثين فترل بالمنية ونفذ حكم الله في أهل تاجرارت ... وقال ابن بجير: لما وصل إلى أهل تلمسان ما جرى لأهل وهران خافوا خوفا شديدا... ودخل عبد المؤمن تلمسان وقتل فيها خلقا في فندق كليلا وأقام سبعة أشهر ثم ولى عليها سليمان بن محمد بن واندوين الهنتاتي ورحل إلى منازلة فاس في ربيع الأخير من عام أربعين... » [1].

يفهم من كلام ابن عذارى أن الموحدين وبعد دخولهم مدينة تلمسان في نهاية 539 ه- 1144 م.

قاموا بقتل معظم سكان المدينة، وتخريب عمرانها، وهو ما يؤكده صاحب الحلل حيث يقول:« ... ولما دخل عبد المؤمن وهران، وانصرف بعد ذلك إلى تلمسان فملكها ودخلها عنوة، وقتل أهلها وسبى حريمها... ذكر ابن اليسع أنه بلغ عدد القتلى إلى مائة ألف، أو أزيد ملكها أقام بها سبعة أشهر... » [2].

ان هذه الاستراتيجية السياسية العامة نهجها الموحدون في عهد عبد المؤمن بن علي والتي استهدف تحطيم أسوار بعض الحواضر الكبرى التي كانت تشكل أوكارا للفتن والتورات كفاس وتلمسان ومكناس ووهران، وغيرها في وقت لم يكن فيه الموحدون قد استكملوا بعد نشر دعوتهم، وتمكين سلطتهم للمغرب الإسلامي، لكن كما قلنا في الفصل السابق، أن الموحدون قد أدركوا خطورة تواجد مدنهم معراة من حصونها، ولهذا قد عمدوا إلى إعادة بناء ما خربوه في

[1]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص22-23.

[2]- مؤلف مجهول: الحلل...، المصدر السابق، ص135.

مدينة تلمسان بالشكل الذي حدث بالنسبة للمدن الأخرى التي كان قد أصابها غضب الموحدين.

لقد اهتم الموحدون بتلمسان ومنحوها اهتماما خاصا، وذلك نظرا لموقعها وجيوشها فأقاموا فيها المباني، والقصور وحصنوها بالأسوار والخنادق، وأصبحت مركزا للولاية الممتدة من ملوية غربا إلى نهر مينة شرقا.

وقد تولى ولاية تلمسان من الموحدين كل من: سليمان بن محمد بن واندين الهشتاني وعمه يوسف من بداية الفتح إلى سنة 549 ه/ 1155 م، ثم أبي حفص عمر بن الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي، ثم السيدان عمران موسى بن عبد المؤمن سنة 565 ه/1169م، ثم خلفه السيد أبو الحسن علي بن عمر بن المؤمن سنة 571 ه/1175 م، ثم تولى الولاية السيد أبو ربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن سنة 576 ه/ 1205 م، ثم أبو زيد بن يوجان سنة 605 ه/ 624 ه. 1208م -1226 م، ثم السيد سعيد شقيق الخليفة الموحدي ادريس المأمون 624 ه- 629 ه/ 1226 م-1231 م[1].

لقد صرف هؤلاء الولاة نظرهم واهتمامهم بشأنها كما جاء عند ابن خلدون حيث يقول« ... وصرف ولاة الموحدين بتلمسان من السادة نظرهم واهتمامهم بشأنها إلى تحصينها وتشييد أسوارها، وحشد الناس إلى عمرانها والتناغي في تمصيرها واتخاذها الصروح والقصور بها... فأصبحت تلمسان قاعدة المغرب الأوسط... » [2].

إن هذه الصورة المشرفة التي نكونها على مدينة تلمسان في العهد الموحدي من خلال ما كتبه المؤرخون والرحالة عنها، أو من خلال ما تحتفظ به حاليا من بعض الشواهد العمرانية،

---

[1]- حول تعيين الخلفاء الموحدين لولاتهم على أقاليم خلافتهم ينظر: هويثي ميراند، المرجع السابق، ص162، وما بعدها ينظر كذلك: أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج2، ص68-77.

[2]- عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص104.

تدل على دورها التاريخي باعتبارها قطبا اقتصاديا واجتماعيا ودينيا ينعم بالسلم والازدهار، لا يجب أن تنسينا ما عاشته هذه المدينة من محن شديدة على شكل حروب وفتن وحصارات كثيرة كانت مسرحا لها، وأكيد أنه كلما ذاع صيتها أكثر في ربوع المغرب الإسلامي إلا وكثرت هجمات القبائل الثائرة عليها وتضاعفت.

ونظرا لقيمة تلمسان الكبيرة فقد كان الاهتمام بتحصينتها بشكل جيد أمرا حاضرا بقوة على اعتبار مكانتها الكبيرة من الناحية الاستراتيجية، حيث أصبحت كما قال ابن خلدون من أعز معاقل المغرب وأحصن أمصاره، وأصبح الناس يفدون عليها من كل جهة للاحتماء بها والتمتع بالتطور التاريخي والحضاري الذي تنعم به خاصة بعد أن خرب ابن غانية مدينة تاهرت الداخلية، ومدينة أرشكول الساحلية فأصبحت هي قبلة الجميع[1].

للإشارة فقط فإن أغلب هذه التحصينات الحربية قد هدم إن لم نقل أنه اندثر خصوصا على العهد الزياني والاسباني، وحلت محلها منشآت أكبر تتلائم وحجم المدينة كما خضعت تلك المنشآت للإصلاح والترميم كلما دعت الضرورة لذلك فيما بعد وبينت تحصينات أخرى ساهمت في تدعيم هذا النظام العسكري.

وسنحاول الوقوف على تلك المنشآن الحربية التي بنيت بمدينة تلمسان.

أ. الأسوار: (أنظر صورة رقم 23)

يقول الإدريسي« ... وتلمسان أزلية ولها سور حصين متقن الوثاقة وهي مدينتان في واحدة يفصل بينهما سور... » [2]. كما أكد ذلك محمد العبدري البلنسي- الذي زار المدينة

[1]_[1]- عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج7 ، ص105.

[2]- الادريسي، المصدر السابق، ص80.

سنة 677 ه/ 1290 م- أن تلمسان تتكون من مدينتين هما: أجادير[1]. وهو القسم القديم وتاكرارت[2]. كما جاء عند صاحب كتاب بغية الرواد« ...والثانية تعرف بتجرارت بناها ملك لمتونة يوسف بن تاشفين في حدود اثنتين وستين وأربعمئة بمكان محتلة... » [3].

من خلال النصين نستطيع القول بأن تلمسان تتكون من مدينتين أولها أغادير وهي من البناء الأول، والثانية تاجرارت أو تاكرارت وهي مستحدثة من قبل يوسف بن تاشفين لكن يستوقفنا تاريخ 462 ه/ 1069 م الذي ذكره يحي بن خلدون بالنسبة لبناء مدينة تاكرارت خاصة إذا علمنا أن فتح تلمسان كان سنة 468 ه/1075 م كما جاء عند صاحب الحلل الموشية:« ... وفي سنة ثمان وستين بعدها: فتح مدينة تلمسان وكان أميرهما العباس بن يحي الزناتي » [4]. ومهما يكن فان بناء مدينة تاكرارت قد تم بعد سنة 468 ه على اعتبار أن التأسيس الحقيقي للمدينة بكل مستلزماتها لم يقع الا عند حصول المرابطين على مستوى كاف من التمكن والاستقرار. ولعل أقرب تاريخ هو سنة 472 ه/ كما جاء في رواية ابن زرع[5].

لقد عظم شأن المدينة الجديدة وكثر عمرانها لأنها صارت مقر عامل المرابطين ونزل القواد والجنود، وهو ما دعا إلى تشييد دار الامارة والمسجد الجامع ثم ابتنى الناس دورهم ومساكنهم حول دار الإمارة وإحاطتها بأسوار.

---

(1)-قد تعددت الكتابات بقدر ما تعددت المعاني من قبل المؤرخين العرب والمستشرقين، وقد تعود هذه التغييرات التي طرأت على اللفظ إلى تأثر السكان بالحقبة التاريخية التي مرت بها، والظاهر أن اسم "أغادير" و"أقادير" و"أجادير" و"أكادير" يتضمن مع معنى واحد مع اختلاف نطق الحرف الثاني من الكلمة، وتعني اجادير: جدار قديم ومدينة محصنة لمزيد من الاطلاع ينظر: محمد بن عمر الطمار، تلمسان في العهد الزياني.

(2)- وردت بألفاظ متعددة منها: تاكرارت التي تعني المحلة باللغة البربرية وتغرارت وتعني المتاع، ونجدها وردت تاقرارت وتعني الحصن لمزيد من الاطلاع ينظر:.Alengrin (M), op cit, p12

(3)- يحي بن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد تحقيق عبد الحميد حاجيات، ج1، المكتبة الوطنية الجزائر، 1980، ص25.

(4)- مؤلف مجهول، الحلل... المصدر السابق، ص28.

(5)- ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص143.

لكن كانت مفصولة بسور عن أغادير، وقد أكد ذلك صاحب الروض المعطار في قوله:« ... ولها- تلمسان- سور متقن الوثاقة، وهي مدينتان في واحدة...» [1].

إن هدف يوسف بن تاشفين من إقامة تاكرارت وفصلها بسور عن المدينة القديمة أجادير، أن تكون مكانا لاقامة الجند والحامية لأنه يوجد عداء بين الصنهاجيين والزناتيين، وحتى تكون مخزنا للأسلحة والمؤمن على الحدود الشرقية للمرابطين لتتمكن الوقوف أمام تقدم القبائل الهلالية نحو الغرب.

وقد هدمت تلمسان سنة 539 ه وبالذات قسم أجادير، من طرف عبد المؤمن بن علي كما جاء عند ابن خلدون في قوله:« ... ولما غلب عبد المؤمن لمتونة وقتل تاشفين بن علي بوهران خربها وخرب تلمسان...ثم راجع رأيه فيها وندب الناس إلى عمرانها، وجمع الأيدي على رم ما تثلم من أسوارها- أجادير-... » [2].

ثم توسعت رقعة المدينة من جهة الجنوب الغربي لمدينة تاكرارت مع احتفاظها بمقر الولاية، وهذا في خلافة يوسف بن عبد المؤمن وابنه يعقوب المنصور.

---

(1)- الحميري: المصدر السابق، ص135.

(2)- عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص104.



ان تفحص المراجع والمصادر التاريخية التي تناولت مدينة تلمسان (أجادير وتاكرات)، يسمح بتسطير المراحل التي مر بها حزام الأسوار بهذه المدينة التي تتجاوز مساحتها الكلية 43 هكتار وتشمل هذه المراحل ما يلي:[1].

وتبدأ هذه المرحلة منذ تأسيس بنو يفرن الزنايتون بقيادة أبي قرة اليفرني سنة 148 ه/766 م [2]، مدينة أجادير، حيث أحاط هذه المدينة بسور لا تزال بعض جدرانه قائمة إلى يومنا هذا، لكن في حالة أية للسقوط، إذ أن أحد أبواب المدينة، وهو الباب الغربي كان يحمل اسم باب أبي قرة، ثم زاد في تحصين أجادير بنو خزر المغراويون، ولما تملك المولى ادريس بن عبد الله أجادير سنة 174 ه/ 790 م[3]. شيد بها مسجدها الجامع وفي سنة 199 ه/ 815 م[4]. قام ادريس الثاني بترميم سور مدينة أجادير بعدما انثلم جراء أحداث الخوارج الصفرية وبقت المدينة على هذا الحال حتى جدد بنائها وترميم أسوارها أمراء بني يعلي المغراويين عام 381 ه/991 م[5]. وظلت المدينة سالمة حتى أواسط القرن 05 ه.

---

[1]- يمكن التذكير هنا أن الجرد التاريخي لتطور حزام الأسوار لمدينة تلمسان أنه كانت هناك رغبة متجددة في الحفاظ على هذا الحزام حول المدينة، وهذه الرغبة ليست نابعة من منطلقات مآثرية بقدر ما تعكس الحاجة إلى هذا الحزام لتوظيفه في أغراض تتباين حسب الفترات التاريخية، فمع تأسيس الدولة الزيانية سنة 1235 م/633 ه رفع يغمراسن من شأن المدينة باتخاذها عاصمة لدولته لذا وسع رقعتها من الناحية الشرقية الجنوبية تحسبا لاستقبال العائلات الاندلسية، فعمر المنطقة بين المشور وحي الرحيبسة وبتالي زاد في سور هذه المدينة من هذه الناحية كما قام أبو حمو موسى الأول سنة 1307 م/ 707 ه، بالتهيئته العمرانية للجهة الغربية من المدينة مع تخصيص الجزء الشمالي لقبائل الرحل وبالجزء الجنوبي شيد أولى مدارس تلمسان، وفي أواسط القرن السادس عشر يكتمل النسيج العمراني للمدينة من قبل العثمانيين وعند استغلال الجزء الجنوبي من المدينة حي باب الحديد، وعند احتلال المدينة سنة 1842 م أدخلت السلطات الاستدمارية تغييرات جذرية على عمران تلمسان، فاخترقت الأحياء السكنية ودمرت المعالم الحضارية من مدارس ومساجد، بدعوى تحديث النسيج العمراني وبالتالي تحطيم أغلب أسوار المدينة، وهذا بعد فتح الشارع الوطني – شارع العقيد لطفي- بعرض 33 م سنة 1860 وفي سنة 1920 بدأ التعمير بالبناء ما وراء الأسوار وانشاء حي بوسيجور، بيل أير على الطريق المؤدي إلى المنصورة لمزيد من الاطلاع حول التطور الحضاري لمدينة تلمسان ينظر: الطمار محمد بن عمر: تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص28 وما بعدها.

[2]- ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص21.

[3]- المصدر نفسه، ص21-22.

[4]- ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص55.

[5]- المصدر نفسه، ص104-105.

العهد المرابطي: مثلت هذه المرحلة استحداث مدينة جديدة في الجنوب الغربي من أجادير، وعرفت بمدينة تاكرارت كما سبق ذكره، وأصبحت تلمسان مدينتين مسورتان يفصل بينهما سور.

المرحلة الموحدية: ويمكن التمييز فيها بين مرحلتين:

أ. أمر عبد المؤمن بعد مكوثه في مدينة تلمسان مدة ستة أشهر، بتجديد بناء سورها أي مدينة أجادير وتحصينها حسب ما أخبرنا به ابن خلدون.

ب. توسعة مدينة تاكرارت من جهة الجنوب الغربي واحاطتها بسور ضخم وكان ذلك سنة 556 ه/ 1160 م، بأمر من الوالي الموحدي أبو عمران بن يوسف بن عيد المؤمن يقول ابن خلدون:« ... وكان من أعظمهم اهتماما بذلك واسعهم فيه نظرا السيد أبو عمران موسى ابن أمير المؤمنين يوسف العشري ووليها سنة (خمس وستين وخمسمائة) على عهد ابيه يوسف بن عبد المؤمن .... فشيد بناءها وأوسع خطتها وأدار سياج الأسوار عليها... » [1].

وعندما استولى بنوغانية على بجاية وجزائر بني مزغنة سنة 581 ه/ 1185 م، وأصبحوا يهددون مدينة تلمسان زاد الموحدون في تحصينها بأمر من عاملها أبي الحسن بن أبي حفص بن عبد المؤمن يقول ابن خلدون:« ... ولما كان من أمر بني غانية وخروجهم من ميروقة سنة احدى وثمانين ما قدمناه وكبسوا بجاية فملكوها وتخطوا إلى الجزائر ومليانة فغلبوا عليها تلافى السيد أبو الحسن أمره بإنعام النظر في تشييد أسوارهـــا والاستبلاغ في تحصينها وسد فروجها واعماق الحفائر نطاقا عليها حتى صيرها من أعز معاقل المغرب وأحصن أمصاره... » [2].

يستفاد من هذين النصين أن مدينة تلمسان العليا- تاكرارت- قد بلغت أقصى اتساع لها في عهد يوسف بن عبد المؤمن، حتى فرضت نفسها كمدينة رسمية تظاهي مدينة أجادير حيث

---

[1]- عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص104.

[2]-المصدر نفسه، ج7، ص104.

كان يقطن واليها السيد أبو عمران موسى- بقصرها المجاور للمسجد الجامع والمتصل به وهو القصر الذي بناه المرابطون والمسمى بالقصر القديم، كما كان السيد أبو عمران تشديد الاهتمام وحريص كل الحرص على تحصين المدينة وإعادة بناء أسوارها ولعله هو من قام ببناء أسوار تاكرارت وهو ما نستقيه من صاحب كتاب بغية الرواد الذي قال:« ... وابتدا ببناء سورها- تاكرارت- السيد موسى بن يوسف العسري بن عبد المؤمن بن علي سنة ست وستين وخمسمئة وكمله وحصنه أبو الحسن بن السيد أبي حفص بن عيد المؤمن في حدود احدى وثمانين... » [1].

فالنص هنا يبين بكل وضوح أن بناء أسوار تاكرارت قد كان سنة 566 ه، وأكملها أبو الحسن سنة 581 ه.

من المعروف من خلال المصادر التاريخية المكتوبة أو مما يلاحظ في الميدان أن السور الذي لا يزال يحيط اليوم بجزء كبير من مدينة تاكرارت، هو من بناء أبو الحسن بن السيد أبي حفص الموحدي، فزعم إعادة بناء العديد من مكوناته خصوصا على العهد الزياني إلا أنه استطاع أن يحافظ على مساره الأصلي، الذي كان يشكل الحدود الحضرية لمدينة تاكرارت أنذاك، وقد فقد هذا السور أجزاء عديدة منه، خصوصا مع بداية عملية توسيع الشوارع ابتداءً من خمسينات القرن الماضي، بما في ذلك بعض الأبواب كما استحدثت فيه الكثير من المداخل الجديدة ويمكن تقسيمه إلى:

[1]- يحي بن خلدون: المصدر السابق، ص21.

1. من باب القرماديين (القرمدين) إلى باب الحلوي:

يضم هذا الجزء من سور تاكرارت[1] عدة شواهد من السور الموحدي خصوصا من الناحية اليمنى لباب القرماديين، حيث ما زلنا نشاهده في بعض المقاطع، وقد شيد على موقع ذرو تضاريس مختلفة، مما أدى إلى عدم انتظام شكل السور ويترل السور انطلاقا من باب القرماديين في اتجاه باب سيدي البراذعي، ويوجد هذا الجزء في حالة متدهورة جدا، حيث أنه يتقطع في عدة نقاط وفقد أجزاء كثيرة كالشرفات التي كانت تعلوه ولذلك فان علوه يبدو مختلفا من نقطة لأخرى، حيث أنه يتراوح بين 04 م و05 م كما أنه لا يتوفر على أبراج دفاعية نتيجة تهدمها في فترات لاحقة- الفرنسيين- وقد بنى هذا السور بتابية صلبة يبلغ سمكها حوالي 1.50م وتتخللها بعض الأحجار والآجر، وهو ما أكده ابن خلدون من خلال وصفه لعمران تلمسان وطريقة البناء في العهد الموحدي وبالضبط اثناء ولاية ابي الحسن بن السيد أبي حفص، حيث يقول:« ...ولم يزل عمران تلمسان يتزايد وخطتها تتسع الصروح بها بالآجر والفهر تعلى وتشاد.... » [2].

أما جزءه الذي يصل إلى باب العلوي فانه قد اندثر تقريبا بأكمله بما في ذلك الباب نفسه، والذي تهدم اثناء الاحتلال الاستدماري الفرنسي الذي أدخل تغيرات جذرية على الأسوار الإسلامية حيث استهدف تخريبها وتعويضها بأسوار أخرى وفق تقنيات جديدة.

---

[1]- لقد أكد جورج مارسيه في كتابه عن مدينة تلمسان أن هذا الجزء من السور يعود إلى الفترة المرابطية، وكان دليله في ذلك تقنية البناء المتمثلة في الأحجار في الأساس والطابية من فوقه، لكنه أهمل في نفس الوقت الأدلة النصية التي تؤكد على إعادة بناء هذا السور من طرف الموحدين ينظر:

Georges, marçais : les villes d'art célébres tlemeen, librairie renourd, H, LAYURENS, editeur, paris, 1950, pp 36-37.

[2]- عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص105.

2. من باب كشوط إلى باب القرماديين:

يسير هذا الجزء من سور تاكرارت انطلاقا من باب كشوط في منخفض، و لم يتبق منه هنا سوى آثار قليلة ذات سمك مهم يصل إلى 1.90 م على غرار السور الأول، لكن نراه وقد فقد علوه الأصلي وابراجه الدفاعية وممر الجند، ومعظم الشرفات التي كانت تزينه و لم يعد ارتفاعه يفوق 4 م، وعندما تقترب من باب القرماديين من الناحية اليسرى في جهته الجهة الغربية للمدينة يختفي تماما هذا السور بالقرب من باب وهران الحالي.

أما الجزء المتصل بباب القرماديين، فيتميز عموما بانتظام بنائه من حيث تناسق شكله، وقد فقد معظم أجزاءه مثل الشرفات التي كانت تعلوه ويتراوح علوه ما بين 4.50 م و5 م، كما أنه لا يتوفر اليوم على الأبراج التي كانت تدعمه وقد بني هذا السور بتابية ذات سمك لاي تعدى 1.70 م، ويبدو من خلال هذه الخصائص العمرانية أن الأمر يتعلق بسور مبني على طريقة البناء الزياني[1]. إذ من المعروف من خلال الكتابات التاريخية أن السلطان الزياني أبو يحي يغمراسن قام سنة 668 ه/ 1270 م[2]. بإعادة بناء بعض أسوار وأبواب تلمسان بعد أن جمع بين المدينتين أي اجادير وتاكرارت.

3. السور الخارجي:

من المعلوم أن مدينة تلمسان مكشوفة من الناحية الجنوبية والجنوبية الغربية، غير محصنة طبيعيا، مما يجعلها عرضة للمداهمات والمخاطر ولهذا حرص ولاة المدينة على تحصين هذه الناحية بأكثر من سور واحد وأبراج متعددة، ويدور حوله حفير أو خندق ويبدو أن الموحدين قد شعروا بأهمية السور الأمامي[3]. الذي اقتبسوه من النصارى بالأندلس إذ أن السور الأمامي يمنع

[1]– Marçais (w.et g) les monuments arabes de tlemcen paris, 1903, p46.

[2]– Marçais (g), les villes d'art….. opcit, p53-54.

[3]– ان هذا النظام المعماري قد بدأ العمل به منذ زمن المرابطين، الذين أخذوه من الأندلس، حيث طبقوه في قلعة– آمارجو– بالمغرب الأقصى، لمزيد من الاطلاع ينظر: عثمان عثمان، إسماعيل، المرجع السابق ج2، ص121.

العدو والمهاجم من شن هجومه مباشرة على الأسوار الأساسية الرئيسية، ويعطل من تقدمه بفتح الثغرات التي يمكنه أن يتقدمها داخل المدينة.

وقد عرف هذا السور عدة إضافات وتغيرات منذ العهد الزياني، خاصة في عهد يغمراس حينما أمر ببناء عدة أسوار حول المدينة، حيث بينت ستة أسوار من الجهة الجنوبية الغربية[1]. وقد كان بعض هذه الأسوار داخل بعض من جهة القصبة والتي تدل على رغبة مؤسسيها في اتخاذها قلعة منيعة صعبة المنال، وحصنا قويا يسهل الدفاع عنه.

وقد كان يمتد هذا السور من باب العزافين شرقا إلى باب الملعب غربا من الناحية الجنوبية، وأن المسافة بين السورين- الداخلي والخارجي. كانت تتراوح بين 300 م و500 م هذا بطبيعة الحال راجع إلى طبوغرافية المكان — ذو تضاريس مختلفة-

ويمكن تقسيم هذا الجزء إلى قسمين:

فأما القسم الأول: فقد اندثر تقريبا بأكمله، و لم يتبق منه إلا آثار قليلة عبارة عن مقطعين، فالمقطع الأول عبارة عن بقايا سور يبلغ طوله حوالي 20 م كان موجودا بالقلعة السفلى والواقعة جنوب المدينة ويبلغ ارتفاعه حوالي 4.50 م، وقد بني بطابية صلبة يبلغ سمكها حوالي 1.90 م، وتتخللها بعض الأحجار والآجر. أما المقطع الثاني: فنجده يحيط بمقبرة النصارى، ويتجه نحو وادي مشكانة ويوجد هذا الجزء في حالة متدهورة جدا، وقد فقد جل عناصره المعمارية بحيث لم يعد يبلغ من الارتفاع سوى 4 م، ويبلغ طوله حوالي 12 م، وقد بني بنفس التقنية الموجودة في المقطع الأول.

أما القسم الثاني: فنجده بحي الكيس الواقع غرب المدينة و لم يتبق منه هنا سوى أثار قليلة على مسافة 15 م، أما فيما يخص المعطيات الميدانية فالملاحظ أنه يتعلق بجزء مهم من الناحية الأثرية

[1]– ricrd (p), pour comprendre l'art musulmen dans l'afrique du Nord et en Espagne, hachette paris 1976, pp 225-226.

لأنه ما زال يحتفظ بآثار السور الموحدي على مستوى الأساسات، وبقايا منه على ارتفاع 3.70 م بحيث فقد علوه الأصلي وأبراجه الدفاعية وممر الجند ويصل سمك هذا الجزء إلى 1.90 م وبنفس التقنية الموجودة في القسم الأول.

إن ما نشاهده اليوم من خلال هذا السور، والذي استطاع أن يقاوم الزمن، لا يعطينا إلا فكرة نسبية عن طريقة بنائها كما أن اندثار جل أبراج هذا السور يجعلنا نجهل تصاميمها وشكلها ومواد البناء وتقنياته.

ب.مداخل مدينة تلمسان (أجادير وتاكرارت). (أنظر مخطط رقم :19)

إن الحديث عن الأسوار يقودنا بالضرورة إلى الحديث عن الأبواب التي كانت تتخلل أسوار أجادير وتاكرارت، سواء في العهد المرابطي أو الموحدي محل الدراسة وفيما يلي سنحاول التطرق لتلك الأبواب سواء المندثرة أو الباقية والتي يعود تاريخها غالبا إلى عهد المرابطين والموحدون، وثم الزيانيين الذين أعادوا بنائها كلها ما عدا باب القرمدين.

1. مداخل مدينة أجادير:

لقد اندثرت هذه المدينة تماما ولم يبق منها إلا جزء من الأسوار وباب الأرواح[1]. في جهتها الشمالية ويتحدث البكري أن هذه المدينة كانت تتمتع بوسائل دفاعية من أسوار وأبراج وأبواب حيث يقول« ... وهي مدينة مسورة ... ولها خمسة أبواب ثلاثة منها في القبلة باب الحمام وباب وهب وباب الخوخة وفي الشرق باب العقبة وفي الغرب باب أبي قرة... » [2].

---

[1]- تحتفظ مدينة أجادير بباب الأرواح الذي يفتح في حائط من حجر الدبش بعقد من الآجر على هيئة حدوة الفرس المنكسر، يستند على حجارة رومانية كبيرة مذكرة بأسلوب المدخل الرئيسي لقلعة أمرجو وقد فقد هذا الباب جل عناصره المعمارة ولم يتبق منه سوى بعض البقايا الأثرية لمزيد من الاطلاع ينظر:

Georges (M), les ville d'art….op cit, pp 16-17.

[2]- البكري عبد الله بن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي القاهرة. دت، ص76.

من خلال وصف البكري للمدينة يتبين لنا أن مدينة أجادير كانت تشتمل على خمسة أبواب رئيسية والتي شيدت على الأغلب في محاور رئيسية للمدينة، وقد أدت عدة وظائف منها الوظيفة المجالية، والتي تتعلق بخدمات التنقل من والي المدينة وأداء المغارم واستخلاص المستفاد، كما كانت لها وظيفة أمنية حيث كانت مركزا لمراقبة التحركات السكانية، ولتصدي لأي هجوم.

كما يستفاد من النص معرفة الأبواب الكبرى لمدينة أجادير، ومساهمتها في تهيئة شبكة المحاور الحضرية الرئيسية وتحديد أماكنها، كما أننا من خلال وصف البكري نعثر على معلومات مهمة تتعلق بأسماء الأبواب، وهنا ننبه على تميز أبواب أجادير عن أبواب بعض المدن الأخرى، عدا مدينة فاس، وذلك من خلال عدم حملها لأسماء الجهات المنفتحة في اتجاهها.

كما أننا نأسف لعدم ذكر المؤلف لسنة انشاء تلك الأبواب والتي من المحتمل أن تعود إلى أبي قرة اليفرني حينما شرع في تسوير مدينة أجادير. كذلك وجود الباب الغربي الذي كان يحمل اسمه، لكن عند الرجوع إلى كتابات يحي بن خلدون مؤرخ ملوك تلمسان والذي عاش في النصف الثاني من القرن 8 ه، نجده لا يذكر شيئا عن أبواب أجادير بل بالعكس ينقل لنا أبوابها من خلال البكري فهل اندثرت تلك الأبواب قبل عصره. ان قلة المادة الخبرية التي تحدثت عن مدينة أجادير من جهة، واندثار تلك المنشآت وعدم وجود دراسات متخصصة من جهة أخرى، جعلنا غير ملمين بالتحولات التي عرفتها والمرتبطة بعمليات البناء، وتحديد مواطن التدخلات التاريخية التي عرفتها تلك المنشآت من اصلاح أو إعادة بناء.

2. مداخل مدينة تاكرارت:

يقول يحي بن خلدون:« ... ولها خمسة أبواب قبلة باب الجياد وشرقا باب العقبة وشمالا باب الحلوى وباب القرمدين وغربا باب كشوط وهي مؤلفة من مدينتين ضمهما الآن سور واحد.. » [1].

يبدوا من خلال وصف يحي بن خلدون أن مدينة تلمسان كانت تشتمل على خمسة أبواب رئيسية بعد أن اندمجت المدينتان أجادير وتاكرارت. بعد تهديم يغمراسن سور أجادير وسور تاكرارت الشرقي لسنة 668 ه/ 1270 م[2]. وقد نتج عن هذا الهدم بطبيعية الحال انهدام الأبواب التي فتحت في السورين.

وتحتفظ لنا مدينة تاكرارت بباب القرماديين الذي يعود إلى الفترة المرابطية[3]. وحافظ عليه الموحدين بالإصلاح والترميم وترتكز قيمة هذا الباب من خلال شكله وتصميمه، وكذا مواد بنائه وتقنياته مقارنة مع ما انجز بخصوص هذا النوع من العمارة بالمغرب الأقصى، الشيء الذي قد يشكل مرجعا علميا يساعد في أخذ بعض القرارات الحاسمة فيما يتعلق بنوعية التدخل في هذه المباني التاريخية من حيث الترميم أو إعادة التوظيف.

- **الوصف المعماري لباب القرماديين:** (**أنظر مخطط رقم : 20**)

يقع هذا الباب في الزاوية الشمالية الغربية للمدينة، ولا يبعد كثيرا عن الطريق المؤدي إلى مقبرة اليهود، ويبدوا أنه كان يوجد بالقرب من الباب أفران لصناعة الفخار والآجر والقرميد،

(1)- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص20-21.

(2)- المصدر نفسه، ص116-117.

(3)–Marçais (G), les villes d'art, opcit, p53

ينظر كذلك:

Bargés, tlemcen capitale du royoume de ce, nom paris, 1859, pp60-61.



ولهذا سمي بباب القرماديين[1]. ويعتبر هذا الباب الحصن الدفاعي الإساسي الذي كان يحمي مدخل المدينة من هذه الناحية، وقد شهد هذا الباب الواقعة التي دارت بين الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن علي والمرابطين عام 539 ه وهو ما أوردة صاحب البيان بقوله:« ... واصطفت العساكر من باب القرماديين إلى الجهة المتصلة بأصل الجبل وذلك كان آخر كمالة.......... » [2].(**أنظر صورة رقم 24**)

– تجدر الإشارة أن جل الدراسات التي تطرقت لهذا الباب لم تعطينا فكرة حول المراحل التي خضع لها من حيث التجديد والترميم وحتى التغيرات التي طرأة عليه.

– لقد حاولنا من خلال وقوفنا على هذا المعلم التاريخي الذي بقي صامدا رغم عوائل الزمن وتدخل الانسان حيث تعرض للهدم والتخريب المقصودين ابان فترات نجهلها وما بقي منه قد اعيد ترميمه من قبل وزارة الثقافة وتحت اشراف مختصصين في هذا المجال [3]. ولهذا كان لابد من الرجوع إلى كتاب جورج مارسيه الذي قام بدراسة وصفية لآثار تلمسان سنة 1950.

– حيث افادنا خاصة من خلال الصور التي هي موجودة في الكتاب والتي ترجع إلى الفترة الاستدمارية حيث نلاحظ مكونات مواد البناء المستعملة في تشيد هذا الباب بالإضافة إلى شكله وتصميمه.

– نلاحظ أنه يشتمل على فتحة ضيقة ومنخفضة عرضها يتراوح 1.10م، أما ارتفاعها فيصل إلى حوالي 2.20 م، وتنحصر فتحة بين بروزين أو نتوئين عبارة عن برج من كل جهة، ذات شكل مربع بحيث يصل عرض الواجهة بين البرجين 22 م، أما ارتفاعها فيصل 8 م.

---

[1]– Marçais (W.et G), op cit, p129.

[2]– ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص20.

[3]– قد خضع هذا الباب لعملية الترميم سنة 2010 ثم سنة 2014.



ويتميز باب القرماديين بتخطيط بسيط، فهو مدخل مباشر غير منكسر، يصل إلى الأسوار الداخلية حيث الأبراج الدائرية، (**أنظر شكل رقم: 1**) والتي من المحتمل أن تكون قد بنيت في العهد الزياني، وذلك من أجل زيادة تحصين الباب، والمدينة من هذه الجهة.

وقد أقيمت الأبراج والأسوار بحجارة الدبش فوقها الطابية مذكرة، بأسلوب المدخل الرئيسي لقلعة أمرجو، والتي شيدها المرابطون لمراقبة سكان الجبال بمنطقة الريف، بالمغرب الأقصى.

ان قلة الشواهد الاثرية لهذا المعلم خاصة وان معظم عناصره المعمارية قد اندثرت، كذلك انعدام الدراسات المتخصصة من طرف الباحثين لا يمكننا من إعطاء صورة دقيقة لجل عناصره الدفاعية، إلاّ أننا نستطيع القول بأن هذا الباب قد حافظ على شكله الأول الذي يعود إلى العهد المرابطي ذو الطابع الحربي الصرف.

ج. الخنادق:

لقد أحاط الموحدون مدينة تلمسان بخندق عميق من الجهة الجنوبية بموازاة وادي متشكانة الذي يلتف حول المدينة من الناحية الجنوبية والشرقية، وقد كان الهدف منه تدعيما للسور وتحصينا للمدينة من هذه الناحية خاصة وان أغلب الهجمات كانت تأتي من هذه الجهة كما أشرنا اليه سابقا.

كما يوجد بالشمال الغربي للمدينة خندق- عين كسور-، ويقع بالغرب ويقع بالغرب من المعلب والمينة، خارج باب القرماديين لكونه الباب الوحيد، من هذه الجهة الذي يقوم بحماية المدينة ولذلك كان لزاما على الموحدين ومن بعدهم الزيانيين من تقوية وحماية هذه الجهة بحفر هذا الخندق.

من المفيد جدا التذكير أن كل ما تم جرده من بنايات عسكرية لمدينة تلمسان انما يعكس أهمية هذه المدينة الاستراتيجية، ويؤكد قيمتها باعتبارها حاضرة مهمة عمل الخلفاء الموحدون

على تحصينها بشكل جيد وذلك اما ببناء تحصينات جديدة الأسوار، أو اصلاح النظام الدفاعي الذي كان موجودا بها وتدعيمه، لكن ما تبقى من هذه المنشآت حاليا لا يتعدى بعض النتف، والتي استطاعت أن تقاوم الزمن وتبقى شاهدة على ما صنع بتلمسان ولاستكمال التصور عن المنشآت الدفاعية لإقليم تلمسان، لا بد من تسليط الضوء على مدينة ندرومة مهد الخليفة عبد المؤمن بن علي.

ثانيا: مدينة ندرومة[1]

1. الموقع الجغرافي: (أنظر خريطة رقم : 15)

تقع مدينة ندرومة بين خطي طول 190-200 درجة، غرب خط غرينيتش وخطي عرض 40-50 درجة. شمالا خط الاستواء / يحدها من الشمال ميناء الغزوات وشاطئ سيدنا يوشع بن نون على مسافة 18 كلم ومن الجنوب جبل فلوسن، أما الجنوب الشرقي فمدينة تلمسان على بعد 60 كلم، وعلى الجانب الغربي مدينة وجدة المغربية التي تبعد عنها ب60 كلم، وترتفع المدينة عن مستوى سطح البحر بحوالي 360 م، ذلك أنها تجثم في سفح مرتفع فلاوسن وهو جبل من المدينة بنحدر ارتفاعه بحوالي 1136 م[2].

إذن المدينة تقع فوق هضبة وفي منطقة جبلية تتكون من ثلاثة سلاسل موازية للبحر ذات اشكال مخروطة، وتقترب من بعضها عند الساحل، وتشكل امتدادا طبيعيا لجبال منطقة ترارا[3] بكاملها كما تعد ندرومة قلب هذه المنطقة حيث يحدها شرقا وجنوبا وادي التافنة وغربا وادي كيس الذي يفصلها عن المغرب، وبالرغم من أن منطقة ترارا وندرومة منطقتين جبليتين فإنهما

---

[1]- لقد تباينت أقوال وآراء المؤرخين والرحالة حول أصل تسمية مدينة ندرومة واشتقاقها، فيرجع حسن الوزان، أصل التسمية إلى الفترة الرومانية، حيث يقول أن الرومان اختاروا لها نفس الموقع مع نفس التصميم لمدينة روما وأن اسمها مشتق من كلمة

*ند * في لغة الأفارقة التي لها نفس المدلول في كلمة.

سيمبليس ينظر ج2، ص13-14.

كما حاول باسي. أن يجد للتسمية والمدينة صلة بما أورده اليعقوبي في كتابه- البلدان عن مدينة بربرية اسمها (فولسن)، ويرى إن هذه التسمية مشتقة من اسم لقبيلة، ينظر:

-Basset, H, Nédroma et les traras, publication de l'ecole des lettres d'Alger, paris, 1901, p p 6-7.

غير أن الاسم الحقيقي لمدينة ندرومة يستدل عليه مما يورده ابن خلدون في حديثه عن قبيلة كومية إذ يقول: انه كان لهم ثلاث بطون منها تفرعت شعوبهم وقبائلهم، وهي ندرومة وصغارة وبني بلول، ويضيف ان مواطن كومية كانت بالمغرب الأوسط بالمناطق الساحلية بنواحي ارشكول وتلمسان، ينظر، ج6، ص149-150.

[2] -Gilbert Grand Guillaume, Nédroma l'evolution d'une Medina, leiden Brill, 1976, p75.

[3]- ترارة: هو سلسلة جبيلة تقع في أقصى الشمال الغربي لتلمسان، يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط، والجزء الجنوبي وادي تافنة، ينظر: مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص352.

كانتا تشرفان في أسفلها على جيوب فلاحية في هيئة وديان صغيرة إضافة إلى سهول واسعة تزرع فيها الحبوب ويتخذ منها مراعي للمواشي، وقد مثلت هذه السهول والبساتين والجيوب الفلاحية بالنسبة لسكان ندرومة وضواحيها تربة خصبة وأراضي زراعية هامة.

وفي هذا الصدد يدلنا نص البكري على أهمية موقع المدينة إذ يقول: {... ومدينة ندرومة هي في طرف جبل تاجرا وغربيها وشماليها بسايط طيبة ومزارع وبينها وبين البحر عشرة أميال وساحلها وادي ماسين ونهر كثير الثمار وله مرسى مامون}[1].

ويأتي الادريسي بعد البكري بقرن فيؤكد أهمية موضع مدينة ندرومة فيقول {... مدينة ندرومة وهي مدينة كبيرة عامرة آهلة ذات سور وسوق، موضعها في سند ولها مزارع كثيرة ولها وادي بحري في شرقيها وعليه بساتين وجنات وعمارة وسقي كثير...} [2]

لقد تضافرت عدة عوامل وتجمعت في جوانب مختلفة أدت بمدينة ندرومة لاكتسابها أهمية حضارية متميزة، وذلك لمتوقعتها على الطريق التجاري الكبير الرابط ينهما وبين مدينة وجدة والممتدة منها إلى رباط تازة بمدينة فاس[3].

لقد جمع موضع المدينة بين التحصن والدفاع في آن واحد فهي بعيدة عن كل الأخطار البحرية قطر الصليبين، فهي توجد ظهر مدينة الغزوات الساحلية، أما من الناحية البرية فهي محصنة بسلسلة جبلية يصعب اختراقها أما من الجهة الشرقية والغربية فيقطعها وديان لهما انحدار يشكلان حاجزا طبيعيا يمنع التوغل اليها أما من الجنوب فإن الانحدار الشديد يجعل الداخل إلى المدينة يتريث بحكم المراقبة التي توفرها طبيعة التضاريس.

---

(1)- أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص80

(2)- الادريسي: المصدر السابق، ص172.

(3)- canal jeorge, monographie de Tlemcen (bulletin de la société d'archeologie d'oran), 1888, p83.

أما من ناحية الجنوب والتي هي نقطة ضعف المدينة، فقد اهتم المرابطون ومن بعدهم الموحدين على الاهتمام بتحصين هذه الناحية حيث عملوا على بناء الأسوار الضخمة والابراج الدفاعية تقي المدينة من أي هجمات مختلفة فيا ترى فيما تتجلى التحصينات التي أقامها الموحدون في مدينة ندرومة؟

2. تحصيناتها:

يقول ابن زرع: { وفي هذه السنة (540 ه) ... وفيها أمر أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي ببناء أسوار تاجرة من تلمسان وبنا جامعها، وحصن المدينة وأعلا سورهما...} [1]

من خلال كلام ابن زرع يمكننا أن نتساءل لماذا اهتم عبد المؤمن بن علي بهذه المدينة؟ ولماذا لم يطبق الاستراتيجية السياسية العامة التي نهجها والتي تستهدف تحطيم أسوار المدن؟

ولايجاد الجواب الكافي والشافي عن هاته التساؤلات، نرجع إلى نص البيذق الذي يؤكد أن مدينة ندرومة والمتمثلة في قبيلتها كومية انطوت ودخلت تحت طاعة عبد المؤمن بن علي قبل تلمسان نفسها حيث يقول:{... فرحلنا منها إلى ندرومة بلاد كومية فوحدوا.. ثم نزلنا في تلمسان والخليفة في تيفسرت ...} [2] كما أن قبيلة كومية بعصبتها وجد فيها عبد المؤمن بن علي موردا بشريا قويا الحقه بجيوشه، وإدارة دولته، وخاصة بعد أن استخلص الحكم لاسرته من يد المصامدة وبث منهم عدد كبير بين علماء المصامدة يتلقون العلم ويحصلون على المعارف.

فقد ظلت مدينة ندرومة وأحوازها على ولائها للدولة الموحدية تخدمهما وتنتفع بخدماتها وكانت كعمالة من أعمال حاضرة تلمسان ولهذا حظيت باهتمام عبد المؤمن وخلفائه، حيث أقيمت فيها العديد من المباني، وأن خطتها اتسعت بفضل الاستقرار الذي عرفته، وأن عدد السكان قد

(1)- ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص189.

(2)- البيذق، المصدر السابق، ص56.

ازداد فيها بفضل ازدهارها، وهذا ما نستنتجه من وصف الجغرافيين للمدينة عبر الحقب التاريخية وانها بلغت في القرن السادس الهجري مستوى هاما في المجال الثقافي.

ولهذا اختصت المدينة أرثا معماريا لا بأس به سواء الديني أو المدني وخاصة العسكري، حيث توفرت فيها المنشآت الحربية من قصبة وأسوار وأبراج ومداخل، وقد استطعنا من خلال المعاينة الميدانية تحديد ما تبقى منها:

أ. **الأسوار:**

مما يلاحظ في الميدان أن السور الذي لا يزال يحيط اليوم بقصبة المدينة هو من بناء عبد المؤمن بن علي، كما اشرنا سابقا.

لكن هناك من الباحثين من أرجعه إلى الفترة المرابطية[1]، وسنده في ذلك نص البكري الذي يشير أن المدينة كانت مسورة كما تمت المقارنة مع تاريخ وفاة البكري سنة 487 ه، ولكن بالرجوع إلى نص البكري يتبين لنا أن السور الذي تحدث عنه هو السور الخارجي للمدينة، وهو ما يؤكده الادريسي المتوفي سنة 560 ه، الذي قال: { ... مدينة ندرومة وهي مدينة كبيرة عامرة آهلة ذات سور..} [2]، اننا لا ننكر أن مواد وتقنيات البناء التي تم بها بناء السور هي تقنية مرابطية لكن كلنا يعلم أن أسوار الموحدين في بدايتهم قد نسجت على منوال الأساليب المرابطية، كما حدث في أسوار تينمل وتازة، ثم جاءوا بتقنية جديدة والمتمثلة في الطابية، وهو ما نجده في بعض مقاطع أسوار ندرومة خاصة بالجهة الجنوبية للقصبة.

---

[1]- من بين الباحثين نذكر الدكتور: رشيد بورويبة رحمة الله وفي كتابة

Bourouiba (R) , l'architecture Militaire de l'Algérie Medival , office des bublication universitares, Algerie, 1983, pp 92-93.

[2]- الادريسي، المصدر السابق، ص172.

ان تهدم السور الخارجي للمدينة وغياب النصوص التاريخية والجغرافية التي تتحدث عنه، وعدم وجود أبحاث أثرية متخصصة في العمارة العسكرية جعلنا نجهل حدود المدينة الموحدية ونظامها الحضري.

ان ما تبقى من أسوار قصبة ندرومة[1] حاليا تقدم نماذج (مداخل. أبراج) استطاعت أن تقاوم الزمن وتبقى شاهدة على ما صنع بندرومة من عمارة عسكرية وتؤرخ لتطورها من خلال تنوع عناصرها المعمارية ومواد بنائها وتقنياته.

ب. تخطيط السور: (**أنظر مخطط رقم : 21**)

يبلغ محيط القصبة حوالي 1058 م، والتي تأخذ شكلا مستطيلا عرضا حوالي 30 م، وطولها 200 م، و لم يبق في وقتنا الحالي من هذه القصبة سوى بقايا أسوارها والتي تعيش حالة مزرية وأصبح أغلبها آيلا للسقوط، هذا بالإضافة إلى برجها الذي يقع في الضلع الجنوبي للسور كما تبقى مدخل القصبة، ويمكن تقسيم السور إلى عدة مقاطع: (**أنظر صورة رقم 25**)

– نلاحظ هذا الجزء المتبقي من الناحية الشرقية للقصبة، حيث يبلغ امتداده ما يقارب 20 م، ثم يختفي بين البنايات الحديثة، كما عوض هذا الجزء في نقاط مختلفة بأسوار حديثة مبنية بالحجر والاسمنت المسلح والتي نجهل تاريخ بنائها، ثم يظهر لنا على بعد 40 م ليمتد ب 5 أمتار أخرى، ثم ينكسر نحو الجهة الغربية ب6 أمتار ويعود بالانكسار مرة أخرى إلى الجنوب الغربي بحوالي 15 م حيث يبلغ علوه 5.50 م، وقد بني هذا السور الذي تلتصق به اليوم بنايات سكنية جديدة من داخله بطابية صلبة لونها أصفر غنية بالجير وبسمك يتراوح 1.70 م، ومن

---

[1]– قصبة ندرومة أو ما يطلق عليها قصر السلطان عبد المؤمن بن علي، والذي يتواجد جنوب المدينة العتيقة، وقد غفلت جل المصادر المكتوبة عن الظروف التاريخية التي بنيت فيها هذه القصبة أو حتى الإشارة إلى سن بنائها، لكن بالرجوع إلى نص ابن زرع، يتأكد لنا أن عبد المؤمن بن علي عمل على تحويل مدينة ندردومة واحوازها الى قاعدة عسكرية قبل مدينة تلمسان، ولهذا الغرض فقد بني القصبة والتي تجمع بين سكني الخليفة ومعسكر للجنود، لكن لأسف الشديد لا يمكننا تقديم عناصر تطورها من ناحية تخطيطها وشكلها بدقة وهذا بسبب انعدام المعطيات المعمارية عليها في النصوص التاريخية، وكذلك نظرا لاختفاء أغلب آثارها بالميدان، فلم يعد قائما لحد الآن سوى آثار قليلة، أسوار أبراج– أبواب، ويبقى اجراء حفريات بهذه المنطقة أمرا ضروريا الذي من شأنه أن يساعد على فهم الكثير من النقاط الغامضة.

الخارج تغطيه طبقة من طلاء الجير حيث ما زالت تظهر فيه سلسلة من الثقب الافقية التي كانت تحوي الأخشاب الضرورية لتثبيت الطابية أثناء بنائه[1] و لم يعد يحافظ هذا السور على ممر الجند ولا حتى الأبراج التي كانت تدعمة، ثم يمتد السور غربا بطول يبلغ حوالي 42 م، ليشكل برجا بارزا لم يبق منه إلا القاعدة المنهارة، والملاحظ فإن هذا السور يتبع مخططه انعطافات وتعرجات الوادي، وهذا على طول امتداده في الجهة الغربية للمدينة وقدتعذر علينا رفع القياسات في بعض اجزائه، وذلك راجع بطبيعة الحال للوادي الذي يحد المدينة من هذه الجهة، وقد حافظ هذا الجزء على مكوناته البنائية، غير أن الأبراج التي كانت تدعمه قد تهدمت لعوامل طبيعية وبشرية[2].

ويبلغ ارتفاعه حوالي 5 أمتار وقد بني بطابية صلبة يبلغ صلبة بليغ سمكها حوالي 1.80م، وتتخللها بعض الأحجار والآجر، وهو يشبه في مجله أسوار مدينة تلمسان من جهة باب القرماديين، إن الحدث عن الأسوار يقودنا بالضرورة إلى الحديث عن الأبراج التي كانت تدعمه وتقوي جزئه السفلي.

ت. الأبراج:

من دون شك أن أسوار القصبة قد شغلتها مجموعة من الأبراج في جميع جهاتها وأركانها وتختلف من شكلها وحجمها بين أبراج الأركان ذات الشكل المربع وأبراج الأضلاع ذات الشكل المستطيل والتي تكون ملتحمة بالأسوار من أساساتها إلى قمتها، كما أنها تتشابه في تصميمها المعماري الداخلي والتي تتكون في الأغلب من حجرة سفلية مغطاة فتحت بها باب

---

[1]- من خلال ما تبقى من هذا الثقب يمكن الاستنتاج أنها كانت تتوزع أفقيا على مسافة كل 50 سنتيمترا، وهي طريقة مشابهة لأسوار فاس من جهة باب المحروقين إلى باب الجيسة.

[2]- نرجح أن التخريب الذي تعرضت له أسوار ندرومة، وتهديم أبراجها راجع إلى حالات الحرب والحصار من طرف بنو مرين خاصة في سنة 695 ه/ 1296 م، حيث اخبرنا ابن خلدون أن مدة حصارها دام أربعين يوما وقد ضربت بالمنجنيق، ثم اخبرنا عن حصارها سنة 698 ه/ 1294 م، ثم بعد ذلك حوصرت سنة 732 ه/ 1332 م، والذي استمر إلى غاية 737 ه لمزيد من الاطلاع حول حصار ندرومة ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص90، وما بعدها...

على داخل المدينة، يصل بينها وبين مطافي الجند بدرج صاعد إضافة إلى أن هذه الأبراج تنتهي بشرفات هرمية الشكل مزودة بمزاغل رأسية لرمي السهام.

- وقد اندثرت معظم أبراج أسوار القصبة ولم يبق منها سوى برج القصبة الذي يقع في الضلع الجنوبي للسور.

- حيث يبلغ طوله حوالي 5 م ويبرز عن الحائط مسافة 4.15 م أما ارتفاعه الى قمة الذراوي فيصل إلى حوالي 7 م، وبذلك يزيد علوه عن ذراعي السور بحوالي 1.50 م، وذلك لكي يسمح بالحراسة والمراقبة لمدى أكبر في مجال الرؤية وبمدى أبعد في مجال الرمي، إن هذا الارتفاع جاء نتيجة لتحقيق أغراض الدفاع حيث هذا الارتفاع في الوقت نفسه كلما ازداد أثر سلبا على التصدي للمهاجمين، لاتساع المساحة المحيطة بأساسات الأسوار، ويعد محور ميل المدافع مما يصعب عليه إصابة أهدافه، وهو يقف وراء المتاريس، فان خرج منها تعرض لسهام المهاجمين، وذلك كله فرض على الفكر العسكري تقنية معمارية في بناء الأسوار والأبراج بها.

- ويلاحظ أن أسواره قد بنيت بطابية صلبة وزواياه بالحجر والآجر وتعلوه شرفات هرمية الشكل مزودة بمزاغل رأسية.

ث. مداخل المدينة: (أنظر مخطط رقم 21)

لقد جاءت أبواب المدينة محورية متقابلة شديدة التحصين وهذه ظاهرة معروفة في كثير من المدن الإسلامية، وباعتبار أن الباب هو نقطة ضعف في السور، لذلك أعطى المهندسون المعماريون أهمية كبرى لها فتفننوا في عملية تحصينها حيث أنهم احتضنوا هذه المداخل بين برجين في غاية الضخامة والمناعة.

- وعلى الرغم من عدم ذكر أبواب مدينة ندرومة من طرف المؤرخين والجغرافيين الذين تحدثوا عن المدينة بشكل مقتضب من دون أن يخوضوا في وصف للعمارة بشتى أنواعها والدفاعية على وجه التحديد، ومن جهة أخرى فإن أغلب الباحثين اللذين تطرقوا لهذه المدينة،

لم تنفرد أي دراسة بالحديث عن العمارة العسكرية وكل ما نعثر عليه لا يتعدى أفكارا عامة عن تاريخها خصوصا تلك التي ما زالت قائمة ضمن دراسات شاملة عن هذه المدينة حيث يأتي الجانب العمراني بجميع أصنافه كجزء من موادها.

– ومن أجل هذا النقص كان لزاما علينا مواجهة المعطيات مع ما تركته هذه البيانات (الأبواب) من أسماء أو بقايا حاليا مفيدا في التعريف بها أكثر وازاحة الغموض عن بعضها.

لقد توفرت مدينة ندرومة على أربعة أبواب أغلبها اندثر ولم يبق منها سوى الباب الشمالي والباب الجنوبي وسنحاول التطرق إلى تلك الأبواب سواء المندثرة أو المتبقية.

- باب الفراقي: وقد كان يقع في الجدار الشرقي للمدينة، وقد اندثر هذا الباب ولم يبق سوى اسمه متداولا بين سكان المدينة وهذه الجهة حاليا عبارة عن شارع يخترق من الشرق إلى الغرب.
- باب تازة: كان يقع هذا الباب في الجدار الغربي للمدينة ومن الملاحظ أن اسم هذا الباب قد تسمى على المنطقة الموجه نحوها وهي مدينة تازة بالمغرب الأقصى كما هو الحال بالنسبة إلى كثير من مدن المغرب الإسلامي فنجد في مدينة مراكش باب فاس أو باب اغمات، وقد اندثر هذا الباب شأنه في ذلك شأن باب الفراقي لكن يجهل تحديد الزمن الذي اندثر فيه وكل ما نعلمه أن مدخل هذه الجهة ما زال يعرف بباب تازة.
- باب المدينة: يتوسط هذا الباب، الجدار الشمالي للمدينة ولعل من خلال التسمية وحتى من خلال رواية أهل المدينة فان هذا الباب كان يعتبر بابا رئيسيا للمدينة، بحيث يفضي مباشرة للمدينة لكن يجهل متى تم اطلاق اسم باب المدينة وذلك في ظل غياب المعطيات التاريخية المكتوبة أو حتى الدراسات الحديثة.

– تجدر الإشارة أن كل ما تبقى منه سوى عقده الحدوي، بحيث تم تهديمه في العصور الموالية لان تطور المدينة وظهور أحياء سكنية جديدة فرض انشاء مداخل أخرى وفتح المجال لانشاء طريق للسيارات.

- باب القصبة: يتوسط هذا الباب الحائط الجنوبي للقصبة وقد أخذ تسميته من القصبة التي بينت في الناحية الجنوبية للمدينة واستمر استعمال هذا الاسم حتى وقتنا الحالي، وفي اعتقادنا أن الباب تعرض لمجموعة من الإصلاحات والترميمات في فترات مختلفة ابتداء من العهد الزياني لكن يجهل تاريخها، وقد استطاع أن يحافظ على تخطيطه الأصلي لكن فقد العديد من عناصره المعمارية، ويلاحظ اليوم ان مدخله الخارجي غير مدعم بأبراج على الأغلب اندثرت ويحتوي على فتحة تتراوح ب.2.50 م وبارتفاع يقدر 2.70 م، ويعلوه عقد نصف دائري مصنوع من الآجر المملوء، وهو باب ذو تصميم ملتوي بمرفقين وفضاء مفتوح على السماء، ويعتبر نظام المنعرجات من التصميمات المعروفة في العمارة العسكرية الموحدية والتي تسمح بصد العدو الذي يريد أن يقتحم الأبواب باعداد كبيرة من الجند.

- من المفيد جدا التذكير في النهاية أن كل ما تم جرده من بنايات عسكرية لمدينة ندرومة انما يعكس أهمية هذه المدينة الاستراتيجية ويؤكد قيمتها كحاضرة، عمل الموحدون على تحصينها بشكل جيد، وتأمينها من أي تهديد، لكن بالمقابل ننبه لقلة المصادر المكتوبة حول هذه المدينة واندثار معظم تلك المنشآت مما أدى إلى غياب شبه تام للوصف المعماري لها ومسار تطورها من حيث الأشكال والعناصر المعمارية المكونة لها مثل جسم الأسوار، أبراج المراقبة وممرات الجند، الشرفات الأبواب والقصبات ومواد بنائها وزخرفتها، ومن المؤكد ان انجاز حفريات أثرية بالمدينة خاصة الناحية الجنوبية أو ظهور نصوص تاريخية جديدة ستقدم معلومات أكثر دقة وتفصيلا مستقبلا، وسنحاول الانتقال الى مدينة هنين الساحلية وما تحتويه من منشآت عسكرية ترجع الى الفترة الموحدية.

ثالثا: مدينة هنين[1]

1. الموقع الجغرافي: (أنظر خريطة رقم :16)

تقع مدينة هنين بسن خطي طول: 18-39 ° درجة غربا، وخطي عرض 35 شمالا. يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب بلدية بني وارسوس، أما من الشرق فيحدها بلدية بني خلاد، ومن الغرب دائرة الغزوات، وترتفع عن سطح البحر بحوالي 8 م[2].

وهي تبعد عن ولاية تلمسان ب60 كلم من الجهة الشمالية الغربية للولاية، كما تبعد عن ولاية وهران ب: 150 كلم بالشريط الساحلي للبحر الأبيض المتوسط، وهي مدينة ساحلية وسط جبال ترارة بين مصب وادي تافنة شرقا وميناء الغزوات غربا، حيث الجبال المرتفعة وبها منافذ طبيعية والمتمثلة في الوديان، غربا وجنوبا وهي ذات تضاريس وعرة فالسلاسل الجبلية التي تحدها شمالا وجنوبا تتميز بانحدار شديد وذات انعراج أما مسار وديانها فهو وعر، فنجد في الشمال الشرقي جبل المترل الذي يبلغ ارتفاعه حوالي 306 م. ويتصل الجبل برأس الناضور ذو

---

[1]- تأسست المدينة أول الأمر كمحطة تجارية من طرف الفينيقين حوالي القرن 12 ق. م. وقد عرفت باسم جيبسار والتي تعني مواطن الجبس ثم أصبحت تحمل اسم ارتي سيفا أي الطريق المؤدية إلى سيفا وكان ذلك في حدود سنة 85 م، من طرف الرومان وعند حكم الادارسة في تلمسان اعتبرت هنين من أهم المنافذ البحرية للتجارة والسفر إلى الاندلس لهذه الدولة وقد تعرضت المدينة الى التدمير من طرف القائد الفاطمي، ميسور الفتى، سنة 935 م.

ثم بعد ذلك بقرون شهدت المدينة حركة عمرانية وتجارية وهذا في عهد الدولة الموحدية ثم عرفت المدينة سجال من الحرب بين المرينيين والزيانيين فتارة تقع تحت حكم بنو مرين وتارة أخرى في يد الزيانيين وبقيت على تلك الحال إلى أن احتلها الاسبان سنة 1531 م ثم قام بتدميرها سنة 1533 م وقد ظلت مدينة هنين مهجورة حتى وصول المستعمر الفرنسي سنة 1837 م.

لمزيد من الاطلاع ينظر:

Khalifa Abd rahmane, Honaine ancien port du Royaume de Tlemcen, Dalimen édition, Alger 2008, p p 103 ; 135.

[2]- lathelleux, p.j. le littoral de occidentale, centre de documentation économique et social, oran, 1974, pp 19-20.

ارتفاع 502 م والذي يعد امتداد لجبل تاجرة ذو ارتفاع يقدر ب: 859 م، أما شمالا فجبل بوبنار 608م، وجبل أولاد صالح 4.5 م[1].

يستمر هذا الامتداد إلى أن ينتهي بسطح البحر مشكلا رأس نوح هذا بالإضافة إلى وجود سلسلة موالية لوادي هنين في الجهة الشرقية بحيث يصل امتدادها إلى البحر مكونا جبل سيدي سفيان ذو ارتفاع يقدر ب856 م والقساعين (450 م).

أما شمال شرق المدينة فنجد جبل سيدي إبراهيم ذو ارتفاع 117 م. من كل ما تقدم يتبين أن المدينة بموقعها الجغرافي تستطيع أن تضطلع بدور عسكري مهم، فهي تترل في موقع حصين بين جبال وأوعار لا يمكن الوصول إليها بكل سهولة من جهات مختلفة، وقد قدر لها أن تقوم بأدوار عسكرية مهمة جعلتها في بعض الأحيان في الخط الأول من المواجهة الحربية وظهرت مساهمتها الفعالة في هذا الصدد منذ عهد الموحدين، حيث اتخذ منها قاعدة برية وبحرية، سواء في عمليات الهجوم أو الدفاع على أن كل هذا مرتبط ارتباطا وثقيا بحياة اقتصادية مرت من أطوار وتقلبات ولكنها عن أي حال كانت مغرية وجذابة.

وقد أكد الادريسي أهمية هنين ملحا على موقعها الجغرافي وعلى الجانب العمراني والاقتصادي ودورها التجاري.

إذ يقول: { .... وهنين مدينة عامرة حسنة صغيرة في نحر البحر عليها سور متقن وأسواق وبيع وشراء وخارجها زراعات وعمارات متصلة...} [2]. وبعد ذلك بقرون في نهاية العصر الوسيط نجد شهادة أخرى عند الحسن الوزان الذي عاش إلى بداية القرن السادس عشر، انها شهادة تعكس التدهور الذي حصل في المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة،

(1)- لمزيد من الاطلاع حول هذه السلاسل الجبلية ووديانها بهنين ينظر:

Khalif Abd rrahmane, op.cit, pp 69-70.

(2)- الادريسي، المصدر السابق، ص172.

على اثر تزايد ضغط الدول المسيحية الاوربية وخاصة منها الأيبرية فهو يثري ذكرى ماضي المدينة بقوله:{...هنين مدينة صغيرة ... لها ميناء صغير... وتأتي الى هذا الميناء سنويا سفن شراعية من النبدقية تحقق أرباحا جسيمة مع تجار تلمسان ...} [1]. ثم يعود ليتحدث عن حاضرها فيقول: {... ولما احتل المسيحيون وهران لم يعد البنادقة يقصدونها لكونها مليئة بالجنود الاسبان.. لكن عندما بلغ السكان خبر احتلال وهران تركوا جميعا المدينة فأصبحت خاوية على عروشها..}[2].

نستطيع أن تقول ان الموحدين الذين مثلوا عهدا لامعا في تاريخ المغرب الإسلامي حددوا بهاته الصورة الدور المنوط لمدينة هنين سواء على المستوى المحلي أو بالنسبة لعموم المغرب، ولهذا نجدهم اهتموا ببناء التحصينات والقصبات وأبراج المراقبة وتجديد مينائها وذلك بأن جعل خمسة وعشرين قطعة بحرية في مرساها كما اخبرنا بذلك ابن صاحب الصلاة[3]. وهذا من أجل مواجهة كل الطوارئ الناشئة هاته المجموعة المهمة من الأثار العسكرية التي تزخر بها مدينة هنين والتي ما زال بعضها قائما لحد الساعة وان كان التخريب والتدمير قد طال معظمها.

2. تحصيناتها:

لقد تبوأت هنين مكانة ممتازة في عهد الموحدين بفضل موقعها القريب عن بحر الساحل الشمالي، حيث كانت في هذه الفترة من المراسي المهمة في المغرب الأوسط حيث عرفت المدينة نموا ملحوظا على المستوى المعماري في هذا العهد بحيث توفرت على منشآت معمارية من أحياء سكنية ومرافق اجتماعية ودينية، وتحصينات دفاعية وفي هذا السياق لا تذكر لنا المصادر شيئا عنها كما لا تقدم لنا معلومات واضحة ودقيقة في هذا الباب وكل ما لدينا في الحقيقة هو إشارات عابرة ومقتضبة فالبكري لا يتجاوز سطرين في الحديث عنها بالنسبة للقرن الخامس

[1]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص15.

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص15.

[3]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص147.

ينظر كذلك: خالد الناصري، المصدر السابق، ج، ص128.

هجري فيقول:{... ومن الوردانية الى حصن هنين أربعة أميال وهو على مرسي جيد مقصود وهو أكثر الحصون المتقدمة الذكر...} [1].

وبعد ذلك بقرن نجد الادريسي يتكلم عن سورها فيقول: { وهنين ... عليها سور متقن...}[2].

وبعد ذلك نجد شهادة مارمول كربخال، خلال القرن السادس عشر ميلادي للمدينة، حيث وصف التدهور والدمار الذي حصل لها حيث يقول: {... فاضطر شارل الخامس إلى أن يبعث اليها، دم الفاري بسان قائد أسطوله، الذي أخذها وأقام بها حامية بعد ان نهبها (سنة 1533 م)، ... وذهب اليها قائد الأسطول نفسه لتحطيم الأسوار والبروج وحرق الديار وتخريبها فلم يعد ترميمها منذئذ...{ [3].

ومن أجل بسط ما نحن بصدده حول هذه التحصينات اعتمدنا على دراسات كل من جورج مارسي[4]. وتاتارو[5]. وإلى جانب أستاذنا رشيد بورويبة[6].حيث قاموا بدراسة هاته المنشآت طبعا هذا إلى جانب قيامنا بالمعاينة الميدانية للتأكد من مدى صحتها وخاصة ما بقي منها والتي بإمكانها أن تمدنا بمعلومات إضافية عن الهندسة والتخطيط والفن المعماري، ويمكن تصنيف تلك المنشآت كما يلي:

---

(1)- البكري، المصدر السابق، ص80.

(2)- الادريسي، المصدر السابق، ص172.

(3)- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج، ص276-297.

(4)-Marçais, G, Honaine, in revue africaine, vi 69, édition, Ajourdan libraire, Alger, 1928, p p 332-356.

(5)- عبارة عن مذكرات

-(5copier) de, M, capitaine tatareau, sur l'etablissement d'une poste militaire sur l'ile de rechgoun, 1833, oran, Archive du service militaire, BOITE 1m1316.

(6)-Bourouiba Rachid, l'architecture millitaire de l'algerie médiévale, Edition, opu, Algérie, 1983.

أ. **الأسوار:** (**أنظر مخطط رقم :22**)

لا تزال معالمها قائمة لحد الآن، بحيث تشغل مساحة تقدر ب: 1200 م[1]. وهي تحيط بالمدينة من جميع جهاتها، لكن أغلبها قد اندثر، كما أن أجزاء كثيرة منها خاصة في الجهة الغربية قد غطيت تحت التراب وهذا ما تؤكده التنقيبات الأثرية التي أقيمت بها ويعود بناء تلك الأسوار إلى مراحل مختلفة منها المرابطي والموحدي والزياني وحتى الاسباني والفرنسي[2]. ومن المعلوم أن اسوار المدينة كانت في حاجة إلى الصيانة والترميم بين الفينة والأخرى لمعالجة ما يصيبها من هدم أو غيره وقد لاحظنا هذا من خلال مواد البناء المستعملة في تلك الأسوار المتبقية حيث نجد استعمال مادة الطابية في الأجزاء الشمالية حيث نجد سمك جدرانها يتراوح ما بين 1.70 م، 1.85 م، هذا إلى جانب استعمال الحجارة المنجورة في أساسيات السور، كما توجد مادة الآجر والاسمنت خاصة في الواجهة الشرقية والجنوبية للمدينة، واذا كان استعمال الاسمنت والاجر متاخرا اذ نجده في المعالم التي أعيد بناؤها فان هذه المادة حاضرة أحيانا في الأماكن التي تحتاج إلى استقام الدعائم والسلالم والعقود وعموما بقي استعمال الآجر بكثرة جدا في معالم أسوار المدينة. (**أنظر صورة رقم 26**)

ب.الأبراج:

نلاحظ أن الأبراج الداعمة للأسوار لا تزال شاخصة للعيان داخل المدينة خاصة في الجهة الشمالية الغربية، وقد كانت طريقة توزيعها على السور مركزة على الناحية المقابلة للبحر، أما من حيث عددها فيقدر ب: 08 [3]. أبراج وهي على نوعين أبراج مستطيلة، وتحتل أواسط

---

(1)–khalifa abd rrahmane, op, cit, p293.

(2)– هذا ما أكده كل من:

Marças (G), Hamaine, op.cit, p336.
Bourouiba (R), op.cit, p206.

(3)– هو نفس العدد الذي ذكره تاتارو في مذكراته ينظر:

(5 copier) de M capitaine tatareau

الاطلاع وأبراج مربعة التي تحتل الأركان وقد شيدت على مسافات غير متساوية فيما بينها تتراوح في العموم بين 8 م، و10 م أما ارتفاعها الى قمة الذراوي فيصل إلى 10 م، ونلاحظ أن الأبراج المربعة والتي يصل عددها إلى برجين، فالبرج الموجود بالقرب من الباب الشمالي للمدينة يتكون من حجرة سفلية منخفضة مقبية فتحة فيها باب على داخل المدينة وقد جاء ملحتما بالسور في زاويته ويبرز عنه شمالا ب3.50 م، وشرقا ب3.10 م ويمتد ب: 7 م ويبدو البرج في داخله على هيئة قاعة تتخذ شكل حرف آلام الابتدائي المقلوب (L) وهو مبني بالطابية تغطيه طبقة ذات سمك 50 سم من الاسمنت وهو متشابه للبرج الموجود في الزاوية الشمالية الغربية للسور أما ستة أبراج التي تحتل أوسط الاطلاع فهي تبرز على الحائط بحوالي 3.60 م، وهي تتألف عموما من طابقين متركبتين، كما تخلوا من الأبواب في الطابق السفلي التي يوصلها بداخل المدينة مما ينفى معها فكرة كونها غرف أو حجر لإقامة الجند أو استراحتهم ذلك لأن وسيلة الاتصال الوحيدة بينها وبن سطوحها العلوية هي مطافي الجند في السور والتي هي مندثرة حاليا وهذه الظاهرة توجد في أبراج مدينة سلا، ويؤكد ذلك احتفاظ أحد هذا الأبراج بدرج ذو عدة عتبات والذي كان يوصل بين مطاف الجند متبعا ذراويه وقد بنيت أسوار هذه الأبراج بطابية صلبة وزواياه بالحجر والآجر.

تجدر الإشارة على أن هاته الأبراج قد تعرضت للترميم وإعادة بناء بعضها في أوقات مختلفة يصعب علينا تحديد تلك الفترة، وان كان يرجح آخر تدخل من أجل إصلاحه خلال سنة 2010 من طرف وزارة الثقافة:

ث. مداخل المدينة: (أنظر مخطط رقم : 22)

لقد تخللت أسوار مدينة هنين خمسة أبواب ساهمت في تهيئة شبكة المحاور الحضرية الرئيسية هذا بالإضافة إلى دورها الدفاعي، وقد تعرضت هذه العمارة في معظمها إلى عمليات الهدم والبناء المتوالية وسنحاول التطرق لتلك الأبواب سواء المندثرة أو الباقية

الباب الشمالي:

يعد من أكبر الأبواب في المدينة وهو يقع في الجهة الشمالية ويؤدي الى أرشكول، ولا تزال آثاره قائمة لحد الآن، لكن لم يستطع الحفاظ على طابعه الأصلي، حيث نراه اليوم وقد فقد العديد من عناصره المعمارية، كما أن مرور السيارات من داخله منذ الخمسينيات من القرن الماضي، وإلى يومنا هذا زاد من هشاشته.

ويلاحظ اليوم أن مدخله الخارجي مدعم من على يساره وعلى بعد 1.80 م ببرج ذو شكل مستطيل عرضه حوالي 6 م، أما ارتفاعه فيصل إلى 8 م، في حين البرج الآخر قد تهدم نصفه حيث أصبح علوه يصل إلى 4 م، ومن الصعب تحديد شكله الأصلي نظرا لما عرفه من إصلاحات وتعديلات متعددة لكن بالرغم من ذلك نلاحظ أن أبراجه التي تكتنفه قد بنيت بطابية صلبة أما زواياه فنجد الحجر المنجور.

الباب الجنوبي:

قد تسمي بباب الخرجة وهو يقع في الطريق المؤدي إلى جبل المترل وقد اندثر ولم يبق سوى اسمه يدل اليوم على كل الحي السكني الجديد.

الباب الشرقي:

يقع هذا الباب في الجهة الشرقية من المدينة وقد عرف كذلك باسم باب سنون أو تاسنون وحسب الباحث خليفة عبد الرحمان فان هذا الباب كانت بها قوس من الآجر، وأوتاد من خشب تدعم جدار الطابية[1]. لكننا اليوم لم نجد أثر للباب حيث نراه قد عوض ببناء جديد.

---

(1) -Khalifa. Abd rrahmane, op.cit, p293.

الباب الغربي:

يوجد هذا الباب في الطريق المؤدية الى القصبة يعش هذا الباب حالة مزرية وقد فقد دوره كباب حضري باعتباره أنه لم يعد متصلا بأسوار المدينة التي تم تهديم أجزاء كبيرة منها منذ ثمانينات القرن الماضي، لأسباب تتعلق باستحداث بنايات حديثة.

باب البحر:

يوجد هذا الباب في الجهة الغربية من المدينة وبالضبط على القناة المؤدية الى الميناء أي الحوض المحفورة في الأرض تحت القصبة واسمه جاء نتيجة لكونه يطل على البحر وقد تعرض هذا الباب إلى مجموعة من الإصلاحات والترميات افقدته شكله الأصلي وحسب عبد الرحمان خليفة فان هذا الباب كان يحمل زخارف جميلة وقاعدته مبينة بالطابية يعلوها بناء من الحجر وهو شبيه بباب بجاية[1]. وفي اعتقادنا أن هذا الباب لعب دورا كبيرا خاصة في الفترة الموحدية حينما استعمل ميناءها كمرسى للسفن التي كانت تقبع فيه والمقدر عددها حسب ابن صاحب الصلاة بحوالي خمسة وعشرون قطعة وكان ذلك سنة 557 ه[2]. وبالتالي كان لابد على الموحدين من تحصين هذا الباب ودعم قدرته الدفاعية بأبراج حراسة من جانبيه لكونه المدخل الوحيد الذي يوصل من الميناء إلى داخل المدينة.

ج. القصبة: (أنظر مخطط رقم : 22)

توجد هذه القصبة في الجهة الجنوبية الغربية من مدينة هنين وهي ترقد على حافة منحدر ذو ارتفاع يقدر ب30 م[3]. عن مستوى سطح البحر أما فيما يخص شكلها فانها تأخذ شكلا غير منتظم الاضلاع تقدر مساحتها بحوالي 4500 $م^2$ وقد ارجع جورج مارسيه تاريخ بناء هاته

---

(1)-khalifa, abd rrahmane, op.cit, p p 293-294.

(2)- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص147.

(3) -Georges (M), Honaine, op. cit, p336-373.



القصبة الى القرن السادس هجري[1].خاصة مع اعتناء الخليفة عبد المؤمن بن علي بمرسى المدينة وتزايدت الأهمية التجارية لمينائها فكان لزاما على الخليفة الموحدي بناء قصبة داخل المدينة واحاطتها بأسوار وأبراج فهي مركز الحاكم وبيت المال، ومركزا للتجمع الجيوش الموحدية للتحرك سواء ناحية تلمسان مركز الإقليم. ومن ثم نحو بجاية وافريقية أو صد أي هجوم محتمل من ناحية البحر. (**أنظر صورة رقم 27**)

اننا نأسف طبعا لقلة ما لدينا من معلومات مدققة ومفصلة حول هذه القصبة، فالمصادر لم تذكرها بالمرة فمرمول كربخال حينما تحدث عن الدمار الذي ألحق بالمدينة لم يذكر القصبة حيث يقول« ..... وذهب اليها قائد الأسطول نفسه لتحطيم الأسوار والبروج وحرق الديار وتخريبها، فلم يعد مرميها منذئذ..» [2]. إن هذه الصورة المؤلمة التي أعطاها لنا مارمول سنة 1533 م لمدينة هنين تطرح التساؤل التالي: هل القصبة قد أصابها الخراب قبل هذه السنة؟ فما كان للمدينة أن تحتفظ بهذا الأثر؟ الواقع أنه وقع تقطع خطير في تاريخ المدينة، خاصة إذا علمنا أن هاته الأخيرة أصبحت ميدانا للحروب والفتن بين المرنيين والزيانيين من جهة وبين الزيانيين والحفصيين من جهة أخرى، وبالتالي تعرض عمران المدينة إلى الخراب وإعادة بنائه من جديد، وكان من بينها القصبة إنني لا أنكر بأن ما أقدمه الآن ما هو إلاّ فرضية في حاجة إلى مناقشة، ولكن التاريخ إذا عدم المصادر الكافية لا يمكنه أن يستغني عن الفرضيات إذا أراد أن يستثمر المعلومات القليلة التي يتوفر عليها.

ان كل ما تبقى من هاته القصبة عبارة أسوار عالية تحيط بها من جهاتها الأربعة وهي مبنية بطابية صلبة ومدعمة بثلاثة أبراج مربعة الشكل جاءت موزعة على الشكل التالي:

---

[1] – Georges (M), Honaine, op. cit, p373.

[2]– مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص297.

نجد برجين على شكل مستطيل في الجدار الشمالي للقصبة وقد جاءت ملتحمة بالسور من أساساته إلى قمته وذلك على مسافة 10 م بين البرج والآخر أما ارتفاعها فيصل إلى 8 م أما بروزها على الحائط فيتراوح بين 3.50 م إلى 04 م، أما البرج الثالث فيوجد في الزاوية الجنوبية للقصبة حيث تقاطع السور الجنوبي والغربي ذو شكل مربع، ويبرز عن السورين جنوبا ب3.50 م، وغربا ب3.90 م، أما ارتفاعه فيصل إلى 07 م ونظرا المساحة التي تتربع عليها فقد كانت مزودة بكل ما يحتاج إليه الجيش المرابط بها من مخازن وبيوت ومسجد ومقر لسكن الحاكم.

كما يوجد بها حوض ماء يضمن تزويد القصبة بالماء وتتوفر المدينة على مدخلين الأول ينفتح على المدينة أما المدخل الثاني فينفتح في الجهة الغربية، ويشرف على القصبة برج سبنيول وهو يعتبر من الآثار الاسبانية بالمنطقة [1]. وهو مبني بالحجارة وقاعدته من الدبش يعلوها بناء الحجارة المنتظمة كبيرة وصغيرة وبناؤه مستطيل الشكل طوله 8.80 م وعرضه6.75 م به ثلاث طوابق ومبني من الحجارة ذات الحجم الكبير.

نستطيع القول أن هذه القصبة تعتبر مركزا عسكريا بامتياز لحماية المنطقة بحريا وبريا، فهي تعتبر احدى المحارس البحرية المهمة في المغرب الأوسط.

ح. أبراج المراقبة على ساحل هنيين:

يقول حسن الوزان: « هنيين مدينة صغيرة....لها ميناء صغير محروس ببرجين كل واحد منهما في جهة...» [2]. إن شهادة الوزان الذي عاش إلى بداية القرن السادس عشر ميلادي.

تبين لنا أن مدينة هنيين كانت تتوفر على محارس تطل على البحر وكان دورهما المراقبة والاشراف على تحركات السفن في البحر والداخلة إلى الميناء. كما كان دورهما مراقبة قصبة

---

(1)–khalifa. Abda rrahmane, op.cit, p294.

(2)– حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص15.

المدينة من أي هجوم محتمل، وهو ما نستقيه من شهادة مارمول كربخال الذي يقول:« .... وميناء – هنين- صغير محصن من كلا الجانبين برجين قويين... » [1].

لقد أجمع كل من جورج مارسي وتاتارو على أن البرجين يقعان بالجهة الشرقية المطلة على البحر. مقابلة لرأس خوح في الضفة الغربية للبحر وهما الأول قريب من البحر يسمى برج البحر أما الثاني فهو برج سيدي إبراهيم والذي يرتفع بحوالي 115 م عن سطح البحر وهما يقعان على منحدر صخري نحو الداخل، يطل على البحر شمالا وغربا، لكن برج سيدي إبراهيم يقع بأعلى قمة هذا المنحدر، مما يجعله يطل على كامل البحر- شمالا شرقا غربا-

- **وصف الأبراج:**

1. **برج البحر**: يعد هذا البحر من التحصينات الدفاعية للمدينة فهو يشرف على الجهة الغربية وكانت مهمته مراقبة تحركات السفن وكذلك الإشراف على أبراج الميناء الموجودة في السور الشمالي كما له علاقة مباشرة مع القصبة[2].

وقد اندثر هذا البرج ولم يبقى منه سوى بعض الركام بمحاذاة الجدار الاسمنتي المبني بالحجر، فوق السلالم الصاعدة مباشرة إلى الصور. ونحن نجهل الفترة التي اندثر فيها لكن شاهدة مارمول تؤكد لنا ان اندثاره قد تم سنة 1533 م

وهو ما نستقيه من كلامه حينما تحدث عن مهاجمة قائد الأسطول الاسباني دم الفاري بسان، مدينة هنين وتحطيم أسوارها والبروج التي تراقب المدينة حيث يقول« ... وذهب إليها قائد الأسطول نفسه لتحطيم الأسوار والبروج وحرق الديار وتخريبها ، فلم يعد ترميمها منذئذ»[3].

---

(1)- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2 ص296.

(2)-georges (M), Honaine, op. cit, p349.

(3)- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص297.

ولقد قام عبد الرحمان خليفة سنة 1987 م بمسح للمنطقة فعثر على معالم البرج، وهو على شكل مستطيل. يتصل مع جدار بطول 50 م، في جهته الشرقية وأبعاده 5.90 م طولا، و3.20 م عرضا. ويرجح أنه يعود للقرن العاشر أو الحادي عشر ميلادي.

كما بين لنا عبد الرحمان أن هذا البرج مر بثلاث مراحل في بنائه فبني في المرحلة الأولى بالحجارة والآجر أما المرحلة الثانية فشهدت استعمال الطابية لكن ذات سمك أقل درجة وهذا بعد أن تحطم جدار الحجارة الأولى أما المرحلة الثالثة فنجد زيادة في سمك الجدار وذلك عن طريق بناء جدار آخر بالطابية. وهذا من أجل تدعيم الجدار الأول. وتعود هذه المرحلة إلى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر ميلادي(1).

2. برج سيدي إبراهيم: (أنظر مخطط رقم :23)

يوجد هذا البرج في أعلى المنحدر بقمة الجبل، ويصعد إلى هذا الجبل بطريق شرقي صاعدا من المدينة نحو الضريح، وبوصلنا إلى القمة يظهر أمامنا برج المراقبة وقد بني فوق صخرة ذات تركيب كلسي بيضاء اللون، وهاته القاعدة مهيأة بخليط من الحجارة الكلسية مع بقايا الآجر واضافة الحصى الصغير، وهذا من أجل خلق قاعدة متينة(2)، ويأخذ هذا البرج شكلا قريب من المربع أبعاده في الجهة الغربية 5.50 م أما الجهة الجنوبية فتصل إلى 5.42 م، وفي الجهة الشرقية نجد 5.50 م أما الواجهة الشمالية فتصل إلى 5.66 م، أما ارتفاعه فيصل إلى حوالي 6.20 م، أما عن مادة بناء البرج فهي الطابية الصلبة ذات لون أصفر، يحتوي هذا البرج على مدخل يقع في الجهة الجنوبية بحيث يصعد له بدرج فتحة بابه تصل 3.20 م به غرفة علوية مسقوفة بقبو. (**أنظر صورة رقم 28**)

(1) -Kahalifa, opcit, p293.

(2)-ibid p293-294.



وقد اجمع كل من جورج مارسيه وفيمو أن هذا البرج يعود للفترة الاسلامية[1]. لكن بدون تحديد تلك الفترة والتي نرجح أنها تعود للفترة المرابطية والموحدية، وذلك مقارنة مع طريقة ومواد بناء هذا البرج.

من المفيد جدا التذكير في النهاية أن كل ما تم جرده من بنايات عسكرية في مدينة هنين إنما يعكس أهمية هذه المدينة الاستراتيجية ويوكد قيمتها ومن المؤسف جدا تصور شكل كل هاته البنايات العسكرية التي عرفتها المدينة. وتطورها عبر تاريخ المنطقة في ظل غياب المعطيات النصية والميدانية التي تتوفر عليها لحد الآن فبالإضافة إلى النقص الكبير الملاحظ فيما يخص الإشارات المتعلقة بالموضوع في النصوص التاريخية والجغرافية، فإن تعرضها للهدم والتدمير المستمر بسبب الحروب والحصارات الكثيرة، جعل العديد منها عرضة للاندراس.

وسنحاول الانتقال إلى مرسى آخر ذو أهمية كبيرة من الناحية العسكرية والتجارية والذي لعبت مدينته دورا كبيرا في خلافة الدولة الموحدية.

---

(1) –george (M), Honaine' opcit, pp :349-350.

– Vullemot (G), Ruins Musulmanes sur le littoral de l'aranie occidantale, in revue africaine v103, édition A.Jourdan libraire, Alger, 1959, p45.

رابعا: مدينة بجاية [1].

1. الموقع الجغرافي (أنظر خريطة رقم: 17)

تقع مدينة بجاية على خط طول 2° و45 درجة شرقا، وخط عرض 36° و45 درجة شمالا، وهي تبعد مسافة 230 كلم شرق العاصمة.

يحدها من الشرق ولاية جيجل، وغربا كل من مدينة البويرة وتيزي وزو، أما من الناحية الجنوبية فيحدها ولايتي سطيف وبرج بوعريريج[2].

ترتسم حدودها الشمالية المطلة على البحر المتوسط، في شكل تقوس شبه اهليليجي، يتصل في جهته الغربية بسهل الرمل، كما تمد في أسفل المدينة حيث يوجد وادي الساحل ثم يبدأ في التقوس شرقا عند رأس العوانة وينتهي غربا عند الذراع الذي ينحدر في البحر أميمون، وجبل قورايا ومارا بالتلال، ثم يدخل في البحر تاركا فوق سطح الماء ثلاثة رؤوس هي: رأس بوحاي في الوسط، ورأس بواك في الجنوب والرأس المثقوب في الشمال، وعلى هذا الامتداد، تتناوب التلال والمنخفضات الشديدة الانحدار والمتعدلة الارتفاع[3].

من خلال طبوغرافية المدينة يتضح لنا انه روعي اختيار الموقع الطبيعي الحصين فموضعها في منحدر جبل أمسيون أي قواريا حاليا، المطل على البحر مباشرة، مما أعطى للمدينة حصانة طبيعية عالية، ما عدا الجهة الشرقية المطلة على منطقة شبه سهلية.

---

[1]- عرفت بجاية أسماء عديدة منها: بغاييت وتعني باللهجة الأمازيغية بجاية، كما عرفت ب: صلدة في العهد الفينيقي ولما احتل الرومان سواحل افريقيا غيروا اسم صلدة إلى صلداي كما عرفت ب قورايا في العهد الوندالي والتي تعني جبل وبعد فتح الأمير الحمادي الناصرين علناس جبل كان به قبيل من البربر بني مدينته سنة 460 ه/1169 م وسماها بالناصرية نسبة إلى اسمه كما اطلق عليها اسم – بوجي- والتي تعني بالفرنسية الشمعة. حيث أطلقها التجار غربي حوض البحر المتوسط على بجاية بسبب استيرادهم منها مادة الشمع، لكن رغم هذا بقي اسم بجاية متداولا إلى يومنا هذا. لمزيد من الاطلاع ينظر: عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، صفحة مشرقة من تاريخ الجزائر، دار الشروق، بيروت، 1980، ص16 وما بعدها.

[2]- إسماعيل العربي دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص182-183.

[3] Debeylie (Gl), la kalaa des bein- Hammad, une capitale berbére de l'Afrique du nord au XI siecle ernest leroux, paris, 1909, pp 104-106.

وقد لفت حصانة المدينة انتباه الرحالة والجغرافيين والمؤرخين ومن ذلك ما جاء به صاحب الاستبصار حيث يقول:« ..... مدينة بجاية: هي مدينة عظيمة على ضفة البحر، والبحر يضرب في سورها وهي محدثة من بناء ملوك صنهاجة... ما بين جبال شامخة قد أحاطت بها والبحر منها في 3 جهات: في الشرق والغرب والجنوب، ولها طريق إلى جهة المغرب يسمى بالمضيق على ضفة النهر المسمى بالوادي الكبير وطريق القبلة إلى قلعة حماد على عقاب واوعاز وكذلك طريقها إلى الشرق....... » [1].

هذا احتلت بجاية بحكم موقعها الاستراتيجي أهمية اقتصادية وتجارية، خصوصا بسبب وقوعها على الطريق البحري الرئيسي الرابط بين المرية والإسكندرية، وتبرهن الوثائق الآتنية من جانب آخر على الدور الكبير الذي لعبه ميناء بجاية في التجارة المتوسطية مع المدن الأوروبية، جنوة بيزا، أمالفي نابولي مرسيليا برشلونة[2].

وقد عبر الادريسي المكانة التجارية المركزية لمدينة بجاية في منتصف القرن 6 ه/ 12م، في قوله« ... ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد والسفن اليها مقلعة وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة، والبضائع بها نافقة ... وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق... [3].

الى جانب هذا تؤكد المصادر على أهمية قاعدة بجاية ودار صناعتها وقد ساعدها ذلك توفرها على غطاء غابوي كثيف وفر لها الخشب اللازم لبناء السفن هذا فضلا عن توفرها على الحديد والقطران يقول الادريسي« ... وبها دار صناعة الانشاء الأساطيل والمراكب والسفن

(1)– مؤلف مجهول الاستبصار.... المصدر السابق، ج2، ص130-131.

(2)– أحمد عزاوي: المرجع السابق، ج2، ص250-252.

(3)– الادريسي، المصدر السابق، ص90.

والحرابي لان الخشب في جبالها وأوديتها كثير موجود ويجلب اليها من أقاليمها الزفت البالغ الجودة والقطران وبها معادن الحديد الطيب موجودة.... » [1].

من كل ما تقدم ذكره يتبين أن المدينة برهنت بموقعها الاستراتيجي على أنها تستطيع أن تضطلع بدور عسكري مهم، فقد اتخذ منها قاعدة برية وبحرية سواء في عمليات الهجوم أو الدفاع. وهذا ابتداء من بنائها من طرف الناصر بن علناس: إلى غاية قدوم الحملة الموحدية بقيادة الخليفة عبد المؤمن بن علي سنة 546 ه/1152 حيث يشير ابن أبي زرع لمكوث عبد المؤمن مدة شهرين كاميلين إذ يقول« ... دخل عبد المؤمن بجاية... وأقام ... ببجاية شهرين حتى هدمها وفتح أحوازها وأقطارها وقدم فيها طلبة الموحدين ورجع إلى مراكش ... » [2].

ويفهم من هذا النص حرص عبد المؤمن بن علي على الاهتمام بالمدينة وجعلها كقاعدة عسكرية سيما وأن ميناء المدينة كان مطروقا من طرف تجار الروم والشام والمصريين، ومنه كانت تنطلق عمليات الغزو نحو صقلية ونحو اسبانيا، كما شكلت المدينة محور الصراع بين القوى الموحدية والثوار بني غانية، الذين احتلوا المدينة سنة 580 ه/ 1183 م. حيث دام تواجدهم بها إلى غاية 581 ه أي حين قام بتحريرها ابن عم الخليفة الموحدي يعقوب المنصور القائد أبي زيد بن أبي حفص بن عبد المؤمن والذي تعاون مع القائد أحمد الصقلي[3].

نستطيع أن نقول أن الموحدين الذين مثلوا عهدا لامعا في تاريخ المغرب الإسلامي حددوا بهاته الصورة الدور المنوط بمدينة بجاية سواء على المستوى المحلي أو بالنسبة لعموم المغرب ولهذا نجدهم يهتمون أكثر فأكثر ببناء التحصينات والقصباب لمواجهة كل الطوارئ الناشئة في الداخل أو الآتية من الخارج، ومنذ ذلك الحين أخذت تنشأ هاته المجموعة من الآثار العسكرية التي تزخر بها مدينة بجاية والتي ما زالت في حاجة ماسة إلى المزيد من الدراسة والاكتشاف.

---

[1]-الادريسي، المصدر السابق، ص90-91.

[2]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص194.

[3]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص174-175.

2. تحصيناها: (أنظر مخطط رقم :**24**)

ان العامل السياسي والاقتصادي قد تحكم في توجيه هذه المدينة لتصبح مستقرا لإدارة السلطة السياسية الموحدية المتمثلة في الولاة –الذين ساهموا في توسعة المدينة، خاصة الجهة الجنوبية الغربية منها حيث نجد القصبة الحمادية ودار الصناعة وقد عرفت هذه الأخيرة بعض التغيرات، خاصة وان الخلفاء الموحدين عملوا على تنشيط وتوسعة عدة مراسي ودور الصناعة على كامل اقليمها ومن بينها مدينة بجاية وهذا ابتداء من سنة 557 كما أخبرنا به صاحب الصلاة[1].

كما حافظ الموحدون على النظام الدفاعي الموجود بالمدينة وإخضاع تلك المنشأة للإصلاح والترميم كلما دعت الضرورة الى ذلك ولازالت المدينة تحتفظ حاليا بأمثلة متنوعة تعطي فكرة عن تلك المنشآت والتي تعود في الأغلب على العهد الحمادي.

فبالرغم من استمرار هذا الموروث زمن الموحدين فإن المصادر التاريخية والجغرافية، لم تشر إلى ذلك كما أنها لا تتكلم عن استحداث منشآت من طرف الموحدين خاصة منها العسكرية وعليه نظرا لعدم وجود معطيات مصدرية وقلة الشواهد الأثرية التي ترجع إلى العهد الموحدي، فإننا لا نستطيع رسم مخطط دقيق لتنظيم المدينة ما عدى سورها الممتد على شكل مثلث قاعدته الواجهة البحرية وقمته رأس الجبل على ارتفاع 660 م عن سطح البحر[2]. ويتوسط باب البحر الواجهة البحرية، وتوزعت أبواب المدينة في الجهات الثلاث: باب المرسى إلى الغرب من باب البحر، باب أمسيون إلى الأعلى من رأس بريجة في الجهة المقابلة كانت توجد باب البنود الذي يكون ربما مكان باب فوكة الحالي قرب مقبرة ابن علي رسمية إلى الشمال منه باب اللوز، باب تاطونت بالقرب منه، باب الدباغين بالقرب من أماكن الدباغة على الوادي الكبير، وهناك أبواب أخرى يصعب تحديد موقعها وهي (باب ايلان، باب باطنة والباب الجديد) ولتشديد

[1]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص147-148.

[2] Debeylié (G L), op. cit, p :105.



حصانة المدينة، نجد بناء نقاط دفاعية متقدمة عرفت بقبة الحارس في أعالي الجبل وخليج سيدي يحي وقد أعيد اصلاح هاته المنشآت من طرف الموحدين تم الحفصيين فيما بعد[1].

ومما يثير الانتباه هو وجود القصبة والتي تعتبر مقر الوالي الذي ينوب عن الخليفة وقد كانت هذه الأخيرة محل اشكال حول تأريخ تشييدهما[2]. وسنحاول التطرق إلى هذه العمارة معتمدين في ذلك على بعض المعطيات التاريخية والأدلة الأثرية.

أ. **القصبة:**

يقول صاحب الحلل الموشية «... ثم تحرك إلى بجاية، مستعجلا في الرحيل، فما شعر صاحب بجاية العزيز بالله يحي بن ناصر، من ملوك بني حماد، حتى وصله عامله بالجزائر ... وقد كان بين الخليفة عبد المؤمن وبين ابن حمدون وزير صاحب بجاية كتب ومداخلة فلما سمع به فتح له باب بجاية، وفر من قصبتها ابن حماد الى قسنطينة... » [3].

من خلال كلام صاحب الحلل تبين لنا أن القصبة الحمادية كانت موجودة قبل اخضاع حاضرة الحماديين إلى الدولة الموحدية، وانها استمرت كمقر للوالي في العهد الموحدي كما أشار إلى ذلك ابن خلدون حينما تكلم على إقامة الوالي الموحدي ابي إسحاق بها[4].

---

[1]- عن تحصينات بجاية في العهد الحمادي: ينظر: عبد الكريم عزوق: المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها (دراسة أثرية)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية جامعة الجزائر- معهد الآثار 2007-2008، ص151-175.

[2]- لقد طرحت عدة إشكاليات حول تأريخ تشييدها فنجد أن دوبيلي يرجعها إلى العهد الاسباني ينظر:

-Debeylié (G L), op.cit, pp 120-121.

أما (Brumschving (R),) فيرجعها الى العهد الموحدي.

ينظر:

-Brunshving (R) , la berberie orientae sous les hafsides de lorigine a la fin da XI siecle, TI et II, maisonneuve, paris, 1940-1947, p379-380.

[3]- مؤلف مجهول، الحلل... المصدر السابق، ص149.

[4]- عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص278.

كما ليس هناك من يشك فيما للمسكوكات الذهبية والفضية من أهمية خاصة في تشخيص ومعرفة بعض الأحداث التي تتعلق بالفترة التاريخية التي ضربت فيها فهي وثيقة رسمية معاصرة للأحداث، لا يمكن الطعن فيها بسهولة، وفي هذا النطاق وصلتنا مجموعة معتبرة من المسكوكات الموحدية بنوعيها الفضي والذهبي تحمل اسم مكان الضرب بجاية، حيث رجح الدكتور صالح بن قربه نشاط دار السكة بالمدينة إلى وقت مبكر أي بعد دخول عبد المؤمن إليها حيث أخرجت لأول مرة نقودا جديدة تعبيرا عن دخولها في طاعة الموحدين من جهة، وبداية عهد جديد في حياتها الاقتصادية التي ستسير في فلك الدراهم الفضية الموحدية بدءا من سنة 547 ه، من جهة ثانية، ولان استمرارية دار السكة لهذا النوع من المسكوكات، قد توقف سنة 580 ه، ولمدة سبعة أشهر، حيث أن المدينة لم تنعم بروح الاستقرار السياسي، لانصراف الموحدين الى محاربة ثورة بني غانية وعند استتباب الأمن بالولاية استعادة دار السكة نشاطها الاقتصادي في سك النقود الفضية الموحدية حتى سنة 624 ه، حيث وضع الخليفة ادريس المأمون حدا لانتاجها[1].

يمكن القول بأن مدينة بجاية كانت من المدن الهامة في بلاد المغرب الأوسط لا تقل أهميتها عن أية مدينة أخرى خاصة وأن دار السكة كانت تسك نقودها طيلة سبعون سنة ولهذا وجب على الولاة حماية دار السكة والتي كانت موجودة على الأغلب بالقصبة وعليه كان لابد من توسعة القصبة واستحداث مجموعة من المنشآت داخلها.

وبما أن البحر هو نقطة ضعف المدينة فكان لزاما على الموحدين من الاكثار من المنشآت الدفاعية من جهة البحر. خاصة وأن المدينة قد شكلت أيام الموحدين أهم قاعدة تصنع فيها السفن وتجتمع فيها الأساطيل، وفضلا عن هذا وذلك فقد كانت المدينة تعرف حركة تجارية بحرية نشيطة، ولأجل حامية هذا المرسى.

---

[1]- بن قربة صالح، المسكوكات المغربية... المرجع السابق، ج1، ص184-186.



انيطت المهمة إلى القصبة، حيث اعتبرت احدى المحارس البحرية للمدينة، كما كان لها دور مراقبة الحركة داخل الأحياء الحرفية والسكنية.

- **وصف القصبة:** (**أنظر مخطط رقم 24**)

تقع هذه القصبة على هضبة مرتفعة في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة أما فيما يخص شكلها فهي ذات شكل مستطيل عرضها 70 م وطولها 155 م[1].

وتحتوي القصبة على المسجد الجامع حيث يقع في الجهة اليمنى لمدخل القصبة ومن المرجح أن هذا المسجد يرجع الى العهد الحمادي ثم عرف بعض التعديلات والزيادات على العهد الموحدي ثم بعد ذلك تحول في العهد الحفصي الى المسجد الأعظم من طرف الأمير عبد الله محمد سنة 766 ه/ 1374 م. حسب ما اخبرنا به ابن خلدون حيث يقول« ... قدمني للخطابة بجامع القصبة وأنا مع ذلك عاكف بعد انصرافي من تدبير الملك، غدوت الى تدريس العلم أثناء النهار بجامع القصبة...» [2]. كما عرف هذا المسجد بعض التجديدات في عهد مصطفى باشا 1212 ه/ 1797 م وأطلق عليه آنذاك الجامع الكبير طبعا هذا بعد أن قام الاسبان بتخريبه سنة 1510 م[3].

وتتكون القصبة من القاعدة الجنوبية الشرقية والمقابلة للبحر، حيث نجد آثار برج مربع الشكل في الجهة الشمالية الشرقية كما نعثر في الجدار الشرقي آثار غرفة المراقبة والتي لم يبق منها إلا ممشى الحرس وبعض الشرفات والمزاغل والتي تعود إلى الفترة العثمانية على الأرجح.

أما عن أسوار القصبة فقد سايرت الموقع من قمته الى أسفله أي اعتماد نظام البناء التدريجي وهو ما نلاحظه في توزع المباني التي كانت تشغل القصبة حيث تمتد من الشرق إلى الغرب وفق

[1]-georges (m) « Bidjaya » encyclopédie de l'islam, nouvelle édition, brill, vol, I, 1940. p1241.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص129-130.

[3] -Feraud (CH), Histoire de Bougie, in revue Afrieaine 1858-1859 ,pp296-297.

نطاق تدريجي، وقد بينت تلك الأسوار بالحجر والدبش والآجر[1]. حيث نجد الأساس مبني على حجر أساس كبير على شكل مداميك، وقد زودت تلك الاسوار بأبراج موزعة على واجهاتها وكانت تأخذ أشكالا متنوعة من مربعة ومستطيلة على الرجح.

أما بالنسبة إلى مداخل المدينة فإننا نجهل عددها وهذا بطبيعة الحال راجع بالدرجة الأولى إلى سكوت المصادر وعدم التطرق إلى القصبة يليها الخراب الذي وقع لها بدخول الاسبان سنة 1510 م ثم التغيرات التي طرأت عليها في العهد العثماني حيث قام صالح رايس سنة 1556 م بإعادة بناء بعض أسوار القصبة خاصة الجهة المقابلة للبحر والتي تعرضت لقصف المدفعية اثناء محاصرة المدينة من طرف العثمانيين[2].

وقد بنيت التنقيبات الأثرية التي أجريت على القصبة على تخطيط الهندسة المائية حيث تم العثور على بعض الآبار والخزانات التي تتوزع على جميع مرافق وأقسام القصبة والتي تزودها بالماء وقد بلغ عدد خزانات القصبة 05 خزانات حيث تتسع لمائتي ألف لتر من الماء[3].

وباختصار يمكن القول أن القصبة وما تحويه من بنايات أساسية، جعلت من مستقر بجاية مدينة بالمفهوم الكامل لما يتضمنه هذا المصطلح من معنى في القاموس العمراني، إلا أنه لا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا إشكالية القصبة الأساسية وهي ان اشعاعها ظل مرتبطا بوجود جهاز الدولة بها إذ كلما ابتعدت السلطة عنها آل اليها الخراب والدمار خاصة ما حصل أثناء التواجد الاسباني حيث تعرضت معظم مباني القصبة الإسلامية للتخريب وإعادة تشييدها وفق فن معماري أوربي يتناسب مع تطور الأسلحة وقدراتها وامكانياتها في التأثير عليها.

---

(1)-Bouroiba (R), l'architecture…. Op cit, pp 80-81.

ينظر كذلك:

-Débeylie, (GL), op cit, p106.

(2)-Feraud (CH), op cit, p297.

(3) louis salvator de hasbowg, Bougie la perle de l'Afrique du nort, traduction de vivane jambert, France 1999, pp 65-66.

خامسا: مدينة البطحاء[1].

1. الموقع الجغرافي : (أنظر خريطة رقم : 18)

يجهل الآن موقع البطحاء لكن أغلب الظن أنها كانت تقع على الطريق الكبرى المؤدية من تلمسان إلى عاصمة الجزائر على الضفة اليسرى لواد مني، قرب اغيل ازان. ربوة الذئاب التي اخذ منها اسم مدينة غيلزان المشيدة في سفح هذه الربوة[2].

وحسب مارمول كربخال فإن مدينة البطحاء تبعد على وهران بثلاثة فراسخ، وقد جعلها بطليموس عند اربع عشرة درجة وثلاثين دقيقة طولا وعند اثنتين وثلاثين درجة وثلاثين دقيقة عرضا[3].

وقد وصف لنا حسن الوزان موقعها الاستراتيجي حيث يقول« .... كانت مدينة البطحاء مدينة كبيرة.... في سهل فسيح بنبت فيه القمح ويجري قرب موقعها القديم نهر صغير كانت على ضفافه بساتين وحقول في غاية الخصب...» [4].

2. تاريخ تأسيس المدينة:

لقد شرح لنا صاحب الأنيس المطرب الظروف التاريخية لبناء المدينة حيث يقول«... وفي هذه السنة (555 ه-1160 م) تحرك أمير المؤمنين إلى المغرب يريد طنجة...فسار حتى وصل إلى مقربة من وهران فطلبه عرب افريقية في الوداع بالرجوع إلى حللهم فأسعفهم

---

(1)- كانت البطحاء قائمة عام 513 ه/ 1119 م، عندما نزل بها محمد بن تومرت في طريق عودته من المشرق، وقد أقام بها وصحبه مدة ثلاثة أيام قبل أن يتابعوا سفرهم إلى فاس، ثم مراكش لمزيد من الاطلاع ينظر:

البيذق المصدر السابق، ص19.

(2)- انظر التهميش الخاص بكتاب وصف افريقيا المصدر السابق، ج1، ص28. وقد حدد موقعها عبد الواحد أكمير مترجم كتاب امبرو سيوهويثى ميراندا، بالشمال من غليزان وبالقرب من ملتقى الشلف والمينة انظر التهميش، ص49.

(3)- مارمول كربخال، المصدر السابق،ـــ ج2، ص326.

(4)- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص27-28.

بذلك... وبنا في رجعته هذه مدينة البطحاء وسبب بنائه إياها أنه لما طالت بالموحدين الإقامة بالمشرق والتغريب عن أولادهم وأوطانهم عزمت طائفة منهم على قتل عبد المؤمن والفتك به في خبائه إذا نام وتوافقوا على ذلك، فأتى شيخ ممن علم الأمر إلى عبد المؤمن فأخبره الخبر وقال له: دعني أبت الليلة في موضعك وأنم في فراشك فإن فعلوا ما اتفقوا عليه كنت فديتك بنفسي في حق المسلمين وأجري في ذلك على الله، وإن كانت السلامة فمن الله تعالى ويكون أجري على قدر نيتي فبات على فراشه فاستشهد، فلما أصبح وصلا عبد المؤمن الصبح افتقده فوجده مقتولا، فأخذه وحمله بين يديه على ناقته لا يقودها أحد فسارت الناقة تمر يمينا وشمالا حتى بركت وحدها فأمر عبد المؤمن بالشيخ فأنزل عنها وأخذ برمامها وأزيلت عن بركها وحفر قبره ودفن وبنيت عليه قبة، وبنا بإزاء القبة جامعا، ثم أمر ببناء المدينة حول المسجد، وترك بالمينة عشرة من كل قبيلة من قبائل المغرب...» [1].

كما أكد لنا الشيخ أبو العباس أحمد السلاوي وهو ينقل عن ابن أبي زرع روايته عن بناء عبد المؤمن تلك المدينة أثناء عودته من بلاد افريقية[2].

من كل ما تقدم يتبين لنا أن مدينة البطحاء كانت من تأسيس الموحدين وبالضبط في عهد عبد المؤمن بن علي سنة 555 ه/ 1160 م، كما أنها بنيت في ظرفية تاريخية خاصة تمثلت في تخليد اسم – إسماعيل بن يسلالي الهزرجي والذي يعرف باسم إسماعيل ايكيك الذي كان تلميذ ابن تومرت والذي انقذ ابن تومرت من مؤامرة دبرت للاغتيال كما فدا عبد المؤمن بنفسه[3].

كما نلاحظ أن مدينة البطحاء قد خضعت لشروط تخطيط المدينة الإسلامية فضرورة الغذاء والمسكن والعبادة والتبادل والتعاون والدفاع قد توفرت في مدينة البطحاء حيث شروط

---

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص199-200.

[2]- أبو العباس أحمد السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص125.

[3]- البيذق، المقتبس من كتاب الانساب، المصدر السابق، ص31.

الحياة الاجتماعية من مياه وتربة للزراعة وهواء طيب وحاميات ومسالك للاتصال ، وهو ماكده لنا حسن الوزان عند وصفه للمدينة.

3. البناء والتطور:

تحتاج مدينة البطحاء إلى جهود المهتمين لتحديد صفاتها وشكلها وتطورها، وذلك من أجل الكشف عن جزء من الغموض الذي يحيط بوجودها في تلك الفترة ومما يزيد في صعوبة مهمتنا قلة الأخبار المصدرية وانعدام الحفريات بهذا الموقع الأثري المهم.

وفي هذا السياق من المفروض توضيح الجانب المعماري بهذه المدينة لأنه منطقيا حينما نتحدث عن البناء علينا تقديم نوع المعالم القائمة، ولكننا سنسلك معها منهجا آخر قوامه الأسئلة المستمرة عن شكل ذلك المعمار الذي كانت عليه المدينة في عهد الموحدين أو في فترة الزيانيين، وذلك لصعوبة تقديم وصف محدد عن طبيعة البناء، وكيفما كانت المواصفات فان مدينة البطحاء ارتقت إلى مستوى المدينة في فترة الموحدين كما كانت ثغرا لاعمال يغمراسن بتلمسان إلى غاية 670 ه/ 1271 م حيث تم تدميرها من طرف محمد بن عبد القوى المريني كما أخبرنا بذلك ابن خلدون حيث يقول« ... ولما نهض يعقوب بن عبد الحق الى تلمسان سنة سبعين وستمائة وأوقع بيغمراس في الواقعة التي هلك فيها ابنه فارس نهض محمد بن عبد القوي للقائه ومر بطريقه بالبطحاء، وهي يومئذ ثغر لأعمال يغمراسن فهدمها...» [1].

وفي هذا الاطار توفرت المدينة على منشآت معمارية من أحياء سكينة ومرافق اجتماعية، خاصة إذا علمنا أن عبد المؤمن بن علي قد ترك بالمدينة عشرة من كل قبيلة من قبائل المغرب، هذا بالإضافة إلى قبيلة بنويلومي كما جاء عند ابن خلدون[2]. بطبيعة الحال هذا بالرغم من انعدام الإشارات المصدرية، إذ يصعب تصور مدينة مثل هذه تنعدم فيها الأسوار ولا تغلق أبوابها

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص209.

[2]- المصدر نفسه ، ج7، ص74.

ليلا لتفتح صباحا، ومن هذه الزاوية نتصور وجود تلك المنشآت على عهد الموحدين على الرغم من عدم توفر ما يؤكد أو ينفي ذلك ولكن وجودها في منآى عن المواجهات العسكرية في بداية الموحدين. ويظهر أن مرور عبد المؤمن بن علي بهذه المدينة سنة 555 ه/ 1160 م، كان حاسما في تحديد مستقبلها العمراني وحتى نشاطها الاقتصادي والعلمي والديني.

ومن المؤكد أن أبرز هذه العناصر التخطيطية في المدينة هو المسجد الجامع والسوق، ثم الخطط أو الحياء السكنية بأزقتها وشوارعها وسورهما وأبوابها وأبراجها، ويمكن تحديد هذه المحاور فيما يلي:

المحور الأول: تحتل المباني الدينية المكانة الأولى في المدينة فهي المركز والقلب النابض لها ممثلة في المسجد الجامع، والذي يعتبر النواة التي تشكل من حولها باقي المنشآت العامة التي تتموضع في أمكنة تكون أكثر قربا من المسجد، ولذلك طبعا لتسهيل متابعة الشعائر الدينية وأيضا تأكيد الثقافة الدينية في المنشآت العامة، وقد أخبرنا ابن زرع على أن المسجد الجامع هو أول ما بني بالمدينة هذا طبعا بعد بنائه قبة قبر الشيخ الذي أفداه[1].

المحور الثاني: وينحصر في داخل المدينة ويشغل بذلك الخطط أو الأحياء السكنية من ساحات وحمامات ودكاكين إضافة إلى الشوارع والدروب التي تأثر تخطيطها بالمدينة الإسلامية هذا فضلا عن تأمين السكان بعد تخطيط المدينة وبناء العمائر والمرافق السكينة بها وحماية حياتهم وأموالهم ضرورة يقرها الدين وتقتضيها الشريعة.

حيث أن الأحداث السياسية التي عاشها المغرب الأوسط في تلك الفترة وخطورتها كان لها الأثر الكبير في زعزعت الأمن والاستقرار لاسيما الظاهرة الجديدة التي وفدت إلى المغرب الأوسط إلا وهي عرب بني هلال وبني غانية وما لحق هذا القطر من تخريبهم وعبثهم ولهذا كان

(1)- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص200.



لازاما على الموحدين تشكيل جند للدفاع عن هذه المدينة مع احاطتها بسياج من الأسوار، وذلك لتسهيل عملية الدفاع والاشراف والمراقبة لكل التحركات.

ونعتقد أن هذه الأسوار قد بنيت بتقنيات محلية التي اعتمدت على الحجر والطوب المحليين وكما أننا لا نعتقد أن جل أجزاء السور المحيطة بالمدينة قد توفرت فيها القوة والصلابة لأن اختفاء معظم الأسوار بعد خراب المدينة والذي تنعدم اطلاله حاليا.

يدل على هشاشته وعدم قوته وهذا ما يستخلص من كلام حسن الوزان الذي أشار إلى الخراب الذي طال مدينة البطحاء في أوائل القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي بعد استلاء أبي الحسن المريني على مملكة تلمسان وانقراض الدولة الأولى لبني زيان، وفي هذا الصدد يقول«... لكنها خربت أثناء الحروب التي استعرت بين ملوك تلمسان... ولما كان هؤلاء معززين من طرف ملك فاس فانهم احتلوا رقعة كبيرة من مدينة تلمسان ودمروا البلدان التي لم يتمكنوا من أخذها واحرقوها ونتج عن ذلك أنه لا يرى اليوم من البطحاء سوى أسس جدران، ويجري قرب موقعها القديم نهر صغير...» [1].

ومن جملة مظاهر التحصين توفر المدينة على أبواب والتي تعتبر منافذها على الخارج لكن نجهل عددها وطريقة بنائها وذلك راجع بطبيعة الحال لعدم توفر المادة الخبرية وحتى الأثرية.

ان الافتراضات المقدمة حول هذه المدينة، والتي تعتبر محاولة لسد مجموعة من الثغرات حول عمران البطحاء خلال العهد الموحدي وحتى الزياني. يقتضي المزيد من البحث والتنقيب عن المادة الاركيولوجية التي يمكن أن تزيد من معلوماتنا أو تقومها، خصوصا فيما يتعلق بالاطار العمراني.

(1)- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص28.



خلاصة الفصل:

لقد أمكن القيام بجرد واسع لمادة مصدرية غنية ومتنوعة متناثرة في متون المظان المختلفة بالإضافة إلى الوقوف على بعض المباني العسكرية في المغرب الأوسط اسعفتنا في التدقيق في الكثير من القضايا الأساسية التي تدخل في فهم النظام العسكري الموحدي والذي احدث تحولات كبرى وعميقة في تحصين المدن وبناء قصباتها وأسوارها وهذا بعد إرساء الخلافة الموحدية وبناء دولة قوية والقضاء على التجرؤ السياسي والعسكري الذي عم المغرب الأوسط والذي دفع بهذه السلطة المركزية إلى عدم الاكتفاء بالقوى العسكرية التي تقدمها مدن المغرب الأقصى فأقدمت على انشاء جيش مختلط من عرب وبربر وعنصر الغز.

كما تبين أن الموحدون لم يحيدوا على سابقيهم في اختبار مواقع المدن وفق شروط طبيعية توفر الأمن والمياه وقد دفعت هذه الشروط السلطة إلى اخضاع أهم تلك المدن وتحصينها وتسويرها ، كما عملت على تأطيرها في الميادين الاقتصادية والمالة والبشرية والعسكرية وذلك عبر الولاة أو ممثليها الذين كانوا يتخذون من القصبات مقرا لسكناهم وجندهم كما حدث في مدينة تلمسان- تاكرارت- وندرومة وهنين وبجاية وغيرها من المدن.

كما تبين لنا من خلال استعراض المادة المصدرية والوقوف على تلك المنشآت الحربية والمرتبطة بالأسوار والقصبات والابراج والأبواب ان بناءها وتوسيعها وترميمها بدأ منذ دخول عبد المؤمن بن علي لمدينة تلمسان حيث قام ببناء سور تاكرارت، وبنائه لقصبه ندرومة، وهنين وتوسعة قصبة بجاية.

خضوع وظائف التحصين لمرحلة انتقالية تزامنت مع بداية الخلافة الموحدية ففي اطار البحث عن الاستقرار السياسي، والعسكري بالمغرب الأوسط والادنى عمدا الموحدون على انشاء خطوط مستمرة من المدن العسكرية ترسم وتتبع خطى التقدم والتقهقر وتحدد مراحل الفتح والاسترداد فنجد اتخاذهم في البداية مدينة تلمسان كموقع استراتيجي في طريق التوسع من الشرق الى المغرب أو في الاتجاه المعاكس من المغرب إلى الشرق، كما اهتموا بالعديد من

الموانئ والمراسي كهنين التي تعتبر الواجهة التي تمكن تلمسان من الاتصال بباقي المدن التجارية في البحر المتوسط هذا بالإضافة إلى ميناء بجاية الذي يعتبر أهم قاعدة في المغرب الأوسط، والذي كان يحوي دار صناعة السفن ولهذا أرست الدولة الموحدية دعائم الأسطول التجاري والحربي عبر بناء وتوسيع وتطوير دور الصناعة على امتداد سواحل المغرب الأوسط والادنى.

كما توصلت الدراسة على أن الموحدين قاموا بتأسيس مدينة البطحاء وفق ظروف تاريخية تمثلت في تخليد اسم أبو إبراهيم إسماعيل بن يسلالى الهزرجي، الذي فدا عبد المؤمن بنفسه سنة 555 ه، حيث برزت منذ ذلك الحين كمدينة ذات خاصية ضبطية متمثلة في تأمين الطرق التجارية بالإضافة إلى الخاصية الجبائية ولاستخلاص الضرائب من القبائل وضمان استقرارها خاصة تلك المتمردة عن السلطة الموحدية.

ان عملية البناء في القصبات، والأسوار، والأبواب، والابراج، أدت إلى الوقوف عند طبيعة البناء والمواد المستخدمة فيه حيث نجد أن الموحدين قد بدوءا أسوارهم في مدينة تاكرارت على نفس أسلوب المرابطين من حيث البناء بقطع الحجر الكبيرة غير المنتظمة تتخللها قطع مستوية من حين لأخر، تنتظيم بها سطوح المداميك الأمر الذي شاهدناه في قلعة أمرجو المرابطية من منتصف القرن السادس الهجري، ثم نجد استعمال الحجر غير المنجور بارتفاع قامة الرجل تبدأ فوقه التابية الى نهاية علو السور المطلوب، كما حدث في أسوار ندرومة وهنين.

كما أن انتشار البناء بالحجر الصلب الى جانب توفر تقنية عالية في عملية البناء قد أدى إلى صمود العديد من المنشآت في وجه التطورات الطبيعية الموجودة في تلمسان وهنين وندرومة وبجاية والتي ما تزال قائمة إلى الآن إلا دليل على ذلك وان تظافر مجهودات البحث المصدري التاريخي والتوثيقي والبحث الميداني الاركيولوجي والطوبونيمي من شأنه أن يساهم في انارة الكثير من القضايا بل وحل العديد من الالغاز المرتبطة بالمنشآت الدفاعية الموجودة بالمغرب الأوسط خلال العهد الموحدي.



خريطة تبين توزيع الإستحكامات العسكرية الموحدية في بلاد المغرب والاندلس (من إعداد الباحث)

الفصل الثاني

العمارة العسكرية بالأندلس

تمهيد:

بعدما تمكن عبد المؤمن بن علي من بسط سلطانه على بلاد المغرب الأقصى وأجزاء من المغرب الأوسط ودانت له جل القابل البربرية بالطاعة والولاء، صرف نظره إلى الجزء المهم من تركة المرابطين ألا وهي بلاد الأندلس حيث تم اخضاعها عبر مراحل تمثلت فيما يلي:

1. اخضاع جنوب الأندلس حيث تم استلاء الجيوش الموحدية سنة 541 ه/1146 م على مدينة طريف والجزيرة الخضراء، وشريش مدينة أبو الغمر بن عزون حليف الموحدين الذين أقروه على حكمها[1].

2. اخضاع غربي الأندلس: حيث سيطر الموحدون على مدينة لبلة ثم حصن طلبيرة[2]. وبطليوس[3]. وميرتلة[4] وشلب[5]. ومدينة باجة كما تم فتح مدينة اشبيلية والتي كانت تعتبر أمنع وأكبر مدن غربي الأندلس سنة 541 ه/ 1147 م[6].

3. اخضاع وسط الاندلس: تعتبر مدن وسط الاندلس الأكثر امتناعا خاصة بوجود يحي بن غانية في قرطبة لكن نقض ملك قشتاله اتفاقه مع ابن غانية حين استولى على مدينة

---

(1)- كانت جيوش الموحدين تتكون من ثلاث فيالق الأول كان بقيادة براز بن محمد المسوفي أما الثاني فكان بقيادة موسى بن سعيد أما الثالث فكان قائده عمر بن صالح الصنهاجي، وقد أمر عبد المؤمن هذه الجيوش بالعبور إلى الاندلس وقتال كل من يرفض اعلاء الولاء والطاعة للموحدين، ينظر: ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص35-36.

(2)- طلبيرة: تقع في ضفاف نهر تاجة وفي سفوح الجبال تنتشر حولها مطاحن الحبوب على الماء وهي أقصى ثغور المسلمين ومنها يدخل إلى بلاد النصاري ينظر: عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص395.

(3)- بطليوس: مدينة شمال اشبيلية وشرقي يابرة، وهي تقع على تل يحيط وادي يانة يطرف منه عند رأس الزاوية التي يكونها هذا النهر ينظر: ليوبولدو وطيرس بالباس، المرجع السابق، ج1، ص119.

(4)- ميرتلة: تقع شرقي مدينة باجة وهي قريبة من الشاطئ البحر وهو مرسى هاشم، الحميري: المصدر السابق، ص569.

(5)- شلب: وهي قاعدة كورة اكتسونية وهي بقبلي مدينة باجة ينظر: الحميري ، المرجع السابق، ص342.

(6)- رغم ذلك وبعد فترة وجيزة ثار أهل اشبيلية على الموحدين فقد استبد أحمد بن قسي بشلب وعلي بن عيسى بن ميمون بجزيرة قادس ومحمد علي الحجام ببطليوس، ولم يبق سوى أبو الغمر بن عزون صاحب شريش، الذي كان له الفضل في إعادة سيادة الموحدين على المناطق الثائرة بقيادة القائد الموحدي يوسف بن سليمان الذي استطاع القضاء على الثوار وإعادة المناطق التي ثاروا بها إلى طاعة الموحدين بما في ذلك اشبيلية لمزيد من الاطلاع ينظر: هويثي ميراندا، المرجع السابق، ص136-140.

جيان[1].جعلت ابن غانية يعقد اتفاقا مع الموحدين ويسلمهم مدينتي قرطبة وقرمونة مقابل منحه الأمان[2]. وفي سنة 547 ه/1152 م تم اخضاع مدينة مالقة وغرناطة مع مدينة انقيرة ولم يبق من بلاد وسط الاندلس سوى مدينة المرية التي كانت بأيدي النصاري منذ سنة 542 ه/1147 م، ولذلك قام أبو سعيد ابن الخليفة عبد المؤمن والذي كان والي غرناطة، مدعما بقوة أندلسية بقيادة أحمد بن ملحان وقوة بحرية من سبتة بقيادة عبد الله بن سليمان بمهاجمة المرية حيث تم حصارها مدة سبعة أشهر وقد تمكن الموحدون من دخول المدينة سنة 552 ه/1157م[3].

نستطيع القول أن الخلفاء الموحدين الأوائل[4]. قد استطاعوا ضم الأندلس إلى خلافتهم وأوقفوا تقدم حروب الاسترداد، وقد تطلب هذا من الموحدين من تقسيم الأندلس إلى ولايات[5]. يتولى أمرهما بالخصوص السادة من بني عبد المؤمن حيث نجد ولاية اشبيلية والذي كان واليها يوسف بن عبد المؤمن في عهد ابيه، وفي عهد المستنصر نجد السيد أبو إسحاق إبراهيم بن الخليفة يوسف، ثم عهد العادل نجد ولاية السيد أبو العلى ادريس (المأمون) أما ولاية قرطبة فقد كان واليها في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن اخوه السيد أبو سعيد، وأخوه

[1]- جيان: يبنها وبين بياسة عشرون ميلا وهي كثيرة الخصب رخيصة الأسعار ولها زائد على ثلاثة الاف قرية كلها يربي فيها دود الحرير: ينظر: الحميري، المصدر السابق ص183.

[2]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص40-41.

[3]- المصدر نفسه، ج3، ص61.

[4]- حول تتبع مراحل الصراع بين الموحدين والممالك الاسبانية من جهة وجهود الخلفاء الموحدين بدءا من سنة 541 ه إلى غاية 610 ه، في المحافظة على الأندلس من جهة أخرى ينظر: كتاب: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الاندلس، عصر الموحدين، ج5، مكتبة الخانجي، القاهرة 2002.

[5]- حول تقسيم الاندلس إلى ولايات وتعيين ولايتها ينظر الى أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج2، الرسائل: 13. 14. 15. 16. 19. 20. 22. 23. 25. 26. 37. 63. 73. 74. 75. 77. 78. 79. 80. 82. 88. 90. 94. 97. 98. 107. 108. 115. 116.

السيد أبو إسحاق إبراهيم، وفي عهد العادل كان واليها العلى ادريس (المأمون) حيث جمعت به ولايتها مع اشبيلية.

أما ولاية جيان فكان واليها في عهد الناصر: السيد عبد الرحمان بن الخليفة عبد المؤمن.

وولاية مرسية فقد تولاها في عهد الخليفتين يوسف ثم المنصور السيد محمد بن الخليفة يوسف ثم أخوه السيد عبد الرحمان، أما ولاية بلنسبة فيما يبين أواخر عهد المستنصر وأوائل عهد المأمون فقد تولاها السيد: أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن، وأخيرا ولاية غرناطة فقد تولها في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن الشيخ أبو عبد الله بن أبي إبراهيم.

وقد اهتم هؤلاء الولاة بإنشاء مجموعة من الحصون والقلاع والقصبات والأبراج بالإضافة إلى الأسوار لحماية المدن التي تحت اشرافهم، وذلك نظرا للمعارك القوية والحروب المستمرة مع الصليبية كما شحنوا ثغورهم بالرجال والسلاح والخيول.

ومن أبرز تلك المنشآت الدفاعية نذكر مدينة جبل الفتح والتي تعتبر قاعدة ارتكاز للعمليات الحربية الموحدية في شبه الجزيرة وقد أمر الخليفة عبد المؤمن بن علي ابنه أبي سعيد عثمان صاحب غرناطة بالإشراف على بنائه، كما أضاف حصون أخرى في مدينة شلب وحصن طلبيرة، وقصبة اشبيلية ومدينة طليطلة وقلمرية وقلعة رباح، أما في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن فنجده كذلك أولى كل اهتمامه في تحصين المدن الاندلسية، وكان منها قلعة جابر الواقعة بالقرب من جنوب شرقي مدينة اشبيلية، حيث اعتبرت نقطة دفاعية مهمة في مدينة اشبيلية.

أما في عهد يعقوب المنصور والذي واصل نهج سياسة سلفه في البناء والتشييد فقد حصن حصون تغوز الإسلام في الأندلس، وكان من بينها حصن الفرج الذي يقع جنوب غربي مدينة اشبيلية قرب النهر الأعظم، والذي كان بمثابة مترلا حاميا للمجاهدين ولحماية مدينة اشبيلية عاصمة الاندلس.

وقد استمر الموحدون في بناء تلك التحصينات الدفاعية لمواجهته الخطر المسيحي في الاندلس حيث كان أخرها برج الذهب، وهو من انشاء أبو العلاء أدريس سنة 617 ه، حيث اتخذ كنقطة دفاع للقصر الملكي، حيث وصله بأسوار قصر الوالي بسور قصير عمودي عليه.
لقد كانت الأندلس هي الواجهة الأمامية التي تحمي المغرب الإسلامي من القوى المسيحية، إذا أضيف اليها قوة الأسطول الموحدي ومع تعرض الحواضر الأندلسية للسقوط خاصة قرطبة سنة 633 ه ثم بالنسبة سنة 636 ه، ثم انفصال الأندلس عن الموحدين لتواجه مصيرها غير أن سقوطها النهائي بيد الإسبان.

سيتأخر لاكثر من قرنين بسبب تطوع المغاربة المرنيين للدفاع عنها وعلى الخصوص بسبب النزاعات داخل الممالك الاسبانية وفيما بينها على كل فإن سقوط الأندلس كان له أثر كبير في تعرض تراب المغرب الإسلامي لهجوم المسيحيين، كما كان بداية مرحلة تتميز بانقلاب في موازين القوى لغير صالح مسلمي الغرب، حيث تم الاستلاء على أغلب المدن الاندلسية بما فيها حصونها.

وثغورها والتي تعرضت بدورها إلى مجموعة من الإصلاحات وإعادة بناء من جديد وفق تقنيات حديثة تستجيب ومتطلبات الحرب، وسنحاول التطرق إلى تلك المنشآت الدفاعية التي ما يزال جزء منها ماثلا وان كان قد أصابه التغيير سواء من حيث البناء أو من حيث تغيير اسمه من طرف اعداد الإسلام.

أولا: مدينة جبل طارق[1].

1. الموقع الجغرافي: (أنظر خريطة رقم: 19)

هو عبارة عن شبه جزيرة ضيقة تقع في الجهة الشرقية لخليج جبل طارق وتبعد مسافة 6.4 كلم عن مدينة الجزيرة الخضراء، ويقع جبل طارق بأقصى جنوب الساحل الاسباني في احدى أضيق المناطق في البحر المتوسط، حيث يبعد فقط مسافة 24 كلم عن ساحل المغرب الأقصى، وتبلغ مساحة إقليم جبل طارق 6.7 كلم2، وتشغل معظم هذه المساحة صخرة جبل طارق شديد الانحدار يصل ارتفاعها إلى 426 م[2].

وتقع مدينة جبل طارق عند سفح الصخرة بالجانب الغربي لشبه الجزيرة، ويربط ببرزخ ضيق منخفض شبه جزيرة جبل طارق بالبر الرئيسي لإسبانيا، وتشبه الواجهة الشمالية للصخرة الجرف العمودي تقريبا، وارتفاعه 396 م، وتطل على البرزخ والمنفذ البري الوحيد لمدينة جبل طارق هو عبر الشريط الساحلي عرضه 350 م، والذي كان أضيق كثيرا قبل استصلاح الأراضي البحرية خلال القرن العشرين[3].

لقد كانت لجغرافية جبل طارق دور كبير في منحه مزايا دفاعية طبيعية هامة، فمن المستحيل عمليا تسلق الجهة الشرقية أو الشمالية لصخرة جبل طارق، واللتان هما إما عموديتين أو ما يقرب ذلك، وفي الجنوب تحاط المنطقة المستوية حول رأس أوربا (يوربا بوينت) بجروف يصل ارتفاعها حوالي 30 م، أما الجهة الغربية فهي المنطقة الوحيدة الممكنة للدخول منها، ولكن حتى في ذلك المكان تعمل المنحدرات الحادة في صالح المدينة البنية فوقها وتقوم بدور

---

[1]- جبل طارق نسبة إلى طارق بن زياد أول قائد للجيوش العربية التي كانت صحبته،ـــ نزله في سنة 92 ه/ 711 م، وقد عبر المضيق لفتح اسبانيا وقد انهزم أمامه في الصيف الموالي لو ذريك العامل القوطي لمزيد الاطلاع ينظر: عبد الرحمان على الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92 ه- 897 ه/ 711 م- 1492 م، ط2، دار القلم، بيروت.1992م، ص 43-113.

[2] -bond, peter » gibraltars finest hour the geat sige 1779-1783 » 300 years of gibraltar, peter- tan publishing co 1 est édition british, 2004, pp28-29.

[3]- ليوبولدو طبريس: المرجع السابق، ج1، ص125.

المدافع، كل هذه العوامل منحت جبل طارق أهمية عسكرية بالغة على مدار قرون من الزمن، وقد تحدث ابن صاحب الصلاة عن موقعه الاستراتيجي« ... وجبل طارق هذا شريف البقعة كريم التربة، عظيم المنعة، باسق مع أعنان السماء يكاد في المسامته إلى الجوزاء... وغير ذلك وماؤه عذب زلال مروق سلسال... »[1].

ان هذه الأهمية ما كانت لتكون لولا موقع المدينة الجغرافي المتميز الذي يربط بين مسطحين مائيين شديدي الأهمية فهذا المضيق يعتبر نقطة الوصل بين المغرب الأقصى والأندلس، كما أن موقعه كان نقطة البداية التي انساحت معها الجيوش الفاتحة نحو قلب الأندلس، وقد لعب جبل طارق في تاريخ الأندلس دورا عظيما، وكان دائما معبر الجيوش الإسلامية.

وقد كان الموحدون أول من أدرك الأهمية الكبرى للجبل، كموقع حربي هام ولذلك نرى عبد المؤمن يصدر أوامره ببناء مدينة كبرى في الجبل بمجرد ما انتصر على خصومه في المهدية الشرقية واتجهت نيته إلى الاندلس، فكيف تم له بناء المدينة وما هي اهداف هذا المشروع الموحدي؟

ذلك ما سنحاول الإجابة عنه من خلال رواية ابن صاحب الصلاة وغيره من المؤرخين والجغرافيين.

الأمر بالبناء:

لقد بعث عبد المؤمن عند ايابه من فتح افريقية برسالتين متواليتين احدهما أواخر 554 ه/ 1159 م والثانية أوائل سنة 555 ه/ 1160 م وكان الخطاب موجها في الرسالتين إلى ابنيه وإلى والي غرناطة السيد أبي سعيد ووالي اشبيلية السيد أبي يعقوب، وقد أمر الأول أن يقف بنفسه على عين المكان، كما طلب إلى الثاني أن ييسر السبيل للاستنفار جميع العملة والعرفاء الموحدين تحت دائرته، وقد جاء في الرسالة التاسعة عشرة وهي من انشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية حيث يقول ... من أمير المؤمنين.. الى الطلبة والموحدين الذين باغرناطة...

[1]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص87-88.

وهو النظر في احتطاط مدينة عتيقة مباركة بجبل طارق- عمره الله مجمع البحرين، والقطب الآخذ بأطراف البرين... وقد قويت العزيمة بحول الله على الاشتغال ببنائه وعماره فنائه.. وقد خاطبنا الشيخ الأجل أبا حفص- أعزه الله- ليصل إلى ذلك المكان أن تمكن له، وخاطبنا الشيخ القائد أبا محمد عبد الله بن خيار، اكرمه الله- ليصله.... كتب في الموفى عشرين من ذي قعدة سنة أربع وخمسين وخمسمائة[1].

ونظرا للأهمية التي أولاها السادة لهذا الأمر حاول أيضا والي اشبيلية أن يترل بنفسه للاطلاع على الأحوال بجبل طارق لولا أنه فوجئ بمضايقة أصحاب ابن همشك بمدينة قرمونة .

أهداف تنفيذ المشروع الموحدي:

لقد كان عبد المؤمن يعلم أن الفتح الأول للأندلس كان عن طريق هذا الجبل، فلا بد إذن لمن يريد الاطمئنان على وجوده في جنوب أوربا أن يمسك بالمفتاح الذي كان يتجلى في هذه الصخرة الشماء، وقد صرح ابن صاحب الصلاة بأن الباعث لعبد المؤمن على انشاء هذه المدينة هنا أن تكون مترلا للأمراء عند اجازة العساكر ومركز يستريح فيه الجند ريثما يكتمل الجمع وفي هذا الصدد يقول صاحب المن: ...جبل طارق المفتتح منه دانيها وقاصيها وطائعها ومحلا ريثما تتقدم الرايات المظفرة والاعلام المنشورة الى بلاد الروم... [2].

انه لصريح جدا في الباعث الذي جعل عبد المؤمن يقدم على بناء هذه المدينة في الجبل وادراكه الأهمية الكبرى للجبل كموقع حربي هام للاحتفاظ ببلاد الروم وضبط الأمن بين المغرب والأندلس، وما يدعم هذا الكلام، تلك الرسالة والتي تحمل رقم تسعة عشر، حيث تقول ... وأنا لنرجو أن أشعة النصر لتكلم الجزيرة تثبت من مطلع هذا الشارق والشاهق،

[1]- ليقي بروفسال: رسائل موحدية، المرجع السابق، رسالة رقم 19، ص95-99.

[2]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص84.

وتلمع في كل مطرح بكل بارق وقد قويت العزيمة بحول الله على الاشتغال ببنائه وعماره فنائه والأخذ في شأنه واعداده على مقتضى المدن المحصنة المحسنة لأوانه... [1].

هيئة الاشراف على المشروع وتنفيذ البناء:

لقد شاهد الجبل لأول مرة اجتماعا تمهيديا ضم عددا مهما من المهندسين والعرفاء فبالإضافة إلى الطلبة والأجناد الذين وصلوا، كان هناك أبو إسحاق براز والمهندس الحاج يعيش والقائد عبد الله الجياني والعريف أحمد بن باسة، وحضر جميع الذين تمس حاجة البناء اليهم: من البنائين والجيارين والنجارين والعرفاء، إلى جانب القواد والكتاب وأهل الحساب الذين يشرفون على تنفيذ الاشتغال، والانفاق على الأعمال، وفي هذا الصدد يخبرنا ابن صاحب الصلاة حول تلك الاستعدادات لتنفيذ هذا المشروع حيث يقول« ... فاحتفل النظر وانجفل البشر لذلك الاجناد والقواد والكتاب وأهل الحساب لتقييد الاشتغال والانفاق على الأعمال وبالتعجيل في ذلك والكمال، وتقدم السيد الأجل أبو سعيد على ما أمره به من موضعه بغرناطة اليه ومشى من اشبيلية العريف أحمد بن باسة بجميع البنائين ومن يشاكلهم ومن يعاونهم من الرجال ويماثلهم، ونزلوا فيه وابتدأوا البناء في الموضع الذي وقع عليه والاتفاق من نواحيه بسيف البحر مما يلاصقه ويليه... » [2].

أما رواية الحميري فبالرغم من انها تحتاج إلى شيء من التحرير والتحقيق إلا أنها تعطينا صورة مفصلة حول تنفيذ المشروع الموحدي المتمثل في بناء مدينة جبل الفتح حيث يقول« ... وكان أحد خلفاء بني عبد المؤمن أمر ببناء مدينة على جبل طارق، فندب اليها البناة والنجارين وقطاع الحجر للبنيان والجيار من كل بلدة وخطت فيه المدينة وقدم اليها من المال ما يعجز كثرة، وأتخذ فيها الجامع وقطرا له وقصورا تجاوره للسادة بنيه توالى العمل في ذلك واقطع أعيان

---

[1]- ليفي بروفسال: رسائل موحدية، المرجع السابق، رسالة رقم 19، ص97.

[2]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص86.

وجوه البلاد فيه منازل نظروا في بنائه بعد أن حفروا في سفح الجبل مواقع نبع فيها الماء وجمع بعضها إلى بعض حتى سال منها جدول عم المدينة... » [1].

مدة الاشتغال بناء المدينة ونزول عبد المؤمن بمرفئها:

يقول ابن صاحب الصلاة«... واشتغل السيد الأعلى أبو يعقوب ... مدة شهور في هذه الأوامر العلية النافذة من الحضرة الامامية ولازم فيها الاجتهاد وقاوم في ذلك الجهاد يتطلع مع الساعات مبلغ أحوال المباني وكيف التعاون في جميع المعاني والفعلة يجتهدون في أعمالهم وينصحون في الاشغال قدر طاقتهم من أحوالهم فظهر البناء في أقرب مدة وأبدى العامل عليه جهده وأظهر نصحه بأعظم قدرة ما عنده...» [2].

وهكذا أمسى الجبل بعد بضعة شهور فقط يتوفر على قصور وديار واستطاع المهندسون والعرفاء ان يتغلبوا على منحدرات الجبل، فيجعلوا منها فسيحا صالحا لسكنى الأمراء، كما بنوا في أسسها القصور حنايا وكهوفا ضمنت اعتدال الأرض على ما ينبغي وذلك بالحجر المنجور وقد بلغ البناء في الاتقان والروعة.

مبلغا جعل ابن صاحب الصلاة – وهو شاهد عيان- بحكم تفوق البنائيين على الذين شيدوا قصور الخورنق والسدير التي ظلت مضرب المثل في الأسطورة العربية، خاصة وأن مدة انجاز هذا المشروع الضخم لم يتعدى إلا شهورا معدودة، حيث عبر إليها الخليفة عبد المؤمن من تغرسبتة، ويصف لنا ابن صاحب الصلاة مناظر احتشاد الناس، على الشاطئ لروية موكبه في ذلك اليوم المشهود حيث يقول ".. وذلك في شهر ذي القعدة من عام خمسة وخمسين وخمسمائة... عند ايابه من غزوته المهدية وفتح جميع إفريقية قال المؤلف: وكما أنارت الافاق بالعدوة والأندلس بالبشائر الواصلة بقرب الخليفة...أنفذ السيد الأجل الأعلى أبو يعقوب عزمه الأول بالإسراع... لبركة اللقاء والاجتماع... ووفد السيد الأجل أبو سعيد بجميع أشياخه من

---

[1]- الحميري، المصدر السابق، ص387.

[2]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص89.

الموحدين وأبناء الجماعة أصحابه وحفاظه وأشياخ غرناطة وأنظارها ووصل الجبل المذكور...ووصل هذا الجمع إلى الجبل بذلك المشهد العظيم..." [1].

وقد تحدث ابن عذاري المراكشي بشيء من النقصيل حول عبور الخليفة عبد المؤمن إلى مدينة الفتح والمدة التي قضاه هناك واستقبال الوفود وقصائد الشعراء حيث يقول ".. كان جوازه في شهر ذي القعدة من عام خمسة وخمسين وخمسمائة... ووصل هذا الجمع إلى الجبل المذكور جبل طارق فأمر الوزير السيد أبو حفص أن يجمع الوفود للسلام فدخلوا... وأذن للشعراء في الانشاد فأوردوا ما نظموه من أفكارهم..

قال أبو القاسم ابن أبي هارون: كنت واحدا من جميع الوفد فأقمنا بجبل طارق نحو عشرين يوما تحت أنعام واكرام إلى أن عيدنا عيد الأضحى فرتب لاموره وجهز عساكره وحصن ما حصن من البلاد الأندلسية وحينئذ أذن للناس بالانصراف إلى مواطنهم فانصرفوا..." [2]

2. تحصيناتها:

يقول ابن صاحب الصلاة: "...واحكم البناؤون فيه بناء من القصور المشيدة والديار واخترعوا في أساسها طيقانا والحنايا لتعدل بها الأرض مبنية بالحجر المنجور والجيار... وكان الحاج يعيش المهندس منذ إقامته للبناء على ما ذكرنه فيه قد صنع في أعلاه رحى تطحن الاقوات بالريح... واتصل بهذا العمل من بناء الدور والقصور بناء السور والباب المسمى بباب الفتوح، في الفرجة التي كانت يدخل منها إلى الجبل بين البحر المحدق به من كلا جانبيه فجاء فردا في المعاقل التي لا يمكن لطامع فيه طمع، ولا يخطر على خاطر ساكنه جزع من بر ولا بحر إذ هو معقل أشب ومنزل للسماك منتسب..." [3]

---

(1) – ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق ، ص 92- 94.

(2) – ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص 69- 70.

(3) – ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 86- 89.

استنادا إلى نص ابن صاحب الصلاة نتوصل إلى أن مدينة جبل طارق (الفتح)، قد خضعت إلى طبوغرافية الموضع الذي فرض وجود رقعة عمرانية متباينة متباينة في شكل بنيتهما، وهو ما أجبر العرفاء والمهندسون على حفر الأرض وتعديل أساسات السور وبنائها بالحجر المنجور والجيار.
كما عملوا على بسط المنحدرات في الجبل وجعلوا منها فسيحا صالحا لسكن الأمراء فبنوا القصور والدور.

كما تم ادخال مكونات المدنية في مساحة من الأرض لها سياج والمتمثل في السور والذي كان يحوي مدخل واحد يحمل اسم باب الفتوح، كما تم تزويد المدينة بالمياه الجاري، حيث تتحدث بعض المصادر عن حفر المهندسين في سفح الجبل مواضع نبع فيها الماء وجمع بعضها البعض حتى سال منها جدول عم المدينة كلها من أعذب الماء واطيبه، يصب في صحن عظيم أتخذ له وأجري إلى الجنات المفترشة بالجبل، هذا ونستنتج من نص ابن صاحب الصلاة على وجود رحى ريح تطحن الأقوات بجبل طارق، فلقد استغل المهندس المغربي الحاج يعيش تيارات الريح المتقاربة على قمة الجبل فاخترع في أعلى الجبل رحى تطحن الأقوات بالريح.

والخلاصة ان مدينة جبل الفتح تبدوا بالرغم من ضيق رقعتها المستطيلة بتخطيطها البديع، احدى نماذج المدينة العسكرية التي لم تكشف بعد عن كل أسرارها، حيث تطرح تحصيناتها مجموعة من الإشكالات الأثرية يصعب أحيانا فك ألغازها، خاصة إذا علمنا أن أغلب العمارة الموحدية قد تلاشت وحل محلها البناء المريني، وقد وصف لنا ابن بطوطة تلك الاستحكامات بقوله: " ... وأول بلد شاهدته من البلاد الأندلسية جبل الفتح... فرأيت عجائب ما بني مولانا أبا الحسن... ولقد واصل السلطان أبا عنان مراقبة الجبل ومرافقة وصيانة وتحصين ما طاله الخراب، فعلى ما يبدوا أنه لاحظ ضعفا في السور فبنى سورا جديد..." [1]

وسنحاول تتبع بقايا السور الموحدي وبعض بقايا الحصن الذي يرجع على الأغلب إلى العهد الموحدي.

---

[1] –ابن بطوطة: شمس الدين أبو عبد الله، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، ج4، مطبوعات أكادمية المملكة المغربية، 1997، ص10-12.

أ- السور الموحدي:

لقد كان الموحدون حريصين كل حرص على احاطة مدينة جبل طارق بسور حصين ظل حتى أيام أبي الحسن المريني.

وفي هذا الصدد يقول الحميري: ".. ما جاءت مدينة تفوت المدن حسنا وحصانة، لا يدخل إليها إلا موضع واحد قد حصن بسور منيع من البنيان الرفيع.. وسميت بمدينة الفتح"[(1)]

حسب عبد الهادي التازي فإن بقايا هذا السور ترجع إلى العهد الموحدي، حيث توجد اطلالا مهمة إلى الآن على الصخرة العلوية حيث تهبط منعرجة إلى القمة الوسطى وتنتهي عند حافة الهاوية المطلة على الرمال،[(2)] وإن موقع المدينة الجبلي هو الذي حدد الشكل العام للسور الذيساير الموقع من قمته إلى أسفله، وهذا يبين مدى مقدرة العرفاء والبناؤن في اتباع تقنيات تتماشى والموقع المنحدر وهي اتباع نظام البناء التدريجي، وهذا لايجاد نقاط تكسير الثقل في السور كلمانزل من الأعلى إلى الأسفل، وأن كنا لا نعرف الشيء الكثير عن ارتفاع السور، وذلك راجع بطبيعة الحال إلى تحطيم وتهديم جل السور المحيط بالمدينة، ولهذا يصعب علينا تحديد الاطار العام للمدينة، وكيفية توزع الأبراج على واجهاتها.

كما تجمع المصادر على أنه لم يكن هناك مدخل لمدينة جبل طارق إلا من موضع واحد، وهذا المدخل هو الذي يسميه ابن صاحب الصلاة بباب الفتوح ، والذي يعني بالفتح المترقب للموحدين في الأندلس.

(1) –عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص387.

(2) –عبد الهادي التازي: " الموحدون وجبل طارق من خلال مخطوط قديم، مجلة الآفاق لسان اتحاد كتاب المغرب العربي، يناير، مارس، 1963، ص 119- 120.

وقد أكد صاحب المعطار على توفر باب واحد للمدينة في قوله: "... لا يدخل إليها إلا من موضع واحد..." [1] لا شك أن هذه الباب كانت محصنة تحصيينا قويا ومزودة بوسائل دفاعية من كل نوع مثل الأبراج.

التي تكتنفه من الجانبين والفتحات العلوية والباب المتحرك والشرفات الناتئة، وهذا راجع بطبيعة الحال بالدرجة الأولى لكونها كانت لها وظيفة حربية فهي الباب الوحيد الذي يدخل إلى المدينة، وهنا نطرح التساؤل التالي لماذا اكتفى الموحدون بفتح باب واحد فقط؟ إن الإجابة عن هذا التساؤل الأثري يتطلب جهدا أثريا كبيرا، حول طبوغرافية المدينة، خاصة إذا علمنا أن مدينة تينمل وقد اختصت بباب واحد كما اشرنا إليه سابقا، وكان تعليلنا في ذلك راجع بالدرجة الأولى إلى طبوغرافية المدنية التي تحتم على فتح مدخل واحد، كما يرجع ذلك إلى جعله باب الترهيب لكل من شك وخان العقيدة الموحدية، وهنا نرجع إن باب مدينة جبل الفتح خضع إلى شرط الموضع بالدرجة الأولى والذي حتم على مشيدوا المدينة بفتح باب واحد فقط.

إن عدم توفر معطيات أثرية حول هذه الباب وباقي المنشآت المعمارية التي كانت موجودة بهذه المدينة، يجعلنا نجهل تقنية بنائها وحتى المواد المستعملة فيها، إن كل ما نستطيع قوله هذه الباب أنها كانت تحتل موقعا استراتيجيا في المدينة حيث أخبارنا ابن صاحب الصلاة أنه كان يحتل مكان في الفرجة التي كانت يدخل منها إلى الجبل بين البحر المحدق به من كلا جانبيه، وأنه جاء فردا في المعاقل التي لا يتمكن لطامع فيه طمع ولا يخطر على خاطر ساكنه جزع سواء من البر أو البحر، وعن هذا الموقع الحصين يقول ابن صاحب الصلاة: " ... اذ هو معقل أشب، ومنزل للسماك منتسب..." [2].

وهنا تظهر لنا عبقرية المهندسون المعماريون الذين اعتمدهم عبد المؤمن بن علي في مشروعه هذا كالمهندس أحمد بن باسة والحاج يعيش المالقي.

---

[1] – الحميري، المصدر السابق، ص 387.

[2] – ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص89.

لاشك أن الموحدون اهتموا كذلك ببناء الأبراج

في مواقع استراتيجية كحماية المدينة والقصبة التي تعتبر مقر الوالي ونائب الخليفة.

ب- حصن جبل الفتح:

يقول صاحب الحلل: "... ونزل بجبل الفتح، وامر ببناء الحصن الكائن الآن فيه، على ما هو عليه، وهو الذي اختط رسومه بيده..." [1]،وهو ما أكده ابن زرع في قوله: "..وفي سنة خمس وخمسين وخمسمائة أمر أمير المؤمنين ببناء جبل الفتح وتحصينه فبنى وشيد حصنه.." [2].

من خلال الروايتين يتبين لنا أن عبد المؤمن بن علي قد أولى لمدينة جبل طارق عناية كبيرة باعتبارها معقلا للإسلام، ولهذا توجب عليه الاكثار من تحصيناتها الدفاعية، فعمل على ابتناء حصن أو قلعة، تقوم فوق ربوة عالية على مقربة من الطرف الشمالي الغربي للمدينة، حيث كان يقوم بدور حماية كامل القصور الموجودة بالمدينة، وقد كان هذا الحصن في بداية الأمر موحديا، غير أن هذا التحصين شهد عملية إعادة بناء في بعض أجزاءه، وفي هذا الصدد يقول ابن بطوطة "..ثم فتحه (جبل طارق)/ مولانا أبو الحسن، واسترجعه من أيدي الروم بعد تملكه له عشرين سنة... وكان فتحه بعد حصار ستة أشهر، وذلك في عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة... ولم يكن حينئذ على ما هو عليه الآن فبنى به مولانا أبو الحسن رحمة الله عليه القهلرة العظمى بأعلى الحصن وكانت قبل ذلك برجا... تهدم بأحجار المجانيق، فبناه مكانه، وبنى دار الصناعة... ثم جدد مولانا امير المؤمنين أبو عنان، أيده الله عهد تحصينه وتحسينه ولما كان في الأشهر الأخيرة من عام ستة وخمسين، وقع بجبل الفتح ما ظهر به أثريقين.." [3]

---

[1] – مؤلف مجهول الحلل، المصدر السابق، ص 155.

[2] –ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص199.

[3] – ابن بطوطة، المصدر السابق،ج4، ص112.

وقد بينت تحليلات مواد البناء التي أجريت من طرف بعض الخبراء[1] أن أثار البناء الموجودة الآن خاصة منها الحصن (القهلرة) ترجع إلى العهد الموحدي والمريني، وحسب عبد الهادي التازي فإن الصورة المجسمة (الماكيط) التي صنعها السلطان أبو عنان لشكل الجبل بأبراجه ومخازنه ومساجده، هي نفس الصورة المجسمة التي صنعها عبد المؤمن بن علي[2]، لكن نأسف لعدم احتفاظ الأيام بتلك الصورة المجسمة والتي كانت توفر لنا على معلومات مفيدة عن جبل الفتح، مما لاشك فيه أن هذا الحصن أو البرج كان أكبر أبراج الحربية الأندلسية.

الوصف المعماري للحصن (قلهرة): (انظر مخطط رقم :25)

كما أشرنا سابقا فإن هذا الحصن يقع في الركن الشمالي الغربي للقصبة المرينية، والتي اندثرت معظم أجزائها المعمارية، ويأخذ هذا الحصن شكلا مستطيلا قياساته تمثلت في 20م طولا و17م عرضا اما ارتفاعه فيبلغ 23م، وقد استخدمت في بنائه مادة التابية المصحوبة بالخرسانة، ويتألف من طابق واحد يقع على مستوى درب السور، وحسب باسيليو بابون فإن هذا الطابق كان مخصصا لقائد الحصن، حيث كان الدخول إليه يتم من خلال سلم في الحائط، عرضه 1م، أما في الآخر فيبلغ العرض 2.70م وللسلم اقبية من الآجر نصف أسطوانية كما أنها متدرجة وذا اتجاه تعمادي وربما كان مخطط المسكن هو الأكثر تعقيدا بين كافة الأبراج المعروفة[3] ويبلغ عدد غرف الطابق المذكور عشرة لها قيبات متنوعة بين بيضاوية ومشطوفة ذات ثمانية سواتر واضلاع خفبفة وتقوم هذه القبة الأخيرة على أربعة مناطق انتقال مضلعة والجديد فبها وجود شكل نجمي ذي ثمانية اطراف متشابكة عند المفتاح سيرا على النهج الموحدي[4] وهذا سيذكرنا ببعض القياب البيضاوية ذات المفاتيح المزخرفة في باب كريستو في

---

(1) – انظر: باسيليوبابون، المرجع السابق، ج1، ص 643.

(2) – عبد الهادي التازي، الموحدون، المرجع السابق، ص 121.

(3) – باسيليو بابون، المرجع السابق، ج1، ص643-644.

(4) – المرجع نفسه، ج1، ص644.

القصبة الموجودة بملقة، وكذلك بقصبة الأوداية، ونضم إلى هذه القباب تلك الأخرى الكائنة في السلم الذي يؤدي إلى الشرفة وتبرز ثلاث غرف بين تلك التي تعرضا لها وهي التي لها قباب أكثر بروزا كلها غرف مربعة، حيث يبلغ ضلع الغرفة المركزية 3.20 م أما الغرفة الكائنة على الضلع الأيسر لهذه تجويف، وهذا التحصين كان به كافة عناصر الاكتفاء الذاتي، وحسب وصف يرجع إلى القرن السابع عشر. فقد كانت به جبا في طابقه السفلي كما كان يستعمل جناحه السفلي سجنا مدنيا[1].(**أنظر صورة رقم 29**)

وفي الأخير نستطيع القول بأن بناء مدينة جبل طارق (الفتح) جاء في وقت كانت تعيش فيه كل من اشبيلية وقرطبة حالة حصار وتوجد فيه غرناطة في وضعية غير مطمئنة. فكان لزاما على عبد المؤمن من أن يجعل من المدينة قاعدة عملياته العسكرية، وفي نفس الوقت حاول انطلاقا من هذه المدينة دراسة الوضعية السياسية والعسكرية التي توجد بها المراكز الموحدية في شبه الجزيرة – الاندلس- ولهذا السبب عمل عبد المؤمن بن علي ومن بعده خلفائه على تدعيم النظم الدفاعية أمام خطر الاسترداد المسيحي مثل الأبراج **البرانية** والاسوار الامامية والأبواب ذات المرافق. كما يتشمل على القصبات والقصور وقد احتفظت المدن الاندلسية في وقتنا هذا بتراث ضخم من هذه العمارة الحربية، والتي تنطق حقا بالدور الكبير الذي قامت به. كما تعبر عن الجهاد المرير الذي قام به الموحدون للاحتفاظ بوطنهم الثاني والدفاع عن شرفهم وكرامتهم، وسنحاول التطرق إلى تلك المنشآت والتي جاءت بعد بناء قاعدة الفتح الموحدي.

---

[1] – باسيليو بابون، المرجع السابق ، ج1، ص644.

ثانيا: مدينة إشبيلية [1]

1-الموقع الجغرافي(انظر خريطة رقم : 20)

تقع اشبيليا في جنوب اسبانيا تحدها من الشمال مقاطعة بطليوس، ومن الجنوب مقاطعة مالقة ومقاطعة قادس، ومن الشرق مقاطعة قرطبة، ومن الغرب مقاطعة ولبة.

وهي تشرف على ضفاف نهر "الوادي الكبير" الذي حولها إلى الميناء النهري الوحيد في إسبانيا ويبلغ متوسط ارتفاعها على سطح البحر بـــ 7 أمتار [2]

ويحدثنا المقري عن جغرافية إشبيليا فيقول: «... إنها قاعدة بلاد الأندلس وحضارتها ومدينة الأدب واللهو والطرب وهي على ضفة النهر الكبير، عظيمة الشأن طيبة المكان لها البر المديد والبحر الساكن والوادي العظيم وهي قريبة من البحر المحيط، ...». [3]

لقد شكلت المدينة في الفترة الموحدية محطة رئيسية بعد العبور إلى الأندلس من بر العدوة، وهنا نسجل مدى الاهتمام الذي أولاه الموحدون للبحر فلم يقتصروا على تلك القواعد التقليدية وإنما سعوا إلى تنويع محطات نزولهم ببر العدوين تبعا للخطوط البحرية التي يسلكوها، فإذا كانت الانطلاقة من القصر الصغير فلابد من الرسو بجبل الفتح ثم الجزيرة الخضراء أم إذا كانت الانطلاقة من سلا أو رباط الفتح فلا بد من الإبحار رأسا نحو إشبيلية.

- ثم إن الموحدون أدركوا مدى خطر الذي يهدد الأندلس وبلاد المغرب من الجهة الغربية، حيث كان يرابط فيه الأسطول والقوى البرتغالية المتربصة بالمسلمين فإرتأى الموحدون أن

---

[1] يقول عبد المنعم الحميري: «إشبيلية مدينة الأندلس ... يذكر أهل العلم باللسان اللطيني أن أصل تسميتها أشبالي معناه «المدينة المنبسطة» ويقال إن الذي بناها يوليش القيصر وأنه أول من تسمى قيصر وجعلها أم قواعد الأندلس واشتق لها إسم ومن إسم رومية قسماها رومية يوليش، ويقال إن إشبانية اسم خاص ببلد إشبيلية الذي كان يترله ايشبان بن طيطش وباسمه سميت الأندلس اسبانية..»المصدر السابق، ص58.

[2] السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الأسكندرية، مصر، 1955، ص 109.

[3] المقري، شهاب الدين أحمد: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين إبن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس دار صادر، بيروت 1968، ج1، ص 208.

يتخذوا من إشبيلية عاصمة لهم في الأندلس، عوض قرطبة عاصمة المرابطين والأمويين من قبل ومركزا للفتوحات الإسلامية في الجزيرة.[1]

ولهذا عمل يوسف بن عبد المؤمن سنة 566ه/1170م على بناء قنطرة من السفن مربوطة وذلك لتيسير الاتصال بين أشبيليا وربضها المعروف بطريانة، وهو ما أخبرنا به ابن صاحب الصلاة، يقوله: « وقد كان أمره الكريم (يوسف) نفذ بعمل القنطرة على الوادي. لمصالح الناس واجازة العساكر عليها ومرافق اشبيلية وأهل الشرق والأنظار، فابتدأ العرفاء والصناع العمل فيها والنجارة والهندسة لوضعها على الوادي يوم السبت أول يوم من محرم سنة سبع وستين... فإتصل العمل فيها... فكملت في اليوم السابع من صفر من سنة سبع وستين المؤرخة وحضر أمير المؤمنين يوم كاملها حتى عقد الجسر منها ووضع على الوادي...» [2].

هذا وقد بلغ الاهتمام بصناعة السفن أقصاه في العصر الموحدي فقد ذكر ابن صاحب الصلاة أن الخليفة الموحدي أبا يعقوب يوسف امر واليه على اشبيلية، أبا داود يلول. قبل حملته على شنترين بالبرتغال سنة 1184م-580ه. [3] إن يقوم ببناء دار صناعة القطائع تتصل من سور القصبة الذي على الوادي. بباب القطائع إلى الرجل السفلي المتصلة بباب الكحل، وقد قامت هذه الدار في عهد الناصر الموحدي بصناعة عدة سفن حربية، وكان يحميها برج الذهب وقد كانت دار الصناعة هذه تتألف من عدة أروقة عمودية على الوادي الكبير، تفصل فيما بينها دعائم قوية من الآجر تعلوها قبوات مرتفعة من البناء، وقد هدمت عند الهجوم البحري الذي قام به رامون بونيفاث، قائد الاسطول قشتالة على مدينة اشبيلية سنة 644ه/1246م. وفي

(1) عزاوي أحمد العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط من خلال نصوص عربية للمراسلات واتفاقيات السلم والتجـــارة ج1، مطبعة الرباط، ط1، 2011، ص120-122.

(2) ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق ص 370.

(3) المصدر نفسه، ص ص 400-401.

سنة 646هـ/1248م شرع ألفونسو العاشر في إعادة بناء دار الصناعة بإشبيلية متبعا في ذلك النظام القديم. [1]

هذا واهتمت الخلافة الموحدية. على بناء قصبة اشبيلية، وذلك من أجل إعادة ضبطها واسكان الجند او ممثليها فوظيفة القصبة تضم الجانب الحربي والسياسي، والإداري، بالإضافة إلى الوظيفة الرمزية المنبثقة من الوظائف الثلاث السابقة مجتمعة فهي كحصن. كما كانت تحوي القصر الذي يحكم فيه الخليفة أثناء مروره بها أو زيارته لها. كما أكثروا من الاسوار المحيطة بها بأبراجها وأبوابها وسنحاول التطرق إلى تلك البنايات الدفاعية التي تنطق حقا بالدور الكبير الذي قامت به:

2- تحصيناتها

أ- القصبة:

يقول ابن صاحب الصلاة: «... واستقر (يوسف) بإشبيلية عام ستة وستين وخمسمئة وعقد جسرا على واديها بالقنطرة العظيمة...وابتنى قصبتها إلى نصفها بتأسيسها حتى إلى الماء، وابتنى الزلالق لأبواب إشبيلية من جهة الوادي احتياطا من السبيل الخارج عليها، وابتنى قصبتها الداخلية البرانية خارج باب الكحل والقصور المكرمة خارج باب الجمهور والقناطر حول مدينة إشبيلية من كل جانب وابتنى جميع اسوارها...». [2]

من خلال كلام ابن صاحب الصلاة يتبين لنا أن مدينة إشبيلية قد احتوت قصبتين في عهد يوسف بن عبد الؤمن ... وقد أكد باسيليو بايون على وجود القصبتين حيث أرجع ذلك أن يوسف بن عبد الؤمن قام بعملية إصلاح جذرية في القصبة الأولى.

---

[1] Acien ALMANSA (M); «la fortification en al-Adalus»; Arqealogia Medievl, XXII, 1985, pp 23-38

[2] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 166-167.

حيث تقع حول القصر الحالي ومعه المسجد الجامع أما القصبة الثانية، فكانت قريبة من نهر الوادي الكبير، ومن برج الذهب [1]، أضف إلى ذلك حصن " تريانا" الكائن على الشاطئ الآخر للنهر. كما أنه رجع البعض بأنها تقع بين دار العملة وبرج الفضة والسور المتدرج الموازي لنهر تاجاريت وتبلغ مساحتها ما يزيد على الهكتار وقد كانت هذه القصبات مختلفة في بادئ الأمر عن القصر أو عن مقره الذي لايزال قائما حيث تجمعت في المنطقة القصور التي ترجع إلى كافة العصور (الأموية والاسقفية والموحدية والمدجنة). [2]

وإذا ما تحدثنا عن الطابع الحربي لوجدنا أن القصبة كانت تتمتع بكافة أنواع الدفاعات والتحصينات بنفس الدرجة التي للمدينة وربما أكثر منها وهي بوابات للدخول ذات تخطيط منحنى، ومن بين الأبواب التي كانت في مدينة إشبيلية (الداخلية) حسب ابن صاحب الصلاة[3] نذكر باب الكحل، وباب قرمونة، باب قرطبة، باب مقارنة، باب طريانة، وباب شريش، وباب دار الصناعة، باب الفتح، باب الجمهور، والذي كان موجودا في حي اليهود بأشبيلية، كما تتوفر القصبة إبراج برانية، والتي تتوفر بها الإمكانية لمقاومة القوات المهاجمة، كذلك وجود حزام من الأسوار مصممة بشكل منعرج تحيط بالمدينة، وتحمي القصبة وقد عمل الموحدون على حل مشكلة إمداد المدينة بالمياه حيث نظر الخليفة أبو يعقوب يوسف في أمر توصيل المياه إلى قصوره بأشبيلية والبحيرة [4]. وقد قام الحاج يعيش المهندس بالحفر حول مكان خارج باب قرمونة، حيث كان الجسر الروماني في الوجود قرب قلعة وادي ايرة. فأصلحه واجراه إلى داخل اشبيلية حيث وزع على القصور والحدائق وحسب (Amador) أنها مازالت بقية هذا الجسر قائمة

---

[1] باسيليو بايون: المرجع السابق، ج1، ص 234.

[2] VALOR. MAGDALENA (p):Larquitecture mulitairy palatina en la se villa muslmana .seville1999. pp 210-211.

[3] لقد تكلم ابن صاحب الصلاة عن الأبواب التي كانت موجودة في مدينة إشبيلية وكان ذلك في مواضع مختلفة من كتابة. أنظر: ص 166-167، 220، 224، 301، 323، 400، 401، 405.

[4] المصدر نفسه، ص370.

من باب قرمونة بأشبيلية وبعض عقودها من الأجر والبعض الأخر من الحجارة.[1] أنه من العسير استخلاص ما أقامه الموحدون في قصبة إشبيلية. وذلك راجع بطبيعة الحال إلى تهدم تلك الأبنية وإعادة بنائها من جديد خاصة سنة 1364ه/1944م من طرف بدرو [2]

وكل ما تبقى عبارة عن بقايا للقصر الموحدي الذي أقامه أبو يوسف يعقوب على انقاض أحد قصور المعتمد بن عباد، حيث يقع على مقربة من الكنيسة العظمى وفي جنوبها الشرقي، وقد احتفظت قاعة الجص ببهوها وهو بهو ضيق صغير المساحة مستطيل الشكل تقريبا، يقوم في احد جانبيه القصيرين صف من العقود تتألف من قوس أوسط منكسر يحيط به من كل جانب ثلاثة أقواس صغيرة، تتكئ هذه الأقواس أو العقود على أعمدة اشتغلت من قصر المعتمد بن عباد، ويؤلف حافات العقود الأوسط فتغطيها شبكة من الأشرطة منحنية متشابكة في حين تمتد العقود السبعة خطوط متموجة أما بنقيات العقد الأوسط فتغطيها شبكة من أشرطة منحنية متشابكة في حين تمتد العقود الجانبية وتتقاطع منحرفة لتحدث معينات محزمة وكان بالجدار المقابل لهذه البائكة جوفه من ثلاثة عقود على شكل حدوة الفرس تتكئ على عمودين مركزين، كما تبقت من بقايا قصر إشبيلية قبة ذات إثنى عشر عقدا متقاطعة فيما بينها وذلك في المترل رقم 03 ببهو البنود، غير بعيد عن بهو الجص وتشبيه هذه القبة المحراب بجامع تلمسان.[3].

هذا وتقدم لنا مدينة إشبيلية نموذجا هاما لتتبع مساهمة الموحدين في بناء أسوار المدينة وابراجها. على أن هذا التحصين ارتبط بأوضاع المدينة العمرانية والدفاعية وبالتهديدات الخارجية التي كانت تستهدفها نظر لموقعها الهام وسنحاول تتبع هذه العمارة فيما يلي:

---

(1) Amador de los rois :inseription arabes de sevilla.1989, p74.

(2) Lozoya (marqués do) : histoire del arte hispanieo tome 02.bareleona.1931.pp 79-80.

(3) Torres Balbas (téopoldo): ars hispanaie tome 04, madrid.1949. p402-403. p402-403.

ب- أسوار إشبيلية

إختلف الدارسون المعاصرون حول تحديد الفترات التاريخية الأساسية في بناء أسوار إشبيلية وقد دافعت الباحثة (فالور ماجدولينا) عن أطروحة يتميز الدور الموحدي في تحصين إشبيلية وترميم اسوارها معززة بذلك ببعض الأبحاث الأركيولوجية في المدينة[1]. لكن تم تجاوز هذا الرأي بالقول إن أغلب أسوار المدينة بنيت ابان المرابطين، وقد دافع عبد العزيز سالم بحماس عن هذا الإتجاه مشيرا إلى أن جل أسوار إشبيلية مرابطية وليست موحدية، لأن الموحدين إقتصروا على ترسيم ما أنشأه المرابطين [2]، وانطلاقا من ذلك يمكن التمييز ما بين ثلاثة أسوار إسلامية:

- **السور الأول:** بني بواسطة الأحجار التي استعملت في الأسوار الرومانية القديمة التي إختفت معالمها. ولما هدم هذا السور ابان عصر الخلافة وأعيد بناؤه زمن الفتنة بالتراب (الطابية). [3].
- **السور الثاني:** وقد بنيت من قبل الموالي على عهد الإمام عبد الله وقد أشار العذري إلى الظروف التي بني فيها سور اشبيلية بالتراب. حيث يقول: «... ولي إشبيلية الولد محمد بن الإمام عبد الله ظهرت من بعض العرب أحوال أوجبت اخراجهم عن المدينة إلى بواديهم، وانفرد بمدينة إشبيلية الموالي وبنوا اسوارها...» [4]
- **السور الثالث:** لقد إضطر المرابطون الى بنائه نظرا للتطور العمراني الذي عرفته المدن الأندلسية في عهدهم، بحيث دفع الاكتظاظ أو الإزدهار العمراني في المدن الأندلسية وخاصة مدينة إشبيلية[5] وبعد مجي الوحدين قاموا بتحسين الأسوار المرابطة كما أنشأوا سور حصين لقصبة إشبيلية كما اخبرنا بذلك إبن صاحب الصلاة وكان ذلك في عهد يوسف بن عبد

---

[1] VALOR MAGDALENA (P), op.cit .pp 30,32,49,57,60.

[2] سالم (عبيد العزيز): أضواء على مشكلة تأريخ بناء أسوار إشبيلية. مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، المجلد 8، مدريد، 1974-1975، ص 1-25.

[3] المرجع نفسه، ص 25-26.

[4] العذري أحمد عمر بن أنس (الدلائي)، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى الممالك، تحقيق الأهوائي عبد العزيز، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، 165-112.

[5] عبد العزيز سالم، أضواء على مشكلة... المرجع السابق، ص 20.

المؤمن. كما جدد سور إشبيلية وبناء الحرم البراني وجعل الحفير دائر بالمحرم وكان ذلك سنة 618ه/1221م، حسب ابن زرع. [1]

ولم يتبق من السور إشبيلية الذي بناه المرابطون وجدده وحسنه الموحدون سوى مقطع طوله نحو 400م، حيث يبدأ من باب مقارنة وينتهي إلى باب قرطبة ثم ينقطع مسافة قصيرة ثم يستمر محيطا بالمدينة. حيث يمر بحديقة معهد الوادي، وتقوم بين مسافة وأخرى من هذا السور الأساسي أبراج أكثر منه إرتفاعا تبرز خارج المدينة وكان معظم هذه الأبراج شكل مربع، حيث يتألف البرج من نصفين أدنى مصمت ونصف أعلى تشتغله غرفة تعلوها في بعض الأحيان غرفة أخرى أعدت للدفاع، وقد فتحت فيها منافذ لرمي السهام. ويرتقي الراقون درجا في داخل البرج يقتضي إلى أعلاه بحيث يشرف على الأسوار جميعا، ويدور بأعلى البرج شرفات، وحسب أما دور فإن هذا السور كانت به 166 برجا موزعة عليه، وقد إحتفظت أربعة أبراج فقط من هذا العدد بكامل بنائها. [2]

كذلك عمل الموحدون على تحصينهم إشبيلية بالأسوار الأمامية، والتي كانت تمنع العدو المهاجم من شن هجومه مباشرة على الأسوار الرئيسية، ويعطل من تقدمه لفتح الثغرات التي يمكنه أن ينفذ منها داخل المدينة لذلك نجد أبو العلاء إدريس يقوم ببناء تلك الأسوار سنة 618ه/1221م [3] وذلك من أجل تدعيم سور إشبيلية، هذا وقد إبتدع الموحدون الأبراج البرانية من أجل الدفاع عن منطقة الوادي الكبير، وإغلاق الطريق أمام الاعداء في ضعف اجزاء السور، ومن بين تلك الأبراج نذكر منها برج الذهب وبرج الفضة هذا بالإضافة إلى بعض الحصون والقلاع وذلك من أجل الدفاع عن مدينة إشبيلية.

---

[1] إبن أبي زرع، المصدر السابق، ص 273.

[2] Amador de los ríos: op.cit.p75.

[3] إبن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص 268.

أ. **برج الذهب**: (أنظر صورة رقم **30**)

يقع هذا البرج على الشاطئ الأيسر لنهر الوادي الكبير، وكان يقوم بحماية كامل القطاع الذي يطلق عليه –أرينال –[1] وبذلك يسهم في الحفاظ على جسر المركب المجاور من أية هجمات مختلفة خاصة بعد إشتداد خطر النصارى على إشبيلية وإنهزام الموحدون في معركة العقاب سنة 609ه/1212م، وحسب إبن عذاري المراكشي وإبن أبي زرع أن الذي عهد على بناء هذا البرج هو أبو العلاء إدريس. حاكم إشبيلية الموحدوي يومئذ وكان ذلك سنة 618ه/1221م. أما صاحب الذخيرة السنية فيرجع بناءه إلى سنة 617ه/1220م، حيث يقول: «...السنة السابعة عشرة وستمئة ...وفيها بني برج الذهب بوادي إشبيلية خوفا من العدو لئلا يفاجأهم من الوادي...» [2]، ومن المؤكد أن البرج بني بعد إعادة بناء الأسوار والقصبتين بوقت قصير ويعتقد باسيليو بايون ان اسم البرج مرده من الزليج ذي البريق المعدني المذهب، الذي كان يغطي التحصين خلال العصور السابقة [3].أما كونتر يراس أنه لم يتم العثور أبدا على أية آثار لخزف وبالتالي فإن التسمية على أساس وجود طبقة الزليج وماهي إلاّ محض أسطورة [4]، غيران النظرية الأكثر إحتمالا هي أن البرج كان مكسوا بكتل حجرية حيث تم دهان السطح الخارجي باللون الأصفر أو البني مثلما هي الحال في أبراج أخرى من لطابية التي تم اعدادها خلال عصر الخلافة الموحدية ومن العلوم أيضا أن الطابق الثاني المشيد من الأجر بالكامل كان مكسوا بالكامل بحجارة ذات لون بني جسبما نرى في جزء منه خلال أيامنا هذه.

لقد كان البرج طرفيا أي انه كان في طرف الحائط الذي كان يربطه بسور المدينة.

---

[1] محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال دراسة تاريخية أثرية، ط2، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة، 1997، ص 67.

[2] مؤلف مجهول: الذخيرة ...المصدر السابق: ص 53-54.

[3] باسيليو باسون، المرجع السابق، ج1، ص 640.

[4] Contreras (R), Estudio discriptivo de los monumentos arabes de granda.sevilla y codoba.1985.pp 102-103.

- **وصف البرج: (انظر مخطط رقم : 26)**

للبرج طابقان مكونان من 12 ضلعا عند القاعدة والطابق السفلي هو أكثر ضخامة إذ يبلغ عرضه بـــ 15.20م أما إرتفاعه فيقدر بـــ [1]: 23.15 وتتوجه مراقب موشورية ذات أسقف هرمية أعيد بناؤها.

أما الطابق الثاني فله أيضا مجموعة المراقب ويبلغ إرتفاعه بحوالي 09م، كما انه أقيم على الصندوق السداسي الأضلاع والبرج مكون من 08 أضلاع بحيث تبلغ المساحة 80م^2 في كل واحد من طوابقه المتراكبة، ويقع الطابق الأول على مستوى الدرب بحيث يعبر هذا الأخير الدرب من خلال دهيلز مقبي يصل إليه الضوء عبر نافذتين لهما عقدان نصف أسطوانيان.

وبين العقود أشرطة عريضة تبلغ 1.40م 1.20م في كل فراغ والغرفة الأولى ذات سقف به قبة منطقة تقاطع تعقيهما قبة نصف أسطوانية على شكل منحرف، ويبلغ سمك حائط الغرفة 1.33م ولهما مزغل في كل جانب ما عدا الأطراف حيث يوجد إثنان، والسلم مربع من الداخل وهو مركز البرج، وله سبعة جوانب كما أنه ملتصق بسور الدرب، ومن خلاله نصعد إلى مثلثتين، وكلها ذات سقف عبارة عن قبة مضلعة ويذكرنا هذا التبادل بالبرج الموحدي الكائن في شارع بوبيرا في شريش،[2] ولحوائط الطابق الثاني مزاغل مثلما هو الحال في الطابق الأول، ماعدا الأطراف فهي ذات مزغلين والحوائط الداخلية مشيدة بالأجر، وعليها طبقة من الجص ذات خطوط غائرة. أما من الخارج فالبرج مبني بالطابية، وبه بعض المداميك من الآجر البارز وترتبط هذه المداميك بأخرى رأسية بحيث تقوم من الأفقية والرأسية بدور الإطار منطقة لمزاغل في الطابقين هناك مدماك آخر تحت المراقب الكائنة في الشرفة.

ولهذا البرج مدخل مشيد بالحجر ولا يتجاوز إتساعه 1.25م ويعلو فتحة الباب لوحة سجل بها باللغة الإسبانية ما يفيد تجديد البرج وترميمه في عالم 1900م/1318ه.

---

[1] باسيليو بايون، المرجع السابق، ج1، ص 640-641.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص 641.

ويعد برج الذهب من الآثار الإسلامية الموحدية القليلة التي عنى الإسبان بالحفاظ عليها بذات صورتها الأصلية وعندما أجروا تجديدات بها على نفس النسق الأندلسي القديم، ولعل في ذلك إعترافا ضمنيا بما كان لهذا البرج والأسوار التي كان قائما بوسطها من فضل في حماية إشبيلية.

فقد قصد ببنائه أن تكون نقطة دفاع حصنية عن قصور إشبيلية بالإضافة إلى منع سفن الأعداء من المرور بنهر الوادي الكبير. وقد مست التغيرات المعمارية بقوة العمارة الداخلية لبرج الذهب فشيدت بداخله حوائط حديثة من أجل توفير القاعات التي يستلزمها العرض المنحي وأيضا المكاتب الإدارية والمكتبية الخاصة بمتحف البحرية الملكية الإسبانية.

ث. برج الفضة (انظر مخطط رقم :27)

أطلق إسم برج الفضة على ذلك الذي يحمل هذا الإسم، بسبب اللون الأبيض لطبقة الجص الخارجي وحسب باسيليو بابون. فإن هذا البرج في بداية الأمر كان موحديا ومشيدا من الطابية المصحوبة بالخرسانة والتي يمكن أن نشاهدها حاليا من الخارج في الجزء السفلي. غير ان هذا التخن شهد عملية ترميم واسعة خلال العصر المسيحي [1]، وقد أحدث هذا أثره على الطابقين العلويين وعلى الشرفة، كما استخدمت مادة بناء أخرى هي الدبش المصحوب بمداميك من الآجر. وكذلك الأجر فقط في الحوائط الخارجية مع وجود الكتل الحجرية في الأركان رغم أنها يمكن أن تنسب إلى البرج الموحدي حسب ما أكدته الباحثة (VALOR) [2].

وللبرج مخطط ذو 08 أضلاع غيران أضلاعه غير منتظمة في الغرف الداخلية الثلاثة المتراكبة، فالسفلى التي ترجع إلى العهد الموحدوي كانت تقوم بدور الجب [3]، ولها عمود على شكل سعفة وأسقف الفراغات المتمثلة التي بها شيء من شبه المنحرف أقبية صغيرة نصف أسطوانة، ولهذا المخطط الذي يتكرر في أبراج طلائع ترجع إلى العهد الموحدوي خارج مدينة

---

(1) باسيليو بابون، المرجع السابق، ج1، ص641.

(2) VALOR MAG DALENA (p), op ,cit ,p 103

(3) باسيليو بابون، المرجع السابق، ج1، ص642.

شريس أصوله الأولى المتمثلة في العمامات الرومانية-المسماة حمام- انطونيودي كارتاجو. حسب -باسيليو بايون-[1].

أما الطبقان الثاني والثالث بهما قباب مسيحية ذات أضلاع وذات قطع مستطيلة من القباب المضلعة المشطوفة حيث تتلاقى جميعها في المراكز وتتكئ على أعمدة صغيرة وكان للغرفة الأولى بابان على كل عقد نصف أسطواني ولواحدة منهما فتحة على الدرب من خلال الحائط الموازي للترسانة وفوق أسس القبة تم فتح مزاغل بمعدل واحد في كل جانب.

أما الطابق الثالث فيوجد به نافذتين نصف أسطوانيتين في كل جانب، وكان الانتقال بين الطوابق الثلاثة يتم عبر سلم يدوي أو خشبي، وترى الباحثة (VALOR) أن هذا التنظيم لم يكن عليه البرج الموحدوي الذي يرجع الى القرن 12م.كما أنها احتملت على الطابقين العلويين كانا أقصر من الطابقين المسيحيين الحاليين [2]، وقد أيد هذا الإحتمال -باسيليو بايون- وأضاف إحتمال أن الطابقيين المشار إليهما كانا على شاكلة الطابق الأول أي وجود العمود المثمن الأضلاع. [3]

كما أكد أن الغاية من هذا البرج الموحدي لم يكن إيجاد صلة بين البرج الذهب ودليله في ذلك أن الحائط الذي كان يربطه به ربما كان قد أضيف خلال الفترة بين القرن 13م و14م. وقد أطلق على هذا الحائط في بداية القرن 16م حائط القورجة وهذه التسمية ليست مطلقة على السور الرئيسي ببرج الذهب حيث كان برجا برانيا وليس برجا طرفيا لحائط أو سور القورجة. لكون مصطلح قورجة ليس له علاقة بالموحدين [4].

---

[1] باسيليو بايون، المرجع السابق، ج1 ، ص 642.

[2] Valor Mag dalenal (p).op.ut.pp 103-104.

[3] باسيليو بايون، المرجع السابق، ج1، ص642-643.

[4] المرجع نفسه، ج1، ص643.

ج. حصن الفرج:

يقع هذا الحصن جنوبي غرب طريانة من مدينة شلب ويعرف اليوم باسم سان خوان دى اثنا لفراش، وهو تحريف من حصن الفرج [1] ويعود تاريخ بناء هذا الحصن إلى عهد يعقوب المنصور إذ أنه لما عاد من حملته الظافرة التي استرد فيها شلب من البرتغاليين سنة 585ه/1189م، أمران ببني له على النهر الأعظم بأشبيلية حصن، وإن تبنى له في ذلك الحصن قصور وقبات جاريا في ذلك على عادته من حب البناء وإيثار التشييد ولما رجع المنصور إلى إشبيلية سنة 591ه/1195م بعد إنتصاره في موقعة الارك، جلس للوفود المهنئة في قبة من تلك القبات المشرفة على نهر الوادي الكبير ودخل عليه الشعراء يمدحونه. وقد اخبرنا ابن عذاري المراكشي أن هذا الحصن أصبح مقرا صيفيا كخلفاء الموحدين، ومركزا دفاعيا للمنطقة. [2]

وقد سقط هذا الحصن في أيدي القشتاليين سنة 1246م/644ه بعد مقاومة عنيفة من طرف المسلمين، ثم تهدمت أسواره سنة 1248م/683ه، وأقيمت حوله قرية سميت منذ ذلك الحين باسم san juan de aznalfarache [3] ولم يتبق منه اليوم سوى آثار ضئيلة لبعض أسواره المرتفعة.

ح- قلعة جابر أو قلعة وادي ايرة:

تقع القلعة على بعد 12 كلم غربي إشبيلية على الجانب الغربي لإحدى الهضاب ويبلغ ارتفاعها نحو 82.50م ويحيط بها وادي ايرة من الجنوب والغرب [4]، وقد كانت قلعة جابر أيام الموحدون من أهم النقاط الدفاعية الشرقية حول إشبيلية كما أنها تعد المفتاح الحقيقي لإقليم إشبيلية ولهذا عمد الموحدون على تجديد بناء هذه القلعة وقاموا بتزويدها بأسوار أمامية وأبراج

---

[1] السيد عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، المرجع السابق، ص 236.

[2] إبن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص222-223.

[3] ليو يولدو طريس، المرجع السابق، ج1، ص126.

[4] المرجع نفسه، ج1، ص101.

وقصور، ودور، ومسجد جامع ، وحسب ليوبولدو طيرس فإن هذه القلعة تضم أجزاء مهمة ترجع إلى عهد الوحدوي [1]، حيث يوجد هناك برج يقع في زاوية القلعة طوله حوالي 12.70م ،أما عرضه فيصل 10م، أما سور الجسر فهو يبلغ 4.80م، أما إرتفاعه فيصل 20م، وفي أسفل هذا البرج من الخارج هناك وزرة لها نتؤان أما الغرفة فلها سقف مقبئ عبارة عن 08 مداميك فوق تقاطع، كما يلاحظ وجود زخرفة مرسومة باللون الأحمر على حواف المداميك مثلما هو الحال في إحدى الأبراج الكائنة في حصن الفرج، ويوجد في السلم أقبية تقاطع ونصف أسطوانية وقد شيد البرج من الحجارة، أم عقد الجسر فهو مدبب ويعتبر ليوبولدو طيراس أن تاريخ هذا البناء يعود الى العهد المسيحي، إلا أنه إستلهم العمارة الموحدية من طرف فرناندو الثالث حينما استولى على القلعة ثم أعيد إصلاحها، وعمل تعديلات وإضافات كثيرة فيها وذلك في سنة 1543م/950ه [2]، ثم جددت للمرة الثانية في عهد فيليب الثاني، ولما استولى الفرنسيون في القرن 18م على القلعة خربوا كثيرا من أبراجها وفتحوا ثغرات واسعة في أسوارها لتركيب المدافع [3] وبالرغم من جميع هذه الإصلاحات التي غيرت مظهر القلعة إلا أننا نستطيع أن نميز أبراج الموحدين.

وفي الأخير وبعد عرضنا لأهم ملامح العمارة الحربية في هذه المدينة وضواحيها والتي حاولنا أن نعطي فيها صورة عن تلك المنشآت في العهد الموحدي، على إعتبار ان مدينة إشبيلية هي العاصمة الثانية للدولة الموحدية في الأندلس بعد عاصمة ملكهم مراكشي، ولهذا كان اهتمام الخلفاء بها، فأخضعوها للتحصين والبناء، وبالتالي تعتبر إشبيلية من المدن الأساسية التي تقدم نموذجا هاما لتتبع ورصد التطورات والتحولات التي طرأت على تلك المنشآت الحربية خلال العهد الموحدي ولاشك أن هذا الاهتمام لم يقتصر على إشبيلية فقط بل شمل معظم المدن التي

[1] ليو يولدو طريس، المرجع السابق، ج1، ص 101-102

[2] باسيليو بايون، المرجع السابق، ج1، ص521.

[3] المرجع نفسه، ج1، ص521.

كانت تحت سيطرتهم وسنحاول النظر في تلك المدن وما لحقها من تحسين في الوسائل الدفاعية، وتفنن ولاة الموحدين في إبتداع نظم معمارية حربية كالأبراج البرانية والأسوار الأمامية وغيرها.

ثالثا: مدينة إستجة [1]

1. الموقع الجغرافي: (**انظر الخريطة رقم : 21**)

تقع على الضفة اليسرى لنهر شنيل، وهي حاليا من اعمال مقاطعة إشبيلية حيث تبعد عنها نحو 80 كلم وتبعد عن قرطبة نحو 60 كلم. [2]

وقد وصف جغرافيتها الإدريسي بقوله: «... ومدينة إستجة على نهر غرناطة المسمى شنيل، وهي مدينة حسنة ولها قنطرة عجيبة البناء من الصخر المنجور وبها أسواق عامرة ومتاجر قائمة ولها بساتين وجنات ملتفة وحدائق زاهية، ومن إستجة الى قرطبة خمسة وثلاثون ميلا...» [3]

أما صاحب كتاب الروض المعطار فيؤكد مكانة المدينة خلال العهد الإسلامي فيقول: «... إستجة بين القبلة والمغرب من قرطبة ... والمدينة مبنية على الرصيف الأعظم المسلوك عليه من البحر إلى البحر وكانت إستجة واسعة الأرباض ذات أسواق عامرة وفنادق جمة وجامعها في ربطها مبني بالصخر له خمس بلاطات على أعمدة الرخام...» [4]

على الرغم من اندثار أغلب العمائر الإسلامية خاصة تلك التي تعود إلى العهد الموحدي إلا ان الباحث باسيليو بابون أكد وجود برجان في السور الذي بقيت أجزاء منه في المدينة يعودان إلى العهد الموحدي وسنحاول التطرق إليها من خلال وصف هذا الباحث. [5]

---

[1] إستجة من اللاتينية astigi واسمها الحالي اسيخا ecija وإستيجة بالكسر ثم السكون وكسر التاء فوقها نقطتان وجيم وهاء اسم لكورة الأندلس متصلة بأعمال رية أنظر ياقوت الحمدوي (شهاب الدين) معجم البلدان المجلد الأول دار صادر بيروت 1977.ص 219.

[2] محمد عبد الله عنان، الآثار الاندلسية ... المرجع السابق، ص 76-77.

[3] الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص205-206.

[4] عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ج1، ص53.

[5] باسيليو بابون، المرجع السابق، ج1، ص525.

2. تحصيناتها:

أ. برج شارع كالثادا:

يقع هذا البرج في زاوية من السور الموحدي وهو متبور حيث زالت غرفته العلوية ويبلغ طول سور جسره 15م، وهو لاصق لبرج صغير في السور وحسب باسيليو بابون فإن هذا السور قد بني في عهود سابقة. ويبلغ طول ضلع البرج حوالي 3.97م أما إرتفاعه فيصل إلى 12.40م وإلى جوار البرج الصغير الخاص نجد هناك دهليز ذو سقف معين نصف أسطواني وهو مبني بالآجر. ويعتبر هذا البرج من نوع الأبراج البرانية والتي تعتبر من الابتكار الموحدي حيث قصد بها تدعيم الستارة والسور كما أشرنا إليه سابقا.

ب.برج كينتانا: (**انظر مخطط رقم :28**)

ويعتبر هذا البرج أقوى من سابقة طوله حوالي 19م أما الطول ضلع البرج فيصل 09م وإرتفاعه حوالي 18م. (**أنظر صورة رقم 31**)

وله غرفة عند مستوى الدرب، أما من الخارج وبالتحديد عند مستوى طابق الغرفة، نجد ثلاثة أشرطة أفقية بارزة من الآجر، وفي الوقت الحاضر هناك حائط صغير وقصير قد حل محل مراقب الشرفة [1]، والغرفة لها سقف عبارة عن قبة مشطوفة مكونة من ثمانية قواطيع ومشيدة من الآجر يؤدي إلى الشرفة، ويبلغ ارتفاع سور الجسر في الوقت الحالي حوالي 14.12م أما عرض الدهليز المقبي فيصل الى 4.71م.

ومخطط هذا البرج على شكل حرف L مثله في ذلك مثل البرج القديم الموجود في قصبة بطليوس ،نستطيع القول بأن الموحدون من خلال إهتمامهم ببناء هذه الأبراج البرانية حول هذه المدنية، كان الهدف منه حماية أبواب المدينة ، وكذلك الجسر الذي يوصل الى المدينة، خاصة إذا

---

[1] كان ذلك سنة 2016 حيث عاينا الموقع لكن تلقينا صعوبة كبيرة في التنقل لهذه المدينة كما أنه لم تتمكن من أخذ أية صورة لهذا المعلـــم ولذلك استعنا بما جاء به باسيلو بابون.

علمنا أن المدينة تقع في أرض سهلية مستوية ولهذا كان من السهل عل العدو الوصول الى الأسوار والأبواب.

كما أننا نعتقد أن هذه الأبراج قد تم بناؤها في أواخر أيام العهد الموحدي، حيث اشتد الصراع بين ملوك اسبانيا المسيحية والموحدون، وترجع على الأغلب إلى عهد أبو العلاء إدريس سنة 618ه [1].

رابعا: مدينة قاصرش [2]

1. الموقع الجغرافي: (انظر الخريطة رقم : 22)

تقع قصرش في غرب اسبانيا تحدها من الشمال مقاطعة شلمنقة ، ومقاطعة آبلة، ومن الجنوب مقاطعة بطليوس، ومن الشرق مقاطعة طليطلة ومن الغرب البرتغال. [3] وتقوم المدينة على نشز من الأرض به قمم صغيرة، تمتد من الشرق إلى الغرب على الضفة اليسرى من وادي تاجة، وأكثر أجزاء المدينة ارتفاعا هضبة صغيرة ترتفع إلى ما يقرب من 458م فوق مستوى سطح البحر. [4]

---

[1] للإشارة فقط فإن السيد أبو العلاء إدريس بن يوسف الأول المقلب بأبي العلاء الكبير حيث تسميه المصادر العربية وذلك لتمييز عن إبن أخيه أبي العلاء المأمون ومما لا شك فيه إن هذا السيد قضى مدة محدودة في إشبيلية ذلك لأنه ومع إتمام أشغال البناء في إشبيلية وضواحيها صب عليه حكام مراكش جم غضبتهم وقاموا بإستدعائه غير أنه وبفضل الحماية التي حضي بها طرف الوزير ابن المثنى أعيد له إعتباره وتم تعيينه عاملا على افريقيا عقب وفاة الشيخ عبد الواحد في 1 محرم 618ه/1221م وقد توفي سنة 620ه/1223م المزيد من الإطلاع ينظر: عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 269-270.

[2] كانت تقوم في الموقع الذي تحتله قاصرش الإسلامية مدينة رومانية اسمها norba caesarina وقد أرجع اسم المدينة مشتق من اسم قيصر ومنه من أرجعه إلى اسم قصور وقد وضع الرحالة الإدريسي حدا لهذه المناقشات حيث أطلق على هذه المدينة إسم قاصرش وهذا الاسم مشتق من كلمة caesarina

لمزيد من الإطلاع حول هذه المدينة ينظر:

- Mazzoli-Guintard; villes d'al-andalus l'Espagne et le Portugal à l'époque musulmane VIII XV em siecles,presses universitaire de rennes (p .u .r),1996.pp 50-55.

[3] ليو بولدو طيرس، المرجع السابق، ج1، ص 60-61.

[4] Mazzoli-Guintard, op-cit, p52.

لم تكن مدينة قاصرش مدينة شهيرة ذات شأن و لم تحظ بعناية الرحالة والمؤرخين المسلمين بالأندلس، إلا منذ القرن 10م إلى القرن 13م. إذ كانت حصنا اماميا يحمي وادي تاجة الأوسط، ويعرقل القوات الليونية من هذا الوادي إلى وادي آنة، حيث تقع مدينتا بطليوس وماردة.

وقد أصبحت حصنا حربيا حيث ذكرها الإدريسي خلال القرن 6ه بقوله: «... ومنها إلى حصن قاصرش... وهو حصن منيع ومحرس رفيع فيه خيل ورجال يغاورون في بلاد الروم...». [1]

وما يؤكد على أن المدينة تتمتع بوسائل دفاعية مهمة لا يمكن اجتيازهما. هي مقاومتها للحصار الذي ضربه فرناندو الثاني عليها 1184م/580ه. حيث كان حصارا شاقا وطويلا وقد اضطر فرناندو الى فك الحصار عن قاصرش مرغما في ذلك [2]

لقد أصبحت قاصرش منذ ضمها إلى الأراضي الموحدية بالأندلس سنة 1172م/568ه كحد بين مملكة الموحدين، ومملكة ليون والبرتغال، كما أنها تعتبر الحصن الأمامي في الثغر الجوفي بغرب الأندلس، ولهذا اعتنى بها الخلفاء الموحدين وحصنوها بأسوار عالية، ومزودة بأبراج برانية هذا بالإضافة الى قصرها الذي يعتبر مقر الخليفة أو الوالي الذي يثوب عنه.

ان موقع قاصرش في منطقة تتنافس عليها ممالك قشتالة وليون والبرتغال كما أنها تعد باب الأندلس من جهة الغرب ثم أن القوة التي تسيطر عليها كان في مقدورها السيطرة بعد ذلك على منطقة الوادي الكبير، جعل من الخلفاء الموحدون الاهتمام بها من خلال تحصينها والآثار الباقية من تلك المنشآت تعبر بصدق عن الصفة الحربية التي كانت تتسم بها قاصرش في العهد الموحدي وسنحاول تتبعها فيما يلي:

---

[1] الإدريسي، المصدر السابق، ص 187.

[2] إبن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص 160-161.

2. تحصيناها:

أ. القصر: (أنظر صورة رقم 32)

يقع هذا القصر في جنوب شرق المدينة وفي أكثر مواضعها ارتفاعا وقد ذكر هذا القصر في الوثائق القاصرشية في القرن 15م حسب ليويولدو طريس [1]

ولم يتبق من هذا القصر اليوم سوى جبه الذي يشغله اليوم [2] بـــــه مترل لاس فيلتا (las velatas) والجب هو عبارة عن بناء في جوف الأرض مستطيل الشكل طوله 15.20م، وعرضه حوالي 13.25م، وجدرانه من الحجارة وعقوده وقيواته من الآجر، ويتألف الجب من خمسة أروقة سعة كل منها 2.20م أما طوله فيبلغ 10م وتعلو أروقته قبوات نصف أسطوانية تفصلها فيما بينهما أربعة صفوف من العقود المتجاوزة التي تشبه حدوة الفرس، وتتكئ هـــذه العقود على أعمدة ضخمة من الجرانيت.

لا شك أن هذا القصر يرجع إلى عهد يوسف بن عبد المؤمن، ومما يدل على ذلك أولا. البرج البراني الذي يعرف ببرج بوخاكو وهو إسم محرف من إسم الخليفة ابي يعقوب يوســـف. ثانيا: اعتبار يوسف بن عبد المؤمن صاحب بناء وتعمير كما كان له الفضل في توصيل المياه إلى قصور اشبيلية والبحيرة وقصرش حيث هذا القصر.

إننا لا نجد ما يساعدنا على معرفة الشكل البنيوي الذي كان عليه هذا القصر فلربما كان يشير في الأساس إلا أن المبنى من المباني ذات الشكل البينوي الحربي والتي يبدوا فيها كحصـــن ذات المخططات الشديدة التنوع كما هو الحال في قصور إشبيلية وقرطبة وإستجة وغيرها مـــن المدن الأندلسية الموحدية.

---

[1] ليوبولدو طيرس، المرجع السابق، ج1، ص 60.

[2] لقد اكتشف هذا البئر من طرف الباحث: باسيليو بايون، المرجع السابق، ج1، ص 525.

ب. أسوار قاصرش:

لقد بنى الموحدون فوق الأسوار الرومانية نظاما دفاعيا مدهشا مازالت ملامحه بينة في يومنا هذا وتحيط هذه الأسوار المبنية بالتابية والحجارة بالمدينة التي كانت تبلغ مساحتها 08 هكتارات [1].

وقد احتفظ السور الغربي اليوم بمظهره الإسلامي الذي يرجع إلى العهد الموحدوي، فقد وصل الينا سليما رغم ما عانته المدينة من تغيرات عميقة في نظامها العمراني خاصة بعد سقوطها نهائيا في ايدي هجمات جيوش ليون وفرسان قلعة رباح في سنة 1227 م -626ه حيث خضعت تحصينات المدينة وأسوارها الى بناء وترميم وتوسيع وذلك موازٍ لتطورات هامة حدثت في شبكتها العمرانية وبنيتها السكنية في تلك الفترة وحتى في الفترات اللاحقة.

وتتخذ الأسوار شكلا رباعيا يقترب من المستطيل، ويبلغ المحور الأصغر الممتد من الشرق الى الغرب نحو 187م وتتصل بهذا السور مجموعة من الأبراج البرانية مختلفة الأشكال عن طريق جدار يطلق عليه مؤخرا اسم قورجة وسنحاول التطرق الى عمارة الأبراج البرنية في مدينة قاصرش والتي ما زالت شاهدة على الابتداع المعماري الجديد من طرف الموحدين.

ت.الأبراج البرانية: (انظر مخطط رقم : 29)

لقد زود سور قاصرش بأبراج برانية وصل عددها إلى عشرة بعضها مربع والبعض الآخر مستطيل وكلها ترتفع عن ممش السور وتتصل به عن طريق قورجات بالمصطلح الأندلسي الجديد وقد أحصى هذه الأبراج كل من باسيليو بابون و (HEERS) [2]. وقد كانت بارزة نحو الخارج غيران درجة البروز متنوعة وأسماؤها هي: Bujaco, postigo del sacarro de hierro, del, horno,postigo de santa ana.

---

[1] باسيليو بابون، المرجع السابق، ج1، ص 517-518.

[2] HEERS (j); la ville au moyen. Age en occident: payasages, pou voirs et conflits, Paris 1990, pp 328-330

بالإضافة الى برج آخر بدون اسم حيث يقع في الجدار الغربي وبرج carajo وبـــرج آخر جوار كريستوار الروماني وبرجا Redona desmochada وإذا ما تحدثنا عن برج بوخاكو-bujaco- وهو إسم محرف من إسم الخليفة الموحدية أبي يعقوب يوسف كما أشرنا اليه سابقا ويقع هذا البرج جوار باب استريا فإنه ابرزها جميعا وكافة الأبراج المذكورة ما عـــدا بوخاكو الذي أعيد بناؤه بالحجارة خلال العصر المسيحي [1]مشيدة مـــن التابيـــة المصـــحوبة بالخرسانة وترتفع عن مستوى درب السور إذ لكل واحد غرفة علوية ليتم الوصول اليهـــا مـــن درب الجسر، حيث نرى فيه سلما يؤدي الى الشرفة المزودة بجدران فاصـــلة أمـــا في الجســـور الشديدة الانحدار فهناك دهاليز لها قباب نصف إسطوانية يمكن أن نراها بشكل جيد عند برج –Horno- أما في القاعدة فنرى كتل حجرية جيدة القطع وهي على ما يبدو كتل رومانية قد أعيد إستخدامها وهذا ما لفت انتباه الباحث HEER(s) [2] أما بالنسبة للبرج الخاص بالباب الصغير المسمى –سانتا ماريا–فإن ارتفاع الوزرة الحجرية يبلغ 3.85م وهناك الأبعاد الخاصـــة بثلاثة أبراج تقع في القطاع الغربي للسور وهي:11.15م طولا 7.98م عرضا أما الارتفـــاع فيضل الى حوالي 19.68م أما البرج الآخر فهو:6.16م طولا أما العـــرض فيصـــل 6.7م وارتفاعه يصل حوالي 20م.

أما برج بوخانتا الذي يعتبر أكبر الثلاثة فأبعاده على النحو التـــالي 11.43م عرضـــا و20م ارتفاعا، وقد كانت كلها مغطاة بطبقة من الجص مع تمثل للكتل الحجرية مـــن خـــلال الرسم مثلما هي الحال في باقي قطاع السور (2.30*0.80 ارتفاعا)، من الداخل فالمعتـــاد وجود مخطط مربع مع بعض الكواة غير العميقة والقبة نصف اسطوانية المشيدة من الأجر والتي ترجع كلها الى العهد الموحدي. [3]

---

[1] باسيليو بايون، المرجع السابق، ج1، ص 518.

[2] HEERS (J) OP.CIT P31.

[3] باسيليو بايون، المرجع السابق، ج1، ص 518.

وفي الأخير نستطيع القول بأن مدينة قاصرش قد شكلت مجمعا دفاعيا وحصنا اماميا في الثغر الجوفي بغرب الأندلس خلال العهد الموحدي وما الآثار الباقية من أسوار وأبراج برانية وقصر ملكها لتعبير عن الصفة الحربية التي كانت تتسم بها.

خامسا: مدينة بطليوس [1]

1. الموقع الجغرافي (انظر خريطة رقم : 23)

تقع بطليوس في منحنى نهر وادي يانة، على مقربة من الحدود البرتغالية في البقعة المثلثة التي يحتضنها النهر، عند ملتقاه بفرعه المسمى نهر سو، ويحدها النهر من الشمال[2].

وقد وصف لنا صاحب الروض مدينة بطليوس بقوله: «... بطليوس بالأندلس من إقليم ماردة، وهي مدينة جبلية في بسيط من الأرض ولها ربض كبيرا أكبر من المدينة في شرقها خلا بالفتن، وهي على ضفة نهرها الكبير المسمى الغؤور لأنه يكون في موضع يحمل السفن ثم يغور تحت الأرض... ومن بطليوس الى اشبيلية ستة أيام ومنها إلى قرطبة ست مراحل». [3]

وتبدو بطليوس بموقعها على النهر العريض الضخم فوق الربوة العالية التي تشرف عليه كأنها في مجموعها قلعة عظيمة حيث أن المدينة تتمتع بموقع طبيعي منيع، ولهذا نجد أن الموحدون قد اعتنوا بالمدينة فقاموا بتحصينها وذلك راجع بطبيعة الحال لوقوعها في طرف الحدود الموحدية وتعرضها بذلك لهجمات النصاري المستمرة.

[1] كانت تعرف في العهد الإسلامي الأول بإسم –البشرتل–كما أنه لم يظهر اسم بطليوس إلا في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمان الأوسط، حيث خرج عليه عبد الرحمان بن مروان. المعروف بالجليقي المولود سنة 261ه/877م. وانتقل بهذه المنطقة وأسس تجاهها مدينة بطليوس الجديد وعمرها. تم بعد ذلك خضعت المدينة للمرابطين أواخر سنة 488ه/1040م حيث إنتقل بطليوس محمد بن على ابن الحجام، ثم استولى عليها الموحدون وفي سنة 1228م/626ه سقطت بعد حصار طويل من طرف ملك ليون–الفوسو التاسع، المزيد من الاطلاع حول هذه المدينة ينظر: ليو بولدو طبريس، المرجع السبق، ج1، ص 118-119.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص 119

[3] الحميري، المصدر السابق، ص23.

لقد كانت مدينة بطليوس في القرن 12م/6ه على حد قول الإدريسي مدينة عامرة بالأسواق تحيط بها الأسوار الحصينة [1]، وسنحاول تتبع ما تبقى من آثار بطليوس الموحدية خاصة منها الحربية.

2. تحصيناتها:

أ- القصبة:

يقول ابن صاحب الصلاة: «... وهو (يوسف بن عبد المؤمن) الذي حمى بطليوس، من الكفر وإبتنى لها قصبتها الشاهقة المانعة وسرب الماء إليها من الوادي فقطع العدو أمله عنها بما أشحنها من الآت والعدد من الأسلحة والرجال...» [2]

من خلال كلام ابن صاحب الصلاة يتضح لنا أن الخليفة أبو يعقوب يوسف قام ببناء القصبة الموجودة بمدينة بطليوس ،كما جدد أسوارها ومدها بالمياه، وقد كان ذلك فيما يظهر حوالي سنة 566ه/1170م، ومن ثم فإنه يمكن القول بأن الأسوار والأبراج التي تحيط اليوم بأطلال قصبة بطليوس هي من انشاء الموحدين.

لم يبق من قصبة بطليوس الموحدية آثار تذكر سوى السور المحيط بها الذي تغير كثيرا نتيجة التعديلات والترميم وأبراج برانية ينفتح فيها بابان يعودان الى العهد الموحدوي وتوجد هذه القصبة في الجزء العلوي للتل الذي يرتفع بنحو 60م على مستوى سطح وادي يانة ويشرف عليه وعلى السهل بحيث يشكل وادي يانة في الناحية الشمالية للمدينة خندقا طبيعيا كان قبل أكثر قربا منها ويلتقي عند ناحيتها الشرقية مع النهر وتبلغ مساحة ما بداخل أسوار بطليوس 75 هكتارا تقريبا [3].

---

[1] الإدريسي، المصدر السابق، ص 181.

[2] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 167-168.

[3] VALOR MAGDALENA (P), OP cit, PP 221-222.

ويوجد من أطلال القصبة عدة مجموعات فقسم منها يقع على مقربة من النهر مع جزء من السور حيث أنه يبدوا انه السور الخارجي للقصبة والقسم الأخر يبعد قليلا عن الأول وقسم ثالث هو فيما يبدو أهم أقسام القصبة وهو الذي يشمل باب القصبة الخارجي، ويقع هذا القسم في الواجهة الغربية للقصيبة وهو في حالة جيدة من الحفظ ويفصل القصبة من المدينة ما بين البرج المسمى –برج إسبنتابروس –Espantaperros-[1] وهو برج بـــراني والبـــاب الرئيســـي ويتصل هذا البرج في الزاوية الجنوبية الغربية بالسور الأمامي، وتقع بينه وبين البـــاب الرئيســـي ثلاثة من الأبراج البرانية، كما يقوم في جنوب القصبة على مقربة من النهر برجان آخران وباب القصبة الخارجي هو باب معقود يطل اليوم على الشارع المؤدي الى سوق الفاكهة، ويليه ممـــر قصر صاعد يؤدي الى المدخل الرئيسي وهو عقد عال مزدوج بني قوسه الخارجي من الحجـــارة الصلبة، ويبلغ إتساعه نحو 04م أما ارتفاعه فيصل الى 08م ومن ورائه فناء مستطيل يخترقه عقد ثالث يؤدي الى الخارج، ويقوم إلى يمين الباب. الرئيسي برج في حالة جيدة وهذا الجـــزء مـــن القصبة يثبت كما كانت عليه من المنعة والإحكام، وقد حجب هذا القسم من القصبة مـــؤخرا حيث بنيت على جانبه المنازل والحوانيت.

وفي الأخير نستطيع القول بأن ضخامة قصبة بطليوس ومنعتها تبدوان في مختلف أجزائها حيث كانت تشغل رقعة كبيرة تمتد من ضفة النهر حتى الأسوار فهي دار الخليفة والوالي الـــذي ينوب عنه كما أنها مركز تعسكر الجنود الموحدية.

---

[1] باسيليو بايون، المرجع السابق، ج1، ص 523

ب- الأبراج البرانية

1-برج اسبنتابروس (espantaperros) (انظر مخطط رقم :30)

حسب باسيوليوبابون فإن هذا البرج يطلق عليه اسم أخر هو برج الطليعة ورغم أنه برج براني إلا أنه تتوفر به عناصر الانتقاء الذاتي ويقع هذا البرج على بعد 50م من قسم الأطـــلال الواقعة داخل المدينة والتي يتوسطها الباب الرئيسي [1](**أنظر صورة رقم 33**)

أما شكله فهو مثمن الأضلاع وأصم حتى مستوى درب سور الجســـر الـــذي يربطـــه بالسور الرئيسي للحصن وهو مشيد من التابية المصحوبة بالخرسانة ويظهر في البناء الخارج وزرة ذات انحدار ويبلغ إرتفاعها حوالي 1.30م كما أن المسافة الرئيسية بين التجاويف لا تزيد عن 0.80م وتظهر على الحوائط الخارجية علامات تشير إلى أنها طبقة سميكة من الجص بحيث يبدو الجدار كأنه مشيد من كتل حجرية ضخمة تبلغ حجم الطابية، ويبلغ طول ضلع البرج حـــوالي 4.13م أما إرتفاعه حتى قاعدة المراقب التي اعيد بناؤها حسب ما جاء عند -باسيليو بابون[2] فلا يزيد عن 21.90م، ويشبه من حيث المقاسات برج الفضة بإشبيلية وله طابقـــان وبهمـــا عمود مركز مجوف ومربع وسقفه عبارة عن قبة بيضاوية من الآجر يبلغ إتفاعها حوالي 2.55م والسلم نجده في الحائط وله فرغات متدرجة ذات قباب مناطق تقاطع، ونصف إسطوانية ويتسم الدهيلز المحيط بالعمود المركزي بالضخامة ولدهيلز قباب مضلعة لها قاعدة مســـتطيلة وأخـــرى ذات قاعدة مثلثة وعقود أو فجوات نصف أسطوانية منفرجة بعض الشـــيء ويبلـــغ حـــوالي 1.45م كل واحدة من الجوانب الخارجية محيطة كإطار بالمزاغل حيث يوجد واحد في كـــل جانب في النقطة المركزية منه، وتبلغ مقاسات الفراغات المستطيلة حـــوالي 2.45م- 2.10م وفي الشرفة ذات المرقب التي اعيد بنائها كما جاء به باسيليو بابون حيث يوجد برجا مركزيـــا

[1] باسيليو بابون، المرجع السابق، ج1، ص 636.

ينظر كذلك:Mazzoli –Gunitard, op cit p 61

[2] باسيليو بابون، المرجع السابق، ج1، ص637.

مربع المخطط ومشيد من الأجور ويبلغ ارتفاعة 8.59 م وهذا البريج الذي يعتبر أقل مساحة من البرج الحربي الذي يحمله لا نراه متكررا الا في البرج الذهب في اشبيلية وهو يقوم بدور زخرفي وكذلك كحماية للحارس.

وعليه نستطيع القول أن برج أسينتابروس كان يقوم بأداء دور أبراج الطلائع أو المراقبة فهو يحمي الباب الرئيسي للمدينة وكذلك مراقبة نهر المدينة هذا بالإضافة الى حمايته للقصبة الموحدية.

برج المشنوق [1]

يقع هذا البرج الى جوار باب لوس كاروس (carros)، وهو أقل حجما من الأول [2] وهو يأخذ شكلا مستطيلا وتسبقه بربكانة وهي واحد من الأبراج العربية القليلة التي وصلت إلينا في حالة لا تبد عليه أية ترميمات خلال العصر الاسباني والبرج مشيد من التابية الصلبة ويتم الدخول إليه من درب السور بشكل مباشر من الواجهة وعلى باب المدخل هناك عقد منفرج فتحته 1.08م يتوجه عقد آخر نصف أسطواني وكلاهما من الأجر ويتكرر هذا النظام من العقود المتراكبة والمصحوبة بعقد منفرج في الأسفل ولكن أكثر رشاقة في باب القورجة في نفس هذه القصبة والغرفة الوحيدة للبرج الذي نحن في صدد وصفه مربعة الشكل مقاساتها (4.03م-3.80م). مع إنحدار طفيف في حائط المدخل، وكذلك توجد ثلاثة مزاغل في الحوائط الخارجية لها فتحة خارجية وأخرى داخلية (0.12م و0.90م) على التوالي ولا يتجاوز سمك الحوائط 0.80م ويلاحظ أن المزاغل لها عتب حجري يليه قبة ناجمة عن تقريب مداميك الأجر وهذا لصيق بالأسلوب العربي السائد في المنطقة الطليطلية [3] وتفتقر الغرفة

---

[1] لم تعرف السبب الذي أطلق عليه اسم هذا البرج المشنوق وربما يرجع الى انتحار الحارس الموجود داخل البرج أثناء داء حراسته ليلا ولهذا أطلق عليه إسم المشنوق وهذا الاسم يرجع الى أواخر القرن 13ه لمزيد من الإطلاع ينظر: باسيليو بابون، المرجع السابق، ج1، ص 549

[2] المرجع نفسه، ج1، ص 637.

[3] نفسه، ج1، ص 638.

للسقف في أيامنا هذه لكن توجد الدلائل بأنه كان لها سقف خشبي مثلما هي الحال في الأبراج المعاصرة لها في الرباط وفاس وتبلغ مقاسات الأجر حوالي 27*13*4 سم.[1]

لقد عبرت مدينة بطليوس عن مجد الخلافة الموحدية وذلك من خلال الفن الرفيع والعظمة والثراء حيث يرجع ظهور هذه المدينة الى رغبة الحلفاء الموحدين وعلى رأسهم يوسف بن عبد المـؤمن في جعلها حصنا حربيا يتوفر على شتى مرافق الحياة من قصبة منيعة وأسوار داخليـة وأماميـة وأبراج عادية وبرانية.

سادسا: مدينة شريش[2]

1-الموقع الجغرافي (انظر خريطة رقم : 24)

هي بلدية بمقاطعة قادس التابعة لإقليم أندلونسيا في جنوب اسبانيا وهذا الإقليم يحده من الشمال منطقة كاتسيلا لا منتشا ومنطقة اكستر يمادورا، ومن الجنوب المحيط الأطلسي والبحـر الأبيض المتوسط، وجبل طارق، ومن الشرق منطقة مريسة، ومن الغرب البرتغـال.[3] وقـد وصفها صاحب الروض بقوله: «... شريش من كور شذونة بالأندلس، بينها وبـين قلشـانة خمسة وعشرون ميلا، وهي مقربة من البحر، يجود زرعها ويكثر ريعها ... وهـي متوسـطة حصينة حسنة الجهات...»[4]

نظرا للموقع الإستراتيجي التي تتمتع به هذه المدينة فقد قرر الخلفاء الموحـدون وعلـى رأسهم محمد الناصر بأن يجعلها مجمع دفاعي ليكون قريب من مدينتي إشبيلية وقادس كمـا أن للموقع أهمية تجارية واستراتيجية في نفس الوقت، وقد تحدث الإدريسي عن حصانة هذه المدينة فيقول «... ومدينة شريش متوسطة حصينة مسورة الجنيات...»[5]

---

(1) ا باسيليو بابون، المرجع السابق، ج،1، ص 638.

(2) **شريش**: تلقب بالفرنتيرة أي الحدود أو بلدية خير زيدي لافرونتير وتكتب بالإسبانية jerez de la frontera ومعناها شريس الحدود لمزيد من الإطلاع ينظر: محمد عبد الله عنان. الآثار الأندلسية، المرجع السابق، ص 297-298.

(3) ليوبولدو طريس، المرجع السابق، ج1، ص 122-123.

(4) عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 340.

(5) الإدريسي، المصدر السابق، ص 206.

وسنحاول التطرق الى تلك المنشآت الدفاعية التي تتمتع بها هذه المدينة والمتمثلة في القلعة الموحدية.

2- تحصيناتها:

من الصعب جدا أن نحدد تاريخ معظم الصروح القائمة في مدينة شريش حيث توالت عليها التغيرات الجذرية من طرف المسيحين، حيث لم يبق من أبنية الموحدون سوى بعض الأبراج التي كانت تحيط بالقلعة هذه الأخيرة التي اتخذت من جنوب شرق المدينة مكانا لها وقد كانت محل تعسكر الجنود ومكان إقامة حاكم المدينة وقد تم بناؤها كما سيق في عهد الخليفة محمد الناصر سنة 1211م/608ه كما أخبرنا بذلك ابن عذاري المراكشي حينما تكلم عن الصلح الذي تم بين الأمير أبوعبد الله محمد بن يوسف بن نصر مع ملك قشتالة اذفونش حيث لم يدخل اهل شريش هذا الصلح المنعقد عام 643ه لكنهم سلموا القصبة التي بناها محمد الناصر[1].

لقد تعرضت هذه القلعة أو القصبة لعدة تحويلات وهي حاليا ملك للبلدية حيث بقيت محافظة على طابعها الإسلامي بشكل جيد خاصة الأبراج ولتي تشكل مثالا للهندسة الموحدية وقد وصلنا برج يعود للفترة الموحدية وسنحاول تتبع عمارته الدفاعية فيما يلي:

أ. البرج المثمن في الشارع القديم بوربيرا porvera (انظر مخطط رقم : 31)

يقع هذا البرج عند ملتقى السور بين شارع marqués de casas arizon والذي كان يسمى قبل ذلك شارع بوبيرا وبين شارع canaiejas، الذي كان يسمى سابقا ancha وهو برج ثماني الأضلاع، وله طابق واحد عند مستوى الدروب، ومنها يتم الدخول الى الطابق المذكور من خلال عقود نصف اسطوانية. والشرفة لها حاجز يبلغ ارتفاعها حوالي 0.70م وسمكه حوالي 0.63م ومنها يتم الدخول الى الغرفة بواسطة سلم يدوي ذلك أننا لا

---

[1] ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص 367.

نرى اليوم أي أثر لسلم المبنى وتتسم الغرفة بإتساع وهي تشبه على حد قول باسيليو بايون المباني الرومانية والبزنطينية ذات المخطط المركزي [1]، وفي الوسط نجد غرفة ذات 08 أضلاع يبلغ طول الضلع حوالي 1.5م ولها عقود ثمانية نصف اسطوانية. ويبلغ ارتفاعها حوالي 2.15م، وتقوم على أعمدة ذات مخطط خماسي، أما القبة فهي مشطوفة ومكونة من 08 سواتر، ويبلغ ارتفاعها حوالي 4.10م، ولها حلية معمارية مقعرة مزدوجة في الأسفل أما الأرضية فهي منخفضة بحيث تبدو كأنها صهريج صغير لتخزين المياه ومن هذا البناء المركزي تخرج 08 عقود نصف أسطوانية يبلغ ارتفاعها حوالي 34م وتتكئ على الحوائط الخارجية من خلال أعمدة صغيرة في الزوايا وبينها هناك فراغات على شكل شبه منحرف لها قباب نصف أسطوانية وكلها مشيدة من الآجر ولكن توجد طبقة نصف اسطوانية وكلها مشيدة من الآجر ولكن توجد طبقة جص ذات لون أبيض ويبلغ عرض الدهليز المحيط بالغرفة الرئيسية بحوالي 1.79م ويبلغ مقاس الحائط الذي يقع بين الأعمدة الخارجية بحوالي 3.10م أما سمك الجدران فهو 1.48م وتتخللها مزاغل في كل جانب ما عدا تلك التي توجد فيها العقود التي تربط البرج بالدروب أما العقود والقياب فهي مشيدة من الطابية المصحوبة بالخرسانة ومن الآجر ومن الخارج نرى ثلاثة أشرطة أفقية صغيرة من الآجر البارز وأعلاها يوجد عند قمة الحاجز الشرفة كما يوجد شريط آخر عند مستوى أرضية الشرفة ويبلغ ارتفاع البرج إبتداء من أرضية غرفة الشرفة بحوالي 5.61م أما مقاس الآجر فهو 28*14*4.5 سم. (**أنظر صورة رقم 34**)

ومن خلال المخططات نجد البرج يرتبط بالجزء السفلي لبرج الفضة لاشبيلية وببرج الطلائع راستروس Rastros خارج بطليوس.

وفي الأخير نستطيع القول أنه بالرغم من قلة الآثار الباقية خاصة تلك المتعلقة بالمنشآت الحربية. ومع ذلك فإن القليل الذي تضمه منها يمتاز بأهمية التاريخية، والأثربة، والتي تعود الى

[1] باسيليو بايون، المرجع السابق، ج1، ص 635.

العهد الموحدي فمدينة شريش بقصبتها المندثرة وأسوارها المترامية الأطراف وأبراجها البرانية واستعمال الأحجار والتابية، في عملية بنائها كل هذا قد أدى الى صمود العديد من تلك المنشآت في وجه التطورات الطبيعية وخاصة البشرية المتمثلة في النصارى بقيادة ألفونسو الذي حاول تغيير كل ما هو أثر إسلامي وكان ذلك ابتداءا من سقوط مدينة شريش في أيديهم سنة 1264م.

خلاصة الفصل

لقد اتضح من خلال استعراض المعلومات المصدرية المتنوعة وكذا العديد من الأبحاث والدراسات الاثرية والطبونيمية عن أهم المدن في الأندلس أن العديد منها ذات الأصول الرومانية، قد عمل الموحدون على استغلالها وتطويرها في المجال المعماري والدفاعي كما أسسوا أخرى وفق اختيار مواقع المدن تستجيب لشروط طبيعية توفر الأمن والمياه، ومدينة جبل الفتح (طارق) لخير دليل على ذلك حيث أدرك الموحدون قيمتها الاستراتيجية في الحفاظ ببلاد الأندلس وضبط الملة بين المغرب والفردوس المفقود، وقد كانت غاية الخلفاء الموحدين وعلى رأسهم عبد المؤمن بن علي من بناء هذه المدينة هو تسهيل عملية العبور الى الضفة الأخرى وجعلها قاعدة ارتكاز كما أنه حاول من خلال هذه المدينة المزج بين الحضارتين المغربية والأندلسية وذلك بإدخال الخصوصية الموحدية في البناء.

كما تبين لنا أنه مع إقرار نفوذ الموحدين في الأندلس وإعلان الخلافة بها عمل الخلفاء على تأطير تلك المدن في الميادين الاقتصادية والمالية والبشرية والعسكرية، وذلك عبر الولاة أو ممثليها كما هو الحال في إشبيلية والتي تعتبر العاصمة الثانية للموحدين وكذلك مدينة قاصرش وبطليوس وغيرها والتي جعلت كأنها في حالة إستنفار دائم.

كما تبين لنا أن الخلفاء الموحدين لم يترددوا في بناء العمارة الحربية في الأزياف والمدن الأندلسية والمتمثلة في الحصون والقصبات والقصور والأبراج والأسوار وغيرها، وإذا ما تحدثنا عن الطابع الحربي للقصور والقصبات الموحدية الموجودة في الأندلس لوجدناها كانت تتمتع بكافة أنواع الدفاعات والتحصينات بنفس الدرجة التي للمدينة، وربما اكثر منها وهي البوابات ذات تخطيط منحنى وأبراج برانية وأبراج حرة وكذلك أسوار مصممة بشكل منعرج مثل قصبة إشبيلية وقصبة بطليوس وإستجة وغيرها.

كما تبين لنا أن الموحدون قد ابتكروا عند بنائهم للأسوار إشبيلية نظاما جديدا، ذلك أنهم أكثروا من الزوايا الداخلية والخارجية فيه بحيث يتخذ شكل خطوط متعرجة منكسرة كما إهتم

الخلفاء الموحدين في أواخر أيام دولتهم، حيث اشتداد صراعهم مع ملوك اسبانيا (المسيحية) من تحسين وسائلهم الدفاعية وتفننوا في مناعتها فابتدعوا النظم المعمارية الجديدة كالأبراج البرانيـــة وكانت الغاية الرئيسية من إقامة هذه الأبراج حماية التحصينات، وحماية ممر الحراسة الذي يفصل بينهما وبين السور الرئيسي كما هو الحال في إشبيلية وإستجة وبطليوس، كما ابتدعوا الأسوار الأمامية التي تمنع العدو المهاجر من شن هجومه مباشرة على الأسوار الرئيسية وتعطل من تقدمه لفتح الثغرات، التي يمكنه أن ينفد منها داخل المدينة وتقدم لنا أسوار اشبيلية وإستجة وقصـــرش أحسن نموذجا لذلك. كما أكثر الموحدون من الأبواب ذات المرافق.

كما إن عملية البناء في القصبات والأبراج والقصور والأسوار أدت الى الوقوف عند طبيعة البناء والمواد المستخدمة فيه، وقد كشفت الدراسة عن استعمال الأحجار والطابية وتـــبين مـــن خلال الشواهد المادية المتعددة من تلك العمارة عن استعمال التابية بشكل أوسع خلال العهـــد الموحدوي نظرا لسرعة إنجازها لقلة تكاليفها.

وقد أدت هذه الطريقة الى صمود العديد من الواقع في وجه التطورات الطبيعية والبشـــرية وما بعض القصبات والقصور والحصون التي ما تزال قائمة الى الآن إلا دليل على ذلك.

ان محاولة الجمع ما بين المصادر التوثيقية ونتائج البحث الأثري والطبونيمي المعاصر أفاد كثيرا في إعادة قراءة وظائف العمارة العسكرية الأندلسية، خلال العهد الوحدوي ولا شك أن لهذه العملية تمكن في فتح أفاق جديدة للبحث وإتاحة إمكانية قراءة جديدة في وظائف العمارة الأندلسية عامة ووظائف السكن المحصن بالدرجة الأولى.

القسم الثالث

الدراسة الفنية التحليلية

الفصل الأول

وظيفة الأسوار ومقوماتها المعمارية

تقديم:

لقد خلفت لنا الدولة الموحدية. وراءها منجزات عسكرية تثبت عظمتها وجمال رونقها وبراعة مصمميها وحسهم الفني، منها ما هو لازال شامخا قائما لم يطويه الزمان، والبعض الآخر تعرض للاندثار بفعل الاهمال أو عوامل الدهر، وبعد القيام بدراسة تلك المنشآت التي تحتل أديم الخلافة الموحدية. من المغرب الأقصى الى المغرب الأوسط الى الأندلس، حيث قمنا بوصفها الدقيق في الأقسام السابقة والتي من خلالها يمكننا أن نحاول وضع تصور شامل لخصائصها المعمارية ورسم مسار تطورها من حيث الأشكال، والعناصر المعمارية المكونة لها مما قد يسهم في اعطاء بعض المعطيات المساعدة على تصنيف هذا النوع من العمارة خلال العهد الموحدي، وسيتم التركيز على الأسوار والأبواب والأبراج التي توفر لنا نماذج متعددة تعود للفترة الموحدية، كما أننا سنحاول الاشارة الى القصبة والقصر بالرغم من عدم تمكننا اعطاء صورة واضحة لها ، وذاك بطبيعة الحال راجع لاندثارها.

1- الأسوار:

من الملاحظ ان تخطيط الاسوار في المدن الموحدية لم يتنصل أبدا من القواعد التي فرضتها المفاهيم الدفاعية النظرية الموروثة عن المرابطين، حيث نستطيع القول أن أسوار الموحدين قد نسجت على منوال الأساليب المرابطية من حيث البناء بقطع الحجر الكبيرة غير المنتظمة أي غير المنجروة، تتخللها من حين لأخر سطوح المداميك تنتظم بها ، الأمر الذي شاهدناه في أسوار قلعة امرجو المرابطية [1] حيث طبق الموحدين هذا الأسلوب في أسوار وأبواب مدينة تلمسان.

[1] عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج3، ص120

ينظر كذلك: terrasse (h), et.Basset (h),opcit,pp 38-39

ثم تلى ذلك استعمال الحجر غير المنجور بارتفاع قامة الرجل، تبدأ فوقه التابية الى نهاية علو السور المطلوب كما حدث في أسوار تينمل وتازة.

ثم تلى ذلك مرحلة ثالثة في تاريخ يناء الأسوار عند الموحدين ، حيث شهد المغرب الإسلامي والأندلس ميلاد طريقة جديدة في بناء الأسوار تعتمد على قاعدة صلبة من الحجر والتابية، وقد بنيت عدة أسوار بهذه الطريقة، منها سور مراكش، والرباط، وفاس، واسفي، وندرومة، وهنين وقصبة بجاية وأسوار اشبيلية وقصبة وابراج بطليوس وأسوار مدينة جبل الفتح وغيرها. [1]

كما تم الالتجاء أحيانا الى تقسيم الأسوار الموحدية الى جزئين، سور أساسي وسور أمامي، وهذه الطريقة تم الالتجاء اليها من قبل القرن 4ه/10م بالأندلس في مدينة بطليوس، وطليطلة، [2] ولقد أحسن الموحدون بأهمية نظام الأسوار الأمامية في تحصيناتهم، لأن السور الأمامي يمنع العدو المهاجم من شن هجومه مباشرة على الأسوار الرئيسية ويعطل من تقدمه لفتح الثغرات التي يمكنه أن ينفذ منها داخل المدينة، وقد دعم هذا النوع من الأسوار مدينة اشبيلية، حيث نجد ابي العلاء ادريس قام بتشييد أمام أسوار اشبيلية سوار أماميا يحيط بها جميعا، وحفر حولها خندقا يدور حولها كما نجد الأسوار المزدوجة ذات التدريجات أو الزوايا المتعددة، وقد أخذ هذا النوع من أسوار اشبيلية التي ترجع الى العهد المرابطي الذين ابتكروا هذا النظام، [3] لكن الموحدون قاموا بتعقيده حيث نجدهم أكثروا من الزوايا الداخلية والخارجية في السور، بحيث يتخذ شكل خطوط منعرجة

---

[1] مانويل جوميث مورينو، الفن الاسلامي في اسبانيا، ترجمة لطفي عيد البديع والسيد عبد العزيز سالم، الهيئة العامة للكتاب، 1977، ص 120-122.

[2] باسيليو بايون، المرجع السابق، ج1، ص 466.

[3] Marçais (G),l'architecteure…opcit; pp 226-227

منكسرة، وميزة هذا النظام أن يترك المدافعون عن المدينة أعداءهم يتقدمون داخل إحدى الزوايا ثم يندفعوا عليهم من اعلى الأسوار وعلى دروها فيفتكوا هم.(**أنظر الشكل رقم : 2**)

ومن الأسوار المزدوجة نجد تلك الكائنة في قصبة الوادايا بالرباط، وقد شيدت هذه الأسوار من الكتل الحجرية غير الملساء والمعدة جيدا، أما في الأندلس فنجد السور الموحـــدي في اشـــبيلية والكائن بين بوابة تشريش وبين برج الذهب، وكذلك برج قصبة جبل الفتح وأسوار قلعة جـــابر (وادي ايرة). (1)

أ- الدراوي والممرات:

ومن المعتاد أن يكون لتلك الأسوار الموحدية نوع من الدراوي المطلة على الخارج فـــوق الدروب مزودة بفتحات موشورية للرؤية والمراقبة سواء كانت لها أسقف هرمية أولا، امـــا مـــن الداخل فهناك استحكامات أخرى أسفل السور ومزودة بوسائل حماية، وبالتالي فإن ممر الـــدرب يعتبر على شكل صندوق، (2) ومن هنا فقد تم احداث فتحات أو خروم لصرف المياه في قاعـــدة الاستحكام الثاني، وهذا ما يمكن أن نراه حتى الآن في الأسوار الموحدية خاصة في مدينة الربـــاط، وفي شريش وفي قصبة بطليوس. ويشكل استثنائي نجد أن الموحدون قدموا لنا في مدينـــة اشـــبيلية دروبا بها استحكامات مزدوجة مزودة بفتحات للمراقبة ومزاغل في الجزء الأسفل وهذا ما نجده في القطاع الواقع بين بوابة شريش وبين برج الذهب.

كما أن الموحدين زادوا من ممر الجند والذي يصل عرضه أحيانا الى 2.25م (3) كما أوجدوا بعض الدرجات المتباعدة فيما بينها بحوالي 05م، وذلك من أجل تسهل عملية تنقل الجنـــود فيـــه

(1) باسيليو بايون، المرجع السابق، ج1، ص 466.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص 466-477.

(3) باسيليو بايون، المرجع السابق، ج1، ص 467.

والذي يربط مباشرة بالجزء العلوي من أبراج المراقبة التي تتخلل السور، ومازال السور الموحدي لفاس البالي يتوفر على أجزاء كثيرة من ممر الجند. كذلك أسوار مدينة رباط الفتح ومدينة تيط وغيرها من المدن الموحدية.

ب-شرفات السور [1]:.(أنظر الشكل رقم : 3)

لقد استخدم الموحدون الشرفات في تحصيناتهم الحربية حيث نجدها في أسوارهم ومداخلهم وهي متوجة في الأعلى بأسوار مسننة، ونفس الشيء بأسوار وأبراج رباط الفتح وفاس في بعض أجزاء أسواره، ولكن أغلبها اندثر ومن دون شك أن تلك الشرفات كانت تستخدم لوظيفة عسكرية خاصة، كما أننا نجدها في أسوار الأبراج وفي المداخل حيث كان الجند والحرس يراقبون تحركات العدو من خلالها ،كما كانت تسمح لهم بتسديد السهام. وفي نفس الوقت كانت توفر لهم الحماية اللازمة من سهام العدو.

لقد ورث الموحدون تلك الشرفات، واستخدموها في منشآتهم الحربية، وهذا ما نمسه على طول أسوار رباط الفتح، وفي أسوار اشبيلية، وقد انتشرت ثلاثة أنواع من الشرفات.

1- شرفات هرمية الشكل نجدها في الأسوار الموحدية الموجودة في مدينة رباط الفتح، وكذا في بعض ابراجها وأبوابها وهي أكثر انتشاراً.

2- شرفات هرمية مشطوفة الرأس: نجدها منشرة في سور باب الأحد وأبراجه.

3- شرفات البسيطة: نجدها في أسوار فاس البالي.

---

[1] الشرفات هي زوائد توضع في أطراف الشيء تحلية له، وفي الإطار. المعماري الشرفة ما يوضع في أعلى القصور والمدن، ويقال شرف الحائط أي جعل له شرفة أي شرافة، وقد استخدمت الشرفات للدلالة على النهاية العلوية للأسوار، وكانت تبنى بمواد مختلفة منها الخشب والمعادن، وتكون قاعدتها أعرض من قمتها في الغالب، وقد كان ظهور الشرفات في بداية القرن 2ه/8م، في بواية قصر الحير الغربي سنة 109ه/727م وبوابة قصر الحير الشرقي، ومما هو معلوم ان تلك القصور كانت ذات طابع حربي، حيث كانت محاطة بأبراج وانتقال عنصر الشرفات اليها كان لوظيفة حربية لمزيد من الاطلاع ينظر: رزق محمد عاصم، معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية ،ط1، مكتبة مدبولي القاهرة، 2000، ص161-162.

ت- سمك الأسوار (جسم السور)

تتميز الأسوار الموحدية بعرضها الهائل الذي يصل أحيانا الى حوالي 2.60م، وبوجود ثقب كبيرة تخترق السور من الجهتين وموزعة بشكل غير منتظم، وتحد بقطع من الآجر والحجارة لتسهيل عملية سحب الأخشاب الضرورية لتثبيت الطابية التي صنع منها وتمكن هذه الثقوب بعددها وحجمها الكبيرين من إعطاء تهوية جديدة له. [1]

وإذا ما أخذنا سور فاس على سبيل المثال والذي وصلنا وبه الدرب والاستحكام المزود بفتحة للمراقبة بالإضافة الى الإستحكام الداخلي، فإننا نجد أن السمك العام هو 2.60م موزعة الى 0.40م و0.50 م للاستحكام الخاص بالمراقبة، وهناك أبعاد مشابهة نجدها في سور مدينة رباط الفتح، وفي سور اشبيلية، الذي يقع الى جوار تاجريت Tagarete ، وهو اليوم يحاذي الشارع Almirante Lobo ،حيث يبلغ الدرب حوالي 1.63م، والاستحكام الداخلي 0.40م، ونقاط المراقبة 0.49م [2]. وسنقدم جردا لبعض سمك الأسوار الموحدية بالمغرب الاسلامي والأندلس:

- الرباط يصل سمك أسوارها ما بين 2.0 و2.30م.
- قصبة تامركشت بمراكش، يصل سمك جدران أسوارها حوالي 3.0م.
- تازة يصل سمك أسوارها حوالي 1.92م.
- رباط تيط: يصل سمك جدرانه حوالي 1.95م.
- جبل الفتح يصل سمك جدرانه حوالي 2.30م.

[1] مانويل جوميث، المرجع السابق، ص 141.
[2] باسيليو بايون، المرجع السابق، ج1، ص 468.

- السور الواقع بين برج الذهب في اشبيلية وبين السور الداخلي حوالي 3.10م.
- قصرش يصل سمك أسوارها حوالي 2.80م.
- قصبة بطليوس يصل سمك جدرانها حوالي 2.50م.
- شريش يصل سمك جدرانها حوالي 2.45م.

2- الأبراج:

يعتبر البرج المكون الثاني بعد السور في التحصينات، فهي بمثابة تقوية أو دعامات للأسوار التي تتسم بمحدودية الرؤية الخارجية، وقد تم الانتقال من الأبراج الدعامات الى الأبراج التحصينات والمزودة بغرفة أو غرفتين مقببتين [1]، وقد كانت في الحالة الأولى الغرفة تقع على مستوى درب السور، ثم تتحول الأبراج الى جسم أصم في الجزء سفلي أي تحت الأرض، وكانت هذه التحصينات ذات الغرف ذات فعالية مزدوجة، فهي تدافع عن المدينة، وتحول دون الهجوم على السور، كما تقوم بدور المعسكر مخزن المعدات الحربية، كما لا نعدم حالات نجد فيها أن الطابق الأول-الذي عادة ما يكون اصما-مجوفا من القاعدة وبالتالي يتكون من طوابق متعددة مرتجلة بواسطة كتل خشبية، وكان يتم الوصول اليها من خلال سلالم يدوية، أو من خلال فتحات عند ميدان السلاح، أو من الشرفة ذات الفتحات على الدروب، [2] كما كانت الأبراج تضم عدة طوابق مشيدة ومتصلة ببعضها من خلال كوات أو فجوات صغيرة توجد في مفاتيح القباب، ومن الأمور الغريبة أن الأسوار الموحدية في كل من الرباط وفاس وتيط بها، أبراج مجوفة وقباب في الطابق السفلي، إلا أنها ليس لها أبواب على الأرض، وسنحاول تتبع تطور الأبراج سواء من حيث

---

(1) Marçais (G), l'architecteure, opcit.pp 290-291

(2) باسيليو بايون، المرجع السابق، ج1، ص 464.

الشكل، أو الارتفاع، أو المسافة الفاصلة بينها، أو من حيث الغرف كما سنبين دور الأبراج البرانية والتي تعتبر من ابتكارات الموحدين.

أ- شكل الأبراج الموحدية

تعتبر الأبراج المربعة والمستطيلة الأكثر شيوعا في العمارة الحربية الموحدية، لكن نجد إتخاذ الأبراج ذات شكل محرودا مع الموحدون في كل من سور تازة وفي قصبة إشبيلية في الأندلس، [1] حيث أنشأت من التابية على قاعدة غير صغيرة من الحجر غير منحوت.

كما شيد الموحدون الأبراج المتعددة الأضلاع، فنجد الأبراج ذات خمسة أضلاع والتي تم تشييدها في مدينة الرباط الفتح، حيث نرى ثلاثة أبراج تقع في الزوايا، كذلك نجد أبراج أخرى في بوابة الرباط-باب الأحد، حيث نراها وقد جاورها برجان توءمان كل واحد يتكون من ستة أضلاع، كما تعود نفس الأبراج للظهور من جديد في فاس، وهناك برج آخر مكون من خمسة أضلاع في أسوار رباط تيط.

أما الأبراج ذات الأضلاع الثمانية فهي عديدة في العمارة الحربية الموحدية، خاصة في الأندلس ومن الأمثلة الى نسوقها في هذا المضمار: البرجان الموجودان في السور الموحدي الموجود في مدينة قصرش، كذلك في قصبة بطليوس والبرج الأبيض الموجود في إشبيلية.

هذا وقد اعتمد الموحدون الأبراج الأسطوانية ذات الشكل المخروطي مقطوع الرأس قليلا كما هو موجود في مدينة تازة ورباط تيط وسور رباط الفتح، أما في مدينة القرمدين تلمسان — تاجرارت- فنجد في السورين خلف باب القرمدين بتلمسان برج أسطواني مبني من الطابية [2].

---

[1] منير أقصبي، المرجع السابق، ص 17.

[2] Marçais (G), Telemcen,opcit. P 53-54

ب- ارتفاعات الأبراج الموحدية:

من الصعب وضع خط معين لتحديد ارتفاعات الأبراج الموحدية، نظرا لأن الكـــثير منـــها وصلنا غير مكتمل أو مبتور اعلاه، لكنه من المعتاد أن يكون ارتفاع البرج عند النقطة الدرب من 02م الى 03م، ومع هذا نجد أبراجا على نفس ارتفاع السور، و لم تكن تتجاوز بصفة عامة 11م ومن المعتاد في الأسوار المشيدة من الطابية والمصحوبة بالتجاويف أن يكون الحائط مكون من 10 الى 11 تابية أي ان ارتفاع الواحدة منها من 0.80م الى 0.85م ، بالإضافة الى ثلاثة او أربـــع توابي أخرى للغرفة العليا للأبراج [1] وسنعرض جردا غير نهائي لإرتفاع الأبراج الموحدية:

السور المجاور للباب الرواح برباط الفتح، حيث نجد ارتفاع الأبراج يصل الى 12.64 ومن الداخل يصل إلى 10.60م، أما أبراج باب قصبة الودايا فيصل الى 13.37م من الداخل، وإلى 12.51م، اما في الأندلس فنجد أن البرج الأبيض (الفضة) يصل الى 14.45م.

ويلاحظ أنه خلال هذه الفترة، أن الموحدون قد حافظوا على نفس الارتفاعات الموروثة عن الفترة السابقة، المرابطين لكن ومع ظهور الأبراج البرانية الموحدية نجد أن الارتفاعات قد تجاوزت ارتفاع الأبراج العادية الكائنة في الأسوار، وهي ارتفاعات تتساوى مع ارتفاعات القلاع الحـــرة، ففي الأندلس نجد أن الأبراج البرانية في مدينة قصرش تتراوح ما بـــين 16م و20.94م وهـــذا الارتفاع هو الخاص ببرج بوخاكو Bujaco ،كما يبلغ ارتفاع البرج البراني الموجود في قصـــبة بطليوس المسمى Espantaperras بحوالي: 21.65م، كإجمالي أي ان الطابق الأول يصـــل ارتفاعه 20.70م[2]. نستطيع القول أن الارتفاعات الكبيرة في الأبراج قد بدأت مع الموحدون.

---

[1] باسيليو بايون، المرج السابق، ج1، ص 479.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص 481.

ت- المسافات الفاصلة بين الأبراج

لقد اتسمت المسافات الفاصلة بين الأبراج في الحصون، والمدن والقصبات خلال العهد الموحدي بالتنوع الشديد، وقد ارتبطت بالتغيرات التي اخذت تطرأ على فنون الدفاعات، وإذا ما إستثنينا المسافات الفاصلة بين الأبراج التوائم على البوابات فإننا نعرض الجرد التالي:

- ابراج مدينة رباط الفتح: نجد أن المسافة الفاصلة بينهما تتراوح ما بين 40.7م و48.70م.
- أبراج مدينة مراكش: تتراوح المسافة بين البرج والأخر حوالي 21.63م.
- أبراج مدينة فاس: تتراوح المسافة بين الأبراج ابتداءا من 20م فهي شديدة التنوع.
- أبراج جبل الفتح: المسافة تتراوح ما بين 30م و35م. [1]
- حصن الفرج: المسافة بين الأبراج تتراوح ما بين 40.30م و41.20م

طبقا لما قدمناه يمكن القول بأن فترة الموحدون قد شهدت توجها يضع المعدل العام يزيد كثيرا على 20م، لكنه عادة مالا يتجاوز 35م مع وجود استثناءات مثل حالة الرباط (48.70 م).

ث-الأبراج ذات الميل [2].

مثلما يحدث في قطاعات السور فإن الأبراج أحيانا ما تكون مائلة من أعلى الى أسفل، ولكن بدرجة أشد، ويعتبر الموحدون هم الذين أشاعوا إستخدام الانحدار سواء في المغرب أو الأندلس، وطبقا لصاحب القرطاس فإن في اشبيلية نجد أسوار القصبة الموحدية كان بها هذا

---

[1] باسيليو بايون، المرجع السابق، ج1، ص 481.

[2] يقول باسيليو بايون ان هذا الميل في الأسوار نراه في الشمال الافريقي اعتبارا من القرن 9م، وهو ما يبرهن عليه كل من رباط سوسة والمنستير والأبراج الصغيرة في صفاقس، وأصبح هذا الملمح جزءا من سمات العمارة البربرية في المغرب في منطقة مراكش وزاكورة وسجلماسة، ينظر ج1 ص 494.

الانحدار[1] ، كما نستدل من أسوار الرباط ومراكش الكثير من الأبراج ذات الانحدارات سفلية، مثل تلك التي كانت في برج الذهب في اشبيلية، بالإضافة الى الانحدار نجد أن هناك الكثير من الأبراج الموحدية تضم وزرات مع تنوع في القاعدة أو انحدار شديد في الارتفاع التقريبي للطابية 0.85م، وعادة ما يبدأ الانحدار أو التدرج في الأبراج والأسوار من القاعدة، بحيث يمكن القول بأن السور الذي يكون سمكه عند القاعدة 3م أو أكثر يمكن ان يصل عند نقطة القمة الى ما يتراوح بين 1.50م و 02م.

ومن السمات المتكررة في أسوار الرباط، وفاس، ومراكش، وجود الأبراج ذات الانحدار عند الوزرة السفلى، وأحيانا ما نجد منحدرين متراكبين ومنفصلين عن بعضهما بواسطة ارفق صغيرة ،كما نجد مثال يتكرر في سور إشبيلية الذي شيده الموحدون وبالتحديد القطاع الذي يقع بين بوابة مكارينا وبوابة قرطبة.

ج-غرف الأبراج:

كان وجود الغرف في الأبراج يرتبط بمساحتها، وعلى ذلك فإن الأبراج التي تتراوح مساحتها بين 3م ويتراوح سمك جدرانها بين 0.70م و1م، من الصعب ان يكون بها غرف [2]، ومع ذلك فإننا نجدها هنا مجوفة فقط ابتداء من مستوى الدرب، وتلك السابقة كان على نفس الارتفاع الذي عليه السور، ولهذا كانت أبراجا صماء أو دعامات متوجة أحيانا فاصلة بين المراقب على شكل هرمي وهو ما نجده بالمبنى القديم للقصبة المرابطية بمراكش القريبة من مسجد الكتيبية.[3]

---

[1] ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص 273-274.

[2] مانويل جوميث، المرجع السابق، ص 221.

[3] باسيليو بايون، المرجع السابق، ج1، ص 499.

وقد ظل العمل بالأبراج المجوفة من القاعدة حتى القمة خلال العهد الموحـــدي، [1] ومـــن الأمثلة الواضحة على ذلك بعض أبراج السور الموحدي في الرباط، حيث توجد غرفة في الطـــابق الأرضي مجوفة بالكامل لكنها غير مأهولة وبدون مدخل، وفوقها الفجوة الخاصة بالشـــرفة، ذات أرضية من الخشب، وفي رباط تيط لازالت هناك حتى الآن أبراج واحد منها أســـطواني الشـــكل ومكون من طابقين حيث يقع الطابق الأول تحت مستوى الدرب، وله أرضيات من الاســـطوانات مسطحة من أعلى مثلما هو الحال في الرباط.

كما نجد أن الأبراج المشيدة من التابية كانت مجوفة ابتداءا من مستوى الـــدرب، وكانـــت أرضيتها من الخشب عند الشرفة، وبذلك ترتفع عن مستوى الدرب ب 4م أو 6م، وهو ما نجده في سور اشبيلية الموحدي حيث يوجد برجان يبلغ ارتفاعها العام ما بين 8 و9 تابية[2].

وقد زاد الموحدون العدد بشكل استثنائي حتى غرفتين او ثلاثة متراكبـــة في التحصـــينات المهمة، مثل برج الفضة وبرج الذهب، إلا أننا نجد تناقضا بين التابية الخارجية للأبراج وبين القباب المشيدة من الآجر [3].

أما بالنسبة للأبراج البرانية فليس من الدائم أن يكون بها غرفة علوية [4]، وتعتـــبر كـــذلك أبراج الطلائع التي كانت منتشرة في الأندلس والتي هي في الأغلب الحالات مجوفة وبهـــا أســـقف مرتجلة مصنوعة من الخشب كنوع من التقليد للأبراج التي تكلمنا عليها.

---

[1] باسيليو بايون، المرجع السابق ،ج1، ص 499.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص501.

[3] VALOR MAGDAIENA (P), OpCIT,P111.

ينظر كذلك:

- Marçais (G) L'architecteur…opcit pp230-231

[4] باسيليو بايون، المرجع السابق، ج1، ص502.

أما بالنسبة لوضع مكان الأبراج الأندلسية والتي ترجع الى العهد الموحـــدي، فإننـــا نـــرى نموذجين تقنيين[1]: أولهما البرج الملاصق للحائط الخارجي للسور، وبالتالي فإن الدخول الى الغرفة العلوية كان يتم من ممر الدرب المواجه او المتعامد وهذه حالة شائعة في الأسوار الاشبيلية الموحدية، [2] أما ثانيهما ذلك البرج الذي يتداخل بالكامل مع سمك السور وفي هذه الحالة فـــإن الـــدرب الخاصة بالسور كان يمر تحت قبو صغير نصف أسطواني، ويمكن أن نشهد أمثلة لهذه الحالة الأخيرة في أسوار قصبة الودايا برباط الفتح، وفي مراكش، والتي تهدم معظمها وكذلك في البرج الأبـــيض (الفضة) في السور الموحدي لاشبيلية.

ح-الأبراج البرانية [3]:

هي عبارة عن أبراج بارزة عن السور بشكل غير معتاد، كما انها ترتبط به من خلال سور جسر أودهليز مقبي ذي طول غير منتظم، ولفظة Albarrana الاسبانية المشتقة من الرسم العربي لكلمة ألبراني او البرانية بمعنى الخارجي وأحيانا ما نقرأ في النصوص المسيحية التي ترجع الى القرون الوسطى وبعض النصوص الحديثة لفظـــة Allbarrania بمعـــنى الحصـــن الخـــارجي لحصـــن ساجونتو.[4]

[1] باسيليو بايون، المرجع السابق، ج1، ص 502

[2] تمثلا النموذجان في أسوار اشبيلية (القصبة)، ينظر باسيليو بايون، المرجع نفسه، ج1، ص 502.

[3] كان تيراس بالباس من أنصار الرأي القائل بأننا لا نجد سوابق لإستخدام هذا البرج سواء في الانشاءات الحربيـــة الرومانيـــة ،أو البيزنطيـــة، أو الاسلامية خارج اسبانيا، ولهذا من الصعب القول بأن الأبراج الخارجية كانت قائمة قبل القرن 12م.

لمزيد من الاطلاع ينظر:

TORRES BALBAS, Leopoldo, Arte hispano musluman, en historia de Espane, dirigida par Ramon Menendz pidal tamo V, Madrid, 1957, pp 222-223.

[4] باسيليو بايون، المرجع السابق، ج1، ص504.

لقد أبدع الموحدون وأكثروا من الأبراج البرانية، وعلى نفس المنوال في الأسوار الحضرية أو في الحصون الريفية، إلا ان هذه الأبراج تختلف عن بعضها من حيث الحجم، أو درجة البعد عن السور، وقد كانت الغاية الرئيسية من إقامتها هو حماية التحصينات البربكانات وحماية ممر الحراسة الذي يفصل بينها – تلك البربكانة- وبين السور الرئيسي، وبذلك يمكن التأكيد على أنه إذا ما كانت هناك استحكامات فلا بد من وجود برج براني أو أكثر، ذلك أن كلا العنصرين الدفاعيين غير منفصلين. [1]

لقد كانت الأبراج البرانية تحصينات حقيقية تتسم بضخامة حجمها وقوة مقاومتها بالمقارنة بالأبراج العادية الكائنة في السور الرئيسي، ومنها كان يمكن مقاومة العدو بسهولة أو ضربه، ومن هنا كان حرص الموحدون على الجانب المعادي على هدم الجسور، أو الدهاليز المقببة التي كانت تربطها بالسور الرئيسي، وقد كانت تلك الجسور مبنية من التابية في أغلب الحالات مثلما هو الحال في البرج والسور [2].

لقد أكد تورس بالياس، وياسيليو بابون، على أن الأبراج الخارجية لم تكن قائمة قبل العهد الموحدي، وعليه يرجع الفضل الى هذه الدولة التي ولدت أجهزة دفاعية لحماية محيط الحصون، وبالتحديد حماية ممر الحراسة الكائن خارج الحصون وهي –البربخانات [3]– Barbacanas

لكن الأمر الغريب هو أننا لا نعثر على أبراج برانية في المغرب الاسلامي التي هي موطن الخلافة الموحدية.

[1] باسيليو بابون، المرجع السابق، ج1، ص 505.

[2] عثمان عثمان اسماعيل، المرجع السابق، ج3، ص 117.

[3] يقول باسيليو بابون ان هذه البربخانات ظلت كما هي وقلدها المسيحيون وبذلك ظلت فترة متقدمة من القرن 15م، حيث يوجد في المقر الاسقفي في الكالادي اينارس. ينظر: ج1، ص 505.

خ-موقع الأبراج البرانية:

لقد كان المكان المفضل هو الأرض المستوية حيث كان من السهل على العدو الوصول الى الأسوار والأبواب، ومن الناحية العملية لا نراها في الأسوار الخاصة بالحصون والقلاع الواقعة على مرتفعات، أو مناطق من الصعب الوصول اليها ، [1] ولا شك ان هذه الأبراج كانت تقام في مواقع استراتيجية من السهل الوصول اليها مثل زوايا السور، وكذلك بالقرب من البوابات، أو أبواب الصغيرة وعندما ندقق النظر جيدا فإن بعض البوابات ذات المخطط المنحني التي ترجع الى عهد الموحدون، كانت واقع الأمر نوعا من الأبراج البرانية لحماية الأبواب التي قد يكون وراءها فضاء مكشوف [2].

واستمرارا في الحديث عن واقع الأبراج البرانية نقول إن هناك أربعة من الأبراج البرانية البرانية الستة التي كانت لقصبة بطليوس تقع في أرض مستوية، ويحدث نفس الشيء في أبراج قصرش حيث يوجد 12 برجا أربعة منها في أرض غير مستوية شرق السور.

كما ان هناك مدينة أخرى تقع في السهول وهي إستجة والتي بها ثلاثة أبراج برانية، وقد طالها الدمار في وقتنا الحالي، كما أن مدينة شريش كانت تضم على الأغلب عددا مهما من الأبراج البرانية خلال العهد الموحدي، ولكن لم يتبق لنا إلا برج ذو ثمانية أضلاع في زاوية القصبة.

---

[1] Torres Balbas, l'art, op.cit, pp 331-332.

[2] هناك طريقة أخرى لحماية البوابات، وهي عبارة عن تقريب المسافة بين برجين برانيين على جانبي البوابة الخارجية، وبالتالي يكون هناك ممر أو دهليز بينهما إذا ما تم سد المسافة التي تفصلهما. عن السور الرئيسي، غير أن هناك التخطيط في البناء كان يقتضي وجود عقود أو بوابات على اضلاع الدهليز حيث كان يتولد مدخلان متوازيان منحنيان. ومن أمثلة ذلك بوابة ألبيرة في غرناطة خلال القرنين 12 و13م. ينظر: باسيليوبايون، المرجع السابق، ج1، ص 511.

د – نمطية الأبراج البرانية:

1- المخطط المستطيل مع وجود دهليز أو جسر:

وهذا ما نراه شائعا في مدينة اشبيلية الموحدية، لكن لم نتمكن من ملاحظته في باقي المدن.

2 –المخطط المربع:

وله دهيلز او جسر أقل طولا مشكلا بذلك مخططا على شكل حرف T وهذه من سمات الحصون الموحدية في أصوله الأولى [1] حيث نجد هذا النوع في كل من:

– حصن قصرش: حيث هناك برجان في الحصن ملتصقان مباشرة بسور الحصن العربي، غير أن واحد منها ملتصق ببرج عربي صغير طوله 14.54م وعرضه 5.16م، أما عرض الدهيلز فيصل الى 5.50م وارتفاعه يصل الى 16.10م، وعلى ذلك فهو أكبر من سور الحصن الذي يبلغ ارتفاعه 12.22م، وإذا ما نظرنا للمخطط لوجدنا بعض الانحراف على السور العادي، أما البرج الآخر الذي يلتصق مباشرة بأحد ابراج السور فطوله حوالي 18.30 م، وعرضه 6.05م، اما ارتفاعه فيصل الى حوالي 16.17م، بينما يبلغ ارتفاع السور العربي الملتصق به الى حوالي 15.11م، وقد وصل إلينا كلا البرجين دون جسور، ويلاحظ انهما مشيدان من الدبش الغليظ، مع كتل حجرية جيدة القطع في الأركان [2].

---

[1] باسيليو بايون ،المرجع السابق ، ج1، ص 515.

[2] المرجع نفسه ، ج1، ص 517.

-برج قصبة بطليوس: والذي يأخذ شكل حرف L مثله في ذلك مثل برج صغير في سور إستجة الذي شيده الموحدون [1].

-كذلك يوجد هناك ثلاثة أبراج برانية [2]، وعلى الرغم أنها ذات ثمانية أضلاع في القاعدة، إلا أنها مربعة والبروز نحو الخارج ب 6م، أما العرض فهو 7.40-6.50م، 7.90م، وقد شيد من التابية وهناك نتوء أو بروز في القاعدة وكلها ترجع الى العهد الموحدي.

-قلعة وادي أيرة: حيث يوجد البرج الذي يقع في زاوية الحصن يبلغ طوله حوالي 16.70م، والعرض يصل الى 10م، أما سور الجسر فهو 4.80م، والارتفاع 20م، وفي أسفل البرج من الخارج هناك وزرة لها نتوءان والغرفة بها نفق مقبي.

هذا بالإضافة إلى أبراج أخرى قد قمنا بوصفها في الفصل الخاص بالعمارة في الأندلس مثل: البرجان الموجودان في إستجة، وبرج شريش.

ذ-أبراج الحراسة [3] -الطلائع والمنارات-:

من الضروري ان نميز في التحصينات الموحدية سواء في المغرب الاسلامي، أو الأندلس بين الحصون الكبيرة وهي القصابات والقلاع وبين المتوسطة الأهمية – الحصون- وبين أبراج المراقبة، أو الأبراج الطلائع ، وهي أبراج مساندة ضرورية في كل مكان وزمان، وعادة ما تكون أبراجا

---

[1] يعتبر هذا البرج استثناء من حيث المخطط، وقد كان هذا البرج يقوم بدور الدعامة أو السلم المؤدي إلى باب صغير مرتفع كثيرا على السور. غير أنه اليوم مطموس. ينظر: باسيليو بايون، المرجع السابق، ج1، ص 518.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص 520.

[3] تتسم أبراج الحراسة (الطلائع) بالكثرة لدرجة ان الاشارات الضوئية في أعلاه تستمر طول الليل، أو جزءا فيه، وهذا في مساحات تستغرق القوافل الشهرية في عبورها وكان يوجد في كل برج طلائع رجال يتلقون رواتبهم، ويقومون بالحراسة ويراقبون البحر، أو مناطق التجارية وغيرها ولقد ورث العرب من البزنطين هذه الأبراج التي تشعل النار في أعلاها ليلا، ويطلق منها دخان نهارا، ولقد بدأ مسلمو منطقة حوض البحر المتوسط في إنشاء نظام معقد من الحصون التي تقع في مناطق يمكن أن ينفذ منها الأعداء. ينظر: حسين أحمد الخرخوري الأبراج تراث وتاريخ، مطبعة النخيل، الإمارات العربية المتحدة 1998، ص 12-13.

معزولة ومشيدة في مواقع مرتفعة بجوار الطرق ووديان الأنهار التي ترتسم معالم الطريق الذي يسير فيه الجيش وبالإضافة الى ما سبق وجود العديد من المنارات القائمة على السواحل، بدءا من أسفي ووصولا بالمهدية في المغرب الأدنى، وقد قام الموحدون إما بتقليدهما أو بإعادة إستخدامها، وذلك نظرا الدور الذي تلعبه، فبالإضافة الى الانذار بقرب العدو، او تواجده، فإنها كثيرا ما كانت نقاطا دائمة لتجمع الجيوش التي تنتقل من مكان لآخر، كما هو موجود في مدينة أسفي وسبتة وربـاط تيط وجيل الفتح.

وقد شيدت تلك الأبراج أو المنارات بإستخدام مواد عديدة [1]، وطرائق بناء مختلفة مثل الكتل الحجرية الجيدة القطع او القطع الحجرية ذات الشكل الغليظ، والدبش في صورة أشرطة شديدة الإنتظام وكتل حجرية موضوعة بطريقة عمودية والمثيرة للفضول هو ان تلك الفترة الموحدية هي التي يبدو أنها شهدت عودة ميلاد ذكريات حية للعصور الوسطى، أو البيزنطية والتي نرى أثارها في القباب والمخططات المتراكزة للأبراج والأسوار الأمامية.

وهنا يمكن أن ندرج برج الذهب في اشبيلية وبرج Espantaperras[2]، وهذه الأبراج ترتبط من منظور العمارة المدينة بالمنارات في المغرب الاسلامي، التي توصف بأنها تضم من الداخل عمودا ذكرا محوريا مفرغا، مع وجود غرف فوق بعضها، وكذلك طابق أخر أصغر فوق شرفة الطابق الاول، وهذا الطابق العلوي يضم مكانا للحارس في برج بطليوس، ويضم غرفة محددة في الجزء العلوي في برج الذهب وإذا ما قارناهما بالمنارات ذات الطابقين الكائنة في المساجد، فإنه

---

[1] بالإضافة الى. هذه المواد نجد هناك أبراج من التابية أو التابية المصحوبة بالخرسانة، وهي أبراج صلدة ، كما هو الحال في برج قصرش. ينظر: باسيليو بابون، المرجع السابق، ج1، ص 568-569.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص 576-577.

ينظر كذلك: المقال الخاص بتراس

- TORRES BALBAS (L), RABITAS hispano muslmans, dans al andalus, vol. xlll. fase,2, Madrid Granada, 1948.pp 445-451.

يمكن القول بأنها إستلهمت هذه الأخيرة، وإذا ما نظرنا للبرج الإشبيلي من حيث المخطط ومن الداخل، نجد أنها تضم عناصر زخرفية تعتبر من سمات الفسيفساء الموروثة من العصر البيزنطي، والتي ذاع صيتها وانتشرت في الزخرفة الاسلامية في المقرصنات، أي هناك نواة رئيسية مكونة من ستة أضلاع وحائط خارجي مكون من اثنا عشر ضلعا، مع تناسب بين المربع والمثلث [1].

ولاشك ان هذه الأبراج قامت بدور المنارة مثل: برج بطليوس الذي كان بمثابة برج حراسة وكان يتصل بأبراج طلائع موحدية في المنطقة الريفية التي تتسم بالتواضع، ومن هنا ندرك أن سر إستمرار -الذكر-الرئيسي فوق شرفة الطابق الأول وذلك للوصول الى مزيد من الارتفاع، وبهذا يمكن تقليل تكاليف البناء، ومن الملاحظ ان المخططات في كلتا الحالتين عبارة عن فراغ متعدد الأضلاع، وهو مكان مستخدما في الأبراج والغرفات الرومانية، والبيزنطية بأنماط مختلفة [2]، ويمكن أن نضم الى هذه المجموعة الجزء الداخلي للبرج الموحدي الكائن في شارع PORVERA في مدينة شريش، وكذلك الطابق السفلي ببرج الذهب [3]. في اشبيلية.

وإذا ما جئنا الى بلاد المغرب الاسلامي فإن أقدم نماذج أبراج الطليعة الموحدية نجد برج تيضاف الذي أمر ببنائه ابن تومرت في بداية دعوته، حيث جاء البناء على مكان مرتفع يسيطر على مدينة تينمل وكان به حارس يحمل طبل وهو مكلف بالإبلاغ عن احتمالات الهجوم من الجانب الذي هو فيه، والحقيقة تقال بأن أغلب أبراج الطليعة كانت قليلة جدا مقارنة له بالمشهد الأندلسي الذي كان يعج بعدد لا يحصى من نقاط المراقبة، ولعل ذلك راجع بالدرجة الأولى إلى تهدم واندثارها لأسباب متعددة.

---

(1) TORRES BALBAS (L), RABITAS..op cit pp 447-448.

(2) باسيليو بايون، المرجع السابق، ج1، ص 577.

(3) TORRES BALBAS (L), RABITAS..op cit pp 447-448.



1- المداخل (الأبواب):

لقد كانت البوابات تمثل نقاطا مهمة للغاية في أسوار المدن الموحدية، حيث كانت تتلاقى عندها الطرق الحضرية، والطرق بين المدن والأخرى، غير أن البوابات كانت في المقام الأول مناطق محصنة تحصينا قويا، لدرجة أنه أحيانا يكون من السهل الاستلاء على المدينة من الأسوار، وليس عبر البوابات المزودة بوسائل دفاعية من كل نوع: الأبراج والفتحات العلويـــة، والبـــاب المتحـــرك، والشرفات الناتئة والسور الأمامي، وعندما كان للمدخل ذا مخطط مباشر أي دون زوايا انحنـــاء، كان هناك برجان وعلى الرغم من اتجاه الموحدون نحو بناء الأسوار بالتابية، فإن أبوابهم حطيـــت دائما باستعمال الحجارة المنجورة منتظمة الشكل [1]، وسنحاول التطـــرق لأنـــواع المـــداخل في الأبواب والموحدية وماهي الابتكارات التي جاء بها الموحدون في تخطيط والعمارة والتغطية لتلـــك الأبواب؟

3- المداخل:

أ- البوابات ذات المدخل المباشر: .(أنظر الشكل رقم : 4)

تم تصميم بوابات بعض المدن الموحدية، على أساس المخطط المباشر للمدخل والمصـــحوب ببرجين توأمين وقريبين، أي أنه مخطط مكون من ثلاثة أجزاء، وقد جاء هذا المخطط صورة طبـــق الأصل مع بعض التعديل لما هو موروث عن بيزنطة [2]. وقد كانت البوابات ذات المدخل المباشـــر

---

(1) عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج3، ص 123.

(2) كانت الأبواب في العمارة البيزنطية عبارة عن فتحة في الجدار ذات عقد أمامي تجاه ظاهرة المدينة، وعقد آخر خلفي في اتجاه مباشر نحو الداخل، ذات المخطط البارز بعض الشيء ومن أمثلة تلك أبواب ما هو موجود بمدينة تاموقادي بولاية باتنة، والتي تنبثق منها مباشرة البوابة الرئيسية لـــربط سوسة خلال القرن 10م. وعندما جاء المرابطون استعملوا هندسة جديدة في تخطيط الأبواب، حيث شيدوا عمارة ابوابهم فوق تخطيط ذي انعطافات مرفقية لتحقيق الهدف الدفاعي، الذي لم يكن كافيا في تصميم الأبواب البيزنطية. لمزيد من الإطلاع ينظر كتاب ريكار:

Ricard (p), pour comprendre l'art Musulman dans l'Afrique du Nord et en Espagne. Paris 1924, pp 227-228.

أحيانا ما تدخل في تبادل مع تلك البوابات ذات المخطط المنحني، أو الزاوية القائمة، وهذا ما نجده في بوابة رباط الفتح-وبالضبط في باب الأحد، وباب الفخارين بتينمل وباب جبل الفتح، وعموما فهذه الحالات جميعها ما هي إلا مداخل طبوغرافية إجبارية، ذلك أن المدينة أو الحصن مشـــيد في منطقة وعرة أو شديدة الانحدار. كما أن فتحة تلك الأبواب كانت تقع بين برجين نـــاتئين عـــن مستوى السور وتتميز تلك الأبراج المحيطة بالأبواب. بتخطيط مربع فيما عدا باب الأحد المشطوف الأركان.

ب- البوابات ذات المدخل المنحني [1]:.(أنظر الشكل رقم : 5)

تعتبر البوابات ذات المخطط المنحني ذات فعالية حربية أكبر مـــن البوابـــات ذات المـــدخل المباشر، والسبب هو أنه من هم تحت الحصار يسيطرون على المدخل، عند درب السور، وكـــذلك عند شرفة البرج الذي يوجد فيه المدخل، كما أن تعدد الانحناءات في الداخل أو وجود غرفة ذات سقف مسطح أو مقبي كان من شأنه المزيد من المعوقات أمام تواجد العدو في حالة تمكنه من تجاوز العقد الخارجي للمدخل، وهو عقد كان في الكثير من الحالات يضم مسبقا فتحة علوية يمكن مـــن خلالها مقاومة العدو بإلقاء الأدوات الحادة [2]، ومن المنطقي أنه كلما زاد تعرج هذه المداخل، التي وصلت التعرجات في بعضها إلى أربعة أو خمسة منحنيات متوالية، كلما زادت فعلياتها الحربية، وفي هذا المقام نجد أنه في عصر الموحدين شهدت بوابات المدن، بها تقدما ملحوظا وغير مسبوق، وكان

---

[1] لقد تحدث نيراس بالباس عن جذور البوابات ذات المخطط المنحني، والذي يرى أن الباب ذا المدخل المنحني والقائم في الأسوار يرجع إلى العصر البيزنطي، وقد استند في هذا على أبواب الحصون الكائنة في شمال إفريقيا خلال القرن 4م. لكن هذا النوع من التخطيط شهد مضـــاعفة كـــبيرة في زيادة حجم العراقيل وتكرار مراحل المعوقات في طريق المهاجمين خلال العهد الموحدي. لمزيد من الإطلاع ينظر:

- Torres Balbas, l'art…OpCit. Pp 340-341.

[2] CRESSIE (p), «la fortification islamique au Maroc, Eléments de Bibliographie» Archeologie islamique N°05; 1995, pp 177-178.

ننظر كذلك:

Marçais (G), l'Architective… OpCit. Pp 301-302.

عدد المنحنيات يرتبط بدرجة بروز البرج أو التحصين نحو الخارج، وكذلك بطبوغرافية المكان، كما هو في بوابة قصبة الواديا وبعض الأبواب المرابطية في أسوار مراكش.

1- عدد الانحناءات:

كانت البوابات ذات الانحناء الواحد هي الأكثر شيوعا في المغرب الإسلامي والأنـدلس، وهذا سيرا على نموذج فرضته البوابات الغرناطية، وسرعان ما قام الموحدون بزيادة عدد الانحناءات في البوابات، التي قاموا بإنشائها وهناك بوابات ذات منحنيين يطلق عليها البوابات السنجة مثل تلك الموجودة بمراكش والتي كانت مرابطية بادئ الأمر، ثم قام الموحدون بإعادة بناءها من جديد. مثل باب أكناو، وباب دباغين وباب الشريعة... وفي مدينة رباط الفتح نجد باب العلو، وباب زعـير، كما نجد في بلاد الاندلس خاصة في قصبة بطليوس والتي يطلق عليها بوابة "لوس كاروس" وبوابـة أخرى في قصبة شريش، وهي مجاورة للحمامات الموحدية في الداخل [1]

لقد أدرك المهندس والبناء الموحدي، أنه كلما زاد عدد المنحنيات كلمـا زادت ضـخامة البوابة، وهذا من خلال توالي الفراغات والقباب، وهنا تبدوا البوابات كأنها بوائك أكثر من كونها بوابات، أضف إلى ما سبق أن بعض الفراغات كانت ذات سقف مسطح، وهذا ما نراه في بـوابتي الأحد والرواح في مدينة رباط الفتح، حيث إن لكل واحدة منها أربعة منحنيات، وإذا مـا كـان هناك للمقارنة فإن إحدى بوابات دمشق بها خمسة منحنيات، وقد تكررت في بوابة الملك الظاهر في قلعة حلب [2].

كما لاحظنا أن تكرار المنحنيات كان يخضع في كثير من الحالات لأسباب طبوغرافية كما كان يرتبط في الوقت ذاته بوجود الأسوار الأمامية، وهذا ما نراه في مدينة قصرش وإستجة، حيث

---

[1] باسيليوبايون، المرجع السابق، ج2، ص 31.

[2] المرجع نفسه، ج2، ص 32.

نجد بواباتها قد أضيف إلى عقودها الكائنة في السور الرئيسي نوع من التحصين الأمامي، أو مساحة ذات سقف مسطح.

وهناك في الأندلس نجد أن الموحدون اتخذوا من البوابات ذات المخطط المنحني بأن جعلوا جزءا من تكوين الأبراج البارزة إما إلى الخارج أو الداخل، وبالتالي نرى هذا النمط الجديد، حيث أن المدخل المنحني تم فرضه من الخارج بواسطة حائط يصنع في المخطط ذو زاوية قائمة، تنتهي بالبرج الذي يكون على شاكلة برج براني في الزاوية، ومن أمثلة ذلك نراه في بوابة قصبة بطليوس، وبوابة اشبيلية في شريش [1].

2- السلالم:

لقد كان وجود السلالم في البوابات الموحدية بشكل حاسم، ذلك ان العمارة الحربية في المغرب الإسلامي والتي تتبع بشكل عملي العمارة في الاندلس ابتداءً من القرن 10م بها بوابات ذات سلالم داخلية [2]. حيث نجد سلالم طويلة تؤدي إلى الشرفات وهذا في كل من مدينة رباط الفتح، والمشتملة في أبوابها: باب الرواح وباب قصبة الوادي، وأبواب رباط تيط حيث الباب القبلي للرباط.

كما أننا وجدنا في مدينة مراكش وجود سلالم معاصرة لعملية البناء التي تمت خلال العهد المرابطي. واضيفت سلالم أخرى في العهد الموحدي، ومن المعروف أن المدن الكبرى في المغرب

---

[1] يرى باسيليوبايون أن هناك في الأندلس والمغرب أمثلة لبوابات أسوار نشأة في بداية الأمر كمدخل مباشر، ثم أضيفت إليها فيما بعد مخطط خارجي منحني، وقد ظهر هذا الصنف في أبواب مدينة مراكش المرابطية، ثم خضعت بعد ذلك إلى التعديلات من طرف الموحدون. ينظر: ج2، ص 33.

[2] من بين تلك السلالم الداخلية والتي ترجع إلى العهد المرابطي نجد باب زاكورة، وباب الرب بمراكش، وباب قصبة تاسغيموت. ينظر: Deverdun (G), Marrakesh… T2 Opcit p221.

الأقصى خاصة مدينة فاس، كان بها بوابات تتعرض في بعض الأحيان لتعديلات جوهرية غـير أن الغريب أن هذه المدينة لم تقدم لنا أي أثر للسلالم.

أما في الأندلس فالأمر المعتاد في أبوابها هو خلوها من سلالم داخلية تؤدي إلى الطابق الثاني أو إلى الشرفة، وفيما يتعلق بالبوابات ذات المدخل المباشر هناك استثناءات وهي حالات نادرة.

ومن أمثلة ذلك باب قصبة شريش التي اندثرت في زمن قريب [1] وسنقوم بجرد لبوابات ذات المخطط المنحني والتي تعود إلى العهد الموحدي والتي مازالت قائمة حتى الآن:

فاس: قد كانت معظم البوابات الموجودة في فاس البالي موحدية والتي جرت عليها ترميمات كثيرة في فترات لاحقة. وهذه الأبواب تتمثل في:

- باب الفتوح: ذو انحناء بسيط، وقد أعيد بناؤه من طرف المرنيين كما سبق ذكره، باب المحروق ذو انحناء بسيط كذلك وقد أعيد ترميمه، كذلك باب جيزة ذو انحناء بسيط.
- أما البوابات ذات الانحناءات المتعددة فنجدها في بوابات رباط الفتح. ومنها: باب الرواح وهو باب ذو أربعة انحناءات بالإضافة إلى فناء مكشوف [2]، وباب العلو حيث نجد به أربعة انحناءات وباب قصبة الودايا نجد انحناء بسيط.
- أما في الأندلس فنجد توفر قصبة بطليوس على باب ذو انحناء بسيط، أما في شريش فيوجد بقصبتها بوابتان احداهما ذات انحناء بسيط إلى جوار مسجد، أما الأخرى فهي ذات ثلاثة انحناءات بالقرب من حمامات الحصن، كما كان لبوابة اشبيلية التي كانت في سور المدينة إنحناء

---

[1] باسيليوبايون، المرجع السابق، ج2، ص 36.

[2] يعتبر نظام المنعرجات بمجالات مفتوحة على السماء من التصميمات المعرفة في العمارة الحربية الموحدية والتي تسمح بصد العدو الذي يريد أن يقتحم الأبواب بأعداد كبيرة من الجند. لمزيد من الإطلاع ينظر: منير أقصبي، المرجع السابق، ص 198.

بسيط، وفي مدينة جبل الفتح لا زالت هناك أطلال لبوابة القصبة والتي ربما كانت ذات أكثر من انحناء [1].

3- عقود الأبواب: .(أنظر الشكل رقم : 6)

لقد ظهر في العهد الموحدي العقد الحدوي ذو السنجات المرسومة في أغلبها بشكل جزئـــي خارج الطنف الغائر [2]، والذي نلمحه في بوابة الأحد في مدينة رباط الفتح، كما اخترع الموحدون نمطا أخر وهو ذلك البروز الذي يوجد في منبت انحناء العقد وفوق الحدائر، [3] ومن أمثلة ذلك في بوابة قصبة بطليوس كما اهتدى الموحدون إلى إضافة حلية معمارية نصف اسطوانية صغيرة أو لفافة بارزة عن انحناءات الحلية المعمارية المقعرة، ومن أمثلة ذلك البوابات الموجودة في مدينة رباط الفتح. هذا وقد اعتمد الموحدين العقود الحدوية الحادة، والعقود نصف اسطوانية والعقود المدببة[4].

4- الفتحات العلوية:

هي عبارة عن فتحات دفاعية تم إضافتها للبوابة بصفة عامة، وقد أطلق عليها إسم الدفاعات الرأسية. والكائنة في الواجهات المقابلة أو في العقود أو القباب الداخلية للبوابات، وتوجد الفتحات في مقدمة التنظيمات الدفاعية، وهذه عبارة عن فتحات في سقف مسطح، وتوجد في الجزء الأمامي للبوابات، ومهمتها الدفاع عن المدخل بإلقاء بعض المواد الحادة من الشرفة، أو دروب السور. وقد كانت البوابة ذات الفتحة تتطلب وجود مقدمة للواجهة، حيث توجد تلك الفتحة خلفها وأمـــام بوابة المدخل، وأحيانا ما اعتبرت الواجهتان كواجهات ضخمة ينظر إليها على أنها تشـــريفية دون

---

(1) باسيليوبايون، المرجع السابق، ج2، ص 39.

(2) من المعروف أن العقد الحدوي الأندلسي موروث من العمارة القوطية، وقد عم استخدامه سواء في الانشاءات الدينية أو المدنيـــة، حيـــث بـــدأ استخدام العقد الحدوي في المسجد الجامع بقرطبة خلال القرنين 8 و9م ،حيث نجد أن تدويرة العقد بها درجة انحناء تبلغ 2/1 وبها سنجات نصف قطرية متلاقية عند مركز شبه الدائرة. ينظر: باسيليوبايون، المرجع السابق، ج2، ص 42.

(3) جوميث مورينو، المرجع السابق، ص 161-162.

(4) باسيليوبايون، المرجع السابق، ج2، ص 47-48.

وجود الفتحة العلوية المكشوفة في الأعلى، وبالتالي حدث خلط بينها وبين ما يطلق عليه إيوانـــات المشرق [1]. كما كانت هناك فتحات في شكل حزم في الداخل يوجد في مفتاح العقد والقبة، كما توجد في المداخل المعلقة في بعض أبراج الطلائع [2].

وقد اعتمد الموحدون تلك الفتحات مصحوبة بواجهة في المقدمة، ومن ذلك مـــا نـــراه في الباب الرئيسي لقصبة لودايا برباط الفتح، كما استعملوا الفتحات العلوية الداخلية، والتي هي عبارة عن خروم أو أماكن لقذف الأشياء، حيث طبق هذا النوع في كل من رباط تيط ببابه القبلي، وفي مدينة مراكش، ويزداد العدد في الأندلس خاصته إذا وضعنا في الاعتبار الفتحات العلوية الكائنة في سور الأبراج البرانية، فهناك واحدة في قصبة قصرش.

هذا وقد استخدم الموحدون لأول مرة، فتحات تخترق السور وعادة ما تكون في الأســـوار الأساسية، مصحوبة بدرجة ميل من الداخل إلى الخارج وذلك لكسب السوائل في حالـــة غليـــان. ونجد هذا النوع قد طبق في السور الموحدي لإشبيلية في الجزء الواقع بين بوابة مكارينـــا وبوابـــة قرطبة[3].

5- المنصات ذات المزاغل والشرفات الناتئة:

لقد كانت المنصة ذات المزغل عبارة عن أداة دفاعية مخصصة لمقاومة الأعداء رأسيا بإلقـــاء الأدوات وكانت تبرز على شكل شرفة في السور والبرج، أو فوق البوابات، كما كان المزغل المنصة من الخشب في بادئ الأمر وقد كانت منطقة ما فوق البوابة خير مكان لها [4].

(1) باسيليوبابيون، المرجع السابق، ج2، ص 56.

(2) نفسه، ص 56.

(3) نفسه، ص 59.

(4) Torres Balbas, l'art… Op.cit, p 346.



وقد اعتمدها الموحدون فوق أبوابهم أو أبراجهم، أو على مستوى درب السور، وهي كلها عناصر أو فتحات رأسية تؤدي إلى وجود الشرفة الناتئة، والشرفة الناتئة المعزولة هي عبارة عن بريج تعلوه شرفات وبه مزاغل، وفي هذا المقام نستطيع أن نعط أمثلة على ذلك. ففي بوابة اشبيلية نجـــد شرفة ناتئة بحيث نلاحظ أن جسم تلك الشرفة مبنى بالآجر.

6- الحاجز المتحرك [1]:

لقد انتشر الباب القابل للرفع في عهد الدولة الموحدية لكن بدرجة أقل حيث اعتمـــد علـــى الحاجز الذي خلف الباب، أو الجزء السابق على المدخل، وهذا عكس ما هو موجود في العمـــارة الحربية بالمشرق، حيث أنه إذا ما تم إنزال الحاجز الأمامي، أصبح العدد محجوزا بين هذا وبين الباب الداخلي المغلق، ومن المعتاد أن يكون الحاجز أملسا، أو أن يكون على شكل شبكة مرنة، وفي هذا الحالة الأخيرة نجد أن سهام المهاجمين يمكن أن تحدث أثرها بسهولة في المدافعين الذين يقفـــون وراء الباب المتحركة، ولذلك اعتمد الموحدون في المقدمة حاجزا مغلقا، وقد ترك لنا الموحـــدون هـــذا النوع من البوابات ذات الحواجز المتحركة. وخاصة في مدينة قصرش وإستجة، كما أخبرنا بذلك: جوميث مورينو[2].

7- الحليات المعمارية المقلوبة، والمسننات في البوابات: (أنظر الشكل رقم : 7)

لقد قام المرابطون ثم من بعدهم الموحدون على تنفيذ نوع من النمطية من العقود التي على نمط العقود المسننة في البوابات الموجودة في المغرب الأقصى والأوسط، حيث جعلوا العقد الحدوي الحاد والمزدوج موضة سائدة، بحيث نرى عقيدين متراكزين بهما درجة الانحنـــاء نفســـها، أي إن

---

[1] يرى تيراس بالباس، أنه في العهد العربي بطل استخدم الحاجز المتحرك، وهذا ما تؤكده بوابة اشبيلية بقرمونة، حيث أن حاجزها الروماني الضخم لم يعد يستخدم في الباب ذي الأربعة دخلات الذي اضيف في الجزء الأمامي على يد العرب خلال الفترة بين القرنين 10م و11م. ينظر: Torres Balbas, l'art… Op.cit, p 350.

[2] جوميث مورينو، المرجع السابق، ص 229-230.

الخارجي هو الأبرز، ولا نكاد نجده يختلف عن الآخر في المركز [1]، وفيما يلي سنقوم بعملية جرد للبوابات الموجودة في المغرب الأقصى والأوسط، ذات العقد المسنن أو العقدين: مدينة مراكش، نجد فيها بوابات ذات مسنن بسيط وهي: باب دكالة وباب خميس وباب الدباغين ،وكلهم يرجعون إلى العهد المرابطي، وقد احتفظ الموحدون بهذه النمطية، لكنهم جعلوا من باب أكناو مسنن مزدوج.

أما في رباط الفتح فنجد أن الموحدون اتخذوا من المسنن المزدوج في كل من باب الرواح في الواجهة الداخلية، وباب قصبة الودايا، أما مدينة فاس ونظرا لتعرض اغلب أبوابها لترميمات كثيرة كما سبق ذكره. لكن نجد بعض الأبواب الباقية والتي تعود إلى العهد الموحدي، تحتوي على المسنن البسيط. وهو ما نراه في كل من باب الجيزة، وباب المحروق، الذي أعيد بناؤه بنفس التقنية في العهد المريني كما سبق ذكره، وفي مدينة تاجرارت التلمسانية نجد باب القرماديين والذي على الأغلب كان يحوي مسنن مزدوج [2].

كما اعتمد الموحدون العقود الحدوية المدببة المزدوجة أو المتراكزة، ففي مدينة رباط الفتح نجد باب الأحد، وباب العلو احتوائهما على عقودا نصف اسطوانية أو مدببة، تضم عقودا أخرى ويبرز فيها تبادل بين السنجات الغائرة والبارزة مثلما هو الحال في باب أكناو بمراكش [3].

[1] جوميث مورينو، المرجع السابق، ص 230.

[2] Marçais (G), Tlemcen… Op cit. p59.

[3] عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج3، ص 125

8- أنماط الأقبية في الأبواب الموحدية[1]:.(أنظر الشكل رقم : 8)

لقد اعتمد الموحدون على مجموعة من النماذج في التغطيته خاصة غرف الأبواب، حيث اعتمدوا على القبة البيضاوية والتي لها مناطق انتقالية صغيرة توجد على منابت المثلثات الكروية ذات الثلاثة جوانب [2] وهناك بعض الحالات في البوابات الموجودة برباط الفتح كباب الزعير.

كما تمكن الموحدون من اتخاذ القبة فوق مناطق الانتقال، حيث نجد القبة المفصصة تتكئ على قاعدة مكونة من أربع مناطق انتقال، حيث تكون عقودها في تناغم مع العقود الأربعة الأخرى الخاصة بالواجهة، بحيث عندما تسير في خط مستقيم نجد أن مناطق الانتقال تبدو وكأنها ثمانية عقود صغيرة، وقد بلغ هذا النوع من القباب تطورا خاصا في عمارة الأجر خلال عهد الموحدين، وقد طبق هذا في باب الأحد وباب الرواح [3].

هذا ونجد نوع من القباب والمتمثل في قبة المرآة، وهي عبارة عن قبة مضلعة غير أن أضلاعها المتقاطعة مقطوعة من أعلى افقيا، كما أن المفتاح الأملس مستطيل أو مربع طبقا لمخطط الغرفة التي عليها القبة، وقد وجد هذا النوع في العهد المرابطي، الذي طبقوه في أبواب مراكش كباب اغمات وباب دكالة وقد نسخه الموحدون في أبوابهم بمدينة فاس البالي [4].

---

[1] تعتبر القبة من الأجزاء المهمة في تاريخ العمارة بصفة عامة وخاصة العمارة الحربية خلال العصور الوسطى، أو من الناحية الانشائية كانت تقوم بوظيفة ربط جدران الغرف أو الفراغات الخاصة بالبوابات والأبراج والسلالم والدهاليز، والحمامات ،والصهاريج، إضافة إلى وظيفتها البنيوية الأساسية. ينظر: باسيليوبايون، المرجع السابق، ج2، ص 271.

[2] عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج3، ص 128

[3] Torres Balbas, l'art… Op.cit, p 346.

[4] باسيليوبايون، المرجع السابق، ج2، ص 276.

4- القصبات:

ليس من اليسير تقديم عناصر تطور بناء القصبات في العهد الموحدي من ناحية تخطيطها واشكالها، بسبب انعدام المعطيات المعمارية عليها من النصوص التاريخية، وكذلك نظرا لاختفاء آثار اغلبها كليا أو جزئيا بالميدان، وكل ما نستطيع قوله أن القصبة كانت عبارة عن مدينة كبيرة بها اكتفاء ذاتي وعادة ما نجد فيها القصر أو قصور الخليفة أو ما ينوب عنه، كما أننا لا حظنا الازدواجية في التسمية بين القصبة والقصر في كل من الأندلس ومراكش في العهد الموحدي [1]. وقد وجدنا أن القصبة تضم قصر الخليفة ،كما حدث في قصبة الوادايا والتي تحوي قصور ومسجد، وقد شيدت كما مر بنا في الفصل الأول من القسم الأول مكان أخرى أسسها المرابطي ابن تاشفين، على الشاطئ الأيسر من نهر أبي الرقراق، وكذلك إعادة توسعة القصبة الموجودة في مدينة تاكركارت، حيث تقع على مرتفع من الأرض، وتبلغ مساحتها نصف هكتار، وكانت تضم قصر الحاكم، كما تم بناء قصبة هنين، وكان قبلها قصبة تامركشت والتي احتوت على مجموعة من القصور، لقد كان الطابع التحصيني في القصبات الموحدية هو الأساس فهي إلى جانب كونها قصرا أو مقرا للإدارة، كانت عبارة عن تحصين يلجأ إليه السكان في حالة الحصار [2].

ومجمل القول نجد أن وظيفة القصبة أو الحصن أو القصر في العهد الموحدي كانت تضم الوظيفة الحربية، والسياسية، والإدارية، بالإضافة إلى الوظيفة الرمزية المنبثقة عن الوظائف الثلاث السابقة مجتمعة، فهي كحصن، كانت اسوار وأبراج منيعة مع وجود برج أو قلعة... حرة، ذلك أنها تقوم بدور مقر السلطة، ويمكن أن تتحول في حالات الخطر الداهم مثل الحصار والاستلاء على المدينة إلى معقل الأخير للسكان.

---

(1) باسيليوبابيون، المرجع السابق، ج1، ص 200-201.

(2) منير أقصبي، المرجع السابق، ص80.



لقد كان للموحدين جهدا كبيرا وملموس في إعادة التشييد وبناء قصبات جديدة تضارع ما كانت عليه في العهد المرابطي، وحتى خلال عصري الإمارة والخلافة في بلاد الأندلس، وقد كـــان لمدينة بطليوس قصبة بناها، يوسف بن عبد المؤمن، حيث استخدم كما مر بنا في الفصل الخـــاص بالأندلس، التابية والكتل الحجرية في البوابات، كما أضاف إليها برج براني مشـــيد مـــن الـــدبش والكتل الحجرية الجيدة والمرصوصة طبقا لما كانت عليه العادة خلال القرن الحادي عشر ميلادي.

وقد تم الكشف على وجود قصبتين للمدينة الواحدة، حيث احتلتا موقعا استراتيجيا، ومدينة اشبيلية خير دليل على ذلك، فقد ذكرت لنا النصوص القصبة الداخلية، والقصبة الخارجية حيـــث كانت الأولى حول القصر الحالي ومعه المسجد الجامع، أما الثانية فكانت قريبة من نهر الوادي ومن برج الذهب، وقد كانت هذه الأخيرة تتمتع بكافة أنواع الدفاعات والتحصينات بنفس الدرجة التي للمدينة وربما أكثر منها وهي: بوابات للدخول ذات تخطيط منحني، وأبراج برانية وبرج حر قوي مكون من عدة طوابق تتراوح ما بين ثلاثة والأربعة، وتتوفر به الإمكانيات لمقاومة القوات المهاجمة، وكذلك أسوار مصممة بشكل متعرج مثل قصبة الوداية برباط الفتح، وقصبته جبل الفـــتح، كمـــا تضم القصبة داخليا جبا وحمامات، ومن المؤكد أن كلا من قصبة مراكش، وقصبة فاس، وندرومة وغيرها من القصبات كانت من هذا النوع.

وإذا ما نظرنا إلى المسطح فقد كانت هناك قصبات تتراوح مساحتها حوالي ثلاثة هكتارات ونصف، وهذا ما رأيناه في قصبة الوداية برباط الفتح [1]. وكذلك الأمر في قصبة فاس الباي والـــتي تتربع على مساحة تتراوح ما بين ثلاثة وأربعة هكتارات [2].

---

[1] عبد العزيز بنعبد الله، رباط الفتح، المرجع السابق، ص 20-21.

[2] منير أقصبي، المرجع السابق، ص 81.

أما قصبة تامركشت والتي أسسها الموحدون كذلك فهي ذات مساحة كبيرة تكاد تساوي مساحة مدينة متوسطة. أي حوالي 44 هكتار [1].

وبغض النظر عن هذه المدن المعسكرات، فإن تركز القوات كان يتطلب العناية السريعة من قبل الخلفاء الموحدون في كل لحظة وحين، اللذين جيشوا الجيوش من مراكش ثم تنتقل عبر الرباط وسبتة أو الانتقال إلى المغرب الأوسط والأدنى، ومن هنا كان يتم ارتجال معسكرات تقـــع بجـــوار الطرق أو المحطات وذلك بإقامة معسكرات مركزية تقع في رقع عمرانية ذات تقليد قديم، حيث نجد القصبات والقصور والحصون المبعثرة هنا وهناك.

---

[1] Deverdun (G), Marrakesh… T2 Opcit p 85.

خلاصة الفصل:

من خلال إمعان النظر في النصوص المصدرية المختلفة، أو ما تبقى من تلك المنشآت الحربية الموجودة عبر أقاليم الدولة الموحدية، أو حتى من خلال الأبحاث الأركيولوجية التي اختصت بهذه العمارة التي ترجع الى الفترة المراد دراستها أدى الى تسليط الضوء على التحولات الكبرى الذي عرفته العمـــارة الحربية في العهد الموحدي والمتمثلة فيما يلي:

يلاحظ أن التخطيط وبناء الأسوار الموحدية في بداية عهدهم قد جـــاءت علـــى منـــوال الأساليب المرابطية من حيث البناء، وذلك بإستخدام الحجارة الضخمة غير المنجورة مع بعض قطع مسطحة شأن نظام البناء في قلعة آمرجو المرابطية، وهذا ما نجده في بقايا أسوار مدينة تينمل ورباط تازة.

ثم اهتدى الموحدون الى بناء أسوارهم بالتابية والتي تعتمد على قاعدة صلبة مـــن الحجـــر والتابية، وما ميز هذه الأخيرة إبان حكم الموحدون بعرضها الهائل الذي يصل أحيانا الى 2.20م، وقد بنيت عدة أسوار بهذه الطريقة منها أسوار مراكش، ورباط الفتح، وتازة في بعض أســـوارها، وأسوار مدينة فاس البالي، وفي تلمسان، واشبيلية، وبطليوس، وقصرش، وغيرها من المدن الموحدية.

كما التجأ الموحدون أحيانا تقسيم أسوارهم الى جزئيين سور أساسي، وسور أمامي، حيث كانت مدنهم خاصة الموجودة في مرمى المسيحين يدور حولها سور أساسي، ثم سور أمامي أخر أقل من السور الأساسي ويحيط به مجموعة من الأبراج ويدور حوله حفير أو خندق، وقد كان الهـــدف من الأسوار الأمامية كما سبق ذكره منع العدو والمهاجم من شن هجومه مباشرة علـــى الأســـوار الرئيسية، ويعطل تقدمه ومما يثبت اهتمام الموحدون بهذا النظام والعمل به، ما قام به يوسف بن عبد المؤمن من تحصين مدينة إستجة وقصرش بنوع هذه الأسوار، كما تم بناء الأسوار الأمامية لمدينـــة اشبيلية من طرف أبو علاء إدريس المأمون.

كما ادخل الموحدون مجموعة من التحسينات في بناء أسوارهم خاصة في الأندلس، حيث اخذوه من المرابطين، ويتمثل هذا النظام الاكثار من الزوايا الداخلية والخارجية بالسور، بحيث يتخذ شكل خطوط متعرجة منكسرة، وكانت ميزة هذا النظام أن يترك الجند أعدائهم يتقدمون داخل إحدى الزوايا، ثم يندفعون عليهم من أعلى الأسوار على الدروب فيفتكون بهم.

كما انه وبشكل استثنائي نجد ان الموحدون قدموا لنا دروبا بها استحكامات مزدوجة بفتحات للمراقبة، ومزاغل في الجزء الأسفل من الأسوار، بالإضافة الى زيادة في عرض ممر الجند والذي وصل في بعض الأحيان الى 2.25م، ومازال السور الموحدي لفاس البالي يتوفر على أجزاء كثيرة من هذا الممر بالإضافة الى أسوار مدينة رباط الفتح.

أما عن المكون الثاني الذي يلي السور في التحصينات الحربية فيتمثل في البرج، وقد اعتمد الموحدون في البداية الأبراج المربعة، والمستطيلة، ثم اتخذوا الأبراج ذات الشكل المحرودي في كل من أسوار تازة وفي قصبة إشبيلية.

كما شيد الموحدون الأبراج المتعددة الأضلاع، فنجد الأبراج ذات خمسة أضلاع، والتي تم تشييدها بأسوار رباط الفتح، كما استعمل الموحدون البرج المثمن على نحو منتظم في بناء أبراجهم البرانية، هذا واستخدم الموحدون الأبراج الأسطوانية ذات الشكل المخروطي مقطوع الرأس قليلا.

كما هو موجود في مدينة تازه ورباط تيط، وقد حافظ الموحدون على نفس الإرتفاعات الموروثة عن المرابطين والتي كانت تصل في بعض الحالات الى 12.64م، لكن ومع ظهور الأبراج البرانية نجد أن الارتفاعات قد تجاوزت ارتفاع الأبراج العادية، ونستطيع القول ان هذه الارتفاعات الكبيرة في الأبراج قد بدأت مع الموحدون.

كما زاد الموحدون من عدد الغرف في البرج، وهذا بشكل استثنائي حتى غرفتين أو ثلاثة متراكبة مثل ما هو موجود في برج الذهب بإشبيلية.

وقد ابتكر الموحدون البرج البراني الذي قصد منه تدعيم الستارة، لأنه يقع عـــادة خـــارج الستارة ويربطه بها ستارة أخرى تسمى بالمصطلح المغربي الحديث بالقورجة، والتي تطلق على أسوار متفرعة من الأسوار الأساسية، وتنتهي بأبراج برانية لتغلق الطريق أمـــام المهـــاجمين، ويبـــدوا أن الموحدون قد لجؤوا الى هذا النوع من الأبراج لتفادي خطر المســـيحيين علـــى المـــدن الموحديـــة بالأندلس، ومن امثلة هذا النوع من الأبراج أبراج قصبة بطليوس، وبرج الذهب، وحصن الفرج.

ولقد اتخذت تلك الأبراج شكل المربع، والشكل المثمن الذي يمتاز بمنعته وحصانته عن البرج المربع، إذ أن جوانبه ضعف جوانب البرج المربع، حيث يمكن المدافعين مـــن التحـــرك في كافـــة الإتجاهات والزوايا.

كما توصلنا الى تقليد الموحدون لأبراج الحراسة، والمتمثلة في -الطلائع والمنارات-كما قاموا بإعادة بناء أخرى وذلك نظرا للدور الذي تلعبه سواء الانذار، أو نقاطا دائمة لتجميع الجيوش كما هو موجود في كل المدن الموحدية ، كأسفي، وسبتة، ورباط تيط، وجبل الفتح وغيرها.

وتعكس لنا الأبواب الموحدية الثراء المتنوع من حيث التخطـــيط، والعمـــارة، والتغطيـــة، والزخرفة في ابراز وإجلاء شخصية وعبقرية المهندس والبناء المغربي، الأمر الذي يدفعنا الى تلخيص المميزات العامة لتلك المجموعة من الأبواب الموحدية، على النحو التالي: مدخل بارز يكتنفه برجان كبيران بتخطيط مربع غالبا بإستثناء باب الأحد المشطوف الأركان.

تتميز فتحات الأبواب بوجود فتحة رئيسية للقوس المفصص المستمد أصوله المعمارية والفنية من العمارة الحربية الأندلسية، وهذا القوس ذات عقود متعددة متتالية يغلق كل منها سابقة لتحقيق غرض معماري يهدف الى تحقيق الحمل عن العقد الأصلي لقوس فتحة الباب، وهو العقد الذي تخلو صنجاته دائما من أي أثر للزخرفة، كما تم تصميم أبواب بعض المدن الموحدية على أساس المخطط

المباشر للمدخل وهذا ما نجده في المدن الموحدية التي تخضع لطبوغرافية إجبارية كما هو الحـــال في باب الفخارين بمدينة تينمل، وباب جبل الفتح.

كما عقد الموحدون من نظام الأبواب ذات المرافق، بحيث انشأوا أبوابا مرافقها مزدوجـــة وأخرى ذات ثلاث مرافق، كما انهم لم يسقفوا الممرات الواصلة بين فتحتي الباب التي تنحني بزاوية قائمة في شكل مرفق او أكثر.

وبالتالي استطاع المهندس في العهد الموحدي من زيادة حجم العراقيل، وتكـــرار مراحـــل المعوقات والعقبات في طريق المهاجمين، وهو ما نراه اليوم في مجموعة مباني الموحـــدون الضـــخمة بأبواب مدينة رباط الفتح.

تبين لنا من خلال هذا الفصل أن الموحدون كان اهتمامهم يميل أكثر الى تحصـــين أبـــوابهم ودعم قدراتهم الدفاعية أكثر من اهتمامهم بزخرفة واجهاتها، إن ما يميز التطور الذي عرفته الأبواب الموحدية هو أحجامها الكبيرة وتصاميمها المرفقية، واستعمال الحجر المنحوت في واجهاتها، وتعطي هذه الأحجام الكبيرة للأبواب بعدا آخر لا يقتصر فقط على دورها الدفاعي بل يتعداه ليصبح رمزا ودلالة على عظمة هذه الدولة.

كما توصلت الدراسة في هذا الفصل الى جهد الموحدون الكبير في إعادة التشـــييد وبنـــاء القصبات، والقصور، وحصون جديدة تضارع ما كانت عليه في العهود السابقة، سواء في المغرب أو الأندلس لكن لم نستطيع تقديم عناصر تطور بناء تلك القصبات الـــتي بنيـــت في اديم الدولـــة الموحدية، سواء من ناحية تخطيطها وأشكالها، بسبب انعدام معطيات معماريـــة عليهـــا ســـواء في النصوص التاريخية او من خلال إختفاء أغلبها كليا او جزئيا بالميدان.

وكل ما نستطيع قوله حول تلك القصبات، والقصور الموحدية ان طابع التحصـــين هـــو الأساس فهي الى جانب كونها قصرا او مدينة صغيرة او مقرا للحكام أو الخليفة، فقد كانت عبارة عن تحصين يلجأ إليه في حالة الحصار.

الفصل الثاني

مواد الانشاء واساليب البناء والزخرفة

تقديم:

إذا كانت الإشارات المصدرية المرتبطة بمواد البناء وطرائقه والعناصر الزخرفية في العمارة الحربية الموحدية قليلة، فإن البحث الأثري والأركيولوجي والطبونيمي الذي أجري في العديــد من المواقع عبر أقاليم المدن الموحدية، سواء في المغرب أو الأندلس كشف عن طبيعة البناء وكذا المواد التي استعملت في المعمار العسكري، إلى جانب التعرف على أهم العناصر الزخرفية المتبعة في تلك المنجزات الضخمة.

والتي تتسم بالبساطة والثورة على الاسراف. والبعد عن الاكثار في الزخرفة انسجاما من حياقم التي تميزت بالبساطة حيث تجلت عبقريتهم في الجمع بين الفخامة والبساطة، وســنحاول في هذا الفصل الوقوف عند تطور مواد البناء وطرقه التي استعملت من أجل إنشــائها، وكــذا التعرف على أنواع العناصر الزخرفية المطبقة في تلك المنشآت الحربية والتي تعود بطبيعة الحال الى الفترة الموحدية.

أولا: مواد الانشاء وتقنياته:

لقد كانت المنشآت الحربية في كل من المغرب والأندلس في العهد الموحدي تجمع ما بين الأشتات فيما يتعلق بمواد البناء وطرائقه، ومن خلال البحث الميداني، تم ضبط أحجام الكثير من المواد وطرق صناعتها واستخدامها، حيث سادت مواد مثل الحجر والدبش والتابيــة والآجــر والبلاط الجيري والخشب وغيرها من البناء الحربي.

وأنه كلما أريد للبناء أن يكون شاهقا ومتينا، كلما كان يستعمل في تشييده مواد صلبة جدا وبقاعدة ذات سمك كبير، ويمكن أن نحصي المواد الخاصة في هذه التحصــينات وطريقــة استعمالها كما يلي:

1- حجر الدبش:

والتي تعني تلك الأعمال التي تعتمد على قطع الحجارة المصقولة أو الدبش، والتي ترص على شكل مداميك وحسب الأحجام، وتعني أيضا الدبش المتفق عليه بمعنى أن هذه القطع من الحجارة يتم رصها بدون الحاجة الى راية النجار لربطها جيدا بباقي القطع، وهناك الدبش على الناشف أي ذلك الذي يتم استخدامه في البناء مع خليط أخر، وقد عرف الدبش منذ أقدم العصور، وهو عبارة عن قطعة ضخمة من الحجارة متعددة الأضلاع وقد رصت دون الحوائط السيكلوبية –مونة–ثم أعقب ذلك قطع الحجارة التي ليس لها شكل محدود، ولكن باستخدام المونة في البناء مع غيبة الأحزمة الأفقية أو القطاعية [1].

وإذا ما أخذنا في الاعتبار طريقة وضع قطع الحجارة الغير منتظمة لوجدنا أن الجدار يشبه قطعة حلوى "الحمصية" [2].

وقد سادت ثقافة البناء بهذه المادة في المغرب الإسلامي بأكمله، ما بين القرن الثاني والخامس الهجري، حيث تشهد لذلك عدة أسوار وقلاع مازالت قائمة لحد الآن، كقلعة أمركو المرابطية، بالإضافة الى أسوار عدة بالأندلس كفاسكوس وميريدة وطليطلة وبطليوس...إلخ [3] وقد أخذ الموحدون في بناء أسوارهم وحصونهم وأبراجهم بهذه المادة خلال بداية دولتهم حيث، إستعملت هذه المادة في بناء جسم الأسوار وفي أساساته، وقد سادت عدة أنماط من هذه المادة والتي سوف نعالجها فيما يلي:

---

[1] جورجي مارسي "بناء"، ترجمة عبد القادر كك، دائرة المعارف الإسلامية. مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، الجزء السابع، 1986، ص 27-30.

[2] باسيليو بايون، المرجع السابق، ج2، ص 317.

[3] Marçais (G), l'architecteure…opcit, p 329.

أ. **الطريقة العادية: (أنظر الشكل رقم : 9)**

قد استخدمت هذه الطريقة في الأسوار والوزارات الخاصة بالأســوار، وفي الأعمــال الإنشائية الأخرى بما في ذلك الصهاريج، وهذه الطريقة في حقيقة الأمر هي عبارة عن خرسانة صلدة تظهر الحجارة من خلالها أو من جدران حشوها من الخرسانة ونسبة كبيرة من الحجارة الصغيرة، وقد ظهر هذا النمط بالأندلس خاصة في جسور المياه والأسوار والــوزرات الخاصــة بالأسوار المشيدة من التابية.

حيث أكد تيراس أن الجزء السفلي لأحد الأبراج المشيدة بالتابية في حصن بطليوس هو من عمل المرابطين ثم الموحدين [1].

ومما يدعم هذا الكلام أبحاث دوفردان الذي توصل الى كون القصبة المرابطــة كانــت أسوارها مبنية بهذه الطريقة العادية وأن الموحدين قاموا بترميمها فيما بعد بنفس التقنية [2].

ب. **الدبش المكون من أحزمة تنفصل عن بعضها بألواح حجرية (أنظر الشكل رقم : 10)**

هذا النمط يتم وضعه في البناء على هيئة مداميك وعادة ما يتم الفصل بين الأحزمة التي تتسم بالانتظام الشديد وبأن سمكها لا يتجاوز 0.20م الى 0.30م، وقد بلغ هــذا الــنمط انتشارا واسعا في المغرب والأندلس، وخاصة خلال العهد المرابطي والموحدي [3]، وذلك راجع لشيوع طريقته حيث تتمثل في إقامة جدارين من الدبش وبينهما توضع الخرســانة كالحشــو وبذلك يكون الجدار مجرد طبقة متسقة تماما مع الحشو، ويدخل في هذه الجدران ذات الألــواح الحجرية الطويلة من الأردواز والمرسوس بطريقة ارتجالية، ولو أن هذا لا يعود دون العمل علــى أن تكون هناك شكل أحزمة أفقية، وقد ظهر الدبش المشيد على شكل أحزمة في أسوار الحصون

(1) باسيليو بايون، المرجع السابق، ج2، ص 317.

(2) Deverrdun (G), Marrakash…tome 2,opcit,p85.

(3) باسيليو بايون، المرجع السابق، ج2، ص 320.

المرابطية خاصة قلعتي المرجو وتاسيغيموت ثم أسوار تلمسان (مدينة تاكرارت) [1]، ثم اتخـــذه الموحدون في بناء بعض أسوار تينمل الأول مع مسجده، كذلك استعمل في بناء مسجد الكتيبة بمراكش كذلك جزء من قصبة الودايا.

ت. الدبش المصحوب بمداميك من الآجر (أنظر الشكل رقم : 11)

يعتبر ذلك النوع صنفا أخر من الدبش ذي الأحزمة المستخدمة فيه الألواح الحجرية والتي يحـــل محلها في هذا الصنف مداميك الأجر [2].

ويلاحظ أن أولى النماذج من الدبش على شكل أحزمة مصحوبة بمداميك من الآجـــر ترجع إلى العمارة المرابطية بالأندلس والتي لها ارتفاع شبيه يتراوح بـــين 0.25م و0.30م[3]، وهو ما نجده في بعض أسوار بطليوس، كما هو عليه في مدينة فاس البالي خاصة أسوار القصـــبة المرابطية. وبعض أسوار قصبة تاكرارت بتلمسان، ومع مرور الزمن أخذ هذا الارتفـــاع ينمـــو بشكل تدريجي حيث سجل خلال العهد الموحدي ارتفاعات تتراوح ما بين 0.40م و0.45م، حيث نجد بعض النماذج منها أسوار تلمسان خاصة أجزاء من اسوار باب القرماديين بتلمسان، وفي الأندلس نجد أسوار شريش، وكلها مباني مشيدة من دبش مرصوص على أحزمة ضيقة [4].

وفي الأخير نستطيع القول ان الموحدون قاموا ببناء اسوارهم بمادة حجر الـــدبش علـــى نفس منوال المرابطين وهذا في بداية عهدهم، حيث كانت تتم بحفر الأساسات بعمـــق جيـــد يتناسب مع ارتفاع السور المراد بناؤه ثم يتم وضع كمية كبيرة من حجـــر الـــدبش، ثم يقـــوم

---

[1] Racard (P);pour comprendre l'art muslman dans l'afrique de nord et espange, paris, 1924, pp119-123.

[2] رزق محمد عاصم، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي القاهرة 2000، ص 74.

[3] باسيليو بايون، المرجع السابق، ج2، ص 324.

[4] جوميث مورينو، المرجع السابق، ص 131. ينظر كذلك:

- Marçais (G), l'architecteure…opcit; p 411.

البناؤون بتغطيتها بطبقة سميكة من الملاط الجيري، ويضاف إليها كمية مناسبة من الماء، وتكرر نفس العملية في طبقات متتالية حيث يتم الوصول إلى المستوى الأرضي [1]. وبعد بناء أساس جيد من تحت الأرض يتم الشروع في بناء جسم السور حيث توضع طبقة سميكة من الملاط الجيري أولا، ثم طبقة من الحجر غير المنحوت الذي يكون أقل حجما نسبيا من ذلك الذي وضع في الأساس [2].

وتتم هذه العملية بالتوالي أي طبقة من الحجر تتبعها طبقة من الملاط الجيري حتى الوصول إلى الارتفاع المطلوب، ولكن وبعد تمكن الدولة الموحدية أصبح استعمال هذا النوع من الحجر في بناء الأسوار قليلا جدا وانحصر عموما في بناء أسس الأسوار، وذلك لميلاد طريقة جديدة في بناء الأسوار الموحدية تعرف بالتابية والتي جاءت لتعوض الحجر.

2- التابية:

اكتسب التراب مكانته كمادة أساسية في البناء عبر العصور لسهولة الوصول إليه والحصول عليه باعتباره بشكل نسبة 74% من القشرة الأرضية فهو يتوفر في أقرب موقع من البناء، ويستعمل في حالته الطبيعية بعد خلطه مع مواد أخرى كثيرة أهمها الماء، فتنتج أنواع مختلفة من مواد البناء، منها الملاط للربط بين مواد البناء وتكسيتها، والطوب المجفف في الشمس والتراب المدلوك في قالب خشبي (التابية)، وهي تقنية تنجز بقالب يملئ بالتراب المضاف له الجير ومواد أخرى، اختلفت تسميتها من منطقة إلى أخرى، ففي المغرب الإسلامي عموما كانت تسمى بالطابية وجمعها طوابي، وتحرف تسميتها في بعض المناطق منه حسب اللغة المحلية السائدة بين سكانها مثل: تاطبيت في منطقة القبائل في الجزائر، وتتغير تسميتها تماما في مناطق أخرى منه

(1) منير أقصبي، المرجع السابق، ص 202.

(2) المرجع نفسه، ص 202-203.

ففي بعض مدن المغرب الأقصى سميت باللوح أو تلوحت، نسبة إلى طريقة البناء بها التي تعتمد على الركز أو الدك اما في الأندلس فقد كانت تسمى ب Tapila وTaipa [1]

ويعود أقدم تاريخ لاستعمال هذه المادة البنائية في بلاد المغرب الإسلامي إلى القرن 4ه/10م، حسب أقوال كل من ابن حوقل وابن حماد [2] ومازالت أمثلتها مجسدة في الكثير من مدن المغرب الأقصى كمراكش وفاس ورباط الفتح وسجلماسة وغيرهم كثير، ومن المدن المغرب الأوسط. نجد هنين وتلمسان وندرومة. وبعض أجزاء من أسوار بجاية، وهذه المدن تبين أقدم استعمال لها في المغرب الأقصى هو القرن 2ه/8م، وفي المغرب الأوسط هو القرن 3ه/9م[3].

ويعتقد أن الأندلسيون يمثلون المصدر الأساسي لقدومها إلى بلاد المغرب، حيث استخدموها في بعض المدن التي استقروا فيها، ثم انتشر استعمالها في مناطق شاسعة من هذه البلاد حتى أصبحت التقنية الأساسية في بناء العمارة العسكرية، خاصة خلال القرنين 5ه/11م و6ه/12م [4]. حيث استخدمها الموحدون بشكل فعال جدا في اسوارهم وأبراجهم، فأثبتت فعاليتها وجودها منذئذ وأصبحت تنتشر أكثر فأكثر في مدن المغرب الإسلامي، ويتطلب البناء بها توفر عدة عناصر أساسية مترابطة هي القالب والخليط الذي يملأ داخله والمركز الذي يدك به الخليط والبناء ومساعديه، ووسائل أخرى تزيد وتنقص حسب خصوصيات الموقع، وكذا مراحل البناء والتقاليد المطبقة في المنطقة المستعملة فيها:

---

(1) إسماعيل بن نعمان: البناء بالتراب في بلاد المغرب الإسلامي، تقنية الطابية نموذجا، دورية كان التاريخية. العدد 10. ديسمبر 2010م 1431ه، ص 19

(2) المرجع نفسه، ص 20.

(3) منير أقصبي، المرجع السابق، ص 203-204.

(4) باسيليو بابون، المرجع السابق، ج2، ص 332-333.

أ- القالب: (أنظر الشكل رقم : **12**)

هو مكعب مستطيل الشكل مفرغ من أعلى وأسفل تتراوح مقاساته بين الأربعــة أذرع طولا والذراعين عرضا أي ما يساوي تقريبا 02م طولا و01م عرضا، وتختلف هذه المقاسات من منطقة إلى أخرى ففيما يخص طوله في الأندلس مثلا يتراوح بين 1.80م إلى 4.00م، وفي المغرب الأقصى بين 1.80م و2.20م. وفي المغرب الأوسط يصل إلى حــوالي 2.50م، في حين تباين العرض من مكان لآخر حسب نوع المبنى، ففي المنشآت المدنية يكون أقل مما ذكره إبن خلدون ويتراوح ما بين 0.42م إلى 0.53م أو هو ما يعادل ذراع واحد تقريبا، ويصــل في المنشآت العسكرية إلى 1.30م في الأسفل، ويتقلص إلى مــا بــين 0.42م و0.46م في الأعلى[1]، ويتركب القالب من عدة قطع أغلبها مضوع من مادة الخشب **وصفها** ابن خلــدون بقوله: «... ومنها البناء بالتراب خاصة يتخذ لها لوحان من خشب مقدران طــولا وعرضــا باختلاف العادات في التقدير وأوسطه أربع أذرع في ذراعين فينصبان على أساس وقــد يوعــد بينهما على ما يراه صاحب البناء في عرض الأساس ويوصل بينهما بأذرع من الخشب يــربط عليها بالحبال والجدر ، ويسد الجهتان الباقيتان من ذلك الخــلاء بينــهما بلــوحين أخــرين صغيرين... »[2]، ويمكن ذكر قطع القالب سواء التي ذكرها ابن خلدون أو لم يذكرها فيما يلي: [3]

- اللوحين الخشبيين الكبيرين: وهما اللوحان المحددان لطول القالب ويثبتان بشكل متوازي على امتداد الطولي للسور ويتكون كل واحد منهما من ترتيب مجموعة ألواح خشــبية ذات سمــك صغير وارتفاع قصير فوق بعضها أفقيا، وتشد بثلاثة أو أربعة ألواح من نفس سمكها أو أقصــر

---

(1) إسماعيل بن نعمان، المرجع السابق، ص 20-21.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 330-331.

(3) لقد كان اعتمادنا على ذكر قطع القالب على الباحث إسماعيل بن نعمان لكونه جاء بدراسة وافية على تلك المادة ينظر: ص20-21.

منها مرتبة في وضع عمودي، وهو ما ينتج عنه سطح خارجي غير مستو بسبب بروز الألـــواح العمودية، وسطح داخلي مستو وأملس يمنع الخليط من الالتصاق به ويسهل عملية سحبها بعد جفافه.

-اللوحين الخشبيين الصغيرين: وهما الوحان اللذان يحددان عرض القالـــب ويســـدان الفـــراغ الجانبي، الناتج عن تثبيت اللوحين السابقين ويشكلان بنفس طريقة اللوحين الكبيرين مع تغـــيير المقاسات لتتناسب مع العرض والطول المطلوب، ويمدد ارتفاعهما في الوسط أكثر من ارتفـــاع القالب للحصول على مقبض يسهل به تركيبهما في مكانهما وسحبهما منه، كما يتميزان بنفس خصائص اللوحان الكبيران من حيث السطح الخارجي والداخلي، وفي غالبية الأحيان يستعمل لوح واحد فقط منهما نظرا لكون إحدى الجهتين مسدود بالجزء المنجز سابقا من السور.

الأذرع الخشبية: وتثبت عموديا مع السطح الخارجي للقالب وهي على نوعين:

- الأذرع العمودية حيث حصر عددها الدكتور بن نعمان الى ستة موزعة عند طرفي اللوحين الخشبيين وفي منتصفهما وتشدهما الى بعضهما في وضع ثابت فلا ينفتحان ولا ينغلقان أثناء ملئ الحيز المحصور بينهما بالخليط، طولها يفوق طول اللوحين الجانبين بقليل ليتسنى ربط كل اثنـــان منهما بعضهما في الأعلى بالحبال وهي أقل سمكا في الأجزاء السفلية حتى يســـهل إدخالهـــا في الثقب الموجود في الأدرع الأفقية، وأكثر سمكا في الأعلى لتمنع صعود الحبل الرابط بين الأذرع الأفقية.

- الأذرع الافقية: يقدر عددها الدكتور بن نعمان كذلك بثلاثة توضع فوق السور مباشـــرة وطولها يفوق عرض القالب وسمكها واحد مع وجود عمودان طويلين في الجـــزأين الجـــانبيين البارزين منها خارج القالب، وهذان الثقبان كافيان لإدخال الأذرع العمودية وأكثر، حتى يتسنى الزيادة والتقليل من عرض السور وتثبيت اللوحين الخشبيين الجانبيين في وضع واحد من الأسفل.

- المثبتات : حسب الدكتور بن نعمان فإن ابن خلدون قد أهمل ذكرها، وهي قطعة خشـــبية صغيرة مثلثة أو مخروطية الشكل توضع في المكان المتبقي من الثقب الموجود في الأذرع الأفقيـــة

بعد وضع الأذرع العمودية وتساعد على التحكم في زيادة وإنقاص عـرض القالـب وذلـك بإدخالها جزئيا أو كليا في الثقوب المشار لها سابقا. [1]

- الحبال: وهو العنصر الوحيد الذي لا يصنع من الخشب تتركز وظيفتـه في ربـط الأذرع الخشبية العمودية الى بعضهما في الأعلى، ولحسن تثبيت هذا الحبل حفرت حزوز عميقة في كل ذراع خشبي فوق نهاية القالب بقليل، ليزيد سمك هذا الجزء من الذراع أكثر فيمنع الحبل مـن الخروج الى الأعلى بعد ربطه في مكانه [2].
- عصاشد الحبل: تتمثل في عصي خشبية منحنية قليلا توضع بين الحبل المزدوج الذي يشـد الذراعين الخشبيين العموديين، فتتشكل ظفيرة تعمل على حسن شد هذا الحبل [3]

ب- المركز:

تتمثل وظيفته في دك الخليط الذي يوضع داخل القالب بين الحين والآخر، حتى تتداخل مكوناته في بعضها البعض ويتماسك، حسب ما جاء عند ابن خلدون بقوله: «... ثم يوضع فيه التراب مخلطا بالكلس ويركز بالمراكز المعدة حتى ينعم ركزه ويختلط أجزاءه ...» [4]

ت- الخليط:

هو عبارة عن خليط من التراب والحصى والجير والماء يحضر بنسب متفاوتة على حسب درجة صلابة البناء المنشودة، وقد لجأ الموحدون لتقوية أسوارهم وأبراجهم الحربية بزيادة نسـبة الجير المضافة للطينة المستعملة، ولكن في الوقت نفسه يجب مراعاة نسب المواد الأخرى حتى لا تقع شقوق فيه فيما بعد، مع العلم أن التراب المناسب للاستعمال ذو الون الأصـفر يميـل الى الاحمرار يسمى في المغرب الأقصى بالحميري، أما تركيبه فهو ذو حبيبات متوسطة تميلا قليلا الى

(1) اسماعيل بن نعمان، المرجع السابق، ص21.

(2) KOMARA(A), Materiaux de construction, moscou,1978, pp174-175.

(3) ibid, p175.

(4) ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 331.

الخشونة، ويحتوي على كمية قليلة من الرمل ولزج نوعا ما، وبمزجه بالماء تنـــتج طينـــة قليلـــة المرونة، لكنها تميل الى التماسك دون تفتت [1].

ث–البناء ومساعدية:

وهم الأشخاص المكلفين بتركيب القالب في موضعه المقصود واعداد الخليط ونقله ثم تفريغه في مكانه ودكه، وكلهم يعملون تحت اشراف البناء الذي يسميه ابن خلدون بالطواب.

ج– تقنية التشييد: (أنظر الشكل رقم : 13)

قبل بداية استعمال مادة التابية، يتم إنجاز أساس على عمق 0.50م بحجارة غير منتظمة الشكل متماسكة مع بعضها بكمية كبيرة من الملاط، ثم يتبع بناء سور أقل سمكا بمادة الحجارة على ارتفاع بين 0.20م و0.50م لحماية المنطقة السفلية للسور من تأثير الماء الذي يعمل على تفتيت مادة التابية بمرور الزمن، وبعد انجاز هذا الأساس والسور السفلي، ثم يشرع في بناء هذا النوع من الأسوار عن طريق ما يعرف بوحدات البناء وهي طريقة تعتمد على الارتفاع بالسور رويدا رويدا من خلال قوالب خشبية [2]، وتختلف طريقة البناء هذه بحسب الفترات التاريخيـــة، فقد استعمل الموحدون قوالب كبيرة بارتفاع 1م وبعرض 2.50م وتوضع القوالب الخشبية من جهتي السور بالسمك المراد الحصول عليه، وتوضع من تحتها قطع خشبية أخرى تخترق الســـور من اجل تدعيمها فيصب فيها خليط الطابية الذي يتم دكه بأدوات ثقيلة مضمونة من الحديـــد حتى ثبت جيدا مكانه، ثم تترك هذه الوحدة التي تم إنجازها تحت أشعة الشمس حتى تفقد مـــا تحتويه من ماء وتأخذ مكانها بشكل محكم، بعد ذلك يقوم البناؤون بسحب هـــذه القوالـــب الخشبية والقطع التي وضعت من تحتها لوضعها في وحدة البناء الجديدة التي تأتي من فوقها ويتم

(1) منير أقصبي، المرجع السابق، ص 203-204.
(2) المرجع نفسه، ص204.

الاحتفاظ بثقب السور التي خلفتها قطع الخشب المدعمة للقوالب حتى تعطي للسور التهوية الأزمة لصلابته، وفي حالة الأسوار ذات السمك المهم الذي يصل الى خمسة أمتار [1].

وتحدثنا بعض المصادر العربية عن درجة المتانة التي عليها الأسوار والأبراج المشيدة من التابية والتي ترجع الى العهد الموحدي ، حيث كانت الخلطة عبارة عن الحصى والرمل والجير قد وضعت بحيث تكون درجة متانتها مثل الحجارة أو هي أشد منها لدرجة أن آلات الحرب المنجنيق لا تترك بها أية آثار عندما تصدم بها، وقد تم الوصول الى هذه الحالة أيضا واضعين في الاعتبار السرعة الزمنية التي يتم بها إقامة تلك الأسوار والأبراج، ومن سمات التابية الصلابة وسرعة البناء وانخفاض التكلفة، فكان البناء بالتابية يستغرق وقتا أقصر نظرا لطبيعة أعمال البناء وكذلك الأيدي العاملة التي كانت في كثير من الأحيان عبارة عن أسرى الحروب.

لقد وصلتنا مجموعة من المنشآت الحربية والتي ترجع الى العهد الموحدي والمتمثلة في المغرب الأقصى، بحيث نجد الأسوار والأبراج لتي شيدت من التابية المصحوية بالفجوات باستثناء البوابات، كما يوجد في مدينة رباط الفتح وزرات مرتفعة بها شيء من الميل، ويبلغ ارتفاع الأسوار 09 تابيات بالإضافة الى المراقب، وتبلغ درجة نفاذ الراقدات 40سم، أما الفواصل الافقية بين الفجوات فتتراوح بين 70سم و90سم، أما مدينة مراكش فنجد بعض الأسوار والأبراج من التابية المصحوبة بالفجوات بإستثناء البوابات، كما أن هناك بعض الأبراج ذات جدران من الدبش وأخرى من الطابية المصحوبة بوزره من الحجارة، ويبلغ ارتفاع الأسوار والأبراج بما لا يتجاوز 07أو 08 تابيات وهو ما شهدناه في مدينة مكناسة، ومدينة أسفي، وقد تم طمس الفجوات بالحص، أما فاس البالي إذا ما استثنينا البوابات فإننا نجد الأبراج والأسوار مشيدة من التابية ذات الارتفاعات المتنوعة، فالسور يبلغ ارتفاعه تسع تابيات بالإضافة الى المراقب والفجوات مطموسة بالحصى، أما في مدينة تازة فنرى أسوار من الدبش ونرى

[1] منير أقصبي، المرجع السابق، ص 204.



أسوار أخرى في الواجهة الجنوبية من التابية، كما يلاحظ أن أسوار رباط تيط التي وصلتنا في حالة سيئة كانت من الدبش في الجزء السفلي، والتابية فوقه وقد زالت التابية بالكامل.

أما في المغرب الأوسط فقد أكد لنا جورج مارسي ومن خلال المعاينة الميدانية أن في تلمسان هناك الأسوار من التابية والتي وصل ارتفاع أسوارها الى 11 أو 12 تابية، أما الأبراج فبلغت 17 تابية ارتفاعا [1]، بالإضافة الى وزرة من الدبش تبلغ 2.10م ارتفاعا وأحيانا ما نجد الوزرات من الدبش ومداميك من الآجر، كما كان في قصبة هنين، طبعا لمقولة البكري، أسوار من التابية ويمكننا أن نرى هذه المادة حتى الأن مصحوبة بالحجارة والآجر والتي تعود الى العهد الموحدي.

أما في الأندلس فنجد أن الموحدين قد اعتمدوا هذه الطريقة في تشييد المدن والحصون والقصور والقصبات، فمن خلال إبن صاحب الصلاة، نعرف أن أبا يعقوب يوسف أمر بإعادة بناء أسوار اشبيلية في الجزء المحاذي للنهر على حسابه، وهو الجزء الذي كان قد تهدم بفعل الفيضان العظيم الذي حل بها عام 1169م، وتمت عملية إعادة البناء باستخدام خلطة الجير والزلط ابتداءً من الأساسات، كما وصلتنا بعض حالات لأسوار مشيدة من التابية كلها تلقت تقوية الكتل الحجرية وخاصة في الوزرات وأركان الأبراج مثلما هو الحال في برج الذهب بإشبيلية[2].

ونلاحظ في أسوار قصبة بطليوس أسوار التابية بها فجوات ووزارات زائفة من الحجارة والدبش، وفي برج Espantaperres هناك كتل حجرية زائفة، أما في مدينة قصرش فنجد

---

(1) George (M), tlmcen…op cit, p60.

(2) باسيليو بابون، المرجع السابق، ج2، ص 399.

السور ذو الأبراج مشيد بكامله من التابية المصحوبة بالفجوات، وهناك كتل حجرية مدهونة في الجهة الخارجية، ووزرات من كتل حجرية في أبراج برانية، وكذلك نتوءات [1].

وفي الأخير نستطيع القول أن البناء بالتابية التي أثبتت فعاليتها وجودتها منذ العهد الموحدي حيث تم استعمالها من طرف كل الدول التي أتت من بعدهم،

وقد اختلفت في أحجامها وصلابتها، ونسب المكونة لها من فترة لأخرى وكذا على حسب البناء المراد إنجازه، كما أن الحجم يختلف حتى فيما بين تحصينات متزامنة، ولا تزال هذه المنشآت صامدة أمام عوادي الزمن رغم ما مر عليها من تأثيرات الحروب وعوامل طبيعية فهي بحق هياكل معمارية صلبة.

3- الآجر:

يعد الآجر مادة للبناء والزخرفة في وقت واحد، وهو عبارة عن قطع ذات حجم واحد يبلغ طولها 26سم وعرضها 13 سم وسمكها 3 سم، ويصنع إنطلاقا من خليط مكون من التراب والماء بنسب معينة، ثم يترك تحت أشعة الشمس لمدة طويلة قبل أن يطهى في أفران خاصة بذلك [2]، وإذا ما باعدنا جانبا الأسوار والأبراج المشيدة من التابية خلال العهد الموحدي لوجدنا الآجر ينتصر بإعتباره مادة بناء خلال القرن 12م، حيث يستعمل في بناء زوايا الأبراج وغرفها والسلاليم المؤدية الى أسطحها وشرفات الأسوار، وأعمدة الأبواب وأقواسها وقببها من الداخل، وقد استعملت هذه المادة بطرق مختلفة وتتمثل فيما يلي:

---

[1] باسيليو بايون، المرجع السابق، ج2، ص340-341.

[2] جورج مارسي، بناء، المرجع السابق، ص 33-34.

أ- طريقة المداميك المنتظمة:

وتقوم على مادتي الآجر والملاط حيث ينظم فيها الأجر أفقيا على شكل مداميك متراكبة متكررة بطريقة محكمة ومنتظمة، ويبدو فيها الملاط الأحم كطبقات عمودية بين المداميك، مما يعطي الإنطباع بمظهر فني وجمالي [1]، وقد استعملت هذه الطريقة في أجزاء كثيرة وخاصة في بناء الأعمدة والأبواب وفي أجزاء بعض السور.

ب- طريقة المداميك المتناوبة:

وتقوم على تكرير المداميك من الآجر والتابية من الحجارة غير المصقولة، ومداميك من الآجر بالتناوب، فيها مجموعة مداميك أجرية بمعدل ثلاثة أو أكثر تتكرر تناوبا مع المدماك أو أكثر من الحجارة، وبتنظيم كل منها بطريقة أفقية بترابط المداميك مع الآجر كل مع الأخرى بطبقة من الملاط الأحم يختلف سمكها بين مداميك الآجر، ومداميك الحجارة غير أن هذه الطريقة البنائية يمكن أن تغطي الجدار بكامله [2].

ولقد استعمل الموحدون في العمارة الحربية بالأندلس هذا الصنف والمعروف بالرص الزائف للآجر، حيث كانت المادة تبدو حمراء، أما الفجوات أو مكان طبقة المونة فهي بيضاء ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما نجده في البوابات الموحدية، كما يلاحظ أن القطاع أو الطابق الثاني في برج الذهب الذي شيد بكامله من الآجر يضم نمطا جميلا من الرص الزائف للآجر باللون البني حيث يشمل أيضا رصا زائف من الكتل الحجرية ترجع الى عصر المرابطين [3].

---

(1) منير أقصبي، المرجع السابق، ص 204-205.

(2) المرجع نفسه، ص205.

(3) باسيليو بابون، المرجع السابق، ج2، ص 392-393.

ت – طريقة المداميك المائلة:

وأستعملت فيها بناء الأقبية الأسطوانية والعقود بداية من:

- تقنية بناء الأفقية الاسطوانية:

تقوم هذه التقنية على تنظيم قطع الآجر بطريقة مائلة ميلا حادا من غير قالب، حيث تحمل الحوائط المائلة وتشد فوقها مداميك أفقية تأخذ في الانحناء التدريجي لتشكل الجزء السفلي للقبو، ليكون بذلك قاعدة جيدة له، ومنها نتبع طريقة جيدة في بناء أقبية عن طريق تقسيمه الى قطع على شكل عقود متوازية، تعتمد على أحد حوائط العمق كنقطة ارتكاز وانطلاق وعلى الأساس تقوم العقود بتكوين اشكال مربعة قائمة مع أخرى بملاط سريع التلحيم، حيث تلحم القطع السابقة مع التالية بها ثم يملأ الفراغ وهكذا يتم تشكيل القبو، وهذه التقنية قديمة عرفها الساساينون في بناء أقبية عمائرهم [1]،واستعملها الموحدون في تشكيل الأقبية الأسطوانية، وبكثرة في تسقيف الأبراج وفي مداخل الأبواب خاصة في مدينة رباط الفتح.

- **تقنية بناء العقود:** (**أنظر الشكل رقم : 14**)

تتشابه طريقة تنظيم الآجر في مداميك بناء العقود، حيث يعتمد في بنائها على قالب خشبي، حيث يحدد خطوطه التحديدية القائمة والمقوسة تفصلها قطعة مستوية، تمتد بين نقطتي مثبت العقد على الجانبين إذا كان العقد منكسرا [2].

أما تنظيم الصفوف نفسها، فتبدأ من الأسفل الى الأعلى بطريقة منتظمة ثم بطريقة مائلة عندما تصل الى مستوى بداية التقوس، لتتحول الى ميل تدريجي، وتستمر في ذلك حتى تصل الى مفتاح العقد فيترك فراغا مثلثا قاعدته مقوسة الى الأعلى ورأسه الى الأسفل في منتصف

[1] باسيليوبابون، المرجع السابق، ج2، ص 379.

[2] منير أقصبي، المرجع السابق، ص205.

التقويسة، ويحدده تنظيم قطعتي أجر أو اكثر بطريقة شاقولية، وهذا ما هو واضح في عقد مدخل باب الرواح برباط الفتح.

أما العقود فتبنى بواسطة طبقات مشعة حول نقطة مركزية في منبتها، أو أنها ترتفع بطريقة محمولة حتى نقطة التلاشي، وبواسطة طبقات مشعة في الاتجاه الأعلى، أما المفتاح فيشكل بزاوية أو زوايا متراكبة [1] ونجد ذلك في عقود المداخل الموحدية والملاحظ في باب زعير وباب الأحد.

4- الملاط الجيري:

تلعب هذه المادة دورا مهما في الربط بين مواد البناء الأخرى وتكمن أهميتها في أنها غير منفذه للماء لكنها تسرب الهواء لداخل البنايات مما يعطيها قدرة على التنفس والتكيف مع أحوال الطقس، وهي عبارة عن خليط يتكون بنسبة الثلثين من الرمل، وبنسبة الثلث من الجير، فجودة مواده وطريقة صنعه تساهم بالإضافة الى مواد أخرى في إعطاء صلابة أكثر للبناء، ويستعمل هذا الخليط في الربط بين المواد الأجزاء الثلاثة للأسوار اثناء بنائها، الأساس، والجسم، والشرفات، كما يوضع على شكل طبقات رقيقة بشكل تناوبي مع طبقات الآجر فيما يخص بناء الأسوار الداخلية والغرف والسلاليم، والقباب الموجودة في الأبراج والقصبات والابواب.

وقد استعمله الموحدون في كل عمائرهم خاصة الحربية، والتي تشهد على جودة مواده وطريقة صنعه. وما صلابة تلك البناءات في وجه عوائل الزمن لدليل على ذلك.

5- الخشب:

لقد كان دور الخشب المزيد من تقوية المباني الحجرية والمباني المشيدة بالآجر أو الدبش، وكان يتم إدخال الخشب أو تعتيقه فوق مراقد في البناء في شكل شبكة خشبية تقوم بدور القاعدة بدلا من الكتل الخشبية، كما يتم وضع اغصان مكان هذه القاعدة بدلا من الكتل

---

[1] منير أقصبي، المرجع السابق ، ج2، ص205.

الخشبية، كما يتم في بعض الأحيان وضع الخشب أفقيا بحيث يقوم بدور الفاصل بين طرائق مختلفة للبناء بعضها فوق بعض، وحتى نتمكن من القيام بدراسة جيدة للأخشاب بإعتبارها مادة انشائية مساعدة تستخدم في الأسوار والمنشآت الموحدية يجب تصنيفها الى ما يلي:

أ- الشبكات الخشبية في الأسوار الخشبية:

وتقوم هنا بدور ربط الكتل الحجرية ذات الزوايا القائمة التي كانت تساعد على انسياب المياه في الانحدار الخفيف بين قواطع التيار، وبذلك تتم الحيلولة دون تآكل تلك القواطع بسبب تدفق المياه، ولقد عثر على مثل هذه الشبكات الخشبية الموجهة لمزيد من ربط الأسوار الحجرية الموجودة في بعض الأبراج الأندلسية خاصة برج قصرش، كما توجد تلك الشبكات الخشبية في مسجد حسان بالرباط. وبالتحديد في حائط القبلة رغم أنه مشيد من التابية [1].

ب- واجهات الأسوار ذات الأحادية الأفقية

لقد كانت تضم تلك الأخاديد كتلا خشبية يتم بردها لتتلاءم مع البناء، وقد أكثر الموحدون من هذا النوع خاصة في عمائرهم الحربية، خاصة الأسوار الموجودة في كل من فاس البالي، ومراكش (القصبة) حيث كانت الأخشاب من المواد المفضلة في أربطة الزوايا كما أكد لنا باسيليو بايون استعمال هذه المادة في الأندلس خاصة حصن كاسترو بمدينة قصرش ذا الأسوار الحجرية وهي من البناء الموحدي [2].

ت- كما وجد نمط آخر في مدينة فاس البالي على بعض البوابات الحربية التي توجد بها قطاعات علوية فيها تبادل بين الآجر وقطع من الخشب الموضوعة رأسيا وكأنها رص مع فاصل يتراوح بين 45سم و50سم.

---

[1] باسيليو بايون، المرجع السابق، ج2، ص 364.

[2] المرجع نفسه، ج2، ص 364-365.



ث- كذلك نجد استعمال هذه المادة خاصة فيما يتعلق بالقطع الخشبية الخاصة بالراقدات التابعة للتجاويف الناجمة عن صناديق التابيات، حيث أنها كانت جزءا من هذه الصناديق الخشبية المستخدمة في صناعة التابية، كما أن مادة الخشب كانت تتداخل في الأعمال الانشائية بشكل يجعلها أكثر تماسكا حيث كانت درجة نفاذها تتراوح بين 40سم و50سم، بعد الانتهاء من صناعة التابية ومن هنا يجزم الباحث باسيليو بايون بأنه ليس صحيحا القول بأن الخروم الخاصة بالتجاويف كانت خاوية منذ إقامة السور، وفي هذا الإطار ربما نجد ألوانا وصنوفا شتى فقد كانت الراقدات تترك لتقوم بدور التماسك، أو كان يتم نزعها لإعادة استخدامها في صناعة التابية الأخرى، وبالتالي تتم مراعاة البعد الاقتصادي وخاصة في المناطق الفقيرة نسبيا في مادة الخشب، وكانت هذه الكتل الخشبية اسطوانية أو ذات رأس مستطيل [1].

ويجزم تيراس على أن الصنف الأول هو الأكثر شيوعا ذلك أنه كان عبارة عن أفرع من الأشجار لم تخضع لأية أعمال نجارة[2].

ج- كما تم استخدام الأوتاد الخشبية بين العقود، حيث انتشر هذا الاستخدام خلال العهد الموحدي.

وذلك راجع للسمة الرئيسية لمثل هذا الاستخدام، هو ان حيز العقد الموجود فوقه أي فوق الوتر مطموس، وهذا سيرا على ما هو معهود في العقود الحجرية التي يعلوها عقد عتب،ـــ وقد وجد هذا النوع في الأبراج البرانية الموجودة في سور مدينة قصرش، حيث نلاحظه في عقد جسر واحد من تلك الأبراج، هذا وكانت هناك عقود أخرى ذات عتب حجري وطبلة دون

---

[1] باسيليوبابون، المرجع السابق، ج2، ص 368.

[2] Terras (H), op l'art hispano…., opcit, p223.



طمس، وهي عبارة عن هياكل خشبية يتم انتزاعها بعد الانتهاء من أعمال البناء أو أنها كانت تترك على ما هي عليه، وقد ذاع هذا النمط في الأندلس وخاصة في العمارة المدجنة[1].

خ- استخدام الخشب كقاعدة للعقد كأنها فرصة التاج أو الحدائر، وكان امتدادها رائسيا خلال البراذع، وقد شاع في عمائر الموحدين حيث نراه في عقود مسجد الكتيبية في مراكش، وفي تينمل نجد العقود المطموسة خارج المحراب تضم حليات معمارية مقعرة من الخشب ولها بروز منحني على شكل ربع أسطوانة.

د- استعمل الخشب كذلك في عملية التسقيف، حيث كان من المعتاد في الأبراج الحربية المجوفة الكائنة في الأسوار وكذلك في أبراج الطلائع المستطيلة، أو المربعة، أو الأسطوانية، أن تكون الأسقف المرتجلة من الخشب، وقد أكد لنا تيراس ذلك حيث يقول أنه عندما زالت الأسقف المرتجلة من الخشب، خلقت لنا آثارها المتمثلة في التجاويف الكائنة داخل السور، غير أن الأخشاب عادة ما كانت تتكئ على رفارف صغيرة تبلغ عدة سنتمترات. وبالتالي نجد السور يتضاءل سمكه من أسفل إلى أعلى[2]،وقد أكد لنا باسيليوبايون على انتشار هذا النوع من الشقيف في شتى أرجاء إقليم الأندلس، حيث أخبرنا أن الأبراج الاسطوانية الشكل كان بها أسقف عبارة من كتل أسطوانية من الخشب والتي كان يتم تجديدها كل مائة عام أو مئة وخمسين عاما، حيث يرتبط هذا النوع الخشب المستخدم ودرجة مقاومته[3].

هـــ- كما تم استخدام الخشب كعنصر تماسك لأعمال البناء في بعض الأحيان، حيث أن هذه الأعمال كانت تتعرض لضغوط هائلة تتمثل في القباب وهذا من السمات الميكانيكية للخشب، كما أن الخشب عنصر بناء يحافظ على التوزيع المتوازن للأعمال الواقعة من القبة إلى الأكتاف أو

(1) باسيليوبابون، المرجع السابق، ج2، ص368-369.

(2) terras (H), l'art hispano…, op cit, pp 224-225.

(3) باسيليوبايون، المرجع السابق، ج2، ص269.



الدعامات وتحول بذلك دون حدوث شروخ، وقد تم استعماله من طرف البناء في الفترة الموحدية وخاصة في قباب المساجد وقباب أسقف غرف الأبواب.

كما عثر باسيليوبايون على قطع خشبية تحت الجدار الموجود بتازة (الجهة الجنوبية) ، حيث كانت توجد على كل مسافة معينة من السور، كما لاحظ وجود بعض القباب شبه أسطوانية في مدينة رباط الفتح والمتمركزة في كل من باب الأحد في سور المدينة، وكذلك غرفة مئذنة حسان بالرباط حيث تقوم على مثلثات كروية مستوية مكونة من ثلاثة أو أربعة قطع خشبية، وكأننا نرى التربيعات التي توجد في زوايا الأسقف الخشبية في العمارة الأندلسية حسب باسيليوبايون[1].

كما أننا لا ننكر أن هذه المادة استخدمت في العهد الموحدي، حيث تمثلت في تلك المنشآت الدفاعية المشيدة من الخشب كالأبراج المتحركة والأسوار التي تحميه الخنادق، ومن الأمثلة ما حدث أثناء حصار الموحدون لمدينة وجدة حيث ورد أنه أقيم خندق تحمه خوازيق خشبية.

06- الحديد:

استعمل الحديد كمادة مكملة في البناء الموحدي، حيث استعمل في مغالق الأبواب، وفي الربط بين الألواح في شكل مسامير، والحديد يضم مجموعة من الأنواع، منها الحديد الزهري الذي يتميز بعدم النقاوة لاحتوائه على نسبة كبيرة من الكربون، مما يصعب من مهمة استخدامه لسهولة تكسيره، وإذا ما تعرض للطرق والسحب، ويدخل في الصناعات الحديدية كالبوابات والأثاث المعدني[2].

---

(1) باسيليوبابون، المرجع السابق، ج2، ص270.

(2) محمد زهوان، فنون أشغال المعادن مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1965، ص08-09.

ومن أنواع الحديد أيضا المعدن الصلب، وهو على شكل سبيكة من الحديد والكربون، يتميز بسهولة تشكيله، وإمكانية برده، وكانت الأدوات الحديدية على اختلاف أنواعها، وأغراضها تصنع بطريقة الطرق والصب[1]. ويبدو أن الحديد الذي استخدمه المعمار الموحدي، يكون قد طبقه عليه عن طريق الصب، وتعتمد هذه الطريقة على صهر الحديد وصبه في قوالب نموذجية، وكما كانت للحديد طرق مختلفة لصناعته فإن هناك طرق أخرى للزخرفة تقوم على التخريم، والتكفيت والترصيع.

كما استخدمت هذه المادة في تثبيت وتوصيل الأجزاء المختلفة من القطع المعدنية، وعلى حواف المصرعين في الأخشاب، وصناعة المسامير المختلفة الحجم التي كانت ذات مظهر فني على شكل مستدير ذو قبيبات صغيرة ذات قنوات وأخاديد، وهذا ما نلاحظه على كل من باب الرواح بقصبة الوادايا، وباب أكناو بمراكش.

07- الجص:

لقد استعمل الجص في العمارة الموحدية بأشكالها لغرضين أثنين أولا: لتغطية الفجوات بين الحجارة المشذبة أو الدبش، كما هو الحال في الجزء المتبقي من بعض الأسوار خاصة تلك الموجودة بمدينة تازة[2].

ثانيا: لاكتساب الجدران المنظر الجميل والنعومة، وقد استخدم في زخرفة باب أكناو بمراكش، وقد كان استعمال الجص على الجدران وفق ما أخبرنا به ابن خلدون حيث يقول« في أن يترك الجبس في الماء مدة أسبوع حتى يتخمر، فإذا حصل له ذلك يبدأ الجصاص بوضعه فوق الجدران إلى أن يلتحم بها... » [3].

---

[1] محمد زهوان، المرجع السابق، ص09.

[2] عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج3، ص239.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص492.

كما استعملت هذه المادة في الزخرفة حيث يتم ذلك بتحديد الفنان الموحدي الزخارف المراد تنفيذها، ثم يبدأ بحفر المساحات الخارجية عن اطار الزخرفة بواسطة مثاقب حديدية هذا وقد استعمل الجبس في عملية التسقيف، حيث كان يصب بين العوارض الخشبية أو الألواح، بعد أن تسد الفتحات من الأسفل بأخشاب مسطحة، ويعتبر الجبس مادة عازلة للحرارة والصوت، وسهل الزخرفة(1).

وقد تركز استعماله في العهد الموحدي في تلبيس الجدران داخل المباني وواجهات الحصون والأبراج وغيرها من الأبنية الحربية.

وفي الأخير يمكن القول إن انتشار العمارة الحربية بالمغرب والأندلس، رافقه رواج مواد البناء خاصة حجر الدبش والتابية، بالإضافة إلى المواد الأخرى، ومن البديهي القول أن انتشار مواد البناء، إلى جانب توفر تقنية عالية في عملية البناء قد أدى إلى صمود العديد من المعالم في وجه التطورات الطبيعية والبشرية.

ثانيا: تقنية الزخرفة:

تميزت الزخرفة الموحدية بثراء النقوش من حيث الأشكال والتقاسيم مع بقائها واضحة المظهر حفيفة اللمس، دون غلو أو تشعيب كما نرى في محراب مسجد الكتيبة الذي يعكس أساليب الزخرفة في الفن الموحدي، وصوامع الكتيبة بمراكش، وحسان بالرباط، والخير لدا باشبيلية، وكلها صوامع تم تشييدها في وقت واحد تقريبا أي خلال عهد يعقوب المنصور سنة 593 ه، وهي متفقة في الشكل متنوعة في التفاصيل الزخرفية ومواد البناء، فصومعة المسجد الأعظم باشبيلية (الخيرالدا)، مبنية من الآجر، ومعظم صومعة جامع القصبة من الآجر، بينما بنيت مئذنة جامع حسان والكتيبة من الحجارة، وقد استمدت تلك الصوامع حليتها من تعدد أنواع العقود والفتحات وكسوتها بشبكة المعينات المفصصة التي تعكس أشكال العقود المتقاطعة

(1) منير أقصبي، المرجع السابق، ص206.

وهي ظاهرة فنية ترجع إلى الفن الحمادي بالقلعة، وقد ترك لنا الموحدون ثروة كبيرة من الجدران والأبواب المزخرفة بعمائرهم خاصة الحربية حيث تجمع بين رقة الإنتاج وفخامته.

وعندما نتابع ظهور زخارف جامع القصبة بمراكش والمسجدين الجامعين بالرباط، واشبيلية، ثم ظهور أبواب رباط الفتح، وباب أكناو بمراكش، فإننا نستطيع إدراك تقدم فن الزخرفة المحفورة على الحجر تقدما عظيما في عصر الموحدين، وسنحاول التطرق لأنواع الزخرفة الموجودة على تلك المنشآت المعمارية بالإضافة إلى الأساليب المتبعة فيها...

1. الزخرفة النباتية:

تتمثل الزخارف النباتية في ظاهرة التوريق العربي، وتتألف من فروع، وسيقان منثنية، ومتشابكة، ومتقاطعة.

تبدو حينا قريبة من الطبيعة، وفي معظم الأحيان شديدة التصوير أقرب على صور هندسية منها إلى أصلها النباتي، وظلت تنتشر وتنمو في المناطق التي بلغتها حتى وصلت إلى أقصى درجة تطورها في القرن 6و7 ه/ 13و 14 م. متشكلة من فروع وسيقان، تتفرع أو تتوزع منها مراوح بسيطة أو مركبة، المفردة والمزدوجة، وزهيرات ترتبط بها أو تجاورها أو تلامسها[1]، وقد احتلت الزخارف النباتية المباني العسكرية الموحدية حيث رسمت بأسلوب يتلائم مع وجودها في المسطح، وهي تمتد في أماكنها بطريقة فعالة على حسب موضعها امتدادا طوليا أو أفقيا، أو عموديا، في حركة متنوعة من الامتداد المستمر، والالتفاف حول نفسها وحول غيرها من العناصر، لقد ورث الموحدون الكثير من العناصر النباتية من الفن المرابطي والأندلسي المغربي[2]. ذلك أن معظم العناصر النباتية التي خلفتها تلك الحضارات السابقة للعهد الموحدي انتقلت اليها المراوح النخيلية، وهي نوعين البسيطة والمراوح المزدوجة، وبدأت البسيطة تراجع

(1) الالفي أبو صالح: الفن الإسلامي، أصوله فلسفته ومدارسه، دار المعارف المصرية، القاهرة، 1974، ص 113-114.

(2) عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج2، ص69.

شيئا فشيئا منذ منتصف القرن 5ه، تاركة مكانها للمراوح المزدوجة[1]. وحسب ما نلاحظه في الميدان أنه انتشرت المراوح البسيطة والمزدوجة على عقود المدخل، والأبراج الموحدية.

أ. المراوح البسيطة: (أنظر الشكل رقم : 15)

وهي في العادة تكون من ورقة أو فص واحد ممدود أو ملولب ذي انحناء خفيف على هيئة حرف –ل– يتدرج من الشكل المفتوح إلى الشكل المنغلق، وتتركب من قاعدة وبدن ونهاية، القاعدة ذات شكل برعم كأسي، أو تتخذ لسان ملفوف الوسط، أما البدن فيلتوي على شكل لولب منفوخ وينتهي بنهاية حادة ملتفة على نفسها التفافا خفيفا أو حادًا، غالبا ما يكون على هيئة علامة استفهام "؟" ويوجد هذا النوع البسيط على زخارف واجهته باب أكناو، وباب زعير بطريقة متماثلة ومتقابلة حيث كانت متزاحمة بطريقة متبادلة أفقيا وعموديا[2]، تنطلق من ساق واحد ثم تستقبل كل منهما عن الأخرى وتكون المراوح البسيطة هنا من قاعدة كأسية غير مخرمة وبدن ذو انحناء خفيف ينسلب إلى الأعلى لتتراجع نهايته المدببة إلى الخارج، وتستدير دون أن تلتقي بجسمها[3].

ب. المرواح المزدوجة: (أنظر الشكل رقم : 16-17)

فهي أكثر انتشارا، وأكثر استخداما من طرف الفنان الموحدي وهي تتكون من فصين شبه متساويين ينتهيان في زاوية حادة هي أكثر استطالة، وانسيابا من المراوح البسيطة، لكن بنفس الانحناء، تتميز بحرية كبيرة في هيئتها، وتتقبل هذه المروحة جميع صور التمدد والاستطالة والانحناء بتناسق، وانتظام كما تتراجع فصوصها، وتتراجع نهايتها إلى الداخل حيث يشكل

---

(1) عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق ، ج3، ص249.

(2) Marçais (G) et (W), les monuments Arabes de themcen fontemoig, paris 1964, p107.

(3) ibid, pp 107-108.



أحيانا هيئة دائرة، كما يتصل بأحد فصيها مروحة فتصبح مروحة ثلاثية، ويكون أحد فصيها غليظا والأخر رشيقا[1]. (**أنظر صورة رقم :35**)

كما تتضح فصوصها في التوائها فتأخذ علامة استفهام -؟- أو شكل آخر كما أنها تتألف من فصين انفتاحهما منعرج، أو أقل انعراجا، كما قد يكون أحد فصيها قصيرا حاد، ومدبب منحني قليلا، أو أقل انحناء، بحيث شبه أصبع الابهام، وفص آخر متخذا علامة إستفهام، تنظيم المروحة المزدوجة في الزخرفة العامة على أوضاع مختلفة قائمة ومستقلة، يتصل بعضها البعض، أو ينفصل، وهذا من أجل تشكيل صورة زخرفية، أو أشكال فنية متنوعة في هيئتها إبعاد لروح الملل، وهذه المراوح تتشابه فيما بينها على حد كبير، حيث نظمت فيها تنظيما متباينا، وأعطيت صور عديدة لأشكال، إذ تحول بعضها من هيئتها النباتية إلى هيئات هندسية كأشرطة ودوائر وهو ما أكسبها رشاقة وذلك بفضل خطوطها الانسيابية والمنحنية والمائلة فيرتاح البصر[2].

وقد استعمل هذا النوع من الزخرفة في الأبراج المغربية والاندلسية والتي تعود إلى العهد الموحدي خاصة إذا علمنا أنه في خلال القرن 6 ه بدأ ظهور أبراج ذات حليات أفقية ضيقة، أو كنارات بارزة عند مستوى فتحات المراقبة أو تحتها، ومع مرور الزمن أخذ عدد هذه الكنارات في الازدياد حيث بلغ أقصى حد له وهو أربعة، ومن بين الأبراج ذات الأشرطة الأفقية البارزة نذكر بوابة قصبة الوادايا برباط الفتح، والتي تحمل أبراجها شريطين في الجزء العلوي أولاهما وأعلاهما في مستوى شرفة التحصين[3].

---

(1) Marçais (G) et (W), les monuments….opcit, p108.

(2) عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج2، ص251.

(3) باسيليوبابون، المرجع السابق، ج1، ص497.

كما نجد في البرج الأبيض في اشبيلية، وبعض الأبراج الأخرى في نفس السور وهي كلها ذات شريطين زخرفيين"، ونفس الشيء بالنسبة للبرج البراني المسمى أسبنتابروس في قصبة بطليوس[1].

أما عن الأبراج ذات ثلاثة أشرطة والتي أحيانا ما نجد السفليين يحيطان بنوافذ صماء أو مفتوحة، كبرج الذهب في اشبيلية، والبرج البراني الكائن في أحد الأركان بقصبة شريش[2].

وفي الأبراج ذات أربعة أشرطة نجد برج الفضة باشبيلية وبرج في قصبة بطليوس مع وجود شريط صغير تحت الجدار الفاصل بين شرفتي الحصن، - المراقب- وشريط آخر على مستوى الشرفة، أما الآخران فهما في الجزء السفلي يحيطان بجدار أو بواجهة ملساء، ويعتبر البرج الأبيض حسب باسيلبوبايون من الحالات الفريدة بالنسبة للأشرطة الأفقية، حيث أنها ترتبط بأخرى رأسية، كذلك هي الحال في برج الذهب بأشبيلية، وفي البرج البراني في قصبة شريش، حيث يوجد لكل منهما نوافذ صغيرة صماء أو زخرفية[3].

ت. العنصر الملفوف (الثعباني):

العنصر الملفوف أو المسمى بالثعباني لاتخاذه شكل حية ملفوفة الجسم حول رأسها يعرف مرحلة مبكرة في عصر الموحدين بجامع تينمل، ثم تطور بباب الرواح وجامع الكتيبة، ويذكر عثمان عثمان إسماعيل، أن ذلك العنصر كان يوضع عند منابت العقود الضخمة متعددة الفصوص منذ القرن 05 ه، ويأخذ في التطور إلى أن يصل إلى باب قصبة الوديا الموحدي إلى تضخم في الحجم يجعل ذلك العنصر يشغل بذاته مساحة الفص الأول الذي ينطلق منه تصميم

---

(1) باسيليوبابون، المرجع السابق، ج1، ص 497-498.

(2) نفس المرجع ، ص498.

(3) نفسه، ص498-499.

العقد المفصص، ويكون عادة على هيئة ورقة مزدوجة وقد استند الباحث في ذلك على أبحاث بروسبيرريكار خاصة وأن هذا الأخير كان ممارسا للصناعات التقليدية المغربية[1].

ومجمل القول أن العنصر الملفوف قد تخطى العنصر المعماري الأصل ووظيفته المعمارية الأولى – لحمل منابت العقود لينطلق فوقه قوس العقد، ليصبح عنصرا معماريا وزخرفيا في نفس الوقت، مع العلم أنه في عصر المرينيين يفقد هذا العنصر وظيفته المعمارية وتتبلور مهمته الزخرفية، ويتخذ شكل ثعبان ملفوف حول نفسه يملا الفراغ الناشئ في النص الأسفل من عقد مدخل شالة الكبير بعد أن كان هو نفسه يشكل الكابولي الذي يرتكز عليه العقد في كل من الجانبين.

ث. القوقعة: : (أنظر الشكل رقم : 18)

نجد أن الفنان الموحدي جعل في بنيقات الأبواب تظهر زخرفة زهرية تشبه الورقة النخيلية- سعف النخل- تذكر بالبالمت القديمة ولكنها تبدو هنا بفصوصها الاشعاعية عنصرا نباتيا إسلاميا، يذكر بالقوقعة والتي عرفها الفن الإسلامي منذ عصر الخلفاء[2]. وقد وجدت هذه الزخرفة في أغلب الأبواب الموجودة برباط الفتح وخاصة بباب قصبة الودايا. (**أنظر صورة رقم :36**)

2. الزخارف الهندسية:

أ. شبكة المعينات:

تمثلت هذه الزخارف في شبكة المعينات حيث تتشابه المعينات الزخرفية في واجهات الأبواب الموحدية، وتختلف في طريقة توزيعها فتتشابه في باب القصر الملكي، الذي تعذر علينا

(1) عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج3، ص93.

(2) المرجع نفسه، ج3، ص126.



تصويره وفي جزء من باب الأحد وتنفرد في واجهة قصبة اشبيلية، حيث تتوزع في الأولى على جانبي العقد وفوقه، أما في الثانية فكانت فوقه، هذا الاختلاف ربما يعود حسب باسيليوبابون إلى أهمية الباب بالنسبة للمدينة وموقعه أو ربما لكونها لم تبنى في وقت واحد[1]. حيث شكلت من خطوط منحنية ومنكسرة على هيئة قطع عضوية، أو قضبان، حيث ينتهي كل معين في أعلاه بورقة ثلاثية مخرمة على هيئة وردة نباتية ذات ساق نازلة، ورصت خروم الوردة بصفوف من الزليج ذي اللون الأخضر والذي على الأرجح يعود إلى الفترة المرينية، هذا بالإضافة إلى ألوان أخرى مثل الأبيض والأزرق القاتم على الترتيب على غرار المعينات الموجودة في باب القصر الملكي بالرباط، كما نلاحظ بأن باب الأحد لم ترصع خروم الوردة بالزليج، كما عم استخدام شبكة المعينات المتجاورة في جميع المباني الموحدية خاصة منها واجهات المآذن والمساجد، حيث تنوعت بين العناصر الهندسية والنباتية.

وتبقى شبكة المعينات ما هي إلا استمرار وتطور لنفس العنصر الزخرفي الذي كان منتشرا في العهد المرابطي وحتى الأندلس، حيث استوحت منها الخطوط العامة لتركيباتها الزخرفية، وعلى الرغم من اختلاف مؤرخي الفنون كاجورج مارسي، وهنري تيراس في الأصل الزخرفي لهذه الظاهرة غير أنهم اتفقوا على أن موطنها الأصلي كان الأندلس، لكن حسب مؤرخ الفنون المغربية، عثمان عثمان إسماعيل فإن أصل هذه الزخرفة مغربي الأصل ودليله في ذلك أن شكل المعينات كانت ترمز في المعتقدات الشعبية الأمازيغية إلى عدد العيون اليقظة والحذر، ولذلك عمت تلك الزخرفة جميع مبانيهم، ومنتجاتهم النسيجية والخشبية.

ب.العقود المفصصة التطويقية أو التغليفية:

لقد فصل الفنان الموحدي من تطويق أو تغليف العقود الحاملة ذات وظيفة معمارية بعقد آخر مفصص بشكله البسيط، أو المركب حيث كانت الفصوص نصف دائرية أو أقل منها في

[1] باسيليوبايون، المرجع السابق، ج2، ص66-67.



باب قصبة اشبيلية، وباب قصرش الذي أدخلت عليه عدة تعديلات في العهد المسيحي، وأحيانا تتقاطع هذه الفصوص فيما بينها وتتراكب مشكلة فصوصا أخرى مدببة، وأحادية تتناوب فيما بينها ويتضح ذلك جليا حسب باسيليوبايون، في باب قصبة بطليوس[1].

3. الزخرفة الكتابية:

لقد كانت الزخارف الكتابية ميزة من مميزات الفنون التي استخدمها الفنان الموحدي سواء على الابنية أو التحف المختلفة، والتي لا يقصد بها دائما اثبات صاحب التحفة أو مؤسس البناء وتاريخيه، بل كانت تمثل في أغلب الحالات الى الجهاد وترسيخ عقائد الدولة الموحدية فعملوا على رشاقة الحروف وتناسق أجزائها وتزيين سيقانها ورؤسها، ومداها وأقواسها بالفروع النباتية والوريدات.

وقد لعبت الكتابة دورا كبيرا كعنصر زخرفي في العمائر الموحدية خاصة منها الحربية، فقد استخدام الخط العربي، وهو الخط الذي كتب به القرآن الكريم بأنواعه المختلفة، فأنتج بذلك أشكالا لا متناهية من الزخارف الكتابية، مثل الكوفي والذي يعتبر أكثر الخطوط المستخدمة في الزخرفة الكتابية، حيث يمتاز بزواياه القائمة.

وقد كان بسيطا في أول أمره ثم تطور في سبيل الرشاقة منذ القرن 3 ه/ 09 م، ودخلته الزخارف النباتية المتفرعة والمتشابكة فسمي الخط الكوفي المزهر، ثم أصبحت الحروف في القرن 5 ه/ 11 م أنيقة تقوم على أرضية من الزهور والاغصان حتى جاء النصف الثاني من القرن 6 ه/ 12 م، وبدأ الخط النسخي يستخدم على الأبنية وفي المناسبات الرسمية، بدلا من الخط الكوفي، وهو خط عادي كان غير مستخدم قبل ذلك، إلا في المخطوطات العادية[2].

---

[1] عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج3، ص260.

[2] الألفي أبو صالح، المرجع السابق، ص169-170.



وقد اعتمد الفنان الموحدي الخط الكوفي الخالي من التعقيد الزخرفي والمتناظر في نفس الوقت، حيث نقف عليه في الواجهة العلوية من قصبة الوديا برباط الفتح، حيث نلاحظ شدة حرص الفنان على جلاء الخط والميل إلى استخدام التوريق البسيط مع قلة التعقيد، وتفضيل شطف هامات الحروف بمساحات واضحة خالية من التقسيم أو الوريقات التي سبقت إلى الظهور بافريقية[1].

وتعتبر طريقة الحفر المائل التي استعملها الفنان الموحدي بكثرة في جميع أنواع المواد الصلبة كالرخام والحجر وغيرها من أسهل وأسرع الطرق في التنفيذ.

بحيث تقابل حوافها ببعضها البعض مشكلة زوايا منفرجة وحادة.

كما أننا نلاحظ انحصار شريط الكتابة الكوفية البسيطة كذلك مع الزخرفة في باب الرواح بالرباط في الواجهة المطلة على ظاهر المدينة في مساحات ضيقة، بينما تزيد المساحة في الواجهة المطلة على داخل المدينة انسجاما مع المساحة المتاحة في كل من الجهتين، لأن واجهة المدخل الخارجية أقل اتساعا في المساحة بسبب حصر الواجهة الرئيسية للمدخل بين البروزين المحيطين بفتحة الباب بقصد زيادة الخطة الدفاعية في مقابلة أي هجوم خارجي، في حين أنه لا دعي مطلقا لوجود برجين يحيطان بالمدخل من الجهة الداخلية للمدينة، الأمر الذي أوجد مساحة فسيحة لشريط زخرفي عريض انتشرت فيه وزخرفة المعينات المتجاوزة.

ونجد مثالا آخر والمتمثل في واجهة باب أكناو في مدينة مراكش، حيث نلاحظ كتابة من الخط الكوفي في الطراز المغربي الأندلسي تعود إلى العصر الموحدي، وقد جاءت محفورة وهو يعكس علينا جلاء الخطوط والتركيز على صفاء المساحة الزخرفية.

---

[1] عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج3، ص299-300.

وقد نقش على واجهة باب القصبة عدة آيات قرآنية وعبارات تتضمن الحمد والشكر لله وحده كتب بالخط الكوفي عبارة تقرأ بنحو " الشكر لله وحده " وعبارة " الحمد لله وحده" وهي العبارات التي شاعت على العمائر الموحدية ويقرأ على مدخل القصبة الأيات القرآنية التالية إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿1﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّـهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿2﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّـهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿3﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّـهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّـهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴿4﴾[1] **ويقرأ كذلك الأية الكريمة** " يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ(13) [2] (**أنظر صورة رقم :36**)

نستطيع القول أن الفن المغربي تلقى تأثيرات جديدة استلهمها من الشرق، عبر القيراوان وقلعة بني حماد حيث توجد التأثيرات المصرية والعراقية، كما تفاعل الفن المغربي مع نظيره بالأندلس باستقرار الحكم المغربي ودوامه لعدة قرون بالأندلس، بحيث أصبحت شخصية الطراز المغربي الأندلسي، بما فيها من تأثيرات قوطية وأموية وإخضاع ذلك كله لتأثيرات صريحة وقوية من المشرق عبر فنون المغربيين مع وجود علامات بارزة من خصائص الفن الأمازيغي الأول وجدت طريقها على يد الموحدون.

(1) الآية 1-4 من سورة الفتح

(2) الآية 11-13 من سورة الصف



خلاصة الفصل:

نستخلص مما سبق أن الموحدون قد نوعوا من مواد البناء وطرقه في المنشآـــت الحربية حيث نجد استخدام مادة حجر الدبش بشتى طرقه، والتي كانت مطبقة على الأسوار والوزرات الخاصة بها وفي بعض الأعمال الانشائية خاصة الصهاريج.

كما شهد الموحدون طريقة جديدة في بناء أسوارهم وأبراجهم والمتمثلة في التابية حيث جاءت لتعوض الحجر وقد اثبتت فعاليتها وجودتها منذئذ وقد تنبه المعمار الموحدي أنه كلما أريد للبناء أن يكون شاهقا ومتينا كلما كان يستعمل في تشييده مواد صلبة جدا، وبقاعدة ذات سمك كبير.

وإذا تركنا جانبا الأسوار والأبراج المشيدة من التابية خلال العهد الموحدي لوجدنا أن المعماري في ذلك العهد قد اعتمد أكثر على مادة الآجر، حيث استعمل في بناء زوايا الأبراج وغرفها والسلالم المؤدية إلى أسطحها وشرفات الأسوار وأعمدة الأبواب وأقواسها وقبابها من الداخل، وقد استعملت هذه المادة بطرق مختلفة منها المداميك المتناوية، والمائلة كذلك في بناء الأقبية الاسطوانية إلى جانب بناء العقود.

كما أن البناء الموحدي أحسن جودة مواد وطرق صنع الملاط الجيري الذي كان يستعمل في الربط بين الأجزاء الثلاثة للأسوار – الأساس- الجسم- الشرفات.

ولمزيد من تقوية المباني الحجرية والمباني المشيدة بالآجر والتابية، تم ادخال مادة الخشب من طرف البناء الموحدي، وذلك باستعمال الشبكات الخشبية في الأسوار إضافة استعماله في واجهات الأسوار ذات الأخاديد الأفقية.

هذا و لم يستعن البناء الموحدي على مادة الحديد والتي تعتبر مكملة في البناء والتي تستعمل في مغالق الأبواب، وفي الربط بين الألواح في شكل مسامير، بالإضافة إلى تثبيت وتوصيل الأجزاء المختلفة من القطع المعدنية وعلى حواف المصرعين في الأخشاب.

ولأجل تغطية الفجوات بين الحجارة أو الدبش واكتساب الجدران والأبراج المنظر الجميل والنعومة استعمل البناء الموحدي مادة الجص.

كما توصلنا في هذا الفصل إلى أن خاصية الزخرفة الموحدية كان وفق زهدهم وتقشفهم، حيث كان صادق المبدأ ناجح التطبيق، ولهذا أوجد نوعا من البساطة حدت بفناني الطراز المغربي الأندلسي الاتجاه نحو الاجتهاد المفرط لضمان خطوط الزخارف وتحديد فحواها فقوية حاسة الاتقان عندهم، وسمت الفنون والمنتجات بالكيف والقيمة وقد شهد المغرب والأندلس تلك المنجزات الضخمة التقليدية للفن المغربي الأندلسي على عصر الموحدين بالمدن والبوادي، حيث اجتمعت في الهندسة المعمارية وزخارفها رغبة في الجودة ودقة الوضوح والتعبير والاتقان مع حاسة العظمة.

حيث نجد الزخارف النباتية والتي تمثلت في المراوح البسيطة والمزدوجة، هذا بالإضافة إلى القوقعة والعنصر الثعباني، أما الزخارف الهندسية والمتمثلة في شبكة المعنيات والعقود المفصصة التطويقية والتي نفذت على الحجارة المنحوتة والموجودة في وجهات الأبواب الموحدية بطريقة تدعوا إلى الاعجا،ب تغطي جميع المساحة بحيث تم تقسيم المسطحات الكلية إلى حشوات ومناطق زخرفية وأشرطة متقابلة ومتناظرة تحدث التوازن الدقيق في توزيع العناصر الزخرفية المعمارية، وما زخارف باب الأوراح وباب قصبة الودايا وباب أكناو لخير دليل على ذلك.

هذا ولعب الخط العربي دورا كبيرا كعنصر زخرفي في العمائر الموحدية، خاصة منها الحربية، فقد اعتمد الفنان في تلك الفترة على الخط الكوفي الخالي من التعقيد الزخرفي والمتناظر

في نفس الوقت، حيث حرص الفنان على جلاء الخط والميل إلى استخدام التوريق البسيط مع قلة التعقيد، وتفضيل شطف هامات الحروف بمساحات واضحة خالية من التقسيم أو الوريقات.

وبالتالي نقول أن الموحدون قد أنشأوا طرازا فنيا متميزا خاصا بهم، اعتمدوا فيه على التقاليد المحلية والمغربية الأندلسية متأثرة بالفنون السابقة، ومتجسدة في جمع عمائرهم حتى العسكرية منها.

نتائج البحث

نتائج البحث:

مكنتنا الدراسة التي قمنا بها حول الاستحكامات العسكرية الموحدية ببلاد المغرب والأندلس من استخلاص جملة من النتائج نلخصها فيما يلي:

- أوضحت الدراسة أن الموحدين تفوقوا على المرابطين في فنون الدفاع، وهم في بداية تورثهم، حيث أحسنوا اختيار الموقع المحصن، مع استحداث بعض المنشآت العسكرية (أسوار – أبراج– مداخل، خنادق)، وقد لازمتهم هذه الميزة الدفاعية عندما تحولوا من الدفاع إلى الهجوم فنجد رباط تارة الذي كان المعبر الأساسي بين الجانبين الشرقي والغربي للمغرب الأقصى، ثم بعد ذلك بنائهم لرباط تيط، وذلك من أجل القضاء على بقاء البرغواطيين وفي نفس الوقت مراقبتهم للطرق التي تقطعه فكان الهدف من خطتهم هذه دراسة محاور الطرق الاستراتيجية ومراقبة القبائل وسيطرهم عليها.
- أكدت الدراسة أن مدينة تينمل هي أساس الخلافة الموحدية الناشئة في الأطلس الصغير فكان لامناص لابن تومرت ومن بعده عبد المؤمن سوى تشييد عمارة عسكرية قوية ومتينة تمثلت في الأسوار والأبراج والحصون، باعتبار أن هذه احدى الدعائم الأساسية في حماية الحركة الدينية.
- اثبتت الدراسة على اقتصار مدينة تينمل على باب واحد فقط عرف بباب الفخاريين.
- كشفت الدراسة أن العمارة العسكرية المبكرة في المغرب الأقصى عن بناء مدن جديدة كتينمل ورباط الفتح، فالأولى كانت منطلق الدعوة والثانية كانت مرتكزا لأهداف مستقبلية.
- أوضحت الدراسة أن عبد المؤمن بن علي بعد حمله شعار أسوارنا سيوفنا وعدلنا، في مرحلته الأولى اعادة النظر في مقولته، فعمد على بناء مدينة رباط الفتح، وهذا في إطار تجديد وتهيئة الطريق الساحلي المؤدي للأندلس مراكش رباط الفتح قصر مصمودة.
- عمل الخليفة عبد المؤمن بن علي على تجديد العديد من المدن على الطريق الغربي القصر الكبير وقصبة الودايا.

- أكدت الدراسة أن العمارة العسكرية المبكرة في المغرب الأقصى جاءت وفق اخضاع المجال الطبيعي والبشري للخلافة الموحدية الناشئة حيث عمد عبد المؤمن بن علي إلى خلق انظمة دفاعية في المدن والأرياف، وكانت كلها خاضعة لشرط الدفاع وتأمين الموقع واختيار المجال بناءً على دفع المضار وجلب المنافع وتأمين عناصر الحكم: الجند والمال والعمارة والرعية.
- أوضحت الدراسة أن الموحدون دأبوا على طمس آثار المرابطين من خلال تهديمهم مساجدهم، لكنهم في المقابل قرروا البقاء في مدينة مراشك واتخاذها عاصمة ملكهم دون المساس بالجانب المعماري لمراكش على الأقل خلال حكم عبد المؤمن بن علي ومن بعده يوسف الخليفة الثاني، لكن تم فيها بعد أي أثناء حكم يعقوب المنصور باستحداث مراكش جديدة ممتنعة بأبواب ضخمة وأسوار عالية وساحات كبرى وسميت بتامركشت.
- شهدت الهندسة المائية في العهد الموحدي تطورا كبيرا وذلك من خلال جلبها بواسطة قناة وبناء منشآت معمارية تقوم باستقبال وجمع وتخزين واعادة توزيع المياه التي تأتي من مواردها الطبيعية، كما بنوا الصهاريج.
- كما بنوا القناطر والجسور لاعتبارات عسكرية ومن تلك الأمثلة نذكر، قنطرة تانسيفت.
- كما أكدت الدراسة على إعادة بناء أسوار المدن التي تم تهديمها حيث أعاد يعقوب المنصور بناء سور سلا، واكمال أسوار رباط الفتح وتحصينه بأبراج معينة، وبمداخل ضخمة. كما عمد من بعده محمد الناصر والذي كان له دور كبير في بناء في تحصين كثير من المدن كسلا ومدينة فاس وغيرها.
- وكشفت الدراسة على ادخال الخلفاء الموحدين كيعقوب المنصور ومحمد الناصر نظام دفاعي معقد جدا كان الهدف منه بالأساس إلى جعل مدنهم محصنة منيعة ضد أي تدخل مهما كانت درجة قوته.
- بينت الدراسة على مساهمة الخلفاء الموحدون وهم في أوج قوتهم من تدعيم نظامهم الدفاعي وذلك باستحداث محارس لمراقبة البحر والمحيط، وذلك بالاعتناء بمدنها وبناء قواعد بحرية،

وحمايتها بأبراج مراقبة وأربطة كما هو الحال في مدينة تبسة وأسفي وتيط وغيرها من المدن الساحلية.

• وكشفت الدراسة على أن حركة بناء المنشآت العسكرية من طرف الموحدون في المغرب الأوسط خاصة كانت تتبع بالضرورة اتساع نفوذ خلالقهم فقد اهتموا بتلمسان ومنحوها اهتماما خاصا وذلك نظرا لموقعها الاستراتيجي فأقاموا فيها المباني والقصور وحضوها بالأسوار والأبراج والمداخل والخنادق فأصبحت مركزا شرقيا للخلافة الموحدية.

• أكدت الدراسة على أن مدينة تاكرارت- تلمسان العليا قد بلغت أقصى اتساع لها في عهد يوسف بن عبد المؤمن حتى فرضت نفسها كمدينة رسمية تظاهي مدينة أجادير.

• أوضحت الدراسة على بناء الموحدين لمجموعة من أبراج المراقبته في المغرب الأوسط والتي كان دورها الاشراف على تحركات السفن في البحر، كما كان دورها مراقبة قصبات المدن هذا بالإضافة إلى اعادة تهيئة مراسيها كما حدث في مدينة هنين- بالإضافة إلى بناء دار لصناعة السفن، وتجميع الأساطيل، كما حدث في مدينة بجاية.

• وقفت الدراسة على حفاظ الموحدين على النظام الدفاعي الموجود بمدن المغرب الأوسط واخضاع تلك المنشآت للإصلاح والترميم كلما دعت الضرورة إلى ذلك كما حدث في قصبة بجاية وقصر تاكرارت.

• كما توصلت الدراسة على أن الموحدون قاموا بتأسيس مدينة جديدة بالمغرب الأوسط عرفت بالبطحاء حيث برزت منذ ذلك الحين كمدينة ذات خاصية ضبطية متمثلة في تأمين الطرق التجارية بالإضافة إلى الخاصية الجبائية.

• أكدت الدراسة على أن بناء الموحدون مدينة جبل الفتح جاء وفق مخطط استراتيجي تمثل في جعلها قاعدة عسكرية ولأجل ذلك عمل الخلفاء الموحدون على تدعيم النظم الدفاعية مثل الأبراج والأسوار الأمامية والأبواب ذات المرافق.

- كشفت الدراسة أن العديد من المدن الأندلسية ذات الأصول الرومانية قد عمل الموحدون على استقلالها وتطويرها في المجال المعماري والدفاعي.
- بينت الدراسة أنه مع اقرار نفوذ الموحدون في الأندلس عمل الخلفاء والولاة على تأطير تلك المدن في الميادين الاقتصادية والمالية والبشرية والعسكرية. كما هو الحال في اشبيليا- وبطليوس- وقصرش.
- أوضحت الدراسة على أن القصور والقصبات الموجودة في الأندلس كانت تتمتع بكافة أنواع الدفاعات والتحصينات بنفس الدرجة العسكرية التي كانت بالمدن والحصون.
- وقفت الدراسة على ابتكار الموحدون نظاما جديدا ذلك أنهم أكثروا من الزوايا الداخلية والخارجية في السور بحيث يتخذ شكل خطوط متعرجة منكسرة كما حدث في أسوار بطليوس واشبيلية وقصرش.
- أثبتت الدراسة على ابتداع البناء في العهد الموحدي النظم المعمارية الجديدة كالأبراج البرانية، وكان الهدف منه هو حماية المدينة وكذا جماية ممر الحراسة الذي يفصل بينهما وبين السور الرئيسي، كما هو الحال في مدينة اشبيلية.
- أوضحت الدراسة على ابتداع طريقة عسكرية في بناء أسوارهم حيث تم بناء الأسوار الأمامية التي كانت تجمع العدو المهاجر من شتى هجومه مباشرة على الأسوار الرئيسية، وتعطل من تقدمه لفتح الثغرات.
- من خلال الدراسة الفنية التحليلية تبين لنا أن النظام العسكري الذي اتبعه الموحدون في بناء استحكاماتهم عبر المغرب والأندلس يقدم لنا اليوم نماذج متنوعة من حيث التصاميم عبر المغرب والأندلس وتقنياته هو نظام معقد جدا بدأه الموحدون بأسوار عالية، وذات سمك كبير وابواب مرفقية، فهو نظام كان يهدف الاساس إلى جعل مدنهم محصنة تحصينا منيعا ضد المعتدين مهما كانت درجة قوتهم ولم يتم التفكير في جعل تحصيناتهم مجالا للزخرفة مثلاني الأبواب الموحدية

بالرباط وباب الجيسة وباب المحروق بفاس البالي، التي تخلوا من التنميقات بل تتميز بصلابتها ونظامها المنيع المتكون من مداخل منعرجة.

- أن الوصف المعماري الذي انجزناه للمباني العسكرية القائمة مكننا من تحديد بعض الخصائص المميزة لها، إذ نتوفر على أمثلة للسور الموحدي سواء في رباط الفتح أو فاس، أو مراكش أو حتى تلمسان وهنين وندرومة دون أن ننسى مدن الأندلس. حيث اهتدى الموحدون إلى بناء أسوارهم بالتابية والتي تعتمد على قاعدة صلبة من الحجر والتابية حيث تميزت الأسوار بعرضها الهائل الذي يصل أحيانا إلى 2.20 م.

- كما كشفت الدراسة أنه وبشكل استشنائي بفتحات للمراقبة ومزاغل في الجزء الأسفل من الأسوار وخير مثال على ذلك ما نجده في أسوار فاس وأسوار رباط الفتح.

- لقد اعتمد الموحدون ببناء الأبراج المربعة والمستطيلة، ثم اتخاذهم الشكل المحرودي في كل من أسوار تازة، وفي قصبة إشبيلية. هذا ونجد أن الموحدون قد أكثروا من الأبراج المتعمدة الأضلاع. مع زيادة عدد الغرف في الأبراج وهذا بشكل استثنائي حتى غرفتين أو ثلاثة متراكبة هو الحال في برج الذهب باشبيلية.

- أكدت الدراسة على أن الأبواب الموحدية تعكس الثراء المتنوع من حيث التخطيط والعمارة والتغطية في ابراز واجلاء شخصية وعبقرية المهندس والبناء، حيث عقدوا من نظام أبوابهم ذات المرافق، وذلك بانشاء أبوابا مرفقية مزدوجة، وأخرى ذات ثلاث مرافق كما أنهم لم يسقفوا الممرات الواصلة بين فتحتي الباب التي تنتهي بزاوية قائمة في شكل مرفقي أو أكثر، وبالتالي استطاع المهندس الموحدي من زيادة حجم العراقيل وتكرار مراحل المعوقات والعقبات في طريق المهاجمين وهو ما نراه في مجموعة مباني الموحدين الضخمة بأبواب مدينة رباط الفتح.

- أوضحت الدراسة أن عمارة القصبة والقصر في العهد الموحدي اتخذت طابع التحصين، فهي إلى جانب كونها قطرا أو مدينة صغيرة أو مقرأ للوالي أو الخليفة. فقد كانت عبارة عن تحصين يلجأ اليه في حالة الحصار.

- اثبتت الدراسة أن الموحدون قد نوعوا من مواد البناء وطرائقه في المنشآت المعمارية العسكرية حيث نجد استخدام مادة حجر الديش بشتى طرقه، وقد طبقته هذه الطريقة على الأسوار والوزارات الخاصة بها كما شهد الموحدون طريقة جديدة في بناء أسوارهم حيث تمثلت في مادة التابية التي اثبتت فعاليتها وجودتها فتم تطبيقها في كل من مدينة مراكش ورباط الفتح وفاس وتلمسان وندرومة واشبيلية وغيرها. فما نشاهده اليوم من تحصينات عسكرية بالمغرب والأندلس والتي تعود إلى العهد الموحدي حيث استطاعة أن تقاوم الزمن، وتبقى هائلة لحد الآن، يعطينا صورة عن صلابة تلك المادة وفي نفس الوقت التعرف على درجة انتقالها من المغرب الأقصى إلى باقي أرجاء الخلافة الموحدية.
- كشفت الدراسة كذلك على تنوع مواد البناء الخاصة في بناء التحصينات وطريقة استعمالها فبالإضافة إلى المواد السابقة ذكر، استعمل الآجر والخشب والحصى والحديد.
- وضحت الدراسة أن الموحدون قد انشأوا طرازا فنيا متميزا خاصا بهم، اعتمدوا فيه على التقاليد المحلية والمغربية الأندلس ومتأثرة بالفنون السابقة حيث جسدوها في عمائرهم خاصة منها العسكرية، حيث الثراء الزخرفي في العناصر النباتية والتي تمثلت في المراوح البسيطة والمزدوجة هذا بالاضافة إلى القوقعة والعنصر الثعباني، أما الزخارف الكتابية وتعدد مضامينها وانماط وأساليب تنفيذها على واجهات عمائرهم خاصة منها الحربية سواء كانت كتابات دينية قرآنية أو عبارات دعائيه وقد اعتمدوا أكثر على الخط الكوفي الخالي من التعقيد الزخرفي والمتناظر في نفس الوقت.

وفي الاخير نتمنى أن تساعد هذه الدراسة من خلال نتائجها على إعطاء عناصر مهمة من أجل تصنيف العمارة العسكرية الموحدية ووضع كرونولوجيا دقيقة لتطور اشكالها وتصاميمها، وكذا مواد بنائها وتقنياتها مقارنة مع ما أنجز بخصوص هذا النوع من العمارة بالأندلس أو المغرب الاسلامي وحتى بالمشرق الاسلامي. الشيء الذي قد يشكل مرجعا علميا

مهما يساعد في اخذ بعض القرارات الحاسمة فيما يتعلق بنوعية التدخل في هذه المباني التاريخية من حيث الترميم أو إعادة التوظيف.

فهرست الأعلام والأماكن والقبائل والعشائر والأجناس

أولا: أسماء الأعلام

أسماء الاعلام	الصفحة
–أ–	
– الامام السهيلي:	146.
– البكري:	22، 80، 242، 243، 249، 251، 259، 384.
– البيذق:	32، 37، 39، 89، 93، 94، 95، 106، 107، 108، 137، 149، 170، 189، 250.
– الحاج يعيش	69، 155، 294، 296، 299، 306.
– الحميري:	97، 98، 294، 298.
– الرشيد:	58، 109.
– الزهري:	20.
– السلطان الحسن بن محمد:	213.
– السلطان السعدي الغالب:	184.
– السلطان سيدي محمد العلوي:	138.
– السلطان عبد الرحمان:	162، 218.
– السلطان محمد بن عبد الرحمان	166.
– السلطان محمد بن عبد الله:	113، 207.
– السيد عبد الرحمان:	289.
– السيد محمد:	289.
– الشريف الادريسي:	20، 24، 76، 88، 90، 136، 156،

	210، 249، 258، 316، 324، 328.
– الصالح محمد القشتالي:	183.
– العباسي بن يحي:	234.
– العبيدي:	171، 177.
– العذري:	308.
– العمري:	136، 153.
– الكانوني:	211، 214، 216، 218.
– المأمون:	58، 198، 217، 232، 288.
– المعتمد بن عباد:	307.
– المقديسي:	79.
– المقري:	303.
– الملك الظاهر:	356.
– المولى إسماعيل العلوي:	192.
– المولى الرشيد:	190.
– الميروقي:	222.
– الناصر بن علناس:	272.
– الونشريسي:	89.
– ابن الخطيب:	33، 79.
– ابن الرامي:	83.
– ابن الزيات:	216.
– ابن القاضي:	89.
– ابن القطان:	90، 93، 95.

– ابن بطوطة:	297، 300.
– ابن تومرت:	23، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37،43، 44، 45، 57، 58، 64، 65، 67، 68، 75، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 96، 107، 129، 145، 279، 353.
– ابن جامع:	52، 194.
– ابن حمدون:	274.
– ابن حوقل:	80.
– ابن خلدون:	32، 65، 75، 89، 232، 233، 237، 239، 274، 276، 280، 379، 380، 381، 382.
– ابن صاحب الصلاة:	69، 107، 108، 145، 159، 194، 259، 264، 273، 291، 293، 294، 295، 296، 297، 298، 299، 304، 305، 306، 308، 324، 384.
– ابن عذاري:	63، 135، 140، 146، 152، 160، 231، 296، 310، 314، 329.
– ابن غازي:	188، 191، 192.
– ابن محمد البشير:	36، 37.
– ابن مردنيش:	106، 227.
– ابن همشك:	293.

- ابن هود الماسي:	160.
- أبو إسحاق إبراهيم:	288، 289.
- أبو إسحاق براز:	69، 294.
- أبو الحسن علي:	232.
- أبو العباس السلاوي:	279.
- أبو العباسي الصقلي:	194.
- أبو العلاء ادريس:	55، 57، 63، 195، 288، 290، 309، 310، 318، 337، 367.
- أبو الغمر بن عزون:	287.
- أبو القاسم ابن أبي هارون:	296.
- أبو داود يلول:	47.
- أبو ربيع سليمان:	232.
- أبو زيد بن يوجان:	232.
- أبو زيد عبد الرحمان:	289.
- أبو سعيد:	288، 289، 292.
- أبو عبد الله بن أبي إبراهيم:	289.
- أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر:	329.
- أبو عمران موسى:	237، 238.
- أبو محمد صالح الماجري:	211، 213، 214، 216، 217.
- أبو مروان عبد الملك الوراق:	21، 22.
- أبو يحي يغمراس:	240.

- أبو يعقوب يوسف:	45، 46، 47، 84، 97، 98، 104، 108، 109، 117، 135، 136، 138، 140، 141، 144، 149، 157، 235، 288، 292، 295، 304، 306، 320، 324، 384.
- أبو يوجان الهنتاتي:	52.
- أبو يوسف يعقوب المصنور	45، 48، 49، 50، 51، 104، 108، 109، 110، 114، 117، 136، 137، 138، 141، 145، 148، 151، 152، 155، 161، 163، 171، 188، 190، 191، 195، 198، 211، 213، 235، 307.
- أبي الحسن المريني:	298، 300.
- أبي الحسن بن أبي حفص:	237، 238، 239.
- أبي الفضل العياضي:	202.
- أبي جعفر بن عطية:	292.
- ابي زكرياء يحي:	57، 61.
- ابي زيد بن أبي حفص:	272.
- أبي سفيان الإدريسي:	185.
- أبي عبد الله محمد المهدي:	218.
- أبي عبد الله محمد بن أمغار:	205.
- أبي عمر (المرتضى بالله):	62.

– أبي قرة اليفرني:	236، 243.
– أبي قرة:	236.
– أبي محمد بن إسحاق بن جامع:	195.
– ابي محمد عبد الواحد:	56.
– ابي يعقوب يوسف الثاني:	54، 55.
– أحمد الصقلي:	272.
– أحمد بن باسة:	294، 299.
– أحمد بن ملحان:	288.
– ادريس الثاني:	184، 236.
– ادريس المأمون:	275.
– ادريس بن عبد الله:	236.
– إسحاق المرتضى:	63.
– إسماعيل بن أمغار:	206.
– إسماعيل بن يسلالي:	279، 284.
– ألفونسو العاشر:	305.
– أمادور:	309.
–ب –	
– باسط وتيراس:	88، 92، 206.
– باسيليوبابون مالدونادو:	206، 208، 209، 301، 305، 310، 312، 313، 316، 317، 31، 326، 330، 348، 389، 390، 391، 392، 398، 399، 401.

- بطليموس:	.278
- بن نعمان:	.380
-ت-	
- تاتارو:	260، 267.
- تاشفين بن علي:	43، 76، 235.
- تيراس:	186، 375، 390، 400.
-ج-	
- جورج مارسيه:	245، 260، 264، 267، 269، 384، 400.
- جوميث مورينو:	.361
-ح-	
- حسن الوزان:	142، 154، 186، 258، 266، 278، 280، 282.
- حمدون الروسي:	.180
-خ-	
- خليفة عبد الرحمان:	263، 264، 268.
-د-	
- دم الفاري بسان:	.267
- دوفردان:	140، 143، 144، 145، 152.
- دوناس بن حمامة المغراوي:	.184
-ر-	
- رامون بونيفاث:	.304

– رشيد بوروية:	.260
–س–	
– سليمان بن محمد بن واندوين:	231، 232.
– سيدي علي المزالي:	.173
–ش–	
– شارل الخامس:	.260
– شارل ميسو:	.150
–ص–	
– صالح بن قربة:	54، 57، 59، 275.
– صالح رايس:	.277
–ط–	
– طارق بن زياد:	.291
–ع–	
– عبد الحق بن إبراهيم:	106، 107.
– عبد الحق بن علناس الكومي:	.225
– عبد الحق فنيش:	.164
– عبد الرحمان الداخل:	.47
– عبد العزيز بنعبد الله:	.205
– عبد العزيز سالم:	.308
– عبد العزيز صلاح سالم:	.127
– عبد الله الجياني:	.294
– عبد الله بن سليمان:	.288

- عبد الله بن محمد:	276.
- عبد المؤمن بن علي:	23، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 48، 57، 66، 68، 69، 76، 89، 90، 91، 92، 97، 98، 99، 102، 103، 104، 105، 107، 108، 109، 110، 112، 114، 129، 138، 149، 150، 154، 155، 156، 159، 160، 161، 167، 169، 170، 171، 179، 185، 191، 194، 196، 205، 206، 219، 223، 231، 232، 235، 245، 247، 250، 251، 265، 272، 279، 280، 281، 283، 287، 289، 299، 300، 301، 302، 332.
- عبد الهادي التازي:	298، 301.
- عبد الواحد الحفصي:	52.
- عبد الواحد الشرقي:	160.
- عبد الواحد المراكشي:	22، 32، 34، 50، 90، 108، 114.
- عثمان عثمان إسماعيل:	99، 114، 205، 400.
- عجيسة بن المعز:	179.
- علي الجزنائي:	168، 178، 182.
- علي بن إدريس (المعتضد بالله):	61، 62.
- علي بن عمر الأوسي:	168.

– علي بن يوسف بن تاشفين:	142، 156.
– عمر أزناج:	89.
– عمر الهنتاتي:	39.
– عمر بن أبي بكر:	191.
– عمر بن عبد المؤمن:	51، 232.
– عمران موسى:	232.
– عيسي:	147.
–ف–	
– فالور ماجدولينا:	308.
– فتوح وعجيسة:	184.
– فرناندو الثالث:	315.
– فرناندو الثاني:	319.
– فيليب الثاني:	315.
– فيمو:	269.
–ق–	
– قراقوش:	222.
–ك–	
– كونتيراس:	310.
–ل–	
– لوذريك:	291.
– ليوبولد وطيرس:	315، 320، 348.
–م–	



– مارمول كربخال:	138، 152، 153، 157، 203، 211، 260، 265، 257، 278.
– محمد البرتغالي:	205.
– محمد العبدري:	233.
– محمد العزوزي:	99.
– محمد المنوني:	190.
– محمد بن أبي عامر:	198.
– محمد بن الإمام عبد الله:	308.
– محمد بن عبد القوي:	280.
– محمد بن عنان:	113.
– محمد عبد الله ابن المنصور:	56.
– محمد عبد الله الناصر:	45، 51، 52، 53، 54، 161، 163، 168، 169، 17، 177، 179، 182، 183، 184، 185، 186، 188، 190، 195، 328.
– محمد علي المكي:	144.
– مصطفى باشا:	276.
– منير أقصبي:	170، 171، 176، 181، 183، 185.
– مولاي الحسن:	186.
– مولاي سليمان العلوي:	121، 140، 142، 178، 180، 182، 184، 185.
– مولاي عبد الله:	180، 185، 203.

-هـــ-	
- هويثي ميراندا:	.57
-ي-	
- ياقوت الحموي:	.21
- يبوروك:	.160
- يحي بن خلدون:	234، 243، 244.
- يحي بن غانية:	.287
- يدر بن ولكوط:	.189
- يعقوب بن عبد الحق:	91، 162، 175، 180، 182، 183، 185، 186، 280.
- يغمراسن:	62، 241، 244، 280.
- يوسف بن تاشفين:	195، 234، 235.
- يوليش القيصر:	.303

ثانيا: أسماء الأماكن

اسماء الأماكن	الصفحة
-أ-	
- الارك:	49، 50، 314.
- الإسكندرية:	22، 110، 710.
- الأطلس الصغير:	90، 129.
- الأطلس الكبير:	89، 135.
- الأندلس:	19، 20، 22، 27، 28، 40، 42، 45، 46، 47، 50، 52، 53، 55، 56، 58، 59، 64، 67، 69، 76، 104، 105، 110، 129، 132، 133، 158، 159، 160، 161، 180، 194، 202، 217، 226، 287، 288، 290، 292، 293، 298، 303، 304، 315، 319، 323، 328، 332، 336، 337، 340، 342، 344، 351، 355، 356، 357، 358، 360، 364، 365، 369، 370، 373، 374، 375، 376، 378، 379، 384، 386، 389، 394، 400، 403.
- الباب الجنوبي:	263.
- الباب الشرقي:	263.
- الباب الشمالي:	263.
- الباب الغربي:	264.

- الباب القبلي:	208، 357، 360.
- البحر الأبيض المتوسط:	159، 193، 257، 270، 328.
- البحيرة:	37، 147، 148، 320.
- البرتغال:	27، 28، 59، 105، 157، 194، 199، 216، 217، 318، 328.
- البرج الأبيض:	342، 343، 347، 398.
- البرج المثمن:	163.
- البصرة الإدريسية:	204.
- البطحاء:	225، 278، 279، 280، 282، 284.
- البويرة:	270.
- الجديدة:	203، 205، 210.
- الجزائر الشرقية:	51.
- الجزائر:	22، 274، 278، 377.
- الجزائر:	228.
- الجزيرة الخضراء:	28، 84، 180، 287، 291، 303.
- الجعفرية:	127.
- الخضراء:	21.
- الخميسات:	158.
- الخير الدا:	394.
- الدار البيضاء:	187.
- الدار البيضاء:	210.
- الرأس المثقوب:	270.

– الرباط:	50، 83، 85، 134، 158، 187، 328، 337، 338، 340، 341، 344، 345، 346، 366، 392، 395، 400، 402.
– الريف:	96، 97، 202، 246.
– الزاب الأسفل	22.
– الزرقاء:	204.
– السبعة شيوخ:	228.
– السراغنة:	135.
– السودان:	22، 41، 230.
– السوس الأدنى:	22.
– السوس الأقصى:	22، 42.
– السوس:	20، 21، 91.
– الصحراء الكبرى:	23.
– الصويرة:	210.
– العرائش:	204.
– العقاب:	53، 54، 55.
– العقاب:	310.
– الغزوات:	248، 249، 257.
– القرماديين:	223، 239، 240، 242، 244، 245، 246، 253، 255، 342، 376.
– القساعين:	258.
– القسيس:	202.

– القصر الغير:	105، 303.
– القصر القديم:	238.
– القصر الكبير:	105، 106.
– القنطرة:	158، 214.
– القنيطرة:	187.
– القيروان:	20، 403.
– المحيط الأطلسي:	19، 20، 22، 23، 27، 28، 43، 48، 104، 111، 117، 132، 204، 328.
– المرية:	29، 271، 288.
– المستشفى الأهلي:	214.
– المعمورة:	159.
– المغرب الأدنى:	21، 40، 129، 351، 366
– المغرب الأقصى:	21، 41، 44، 55، 60، 61، 76، 97، 135، 136، 166، 193، 246، 287، 291، 336، 361، 362، 378، 379، 381، 383.
– المغرب الأوسط:	20، 40، 41، 48، 61، 64، 69، 105، 129، 167، 197، 222، 223، 225، 228، 265، 275، 283، 284، 336، 361، 362، 366، 378، 379، 384.
– المغرب:	19، 20، 22، 26، 41، 42، 50، 59، 68، 97،132، 135، 158، 187، 213، 332، 344، 370، 373، 375، 394.

- المهدية:	41، 224، 226، 351.
- الناظور:	187.
- الوادي الكبير:	86.
- الوادي الكبير:	303، 304، 305، 309، 310، 312.
- الوردانية:	260.
- الوليدية:	203.
- أجادير:	234، 235، 236، 237، 240، 242، 243، 244.
- أرشقول:	230، 233، 263.
- أرغون:	217، 319.
- ازروا:	43.
- أزمور الجديدة:	207.
- إسبانيا:	27، 28، 52، 185، 224، 272، 291، 303، 318، 333.
- استجة:	86، 316، 320، 33، 333، 349، 351، 356، 361، 367.
- أسفي:	105، 203، 205، 207، 210، 211، 212، 213، 214، 215، 216، 217، 218، 219، 337، 351، 352، 369، 383.
- إشبونة:	28.
- اشبيلية:	29، 47، 52، 55، 62، 81، 82، 84، 86، 104، 105، 287، 289، 293، 302، 303،

	304، 305، 306، 307، 308، 309، 310، 312، 314، 315، 316، 320، 323، 326، 330، 332، 333، 337، 338، 339، 340، 341، 344، 345، 349، 353، 360، 365، 367، 384، 394، 395، 398.
– أصيلا:	204.
– أطلس التل:	23.
– أغادير:	129، 235.
– أغادير:	235.
– أغمات:	25، 65، 135.
– أغيل إزان:	278.
– افريقية:	20، 21، 22، 23، 41، 46، 48، 51، 52، 60، 64، 69، 171، 197، 222، 223، 224، 292، 402.
– اكستريما دورا:	328.
– أمالفي:	271.
– انطابلس:	22.
– أنقيرة:	288.
– ايجليز:	34، 134، 141.
– إيطاليا:	199.

-ب-	
– باب أبي قرة:	.242
– باب أحمر:	.214
– باب استريا:	.322
– باب أسفي:	123، 208، 209.
– باب أغمات:	149، 255، 363.
– باب أكناو:	141، 149، 154، 356، 362، 393، 395، 396، 402، 405.
– باب الأرواح:	.242
– باب الأقواس:	.215
– باب البحر:	264، 273.
– باب البستان:	.153
– باب البنود:	.273
– باب الجديد:	144، 175، 182، 200، 208، 209، 273.
– باب الجزيين:	.183
– باب الجمعة الفوقية:	.101
– باب الجمهور:	305، 306.
– باب الجنائز:	.188
– باب الجياد:	.244
– باب الجيسة:	172، 173، 176، 177، 179، 358، 362.
– باب الحد:	118، 120، 121، 124، 127، 209، 339، 342، 354، 356، 362، 363، 369، 388،

	392، 399، 400.
- باب الحديد:	181.
- باب الحفاة:	189.
- باب الحلوي:	239، 244.
- باب الحمام:	242.
- باب الحمراء:	183.
- باب الخرجة:	263.
- باب الخميس:	164، 165.
- باب الخوخة:	174، 184، 185، 242.
- باب الدباغين:	139، 147، 148، 273، 356، 362.
- باب الرب:	144، 145.
- باب الرخاء:	143.
- باب الرواح:	85، 118، 120، 124، 125، 127، 343، 356، 357، 358، 362، 363، 387، 398، 402، 405.
- باب الرياض:	153.
- باب السلة:	170.
- باب الشريعة:	140، 142، 144، 146، 177، 356.
- باب الشعبة:	215.
- باب الصالحة:	142، 144، 148، 149.
- باب العزافين:	241.
- باب العقبة:	242، 244.

- باب العلو:	118، 123، 124، 127، 356، 358، 362.
- باب العلوي:	239.
- باب الفتح:	306.
- باب الفتوح:	174، 175، 183، 184، 185، 279، 298، 358.
- باب الفخاريين:	91، 95، 96، 129، 370.
- باب الفراقي:	255.
- باب القبور:	101.
- باب القراقين:	153.
- باب القصبة:	256.
- باب القصر:	144.
- باب القيادة:	127.
- باب الكحل:	304، 305، 306.
- باب الكنيسة:	184.
- باب الكيسة:	179.
- باب اللوز:	273.
- باب المجاديم:	215.
- باب المحروق:	85، 172، 176، 177، 184، 358، 362.
- باب المخزن:	144.
- باب المدينة:	255.
- باب المرسى:	273.
- باب المريسة:	164.

- باب المشاورين:	.192
- باب الملعب:	.241
- باب الودايا:	.166
- باب أميسون:	.273
- باب ايلان:	147، 148، 273.
- باب أيمي أي يجمي:	.192
- باب باطنة:	.273
- باب بني مسافر:	.185
- باب تازة:	.255
- باب تاطونت:	.273
- باب تاغزوت:	.143
- باب دار الصناعة:	.306
- باب دكالة:	139، 143، 144، 362، 363.
- باب زعير:	118، 124، 127، 356، 363، 388، 396.
- باب زيتون بن عطية:	182، 183.
- باب سبتة:	162، 164.
- باب سنون (تاسنون):	.263
- باب سيدي البراذغي:	.239
- باب سيدي بوجيدة:	174، 176، 185.
- باب سيدي غريب:	.144
- باب شريش:	306، 339.
- باب طريانة:	.306

- باب طيطي:	.101
- باب عجيسة:	179، 180.
- باب فاس:	142، 143، 164، 165، 166، 255.
- باب فوكة:	.273
- باب قرطبة:	306، 309، 345، 360.
- باب قرمونة:	306، 307.
- باب كريستو:	.301
- باب كشوط:	240، 244.
- باب لوس كاروس:	327، 356.
- باب مراكش:	.123
- باب مسوفة:	.144
- باب مقرانة:	.306
- باب نفيس:	.144
- باب وهب:	.242
- باب وهران:	.240
- باب ينتان:	139، 148، 149.
- باجة:	.287
- بادس:	53، 202.
- بجاية:	26، 41، 70، 106، 224، 225، 226، 227، 237، 265، 270، 271، 272، 273، 274، 275، 277، 283، 284، 337، 378.
- بحر الأنقليشين:	.27

- برج اسبنتابروس:	325، 326، 327، 398.
- برج البحر:	267.
- برج الخنزيرة:	113.
- برج الدار:	113.
- برج الدموع:	162.
- برج الذهب:	86، 290، 304، 309، 310، 312، 313، 338، 339، 341، 345، 346، 352، 353، 365، 368، 384، 386، 398.
- برج الزيتون:	175.
- برج الصراط:	113، 117، 118.
- برج الصقالة:	113.
- برج الفضة:	305، 309، 312، 330، 346، 347، 398.
- برج الكوكب:	173، 185.
- برج المشنوق:	327.
- برج الملاح:	163.
- برج بوخاكو:	320، 343.
- برج بوخانتا:	322.
- برج بوعريريج:	270.
- برج راستروس:	330.
- برج سبنيول:	266.
- برج سوق الغزل:	117.
- برج سيدي إبراهيم:	267، 268.

- برج سيدي مخلوف:	.118
- برج شارع كالثادا:	.317
- برج كينتانا:	.317
- برشلونة:	.271 ،28
- برقة:	.132 ،68 ،41 ،26 ،22 ،20
- بسكرة:	.41
- بطليوس:	،319 ،318 ،303 ،287 ،86 ،85 ،84 ،28 ،333 ،332 ،330 ،328 ،325 ،324 ،323 .376 ،374 ،367 ،365 ،341 ،338 ،337
- بلاد البربر:	.20
- بلاد الجريد:	.223 ،41 ،23 ،22
- بلاد نول:	.42
- بلدية بني خلاد:	.257
- بلدية بني وارسوس:	.257
- بلنسية:	.289
- بترت:	.271 ،224
- بني ملال:	.187
- بوربيرا:	.329
- بونة:	.222 ،26
- بياضة:	.214
- بيزة:	.271 ،224

-ت-	
- تاجرارت:	189، 191، 234، 342، 362.
- تادلة:	62، 135.
- تارودانت:	87.
- تازة:	28، 62، 65، 83، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 102، 103، 129، 130، 159، 167، 177، 249، 251، 255، 336، 340، 341، 342، 367، 368، 383، 392، 393.
- تاسلة:	228.
- تاقرارت:	187، 191، 234، 364.
- تاكرارت:	234، 235، 236، 237، 238، 239، 240، 242، 244، 283، 284، 379.
- تامسنا:	52، 62، 66، 105، 203.
- تانسيفت الحوز:	134.
- ترارة:	228، 248، 257.
- تزن تاست:	135.
- تزن تلوات:	135.
- تزن قدغات:	135.
- تطوان:	187.
- تلمسان:	21، 52، 61، 70، 97، 127، 184، 185، 196، 223، 225، 226، 227، 228، 229، 230، 231، 232، 233، 234، 236، 237،

	239، 240، 242، 234، 244، 245، 246، 247، 248، 250، 253، 257، 259، 265، 278، 280، 282، 283، 284، 336، 342، 367، 378، 384.
– تمراكشت:	136، 142، 150، 152، 219، 340، 364، 366.
– توات:	230.
– تونس:	22، 26، 41، 51، 70، 222، 224، 226.
– تيزي نتاسفت:	87، 91.
– تيزي وزو:	270.
– تينمل:	35، 42، 59، 63، 64، 65، 76، 87، 88، 89، 90، 93، 95، 97، 127، 129، 130، 135، 251، 299، 336، 353، 354، 367، 370، 376، 398.
– تيهرت:	22.
–ج–	
– جامع النجارين:	192.
– جبال الأطلس:	23، 28، 134.
– جبال البرتات:	27، 28.
– جبال الثلج:	28.
– جبال الريف:	23، 28.
– جبال الشارات:	27، 52.

– جبال بني إسماعيل:	.229
– جبال تنوشفي:	.229
– جبال رأس عصفور:	.229
– جبال لالة سيتي:	.229
– جبال مورينا:	.27
– جبال ورغة:	.170
– جبل العبيد:	.141
– جبل الفتح:	69، 289، 297، 299، 300، 301، 303، 332، 337، 338، 344، 352، 354، 358، 269، 370.
– جبل المترل:	.263
– جبل أميسون:	.270
– جبل أولاد صالح:	.258
– جبل بوبنار:	.258
– جبل تاجرا:	249، 258.
– جبل درن:	22، 65.
– جبل سفيان:	.258
– جبل سيدي إبراهيم:	.258
– جبل طارق:	193، 194، 202، 291، 292، 293، 294، 296، 297، 298، 300، 302، 328.
– جبل فلاوسن:	228، 248.
– جبل قورايا:	.270

- جزائر بني مزغنة:	223، 237.
- جزر البليار:	51، 224.
- جنوة:	194، 224، 271.
- جيان:	84، 288، 289.
- جيجل:	270.
-ح-	
- حصن الفرج:	289، 314، 315، 344، 368
- حصن تريانا:	306.
- حصن تمزيزكت:	226.
- حصن ساجنتو:	347.
- حصن سعدون:	179.
- حن تاسغيموت:	95، 96، 376.
- حوض ايناون:	96.
- حوض ملوية:	96.
- حومة أكادير:	140، 145.
- حومة الصالحة:	145.
- حي البطاطحة:	187.
- حي البليدة:	174.
- حي الكيس:	241.
- حي اليهود:	306.
-خ-	
- خليج سيدي يحي:	274.



-د-	
- دار العملة:	306.
- دانية:	29.
- درعة:	58.
- دكالة:	203، 205، 211، 287.
- دمشق:	356.
-ر-	
- رأس العوانة:	270.
- رأس الناظور:	257.
- رأس بريجة:	273.
- رأس بواك:	270.
- رأس بوحاي:	270.
- رأس نوح:	258.
- رباط الفتح:	71، 104، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 114، 117، 120، 121، 124، 127، 128، 145، 147، 152، 153، 154، 158، 159، 162، 165، 178، 201، 208، 209، 219، 303، 338، 339، 340، 342، 343، 344، 356، 357، 358، 359، 360، 362، 363، 365، 367، 368، 370، 378، 382، 387، 392، 395، 397، 399، 402.
- رباط الوداية:	80، 85.

– رباط تيط:	66، 80، 82، 132، 203، 204، 205، 208، 209، 219، 339، 340، 342، 346، 352، 357، 360، 368، 369، 384.
– ربوة الذئاب:	278.
– رحى الريح:	214.
–س–	
– ساحة بغداد:	186.
– سان خوان اثنا لفراش:	314.
– سانتا ماريا:	322.
– سبتة:	26، 52، 76، 105، 129، 161، 193، 194، 195، 196، 197، 198، 199، 200، 201، 202، 288، 235، 366، 369.
– سبدو:	229.
– سجلماسة:	41، 58، 62، 135، 230، 378.
– سرقسطة:	127.
– سطيف:	270.
– سلا:	22، 43، 62، 71، 76، 106، 107، 109، 127، 129، 149، 158، 159، 160، 161، 162، 163، 164، 262، 303.
– سهل سايس:	96، 167.
– سوسة:	224.
– سوق الخميس:	215.

- سوق السلالين:	.179
- سيدي غرييب:	.191
- ش-	
- شارع الحمامصية:	.192
- شارع بوبيرا:	.311
- شاطئ سيدنا يوشع بن نون:	.248
- شاطبة:	.29
- شالة:	.117
- شبه الجزيرة الأيبيرية:	27، 29، 51، 64، 195.
- شريش:	84، 287، 311، 328، 328، 331، 338، 341، 349، 351، 353، 357، 358، 376.
- شفشاون:	.187
- شلب:	289، 314.
- شلبطرة:	.52
- شلمنقة:	.318
- شليرة:	.28
- شنترة:	.29
- شنترين	.28
- شنيل:	202، 316.



-ص-	
- صفاقس:	224.
- صقلية:	224، 272.
- صهريج أكدال:	156.
- صهريج البقر:	156.
- صهريج المنار:	155.
-ط-	
- طرابلس:	19، 20، 21، 22، 26، 41، 48، 68، 132، 222، 223.
- طريانة:	304، 314.
- طريف:	202.
- طلبيرة:	287، 289.
- طليطلة:	28، 289، 318، 337، 374.
- طنجة:	22، 187.
-ع-	
- عدوة الأندلس:	179، 182، 183.
- عدوة القرويين:	173، 177، 181.
- عين إزليتن:	172، 173، 176.
- عين الدفلى:	21.
- عين تاكما:	188.
- عين غبولة:	107.
- عين غزيرة:	229.



-غ-	
- غرناطة:	28، 86، 288، 289، 296، 302، 316.
- غليزان:	225، 278.
-ف-	
- فازاز:	43، 62.
- فاس:	21، 22، 23، 52، 53، 62، 76، 77، 82، 85، 96، 105، 129، 132، 135، 145، 161، 162، 166، 167، 168، 169، 170، 171، 172، 177، 178، 184، 185، 186، 187، 190، 196، 201، 208، 219، 230، 231، 243، 249، 328، 337، 339، 340، 341، 345، 356، 357، 358، 362، 363، 365، 367، 368، 376، 378، 389.
- فجيج:	230.
-ق-	
- قابس:	41، 224.
- قادس:	194، 303، 328.
- قاصرش:	318، 319، 320، 321، 323، 332، 333، 342، 343، 349، 356، 361، 367، 389، 390.
- قبة الوادي:	186.
- قرطبة:	29، 47، 105، 127، 287، 288، 290،

	302، 303، 304، 316.
– قرمونة:	293.
– قسنطينة:	22، 274.
– قشتالة:	217، 319، 329.
– قصبة المهدية:	107، 109.
– قصبة النوار:	190.
– قصبة الوداية:	110، 111، 114، 116، 117، 125، 302، 337، 343، 347، 355، 357، 358، 360، 362، 364، 365، 376، 393، 397، 398، 402، 405.
– قصبة تيزمي:	192.
– قصبة دار السلطان:	215، 216.
– قصبة فيلالة:	172.
– قصبة فيلالة:	190.
– قصبة كناوة:	164.
– قصر الحجر:	139، 144.
– قصر مصمودة:	105، 106.
– قفصة:	41، 222.
– قلعة أمارجو:	246، 336، 367، 374، 376.
– قلعة باداخوس:	86.
– قلعة جابر:	82، 84، 86، 289، 315، 338.
– قلعة حلب:	356.

- قلعة رباح:	289، 321، 322.
- قلمرية:	28، 289.
- قلهرة:	200، 300، 301.
- قنطرة تانسيفت:	156، 157.
-ك-	
- كاتسيلا لامنتشا:	328.
- كنتريه:	27.
-ل-	
- لالة مغنية:	229.
- لبلة:	287، 303.
- ليبيا:	20، 158.
- ليون:	217، 319، 321.
-م-	
- ماردة:	28، 319، 323، 374.
- مالقة:	84، 202، 288، 302، 303.
- مراكش:	23، 25، 34، 37، 39، 43، 50، 54، 58، 59، 63، 83، 85، 87، 104، 105، 106، 109، 132، 134، 135، 136، 137، 138، 139، 140، 141، 142، 144، 145، 146، 149، 150، 152، 153، 155، 157، 160، 177، 208، 210، 213، 215، 219، 223، 255، 272، 315، 337، 344، 345، 346،

	355، 357، 360، 362، 364، 366، 367، 376، 378، 383، 389، 391، 393، 395، 402.
– مرسى مأمون:	211.
– مرسى مولاي بوسلهام:	204.
– مرسيليا:	271.
– مرسيه:	29، 106، 289.
– مسجد الكتيبية:	345، 376، 391، 398.
– مسجد حسان:	389، 392، 394.
– مصر:	20.
– مقبرة النصارى:	241.
– مقبرة اليهود:	244.
– مقبرة بن علي:	273.
– مكناس:	23، 26، 132، 187، 188، 189، 196، 231، 383.
– ملوية:	232.
– متزل لاس فيلتا:	320.
– ميرتلة:	287.
– ميروقة:	51، 195.
–ن–	
– ندرومة:	223، 247، 249، 250، 251، 252، 254، 256، 283، 284، 337، 365، 378.

- نهر النيل:	22.
- نهر تاجريت:	306.
- نهر دويرة:	28.
- نهر سو:	323.
-هـ-	
- همذان:	200.
- هنين:	223، 226، 227، 230، 57، 258، 259، 260، 262، 264، 265، 266، 269، 283، 284، 337، 378، 384.
-و-	
- وادي ابن الرقراق:	43، 104، 111، 117، 118، 158، 159.
- وادي اشبيلية:	194.
- وادي التافنة:	248، 257.
- وادي الشلف:	23، 230.
- وادي الصفيف:	229.
- وادي النفيس:	36، 87.
- وادي الوريط:	230.
- وادي أم الربيع:	62.
- وادي آنة:	319، 323.
- وادي أيرة:	82، 306، 314، 336.
- وادي ايناون:	167.
- وادي بوزكري:	100.

– وادي تاجة:	318، 319.
– وادي تانسفت:	62، 134، 157.
– وادي سبو:	23، 28، 159، 167.
– وادي سوس:	23، 34.
– وادي كيس:	248.
– وادي ماسين:	249.
– وادي متشكانة:	229، 241، 246.
– وادي ملوية:	167.
– وادي مينا:	225، 232، 278.
– وادي وريكة:	154.
– وجدة:	53، 187، 229، 248، 249.
– وزان:	187.
– ولاس نافاس دي تولوسا:	53.
– وهران:	6، 76، 196، 230، 231، 257، 259، 278.
–ي–	
– يوربابوينت:	291.

ثالثا: أسماء القبائل والعشائر والأجناس:

أسماء القبائل والعشائر والأجناس	الصفحة
-أ-	
- الأمويين:	117، 304.
- البربر:	89.
- البرتغاليين:	215، 218.
- البرغواطيين:	66، 80، 106، 110، 160، 203، 215.
- الحفصيين:	60، 226، 227، 265، 274.
- الدلائنيون:	112.
- الروم:	42، 272، 300.
- الروم:	42، 272، 300.
- الزيانيين:	226، 227، 246، 265، 280.
- الزيريين:	46.
- الزيريين:	46.
- السعديين:	139، 142، 143، 145، 149.
- الصفرية:	236.
- الصقابلة:	26.
- الصقابلة:	26.
- العباسيين:	222.
- العثمانيين:	226، 227، 275، 276، 277.
- العلويين:	120، 122، 123، 124، 139، 140،

	142، 143، 144، 145، 149، 150، 208.
– الغز:	25، 48، 222، 223.
– الغز:	25، 48، 222، 223.
– الفرنسيون:	215، 227، 315.
– القشتاليين:	49، 54، 58، 59، 194، 314.
– اللمتونيين:	160، 179، 234.
– المرابطين:	34، 35، 39، 41، 42، 43، 65، 76، 85، 87، 89، 90، 95، 98، 129، 132، 142، 147، 148، 154، 160، 202، 207، 215، 234، 235، 238، 242، 245، 250، 287، 304، 361، 368، 375، 386.
– المرابطين:	34، 35، 39، 41، 42، 43، 65، 76، 85، 87، 89، 90، 95، 98، 129، 132، 138، 142، 147، 148، 154، 160، 202، 207، 215، 234، 235، 238، 242، 245، 250، 287، 304، 308، 361، 368، 375، 386.
– المصامدة:	23، 25، 60، 109، 250.
– الموحدون:	20، 21، 22، 25، 31، 36، 46، 50، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 66،

67، 70، 71، 75، 76، 77، 81، 82،
83، 84، 85، 86، 87، 92، 95، 96،
97، 98، 100، 103، 110، 116،
129، 132، 133، 135، 137، 138،
139، 146، 148، 154، 156، 157،
158، 167، 169، 177، 186، 188،
194، 195، 196، 197، 202، 207،
211، 212، 215، 219، 222، 223،
224، 225، 226، 231، 232، 237،
240، 242، 245، 246، 250، 256،
258، 259، 264، 272، 273، 274،
275، 279، 280، 281، 282، 283،
284، 287، 288، 290، 292، 296،
298، 299، 300، 303، 306، 307،
308، 309، 310، 313، 314، 315،
316، 317، 318، 320، 323، 324،
328، 329، 332، 333، 336، 337،
338، 339، 341، 342، 343، 344،
345، 346، 347، 348، 349، 350،
351، 354، 355، 356، 359، 360،
361، 362، 363، 365، 366، 367،
368، 369، 370، 374، 375، 378،

	381، 382، 384، 386، 387، 388، 389، 391، 394، 395، 398، 403، 404، 405، 406.
– الناري:	26، 52، 54، 62، 158، 288، 310.
– النصاري:	26، 52، 54، 62، 158، 288، 310.
– النورمانديين:	41، 222.
– الوطاسيين:	150، 204.
– أرغون:	59، 194.
– آل أمغار:	205.
– أولاد ميمون:	229.
–ب–	
– بنو خزر:	236.
– بنو خنوسة:	23.
– بنو رياح:	48.
– بنو سليم:	42.
– بنو سليم:	42.
– بنو واو زكيت:	35.
– بنو واو زكيت:	35.
– بنو يفرن:	23، 160، 236.
– بنو يلومي:	280.
– بنورياح:	48.
– بني الرند:	46، 222، 223.

- بني الرند:	46، 222، 223.
- بني تاودا:	77.
- بني حماد:	106، 223، 274.
- بني غانية:	48، 50، 51، 52، 80، 222، 224، 233، 237، 272، 275، 281.
- بني غانية:	48، 50، 51، 52، 80، 222، 224، 233، 237، 272، 275، 281.
- بني مرين:	55،60، 62، 63، 208، 227.
- بني يعلي المغراويين:	236.
-ت-	
- تينمل:	23، 34، 58.
-ج-	
- جدالة:	25.
- جزولة:	153.
- جشم:	48.
- جنفيسة:	23، 34.
-ح-	
- حاحة:	34.
- حاحة:	34.
- حرواوة:	184.
-د-	
- دكالة:	23، 34، 63.

-ر-	
- رجراجة:	23، 34.
-ز-	
- زناتة:	25، 39، 179.
- زودة:	23.
-ص-	
- صنهاجة:	23، 25، 136، 140، 235.
- صودة:	34.
-ع-	
- عرب بني هلال:	25، 48، 235، 281.
- عرب بني هلال:	25، 48، 235، 281.
-غ-	
- غجدامة:	35.
- غجدامة:	35.
-ق-	
- قبيلة يتزمي:	191.
- ك -	
- كدميوة:	23.
- كزولة:	55.
- كومية:	23، 39، 68، 250.
-ل-	
- لمتونة:	25.



- لمطة:	.25
- م -	
- مسوفة:	.25
- مصامدة غمارة:	.39
-ن-	
- نفيسة:	.23
-هـ-	
- هرغة:	23، 34.
- هزرجة:	23، 24، 25.
- هزميرة:	23، 34، 35.
- هسكورة:	23، 24، 34، 35، 136، 140.
- هنتاتة:	23، 34، 58.
- هيلانة:	.148
-و-	
- وردة:	.34
- وريكة:	23، 25.

ثبت

المصادر والمراجع

ثبت بالمصادر والمراجع

أولا: المصادر

1. المصحف الشريف " برواية ورش عن نافع ، ط3، مؤسسة الديار المقدسة للطباعة والنشر، دمشق ، 2009

2. ابن أبي دينار (محمد بن أبي القاسم): كتاب المؤنس في اخبار افريقية وتونس الطبعة الأولى، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية 1286 ه/ 1869 م.

3. ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط 1972.

4. ابن الآبار أبو عبد الله، الحلة السيراء السراء، ج1 ج2، تحقيق حسين مؤنس، الطبعة الأولى، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1963.

5. ابن الخطيب لسان الدين: أعمال الأعمال فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الاسلام، ج2، تحقيق أحمد مختار العبادي، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964.

6. ابن الخطيب لسان الدين: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق عبد السلام شقور، ج1، منشورات كلية الآداب ، تطوان، المغرب1988

7. ابن الخطيب لسان الدين: معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شبالة، اللجنة المشتركة للتراث الاسلامي بين المغرب والإمارات، مطبعة فضالة، المحمدية، 1976.

8. ابن الرامي، الاعلان بأحكام البنيان، تحقيق محمد عبد الستار عثمان، الطبعة الأولى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2002.

9. ابن الزيات: كتاب التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق مطبعة البيضاء، دار الكتاب 1984.

10. ابن القاضي أحمد المكناسي: جذوة المقتبس من ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس ج1، دار المنصور للطباعة الرباط 1973.

11. ابن بطوطة: شمس الدين أبو عبد الله، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، ج4، مطبوعات أكادمية المملكة المغربية، 1997.

12. ابن تومرت ، موطأ الإمام المهدي، مطبعة لوساني، الجزائر، 1907.

13. ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعاف، مصر، الطبعة 1، 1971

14. ابن حوقل أبي القاسم، المسالك والممالك، طبعة، ليدن 1872

15. ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض ج1، دار صادر، بيروت، 1928.

16. ابن خلكان أبو العباس وفيات الأعيان، وأنباء ابناء الزمان، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج5، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1948.

17. ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، الجزء الأول، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني، محمد بن تاويت محمد عبد القادر زمامة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985.

18. ابن فضل الله العمري مسالك الأبصار في ممالك الأمصار تحقيق كامل سليمان الجبوري، ج4، الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية، بيروت، 2010.

19. ابن قنفد القسنطيني: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم محمد الشاذلي النيفر عبد المجيد الربحي، الدار التونسية للنشر تونس، 1968.

20. ابن مرزوق التلمساني: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق مريا خيسوس بيغيراء. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

21. أبو العباس القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق ابراهيم الأبياري، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1959.

22. أبو عبد الله محمد ابن الشماع: الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، القاهرة 1984.

23. أبو يعقوب يوسف التادلي، التصوف إلى رجال التصوف وأخبار العباس السبتي تحقيق أحمد توفيق، ط1 منشورات كلية الآداب الرباط، 1997.

24. أبي الحسن علي ابن الأثير: الكامل في التاريخ. مراجعة وتصحيح محمد يوسف الدقاق ج9. الطبعة 04. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان، 2003 م.

25. أبي بكر بن علي البيذق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971.

26. ابي بكر بن علي البيذق: المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور، الرباط، 1971.

27. ابي عبد الله الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية تحقيق وتعليق محمد ماضو، الطبعة الثانية، تونس المكتبة العتيقة تونس، 1966.

28. أبي عبد الله بن الخطيب: رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس 1316 هـ.

29. أبي عبد الله محمد الزهري: كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1987.

30. أبي محمد حسن (ابن القطان): في نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي دار الغرب الاسلامي 1990.

31. بوجندار محمد بن الحاج مصطفى: الاغتباط بتراجم أعلام الرباط تحقيق، عبد الكريم كريم، الرباط، المغرب، 1987 ..

32. الجزنائي أبو الحسن علي، كتاب جني زهر الآس في بناء مدينة فاس تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، الطبعة الثانية، المطبعة الملكية، الرباط، 1995.

33. الحسن بن محمد الوزان: وصف افريقيا، ج1، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي، محمد الأخضر، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي بيروت. لبنان، 1983.

34. الحميري عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، الطبعة الثانية، مطابع هيد لبرغ، بيروت 1984.

35. الشريف عبد الله الادريسي : المغرب وارض السودان ومصر والاندلس/ طبعة ليدن، 1863.

36. عبد الرحمان بن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج2، ج6، ج7، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1413هـ/1992م

37. عبد الملك ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، وظهور الإمام المهدي بالموحدين على الملثمين. تحقيق عبد الهادي التازي. الطبعة الثالثة. دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1987.

38. عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1978.

39. العذري أحمد عمر بن أنس (الدلائي)، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى الممالك، تحقيق الأهوائي عبد العزيز، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، 112-165.

40. العقري، شهاب الدين أحمد: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكـر وزيرهـا لسان الدين إبن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس دار صادر، بيروت ج1 .1968

41. القلقشندي أبو القاسم أحمد: صبح الأعشى في صناعة الانشاء الجزء 11 دار الكتب 1928 القاهرة 1922 .

42. مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.

43. مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر ومامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء 1979.

44. مؤلف مجهول: الذخيرة السنية، نشر عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور، الرباط، 1972

45. مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985

46. مؤلف مجهول: مفاخر البربر تحقيق. عبد القادر بوباية. الطبعة الأولى مطبعة أبي رقراق للطباعة والنشر, الرباط. 2005.

47. مارمول كربخال: افريقيا ج2، ترجمة محمد حيحي: محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد ينجلون، مطابع المعارف الجديدة الرباط 1988. 1989.

48. محمد بن القاسم الأنصاري: اختصار الأخبار بما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، الرباط 1938.

49. محمد بن تومرت المهدي، أعز ما يطلب، تحقيق عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الفني للنشر، الرباط، 1997.

50. محمود مقديش الصفاقصي، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق على الزواري، ومحمد محفوظ، ج1، بيروت، دار الغرب الاسلامي، 1988.

51. المقديسي محمد: أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم، دار النشر مكتبة مدبولي القاهرة، الطبعة الثالثة، 1991.

52. المقري أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968.

53. الناصري جعفر بن أحمد، سلا ورباط الفتح أسطولهما وقرصنتهما الجهادية، تحقيق أحمد بن جعفر الناصري ج1، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة تاريخ المغرب، مطبعة المعارف الجديدة الرباط 2009.

54. الونشريسي: المعيار والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي، الرباط، 1981.

55. ياقوت الحمدوي (شهاب الدين) معجم البلدان المجلد الأول دار صادر بيروت 1977
.

ثانيا: المرجع باللغة العربية

1- أحمد عزاوي: رسائل موحدية، مجموعة جديدة، القسم الأول: الطبعة الأولى منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية القنيطرة، المغرب، 1416- 1995.

2- إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص182-183.

3- أشباخ يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1958

4- أمبروسيو هويثي ميراندا: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة عبد الواحد أكمير، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2013.

5- أمين توفيق الطيبي، دراسات في تاريخ مدينة سبتة الإسلامية، طرابلس، 1989.

6- باسيليو بابون مالدونادو. العمارة في الأندلس عمارة المدن والحصون، ترجمة علي إبراهيم منوفي مراجعة وتقديم، محمد حمزة الحداد، ط1، ج2، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 2005.

7- بن الشرقي محمد: ارتسامات ومعطيات تاريخية حول مدينة مراكش، مطبعة فضالة المحمدية 1992.

8- بوجبار نعيمة الخطيب: المدن الأثرية القديمة مطبعة فضالة الجديدة. المحمدية الدار البيضاء، 1977.

9- بوجندار أبي عبد الله، مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح، مطبعة الجريدة بالرباط، 1345هـ.

10- بيج بيرتون: البرج في العمارة الاسلامية الحربية، ترجمة ابراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس حسن عثمان، دار الكتاب اللبناني بيروت، 1981.

11- ج.س كولان، الأندلس ترجمة ابراهيم خو رشيد عبد الحميد يونس، حسن عثمان، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980..

12- الجابري أمحمد عابدا: العصبية والدولة، معالم نظرية خلدون في التاريخ الاسلامي، الدار البيضاء 1979.

13- جمال حمدان: جغرافية المدن، الطبعة الثانية، الجزء الأول، نشر عالم الكتب، القاهرة، 1987.

14- الحاج محمد بن رمضان شاوش: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2011.

15- الحساني مختار: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الدولة الزيانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1997.

16- حسن علي حسن: الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس، عصر المرابطين والموحدين، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي للنشر، مصر، 1980.

17- الحسين بولقطيب: جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء الرباط، 2002.

18- حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس، الطبعة الثانية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، طبعة مدبولي، القاهرة 1986.

19- حمدي عبد المنعم محمد حسين: مدينة سلا في العصر الإسلامي- دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1993.

20- خليل جزوليت: مدينة الرباط من خلال الوثائق والنصوص التاريخية منشورات جمعية رباط الفتح مطبعة يزناسن سلا، 2007.

21- د العزيز بنعبد الله: مظاهر الحضارة المغربية، الطبعة الأولى، القسم الثاني نشر دار السلمي للتأليف والنشر والطباعة، الدار البيضاء، 1958.

22- الرحالي الرضواني، محمد الظريف، ومحمد السعيدي الرجراجي، تقديم محمد بنشريفة، منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر، ط1، الرباط، 2005.

23- روجي لوطورنو: فاس قبل الحماية ج1، ترجمة إلى العربية محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان ، 1992.

24- سالم عبد العزيز وأحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط، ج2، البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية. 1993.

25- سحر السيد عبد العزيز سالم: تاريخ بطليوس الاسلامية أو غرب الأندلس في العصر الاسلامي، الجزء الثاني، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1991.

26- سلفاتوري بونو، **العلاقات التجارية بين بلدان المغرب وإيطاليا في العصر الوسيط**، ترجمة: عمر الباروني، الرباط 1990.

27- السيد عبد العزيز سالم: المساجد والقصور في الأندلس مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1986.

28- السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الأسكندرية، مصر، 1955.

29- السيني عبد الأحد علامات المدينة المغربية في الأدب الجغرافي الوسيط، دلالات الخراب، ضمن كتاب التاريخ واللسانيات، منشورات كلية الآداب، الرباط، العدد 90، 1992.

30- صالح بن قربة: من قضايا التاريخ والآثار في الحضارة الإسلامية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، ميلة، الجزائر،2013.

31- صالح بن قربة، عبد المؤمن بن علي، موحد بلاد المغرب، موفم للنشر، الجزائر، 2011.

32- الطمار محمد بن عمر: تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

33- عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، صفحة مشرة من تاريخ الجزائر، دار الشروق، بيروت، 1980.

34- عبد الرحمان على الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92 ه- 897 ه/ 711 م- 1492 م، ط2، دار القلم، بيروت..

35- عبد العال الشامي جغرافية العمران عند ابن خلدون، طبع جامعة الكويت .1988.

36- عبد العزيز التوري، العمارة المغربية مادة البناء في بعض استعمالاتها عبر العصور، مجلة المناهل. العدد 74/73. فبراير 2005.

37- عبد العزيز بنعبد الله: رباط الفتح بين عاصمة تسالة وعاصمة القصبة، منشورات جمعية رباط الفتح، 1990.

38- عبد العزيز بنعبد الله: سبتة ومليلة معقلان مغربيان أماميان على البحر الأبيض المتوسط (مقاومة وجهاد طوال خمسة قرون). مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1981.

39- عبد العزيز صلاح سالم، روائع الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى، مركز الكتاب للنشر القاهرة، 2010.

40- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، دار موفم للنشر والتوزيع، الجزائر 2002.

41- عبد الكريم كريم، رباط الفتح عاصمة المملكة المغربية. مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء المغرب، 1999.

42- عبد الله الجراري: أضواء على الرباط المدينة والجهة ج1، منشورات النادي الجراري، الرباط 2002.

43- عبد الله السويسي: تاريخ رباط الفتح، مطبوعات، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر الرباط 1979.

44- عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1964.

45- عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المجلد السادس، مطابع فضالة، المحمدية، 1987.

46- عبد الهادي التازي: التاريخ الديبلوماسي للمغرب، المجلد السادس، مطبعة فضالة المحمدية، 1987 .

47- عبد الوهاب بن منصور: تلمسان تحليل لغوي وتاريخي للأسماء التي دعيت بها حاضرة المغرب مطبعة ابن خلدون. تلمسان 1365 ه.

48- عثمان عثمان اسماعيل: تاريخ العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى الجزء الثالث، عصر دولة الموحدين، الطبعة الأولى، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1993.

49- عثمان مرفت: التحصينات القتالية وأدوات القتال في العصر الأيوبي بمصر والشام زمن الحروب الصلبية، الطبعة الأولى، دار العالم العربي بيروت، 2010.

50- عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن 6هـ، ط1، دار الشرق، بيروت، 1403هـ-1983.

51- عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6 ه، ط1، دار الشروق بيروت، 1983.

52- عزاوي أحمد العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط من خلال نصوص عربية للمراسلات واتفاقيات السلم والتجارة ج1، مطبعة الرياط، ط1، 2011.

53- علام عبد الله علي: الدولة الموحدية بالمغرب، دار المعرفة. القاهرة، 1964.

54- عمرو موسى عز الدين: الموحدون في الغرب الاسلامي تنظيماتهم ونظمهم، الطبعة الأولى، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1991.

55- عنان محمد عبد الله: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس القسم الثاني مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1964 .

56- فتحي زغروت: الجيوش الاسلامية وحركة التغير في دولتي المرابطين والموحدين، المغرب والأندلس، الطبعة الأولى، دار التوزيع والنشر الاسلامية، القاهرة 2005.

57- فتحي زغروت: الجيوش الاسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين، المغرب والأندلس، الطبعة الأولى، دار التوزيع والنشر الاسلامية، القاهرة، 1426هـ-2005م.

58- كينيث براون، موجز تاريخ سلا، ترجمة محمد حبيدة وأناس لعلو منشورات أمل، الدار البيضاء، المغرب،2001.

59- ليفي بروفنسال: حضارة العرب في الأندلس، ترجمة دوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1945.

60- ليوبولدوريس بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ترجمة سيد غازي، نشر منشأة المعارف الاسكندرية 1979.

61- مالكاجان بيير، الرباط بين الأمس واليوم، مراجعة عبد العزيز بن عبد الله مرسم، الرباط، 2002.

62- مالكاجان بيير، الرباط بين الأسس واليوم، مراجعة عبد العزيز بنعبد الله مرسم الرباط 2002.

63- مانويل مورنيو جوميث، الفن الاسلامي في اسبانيا، ترجمة السيد عبد العزيز سالم ولطفي عبد البديع الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، 1968.

64- محمد الشياظمي الحاجي السباعي: تاريخ مدينة تيط أو مدينة مولاي عبد الله أمغار، مطبعة المعارف الجديدة 2003.

65- محمد المعزوزي وجعفر بنعجيبة- سبتة ومليلة حتى لا تنسى شركة الهلال العربية للطباعة والنشر. ط1، الرباط، 1986.

66- محمد بن تومرت: أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق، عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغنى للنشر، الرباط، المغرب، 1997.

67- محمد حمزة الحداد المجمل في الآثار والحضارة الاسلامية، مكتبة زهراء الشرق، د.م.ط،2006.

68- محمد عبد الستار عثمان: المدينة الاسلامية، عالم المعرفة، الكويت 1988، ص102.

69- محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال دراسة تاريخية أثريـــة، ط2، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة، 1997.

70- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الاندلس، عصر الموحدين، ج5، مكتبة الخانجي، القاهرة 2002.

71- المطالب المنفية في الاستحكامات الخفيفة، ترجمة من الفرنسية إلى اللغة العربية، راجي توفيق السيد صالح مجدي، المطبعة العامرة، القاهرة 1278هـــ.

72- المنوني محمد ورقات عن حضارة المرينيين، الطبعة الثالثة، منشورات كلية الأدب، الرباط 2000.

73- منير أقصبى: العمارة العسكرية بفاس عبر التاريخ، مطابع افريقيا الشرق الدار البيضاء، 2016.

74- ناجي جلول: الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1999.

75- نجاة باشا: التجارة في المغرب الاسلامي من القرن الرابع إلى القرن الثامن للهجرة، منشورات الجامعة التونسية 1976

76- يوسف أشياخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج2، ترجمة محمد عبد الله عنان ، لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة 1958م.

77- عبدالعزيز بن عبد الله، رباط تيط من التأسيس إلى ظهور الحركة الجزولية، ضمن الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1997.

78- شوقي أبو خليل: الأرك بقيادة يعقوب المنصور الموحدي، ط1، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، 1993.

79-

ثالثا: المقالات العلمية والندوات :

1- أحمد التوفيق مراكش من التأسيس إلى أخر العصر الموحدي. اشغال الملتقي الأول جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية 1988

2- الرباط العربي "تقنيات بناء الأسوار المغربية من خلال النصوص العربية والأوروبية والأبحاث الأثرية" في الندوة الوطنية حول أسوار المدن العتيقة منشورات وزارة الشؤون الثقافية 1989.

3- زليخة بنرمضان: قضية أسوار المدن المحتلة: نموج سبتة ضمن الندوة الوطنية حول أسوار المدن العتيقة مديرية التراث الثقافي تترنيت. المغرب 1989.

4- سالم (عبيد العزيز): أضواء على مشكلة تأريخ بناء أسوار إشبيلية. مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، السنة 27 العدد 74/73، القاهرة ، 2005.

5- عبد الهادي التازي: " الموحدون وجبل طارق من خلال مخطوط قديم، مجلة الآفاق لسان اتحاد كتاب المغرب العربي، يناير، مارس، 1963.

6- عثمان عثمان إسماعيل : فاس وباديتها. مجلة كلية الأدب والعلوم الإنسانية بفاس، 1980-1981.

7- العربي الرباطي، الأسوار المرابطية والموحدية بقصبة الأوداية، ضمن الندوة العلمية أسوار ضفتي مصب نهر أبي رقراق سلا، الرباط، أيام 18-19 أكتوبر 2003 مطبعة دار المناهل، الرباط 2006.

8- محمد المنوني "التخطيط المعماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور" مجلة الثقافة المغربية العدد 07 السنة 1972.

9- هنري تيراس : نبذة واركيولوجيه حول تازة ، ترجمة الحوتي: ج، شرادي ،مجلة جسور التواصل نيابة التربية الوطنية العدد 119، تازة ماي 1996.

رابع: الموسوعات والقواميس

1- عبد العزيز بنعبد الله: الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، معلمة المدن والقبائل، ملحق1-2، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1977، ص159.

2- الهيثم مقدم الأيوبي: موضوع التحصينات الموسوعة العسكرية، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، ج1، بيروت 1977.

3- ابن منظور، لسان العرب، علق عليه ووضع حواشيه، علي بشري، الطبعة الأولى، الجزء الأول، دار أحياء التراث الغربي للنشر والتوزيع، 1988.

4- منية المغازي، العقبة، معلمة المغرب، ج19، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 2001.

5- عبد الكريم غالب، موسوعة العمارة الاسلامية، الطبعة الأولى، نشر دار جروس برس للطباعة، طرابلس، بيروت، 1988.

6- الأيوبي مقدم هيثم: مقال الأسوار الموسوعة العسكرية، الطبعة الثانية، الجزء الرابع، دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت، 1990.

7- عبد العزيز توري الرباط معلمة المغرب. العدد 13 الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا. 2001.

8-عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية معلمة الصحراء، ملحق1، مطبوعات وزارة الأوقات والشؤون الاسلامية، الرباط، 1976م-1396هـ.

خامسا :المراجع الأجنبية:

1. Terrasse. H, et j , Hainaut, les. Arts deccratifs du Maroc, edition Afrique orient, 1998.
2. Marçais (w.et g) les monuments arabes de tlemcen paris, 1903,.
3. Marçais. (G), L'Architecture Musulmane d'occident, 3ed Arts et métiers, Paris 1954.
4. ricrd (p), pour comprendre l'art musulmen dans l'afrique du Nord et en Espagne, hachette paris 1976.
5. Terrasse (H), et Basset (H), sanctuaires et forteresse Almohades » paris 1932 .
6. Picard christophe : **locéon** Atlantique musulman de la conquête arabe a l'epoque almohade Maisonneuve : laros, édition Unesco paris 1997 .
7. Abbé Barges, souvenir d'un voyage a tlemcen, imprimerie orientale de nicolas, paris, 1859.
8. Alengrin (m), tlemcen et sa région, imprimerie régional, tlemcen, 1941, p11-12.
9. ALLain et Deverdun (G), les portes anciennes de Marrakche Hespers, Tome 44, 1957.
10. Amador de los ros :inseription arabes de sevilla.1989,
11. Bargés, tlemcen capitale du royoume de ce, nom paris, 1859.
12. Basset, H, Nédroma et les traras, publication de l'ecole des lettres d'Alger, paris, 1901,
13. Benstimane J.H Salé etude architecturele de trois maissions traditionnelles Rabat, 1979.

14. bond, peter » gibraltars finest hour the geat sige 1779-1783 » 300 years of gibraltar, peter- tan publishing co 1 edt édition british, 2004.
15. Bourouiba (R) , l'architecture Militaire de l'alherie Medival office des bublication universitares, Algerie, 1983.
16. Brunshving (R) , la berberie orientae sous les hafsides de lorigine a la fin da XI siecle, TI et II, maisonneuve, paris, 1940-1947.
17. -caillé jacques, laville de rabat jusqu'au protectorat français, Edition d'art et histoire 3 tomes, paris,1949.
18. canal jeorge, monographie de themcen (bulbtin de la sociéte d'archeologie d'oran), 1888.
19. chastel Robert, Rabat – salé vigt siccles de l'oued. Bou, regreg, edition la porte, 1997.
20. Contreras (R), Estudio discriptivo de los monumentos arabes de granda.sevilla y codoba.1985.
21. Debeylie (Gl), la kalaa des bein- Hammad, une capitale berbére de l'Afrique du nord au XI siecle ernest leroux, paris, 1909,
22. Dernade (L) les portes de Fès France, 1922.
23. Deverdun. G inscription arabes de Marrakech Rabat. 1956
24. El omari Rochid: Architecture militaire de sale propositions des Resauraion on INSAP Rabat, 1995,
25. Eustache(A), ELBasra : « capitale idrisside et son port » in Hespéris, 1955,

26. f. Meunie, Nouvelles recherches, Archélogiques à Marrakech, paris, 1957,

27. Feraud (CH), Histoire de Bougie, in revue Afrieaine 1858-1859.

28. Gaston. Deverdun, Marrakesh, des Origines à 1912, Tome I, Rabat, 1959 .

29. Georges, marçais : les villes d'art célébres tlemeen, librairie renourd, H, LAYURENS, editeur, paris, 1950.

30. Gilbert Grand Guillaume, Nédroma l'evolution d'une Medina, leiden Brill, 1976, p75. HEERS (j); la ville au moyen. Age en occident: payasages, por voirs et conflits, Paris 1990.

31. Gueytal : les adduction d'eau de la cité Marrakach édition – Maroc, 1913, p53.

32. Heniri terrasse : Histoire du Maroc des origintnes à l'etbi ssement du protectoret francais case blance, rabat, 1949 .

33. Joudia Hassar- Benslimane, le passé de la ville de sallé dans tous étals : histore, Archeologie, archives, édition Maisonnenve et larose, paris, 1992.

34. Khalifa Abd rahmane, Honaine ancien port du Aoyaume de tlemcen, Dalimen édition, Alger 2008.

35. lathelleux, p.j. le littoralde occidentale, centre de documentation éeonomique et social, oran, 1974.

36. Loloya Cmarqués do : histoire de l'arte hispanieo tome 02.bareleona.1931.pp

37. louis salvator de hasbowg, Bougie la perle de l'Afrique du nort, traduction de vivane jambert, France 1999 .
38. -Marcais (G), La Barbérie Musulmane et l'orient au moyen-âge paris 1947..
39. Marçais (G): L'Art de l'islam. Paris 1950
40. Marçais, G, Honaine, in revue africaine, vi 69, édition, Ajourdan libraire, Alger, 1928.
41. Mazzoli-Guintard; villes d'al-andalus l'Espagne et le portuyal à l'epoque musulmane ***** siecles,presses universitaire de rennes (p .u .r),1996.
42. Merçais (G), « notes sur les ribats en Berberie » in Melanges d'histoire et d'archéologie de l'occident musulman ; Alger, 1925 .
43. Montagne (R) les berbères et le MAZERR. Dans le sud du MAROC Casablanca, 1989.
44. picard, CH, l'ocean atlantique muslman de la conquéte arabe l'epoque Almohade paris, 1919 .
45. RICARD (P) : pour comprendre l'art misulman dans l'Afrique de Nord et espang,e paris. 1924 .
46. Rouche, p. lirrigation dans le sud du marocn rabat 1946.
47. terrasse (H)l'art hispano-maurresque des origines jusqu 'au ;12 ème siecle, paris 1935.
48. Terrasse, H, le décor des portes ancinnes du maroc, in hesperis, T III, 1913
49. VALOR. AGDALENA (p):Larquitecture mulitairy palatina en la sevilla muslmana.seville1999.



50. Vullemot (G), Ruins Musulmanes sur le littoral de l'aranie occidantale, in revue africaine v103, édition A.Jourdan libraire, Alger, 1959.

51. Borely (J) : Tinmel douze carnets de notes, guthner, 1934.

سادسا: المقالات باللغة الاجنبية

1- Terrasse (H), « Linfluence de l'Afriqia sur l'architecture musulmane du Maroc avant les almohades », in revue africaine, III, Alger , 1938.

2- (Terrasse. H « le décor des portes anciennes du Maroc, in, Hesperis, T.III, 1923

3- -A.BAZZANA « Eléments d'archeologie musulmane dans AL-Andalus :caraetéres specifiques de l'archtiecture mulitaire arabe de la region valencinne »in AL-Quantara : revista de estudios arabes, vol 1, fase1-2 madrid 1980.

4- Alfonso.x, Rey de castilla primera cronica général de España Estudio. Y. motas par josé filgueira volaverbe, carta édicion llustrada ed. Ebro, D.L. 1976,

5- Allain (CH) et deverdin (G) : les portes anciennes de marrakech, D5 Hesp, T.X.L.U 1957

6- BARRUCAND (M), « l'architecture de la kasba de Molayismail à Mekinés » in Bulletin archeologique du comité des travaux historiques et scentifique 1915.

7- Barrucard (m), « Remarques sur l'arehitecture militaire au Maroc » in Revne des etudes islamiques, 1980.

8- Bartier (R.M.), « les rélations commerciales entre l'Europe et l'Afrique du nord et léquilibre mediteranéen du .XIIe au XIVe siécle », bulletin philolgique et historique du comité des travaux historiques et scientifique, 1953-1954 .

9- Boressolette (h) et Delaroziére (j) « Fés-jdid de sa fondation en 1276 au milieu du XX éme siécle », in Hesperis Tamuda, XX-XXI, 1982-1983.

10- Brunner (E) , « Fès : la ville au antique portes » in lectures du foyer 25 september 1954.

11- cressier (p), « la fortification islamique au maroc éléments de biblio graphie » in Archeo logir islamique v5 ; 1995, .

12- Devis (jean) ; « routes de commerce et échanges Afrique occidentale en relation avec la Médilerranée XIem . XVen, siecles » Revue d'histoire economique et sociale 50, 1972

13- -Ferrial : les ruine de tinmel, hésperis, TXI.1922 .

14- georges (m) « Bidjaya » encyclopédie de l'islam, nouvelle édition, brill, vom, i,

15- . I. Lawlless : tlemcen capital du magreb central analyse des fonctions d'une ville islamique médieval ; revue de l'occident musulman et de la mediterrannée N° :20 2éme semestre Aix en provemcal 1975 .

16- SALDIB (H) « les portes de Meknés » in Bulletin archéologique du comité des travaux historiques et scientifiques 1915,

سابعا: الاطروحات الجامعية

1- عبد الكريم غزوق: المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها (دراسة أثرية)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية جامعة الجزائر- كعهد الآثار 2007-2008.

ثامنا : المواقع الاليكترونية

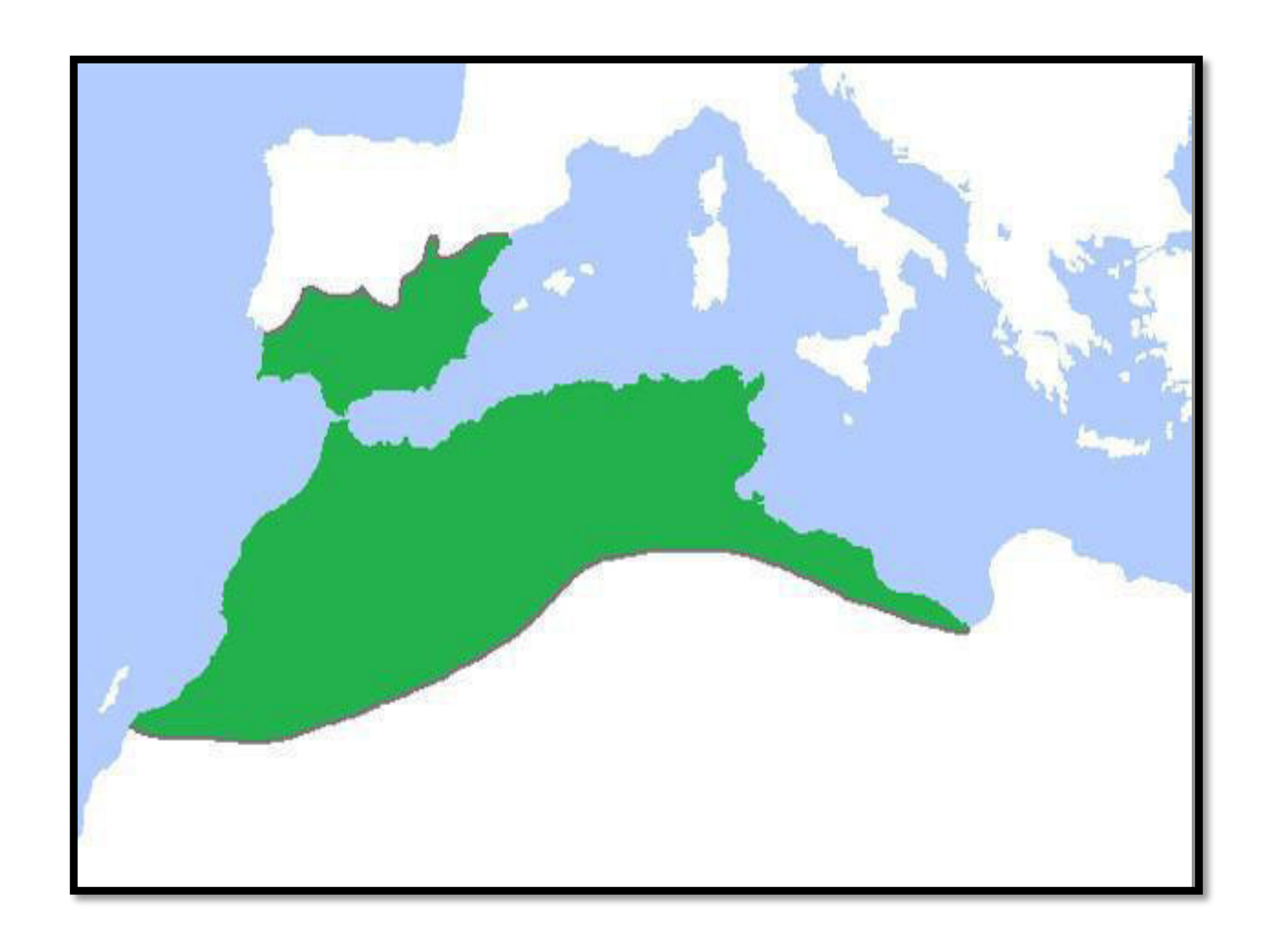
1- http//:www.hukam.net

ملاحق

الخرائط والمخططات

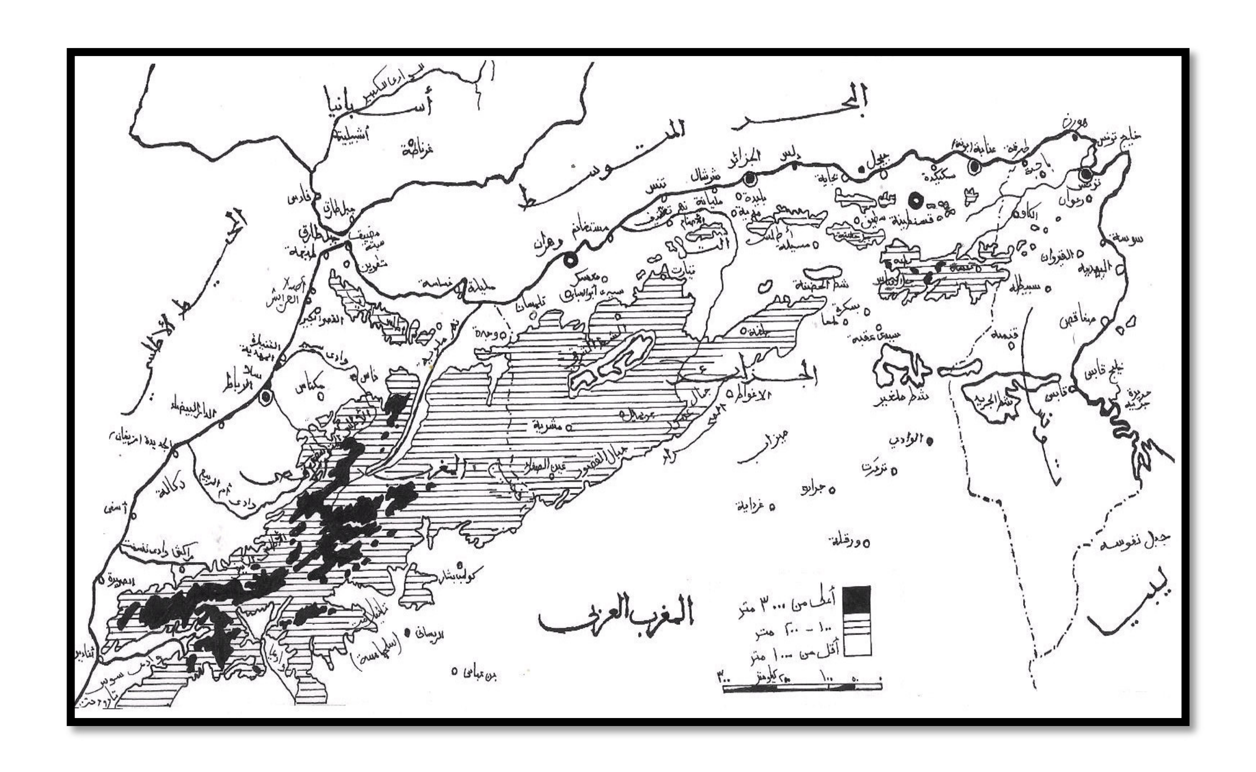
والأشكال والصور

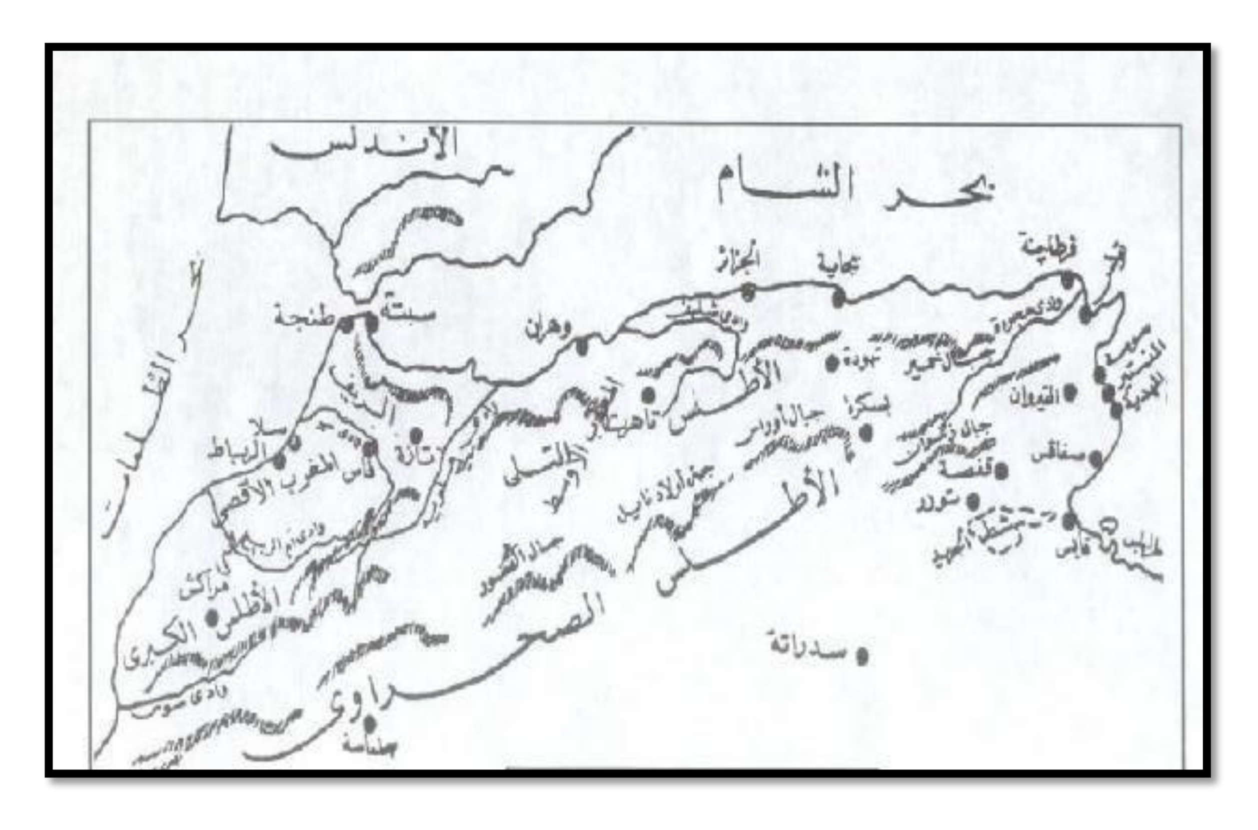
ملحق الخرائط



الخريطة رقم : 1 المجال الجغرافي للمغرب الاسلامي في عهد الدولة الموحدية:

1- نقلا عن http//:www.hukam.net

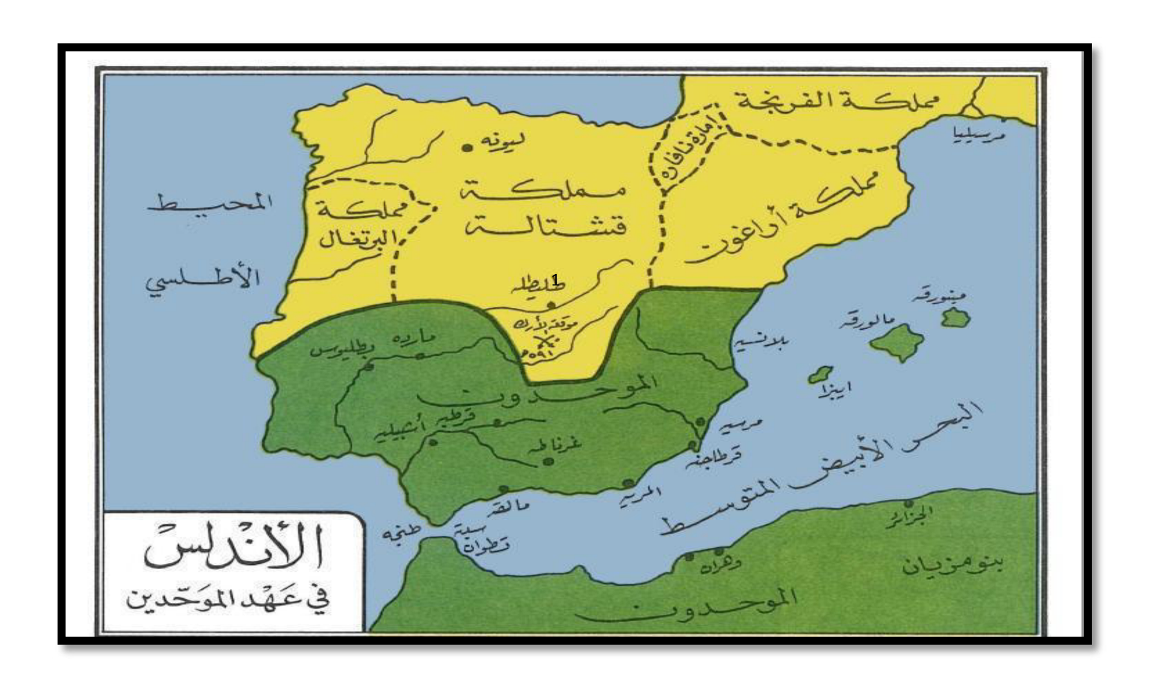




الخريطة رقم : 2-3 تضاريس بلاد المغرب

نقلا عن : مؤنس حسين





الخريطة رقم : **4** تبين المجال الجغرافي للاندلس الموحدية

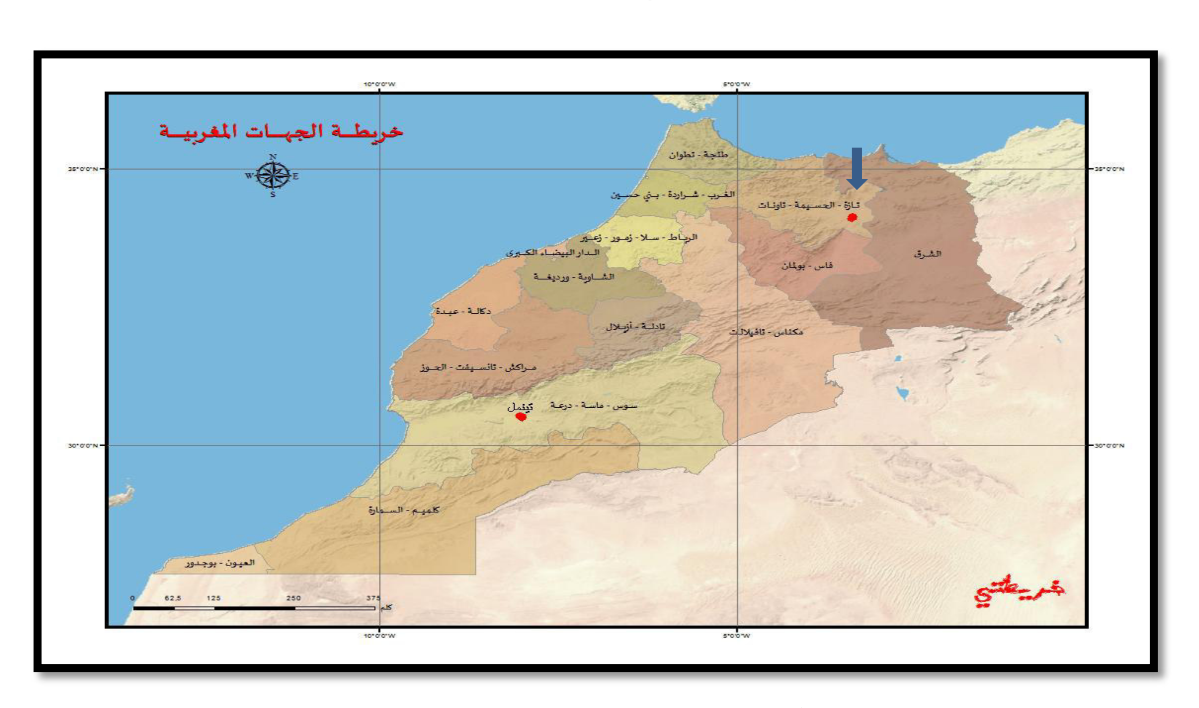


خريطة رقم :**5** تضاريس بلاد الأندلس

[1] http//:www.hukam.net



خريطة رقم: 6: الموقع الجغرافي والأثري لمدينة تينمل

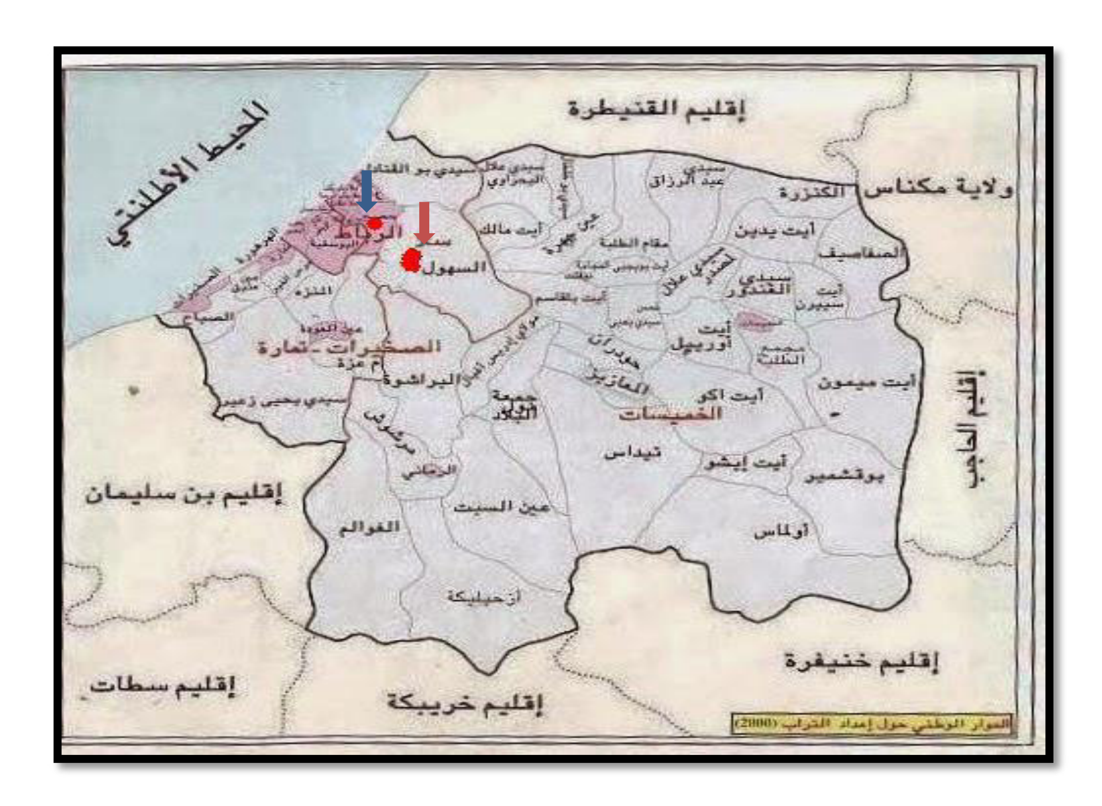


خريطة رقم: 7: الموقع الجغرافي لمدينة تازة

1- نقلا عن http//:www.hukam.net

بتصرف





خريطة رقم: 8: الموقع الجغرافي لمدينتي الرباط وسلا



خريطة رقم: 9: الموقع الجغرافي لمدينة مراكش

1- نقلا عن http//:www.hukam.net

بتصرف





خريطة رقم: **10**: الموقع الجغرافي لمدينة فاس



خريطة رقم: **11**: الموقع الجغرافي لمدينة مكناس

1- نقلا عن http//:www.hukam.net

بتصرف





خريطة رقم: **12**: الموقع الجغرافي لمدينة سبتة



خريطة رقم: **13**– الموقع الجغرافي لمدينة رباط تيط

1- نقلا عن http//:www.hukam.net

بتصرف



خريطة رقم: 14- الموقع الجغرافي لمدينة اسفي

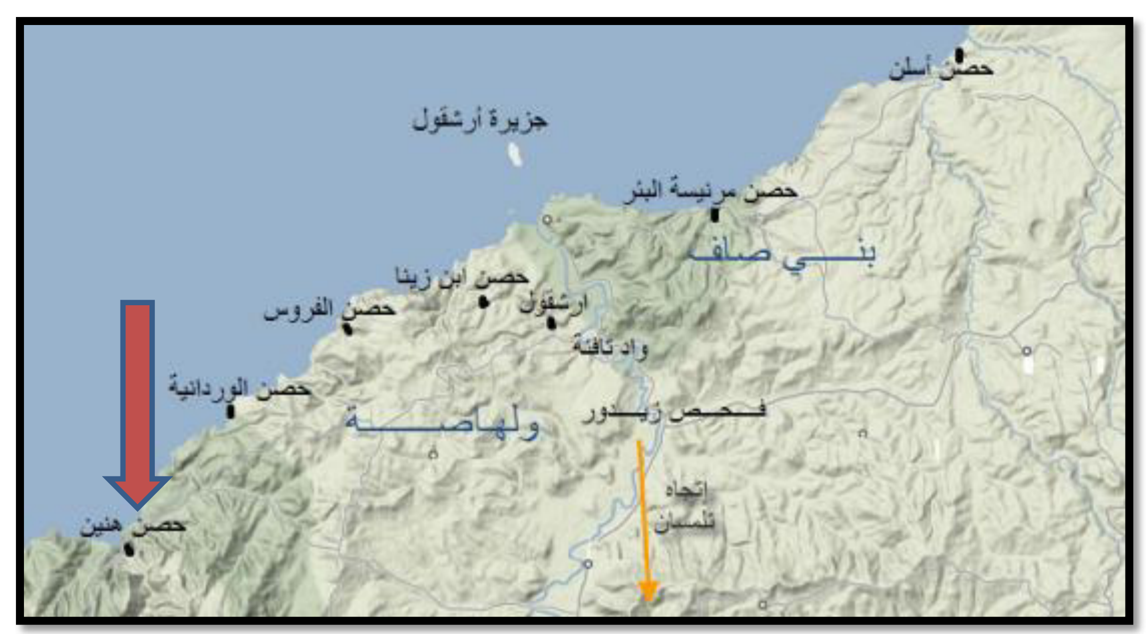


خريطة رقم: 15 الموقع الجغرافي لمدينة تلمسان و ندرومة

1- نقلا عن http//:www.hukam.net

بتصرف





خريطة رقم: 16 الموقع الجغرافي لمدينة هنين



خريطة رقم: 17 الموقع الجغرافي لمدينة بجاية

1- نقلا عن http//:www.hukam.net

بتصرف



خريطة رقم: 18 الموقع الجغرافي التقريبي لمدينة البطحاء



خريطة رقم: 19 الموقع الجغرافي لمدينة جبل طارق

1- نقلا عن http//:www.hukam.net

بتصرف





خريطة رقم: 20 الموقع الجغرافي لمدينة اشبيلية



خريطة رقم: 21 الموقع الجغرافي لمدينة استجة

1- نقلا عن http//:www.hukam.net

بتصرف



خريطة رقم: 22 الموقع الجغرافي لمدينة قاصرش

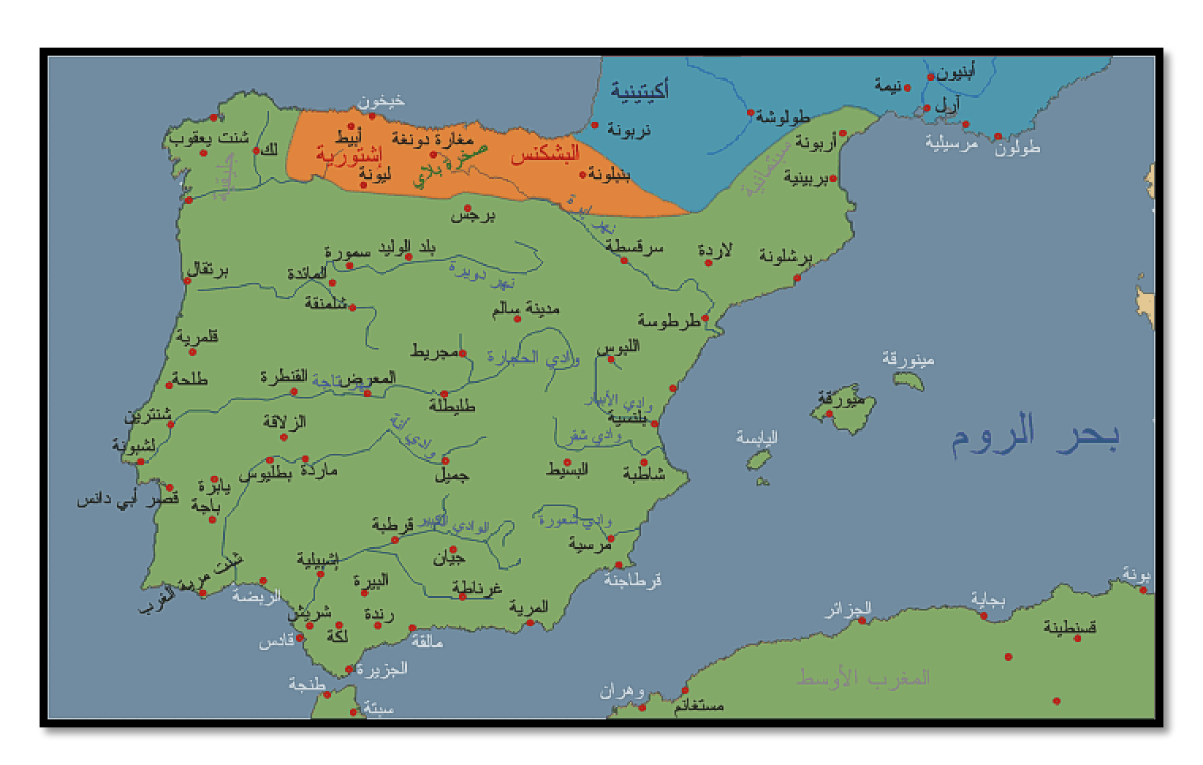


خريطة رقم: 23 الموقع الجغرافي لمدينة بطليوس

1- نقلا عن http//:www.hukam.net

بتصرف





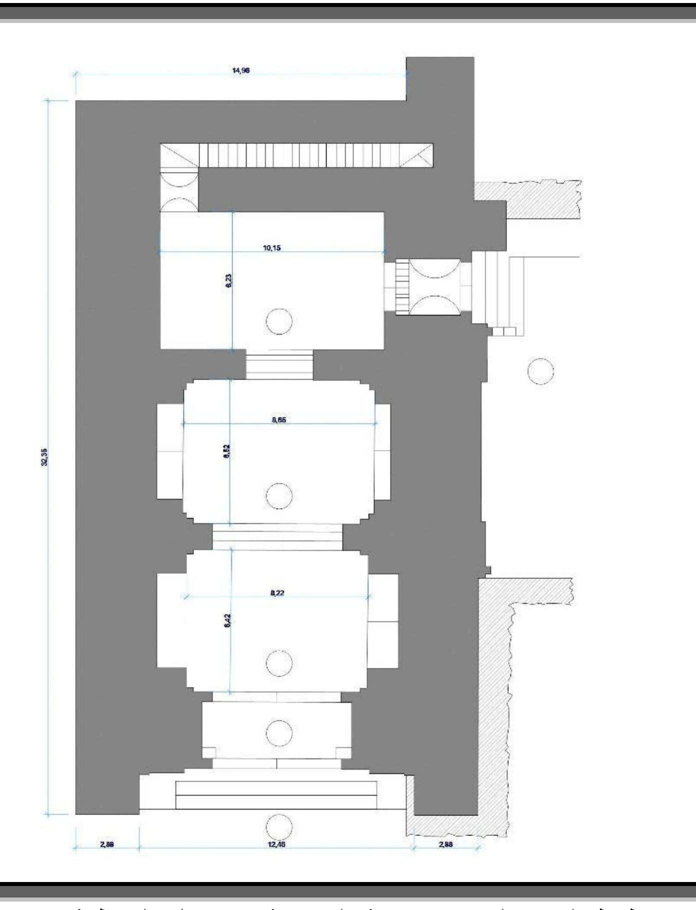
خريطة رقم: 24 الموقع الجغرافي لمدينة شريش

1- نقلا عن http//:www.hukam.net

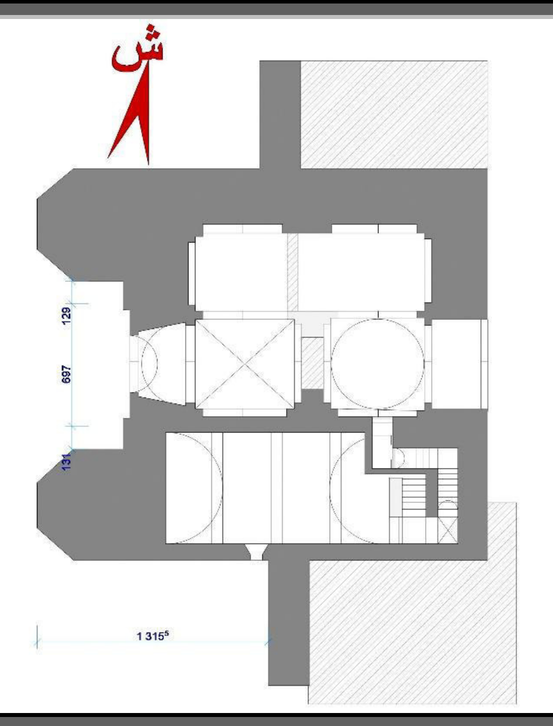
بتصرف

ملحق

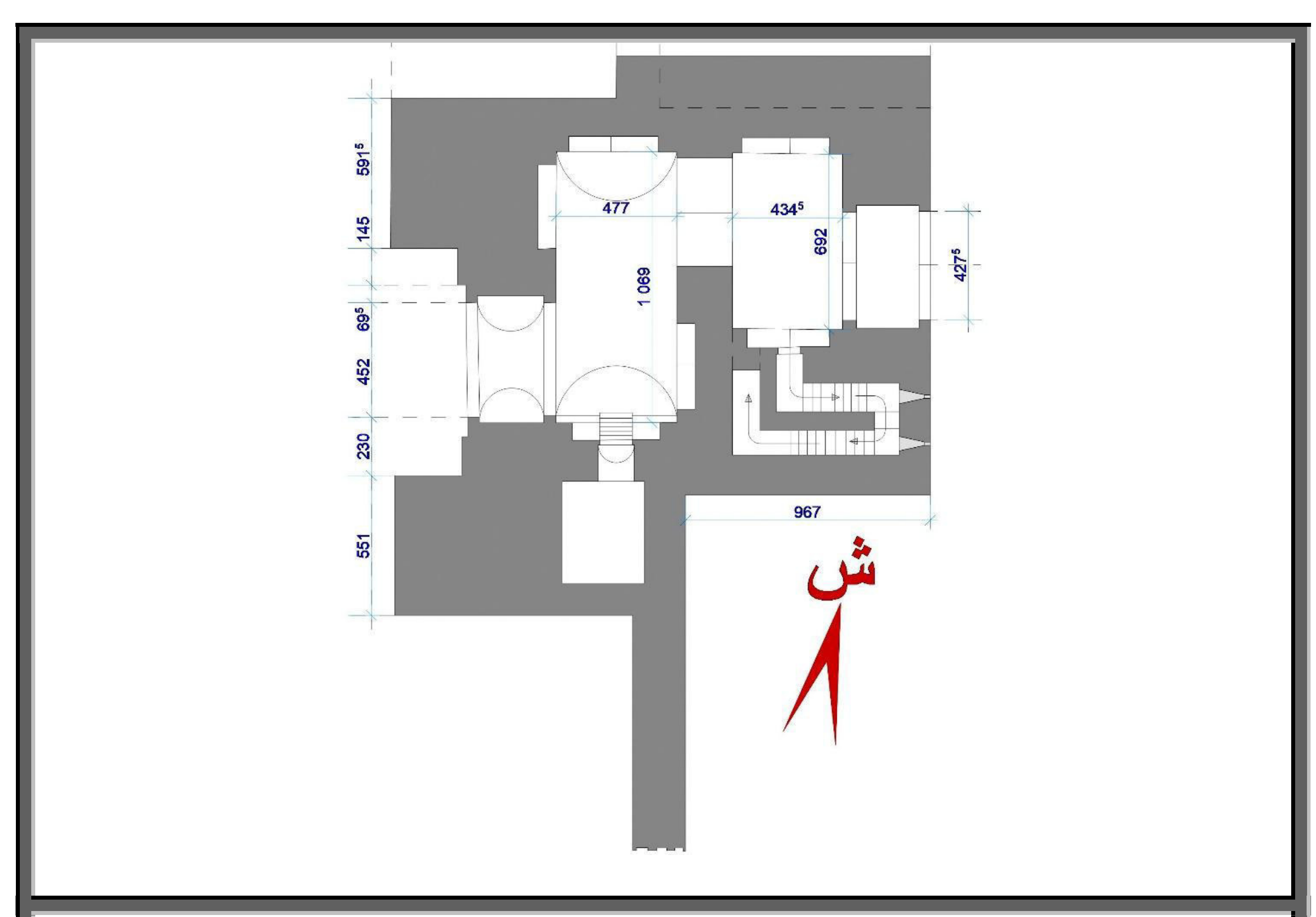
المخططات



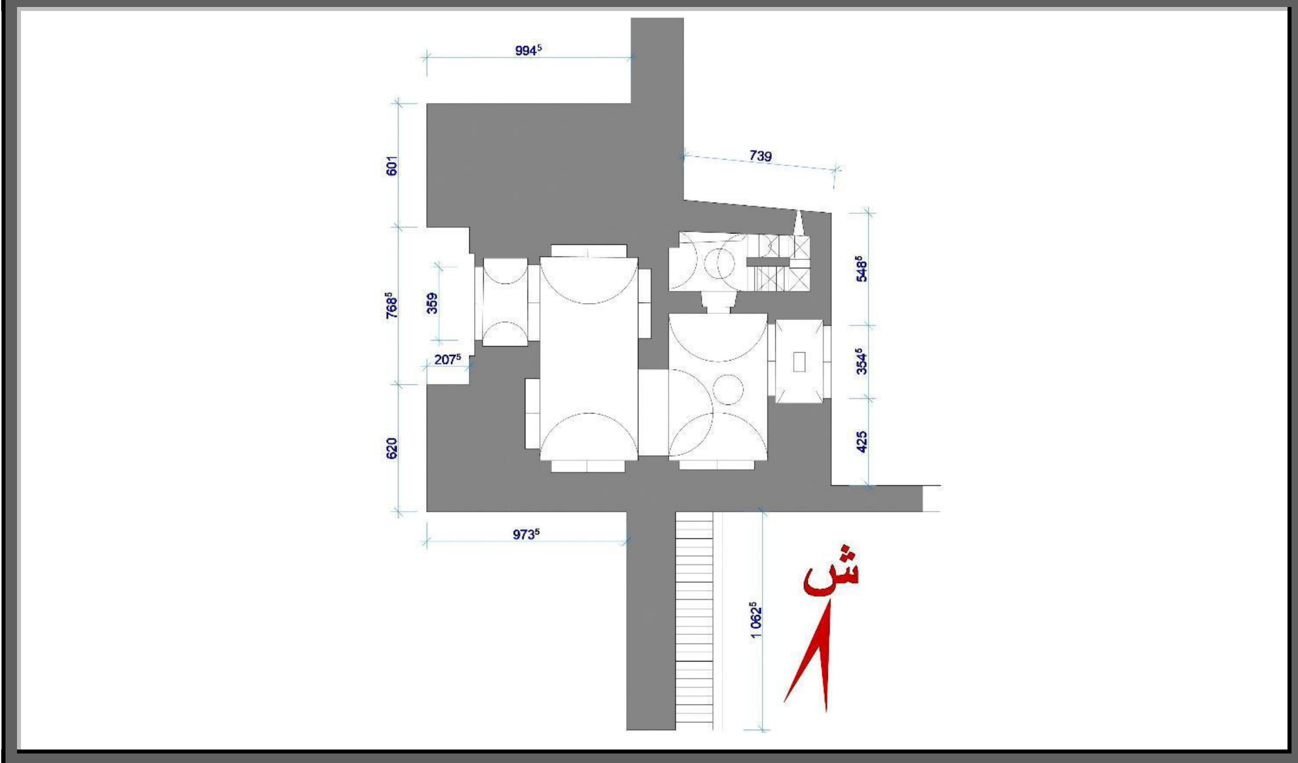
المخطط رقم 01: تخطيط الباب الكبير بقصبة الدوداية ووسائل التغطية بقاعات ثلاث، تشتمل على عدة وسائل دفاعية من عمل الطالب



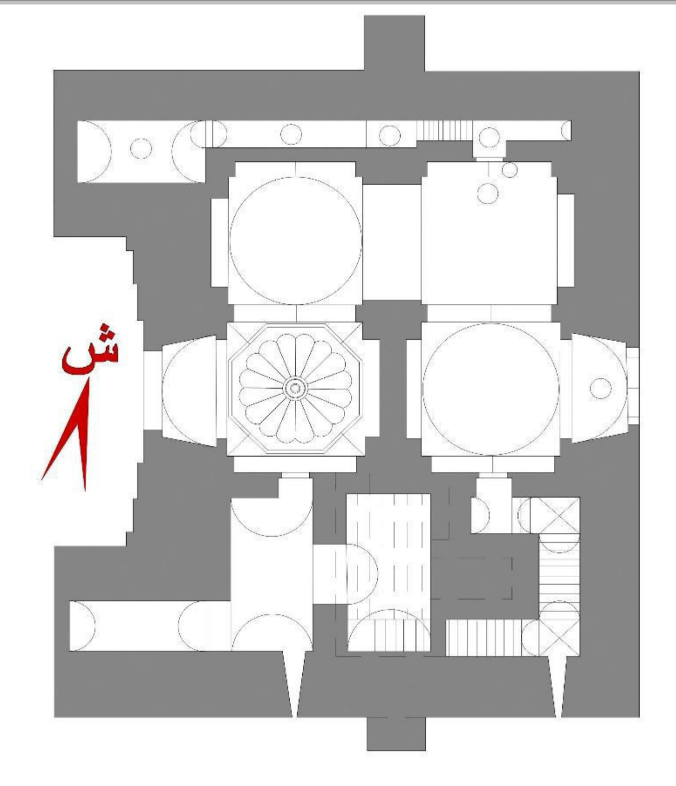
المخطط رقم 02: تخطيط باب الأحد ,ووسائل التغطية بقاعات ثلاث، من عمل الطالب



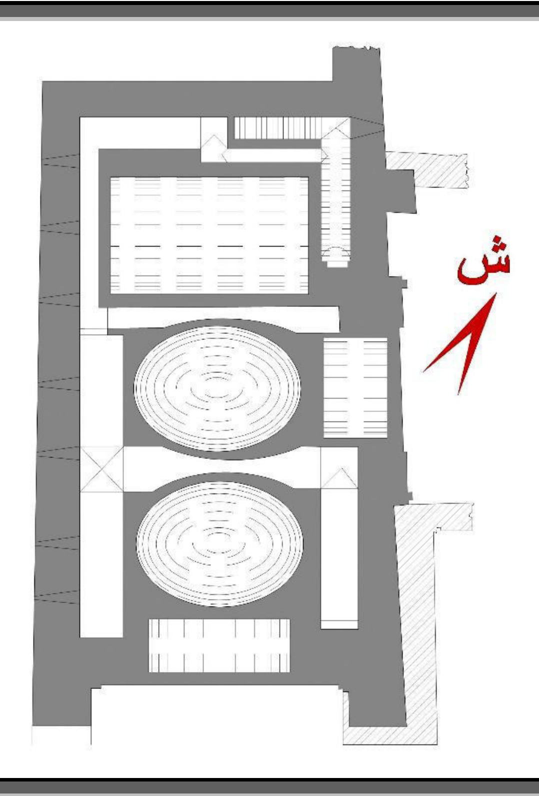
المخطط رقم 03: تخطيط الباب العلو من عمل الطالب



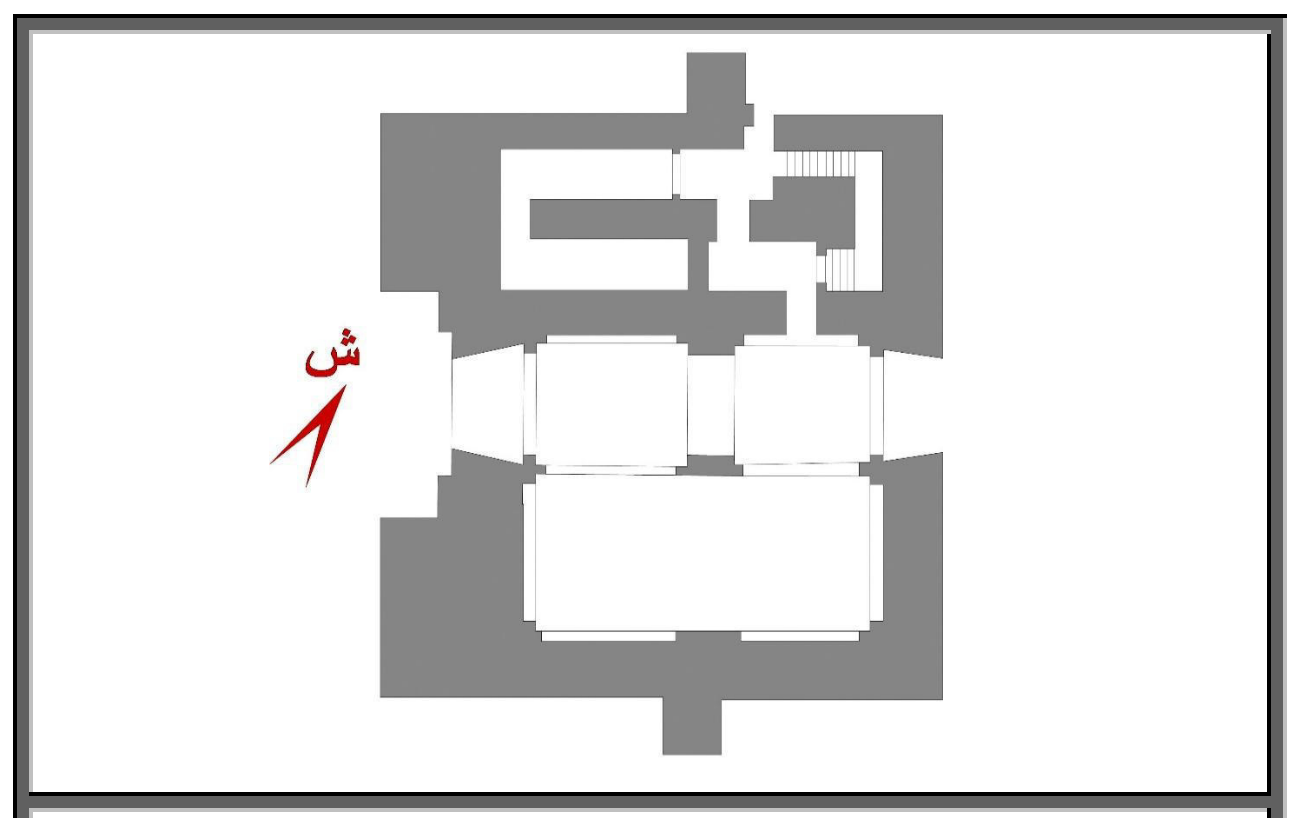
المخطط رقم 04: تخطيط باب زعير من عمل الطالب



المخطط رقم 05: تخطيط باب الرواح، المنعرج المزدوج ووسائله الدفاعية عن عثمان عثمان إسماعيل بتصرف

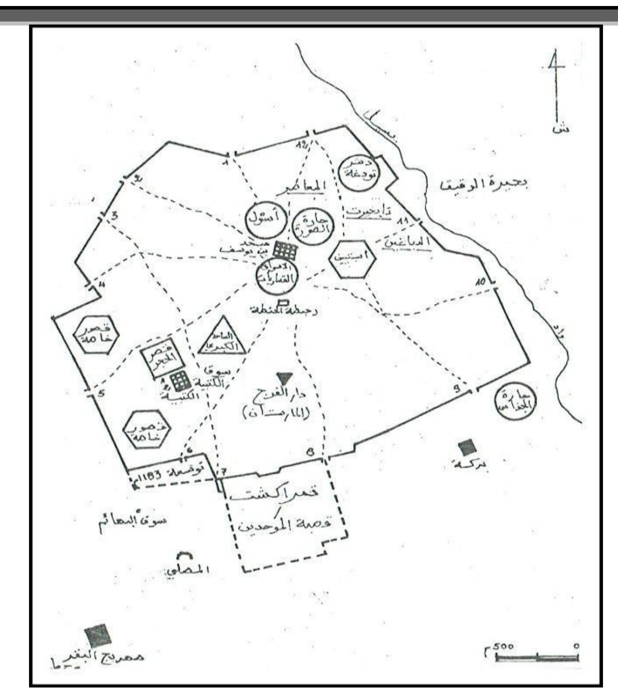


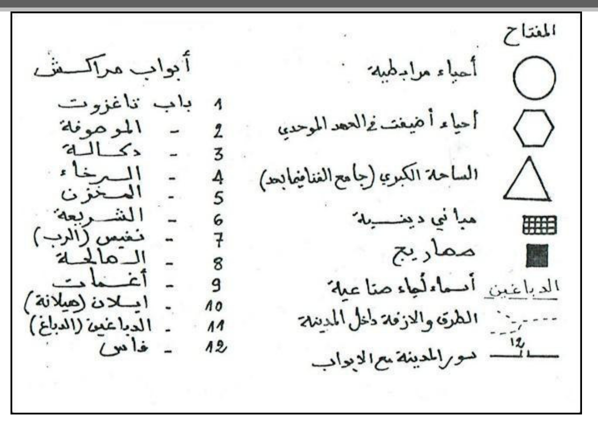
المخطط رقم 06: وسائل التغطية بقاعات ثلاث -باب الرواح- عن عثمان عثمان إسماعيل بتصرف



المخطط رقم 07: تخطيط باب القيادة -داخل القصر الملكي

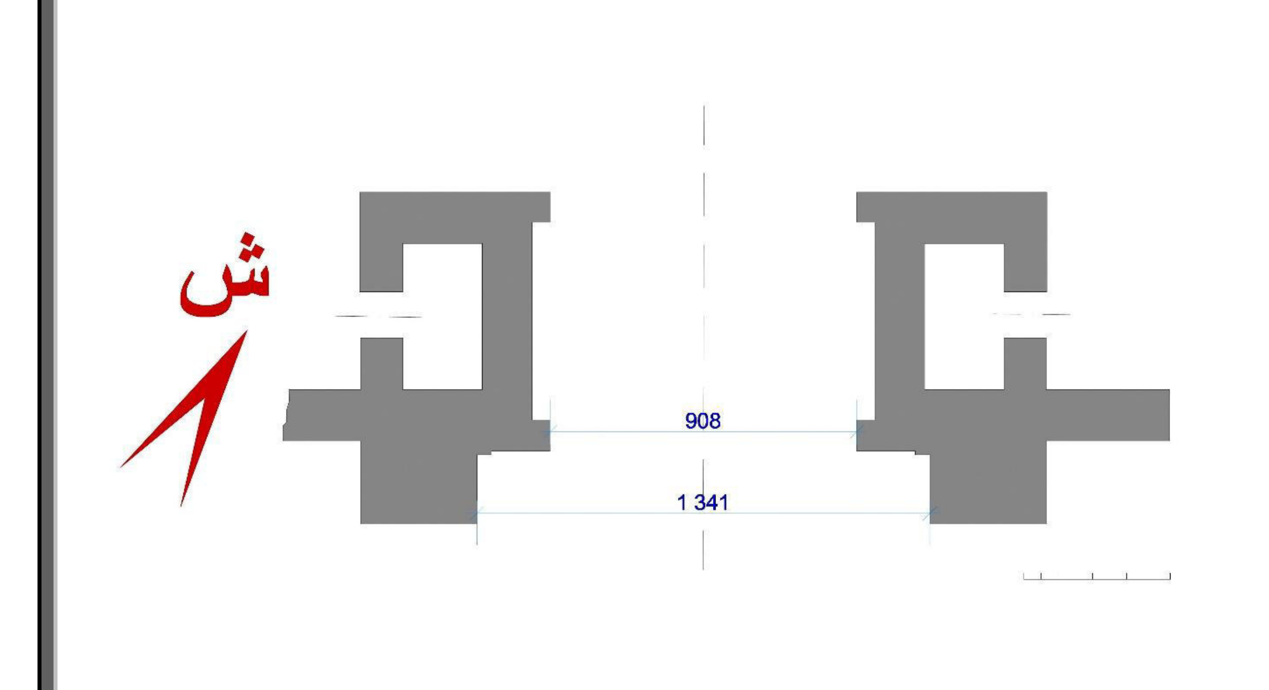
عن caillé jaques بتصرف



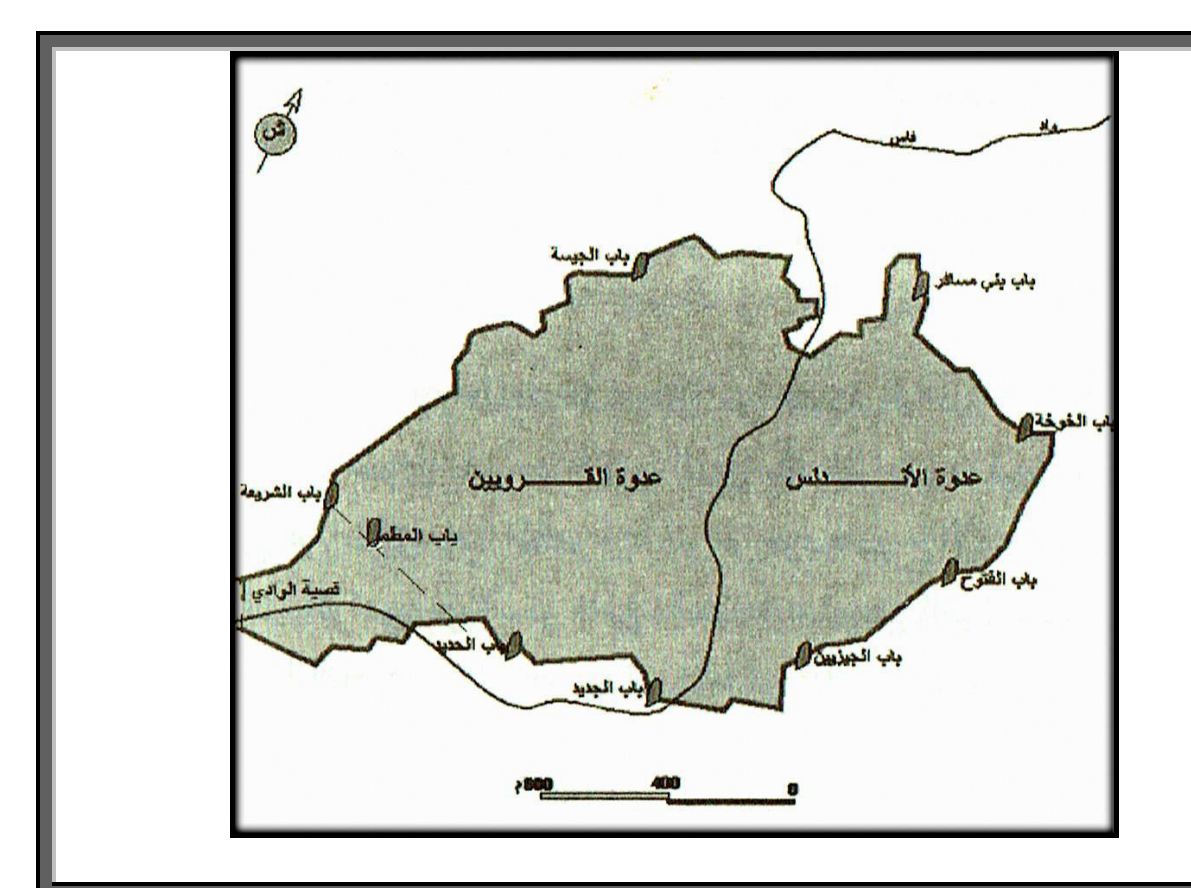


المخطط رقم 08: مخطط يبين اسوار وأبواب مراكش – مع التوزيع العمراني بها إضافة الى مخطط قصبة تامركشت عن Dev erdun Tome

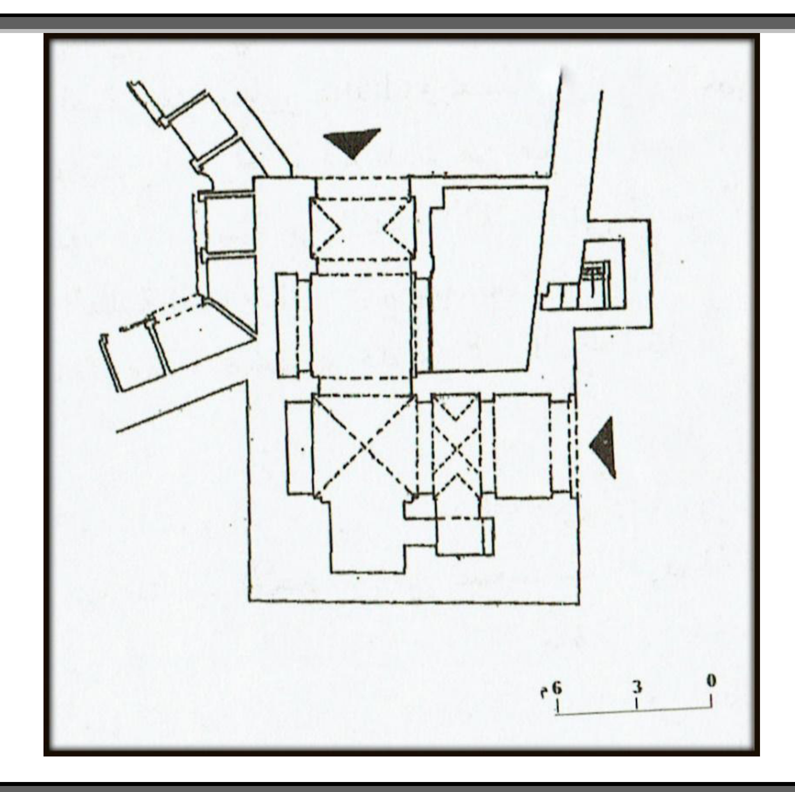
المخطط رقم 09: التخطيط العام لمدينة سلا (الأسوار و الأبواب) من عمل الطالب



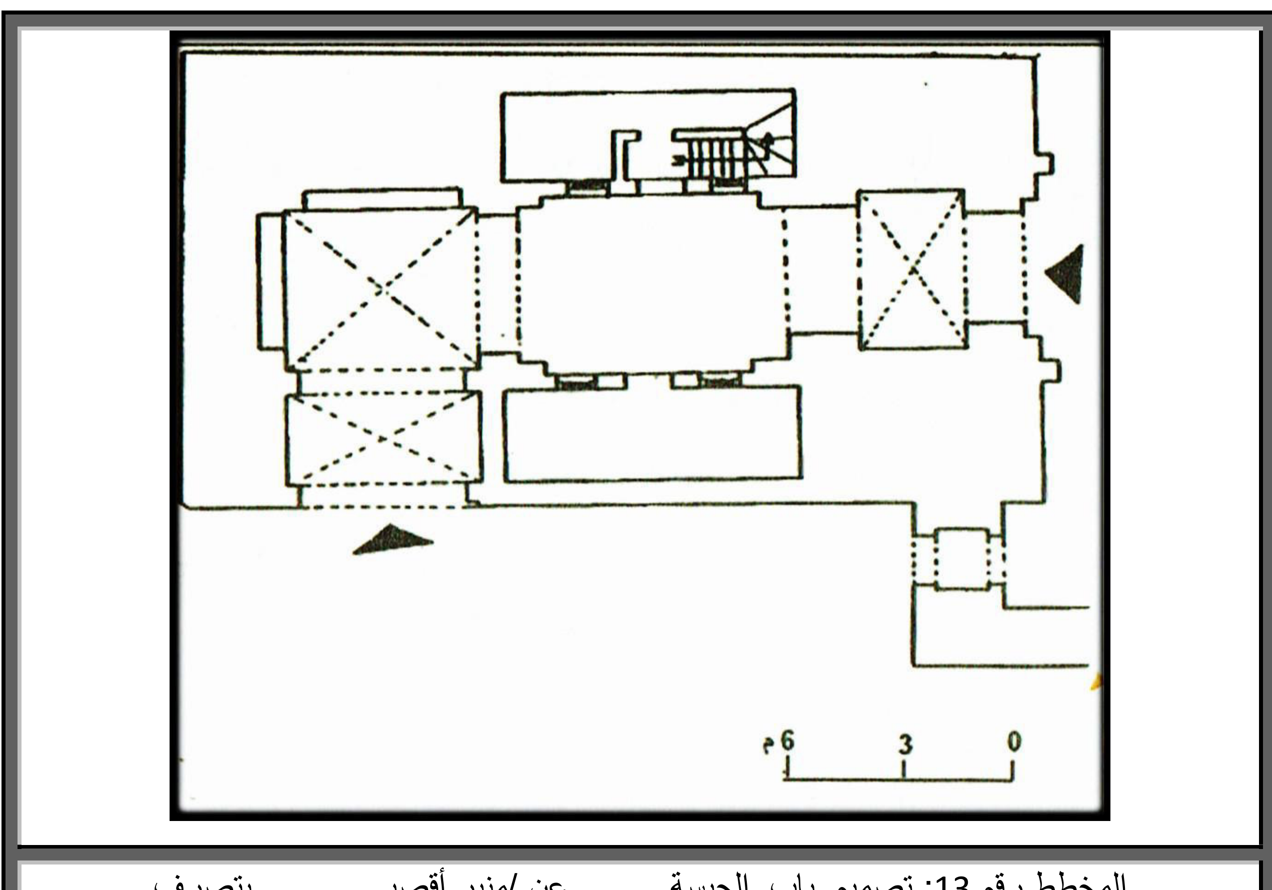
المخطط رقم 10: تخطيط باب فاس (الخميس) بسلا من عمل الطالب



المخطط رقم 11: مخطط يوضح أسوار وأبواب فاس البالي من عمل الطالب

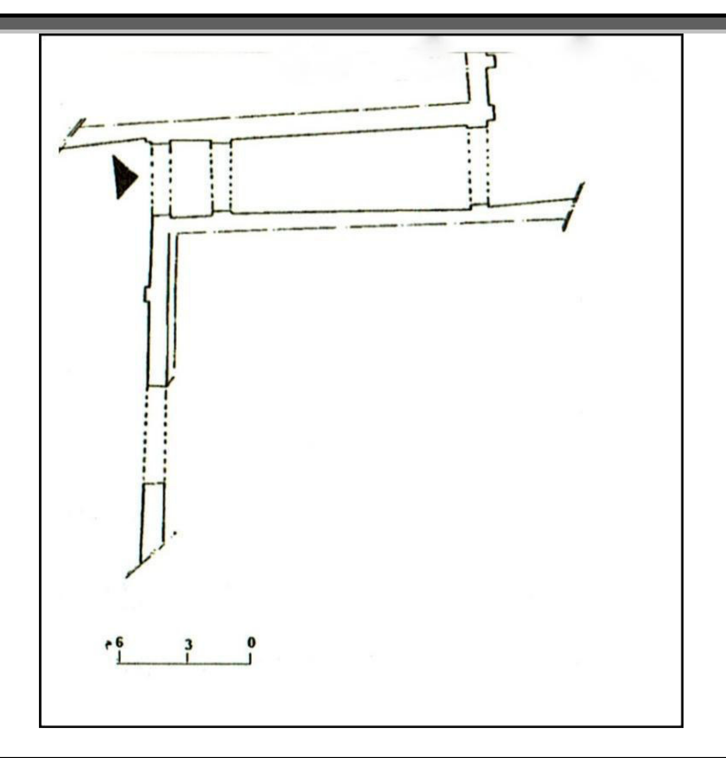


المخطط رقم 12: تصميم باب المحروق (الشريعة) عن /منير أقصبي بتصرف

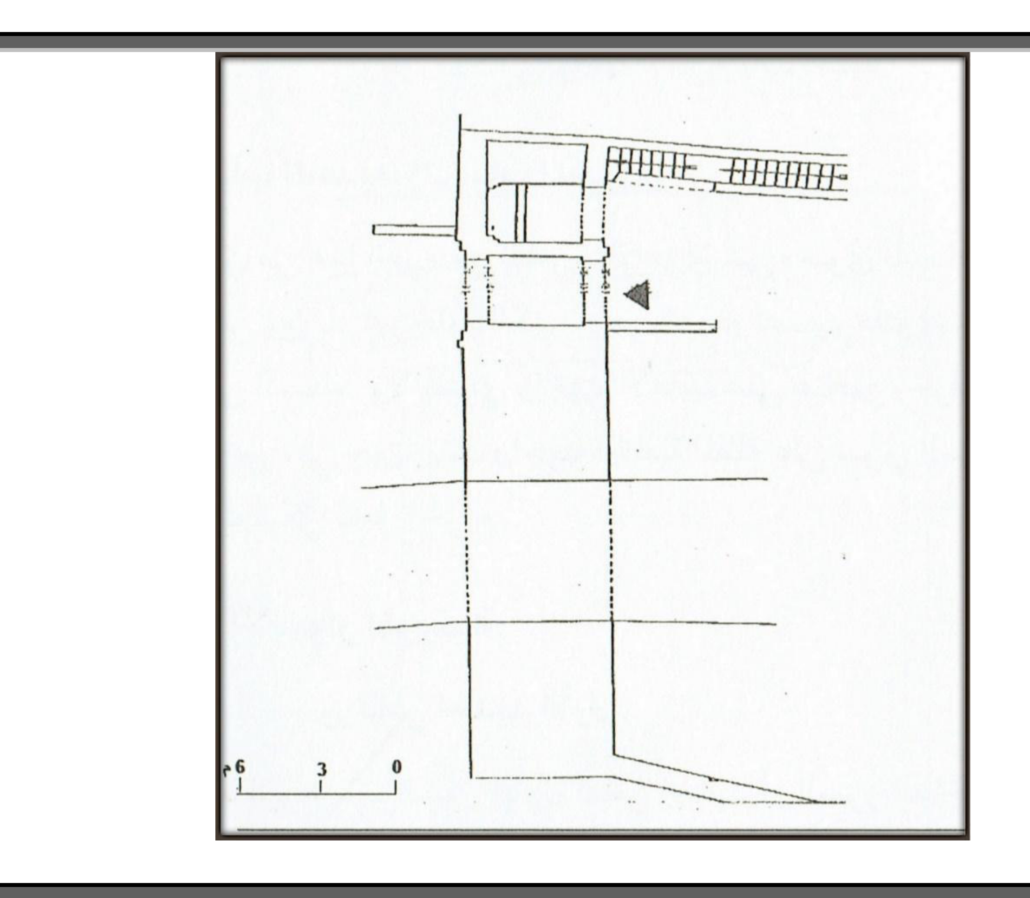




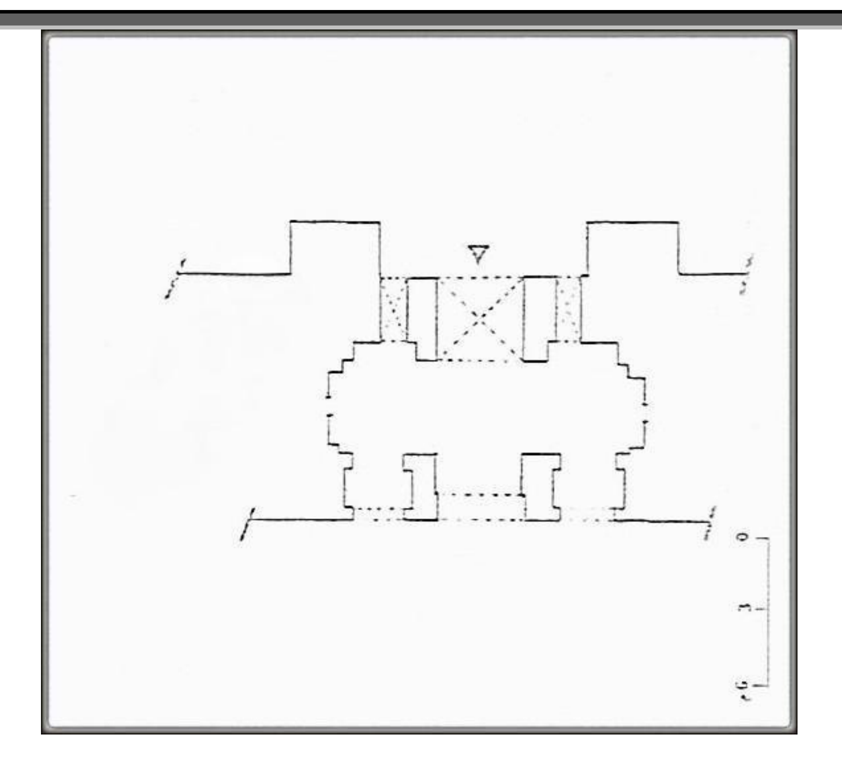
المخطط رقم 13: تصميم باب الجيسة عن /منير أقصبي بتصرف



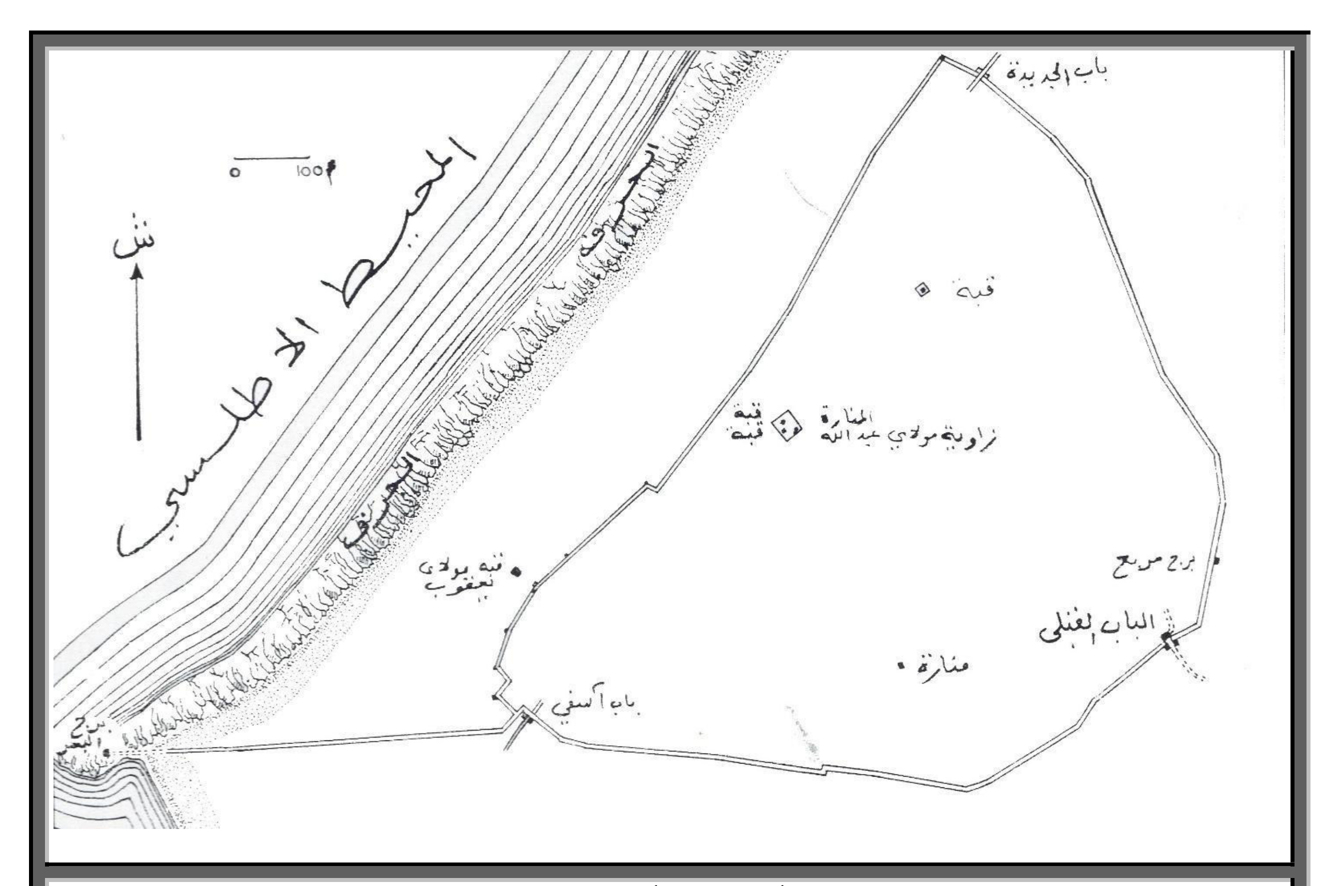
المخطط رقم 14: تصميم باب الحديد من عمل الطالب



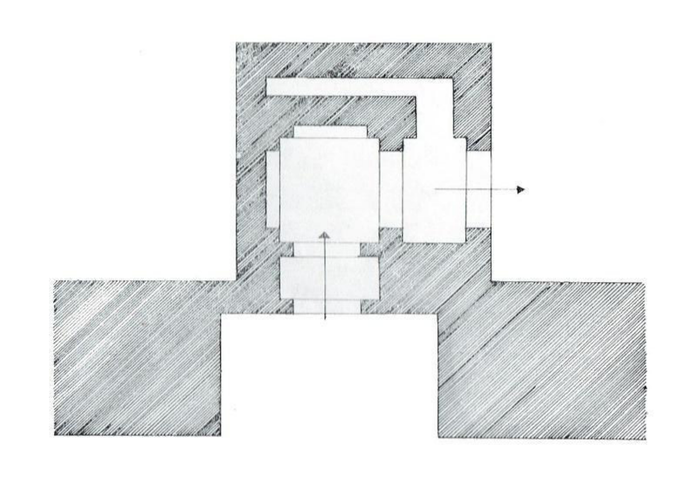
المخطط رقم 15: تصميم باب الجديد عن /منير أقصبي بتصرف



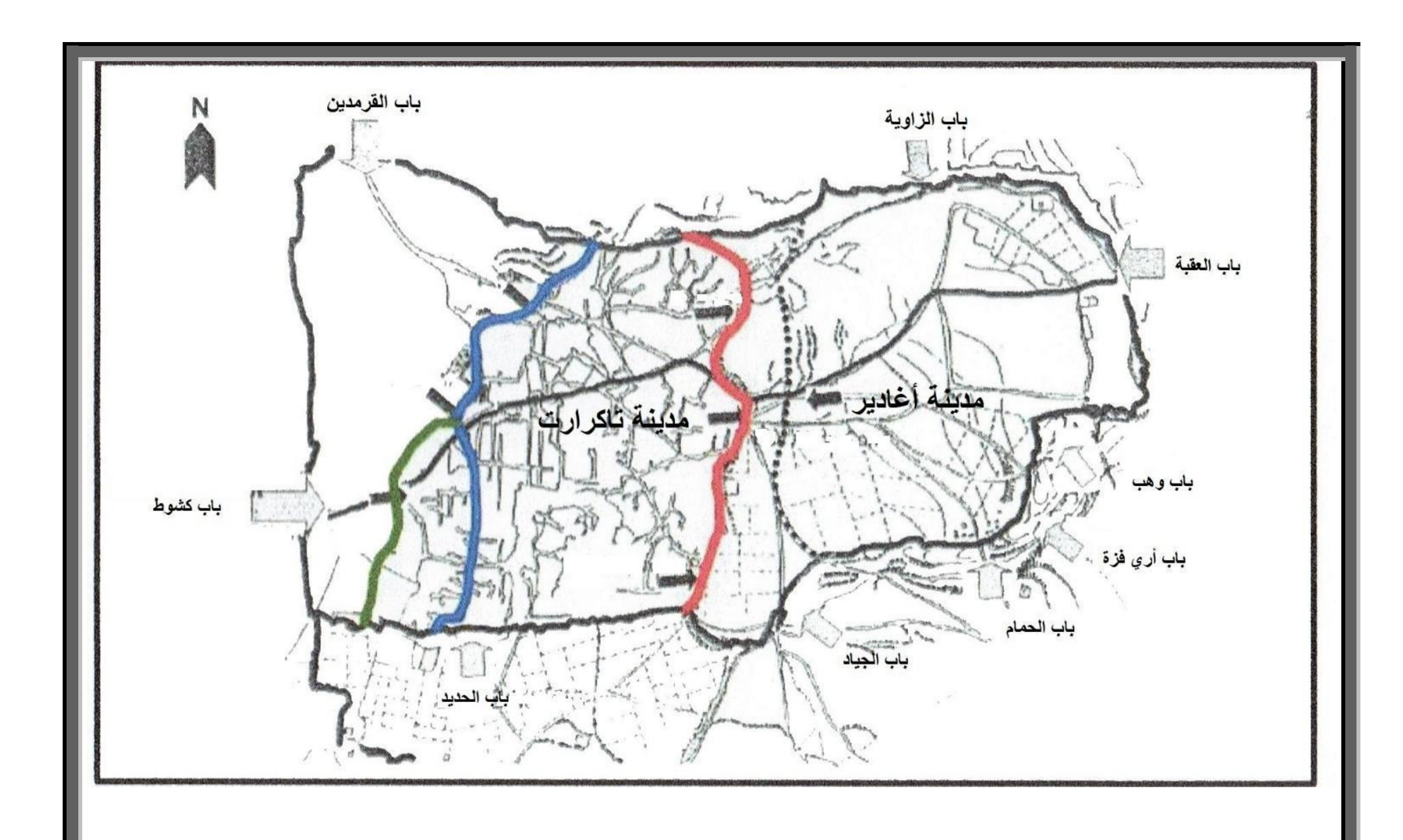
المخطط رقم 16: تصميم باب الفتوح عن /منير أقصبي بتصرف



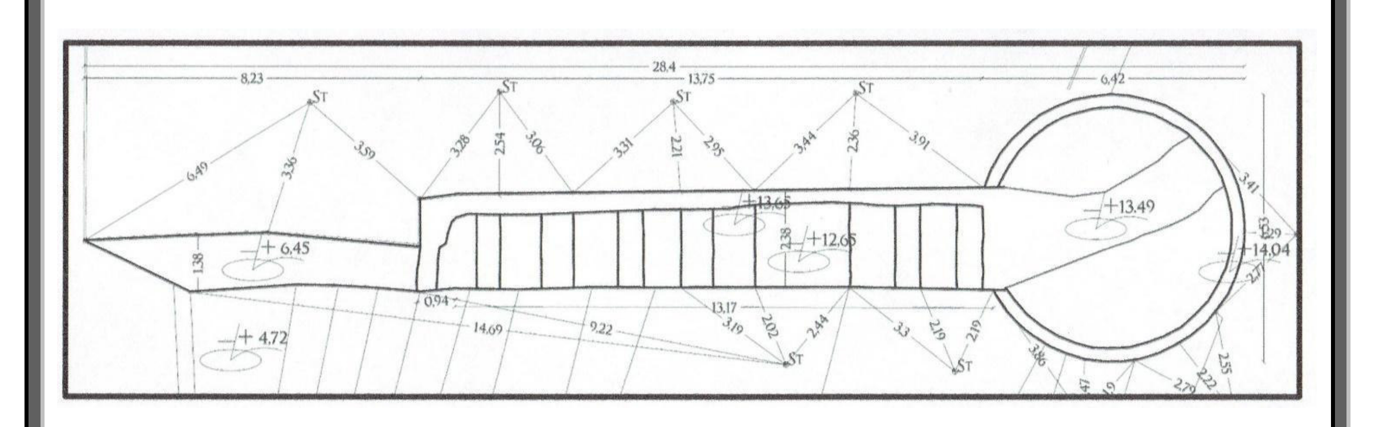
المخطط رقم 17: تصميم رباط طيط (الأسوار و الأبواب) عن عثمان عثمان إسماعيل بتصرف



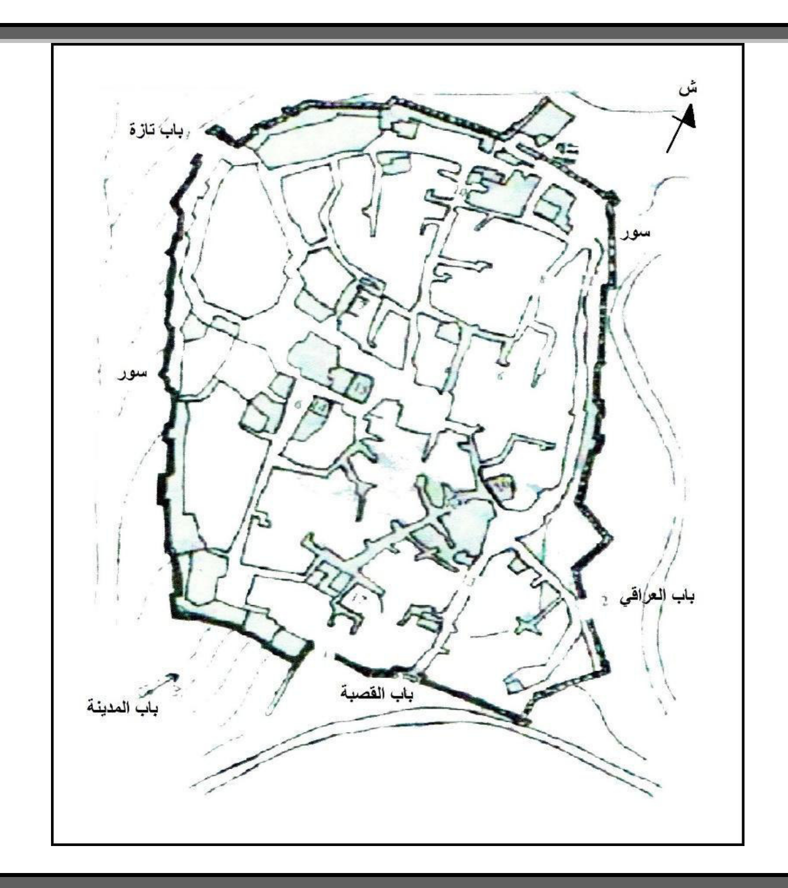
المخطط رقم 18: تصميم باب القبلي عن عثمان عثمان إسماعيل -بتصرف-



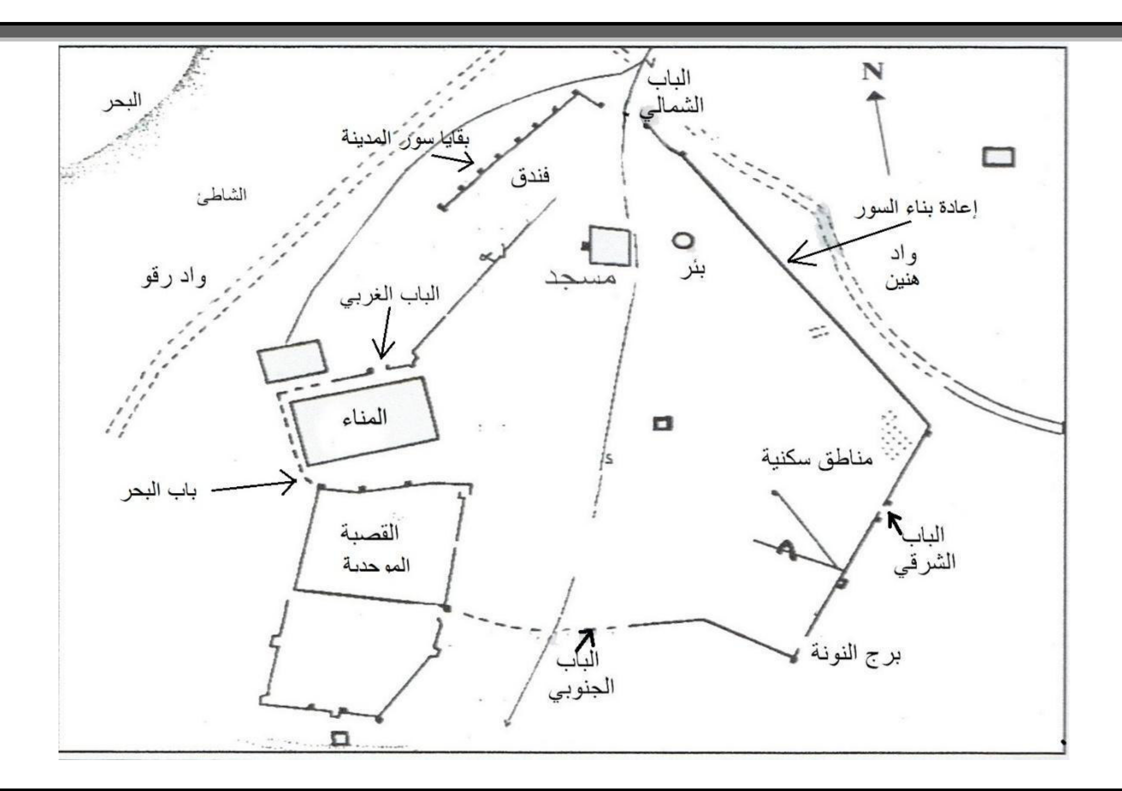
المخطط رقم 19: مخطط يوضح أسوار و أبواب مدينتي أغادير و تاكرارت   من عمل الطالب



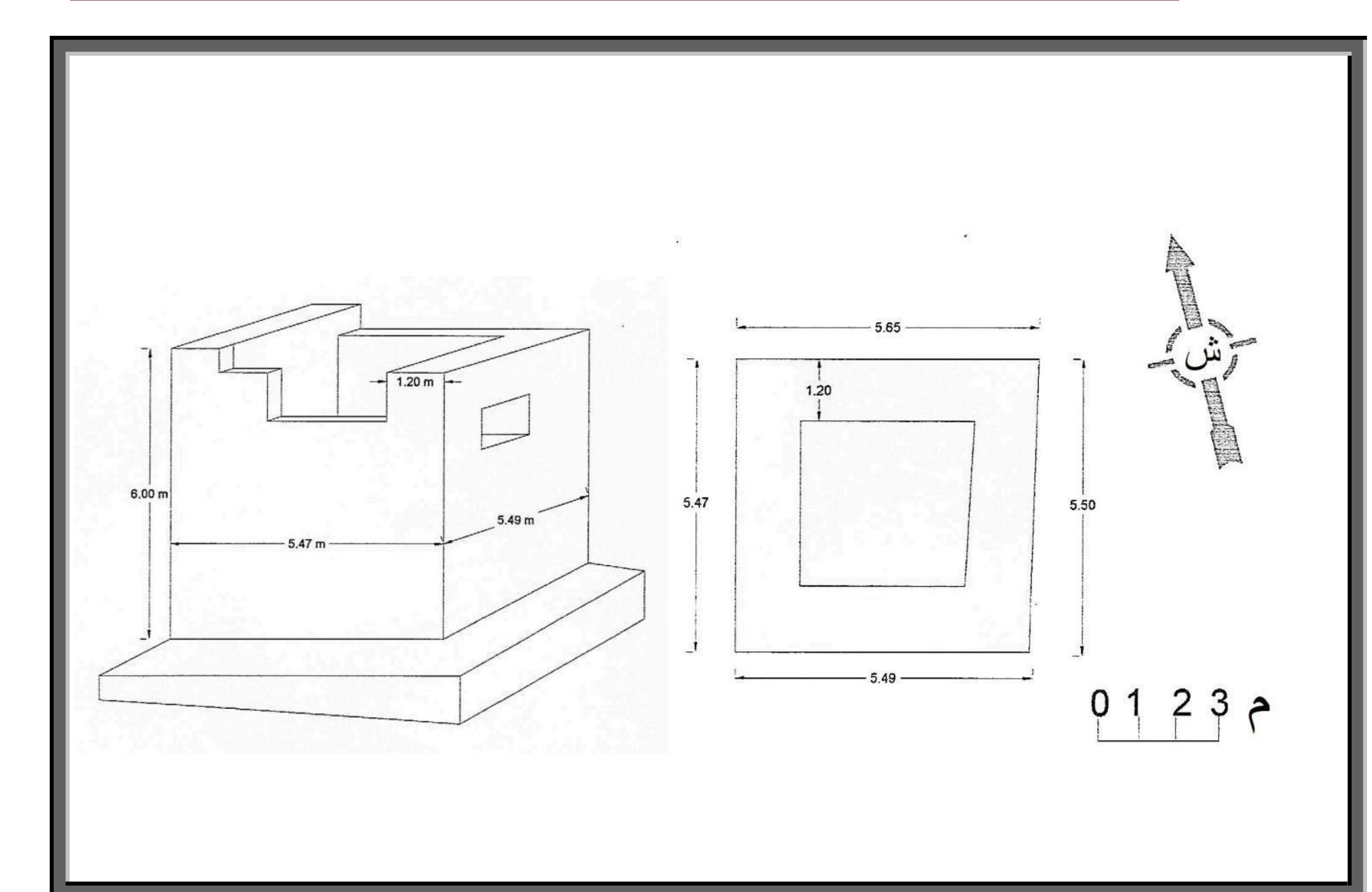
المخطط رقم 20: مسقط رأسي لبرج و باب القرماديين   عن خليفة عبد الرحمن   -بتصرف-



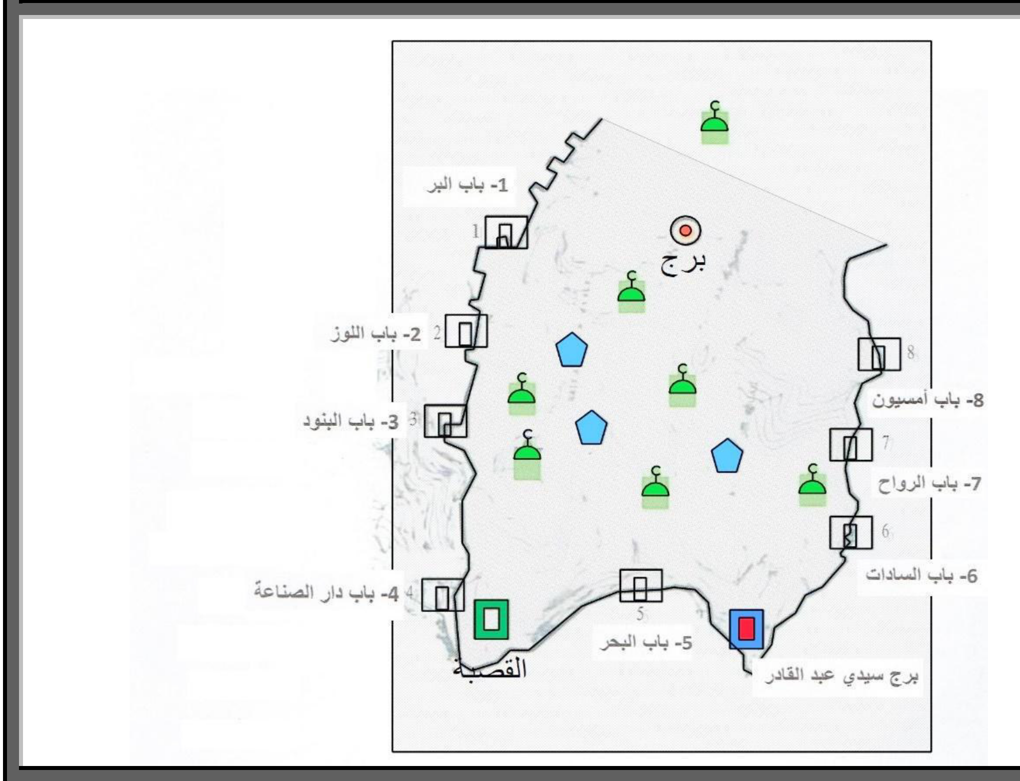
المخطط رقم 21: مخطط تقريبي لأسوار وأبواب مدينة ندرومة   من عمل الطالب



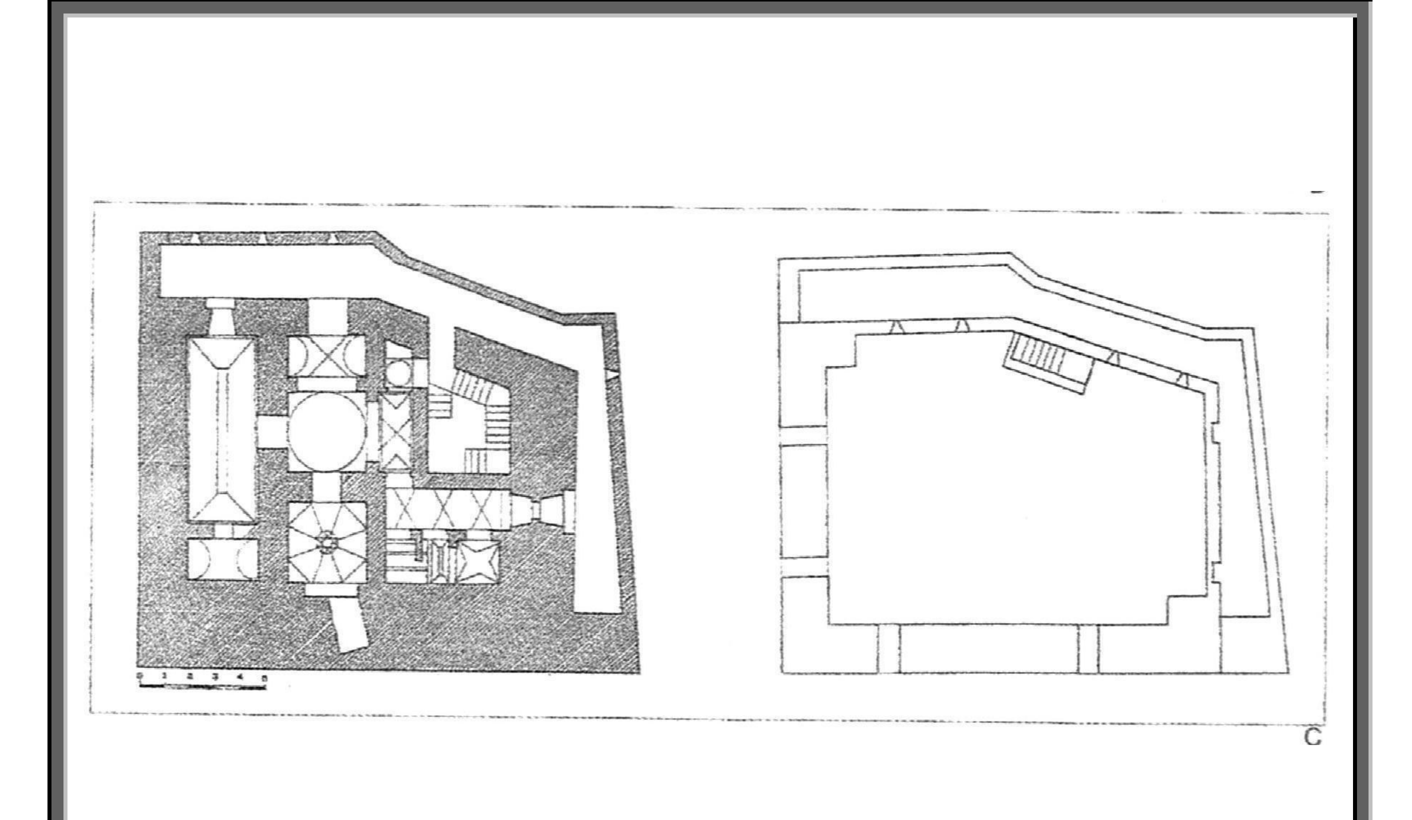
المخطط رقم 22: مخطط تقريبي لأسوار وأبواب والقصبة لمدينة هنين   من عمل الطالب



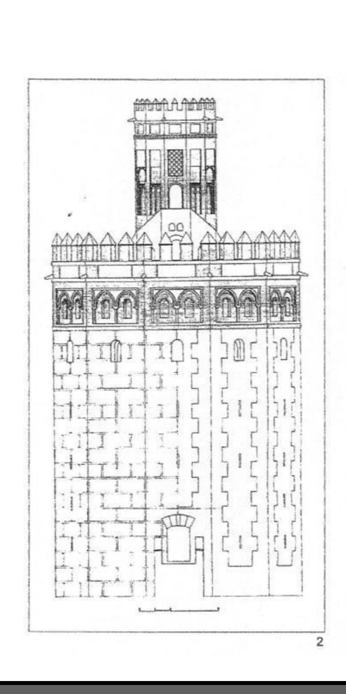
المخطط رقم 23: مخطط برج سيدي إبراهيم - هنين - من عمل الطالب

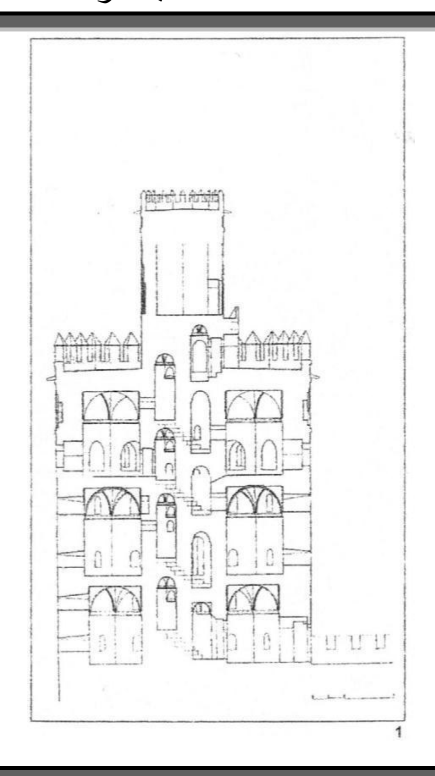


المخطط رقم 24: مخطط لمدينة بجاية الأسوار والأبواب والقصبة عن عبد الكريم عزوق –بتصرف-

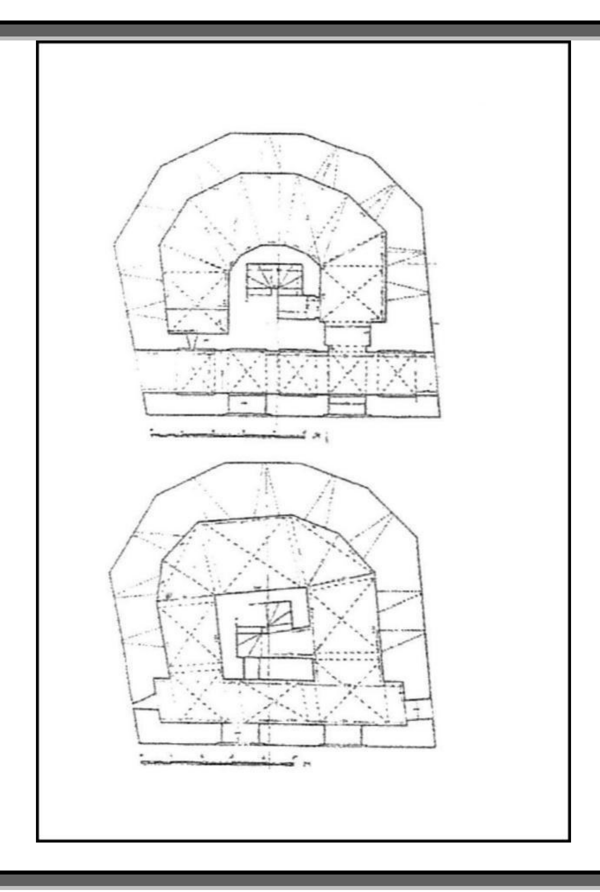


المخطط رقم 25: مخطط يوضح الطابق الثالث مع الشرفة لحصن جبل الفتح عن *Toress Belbas* بتصرف

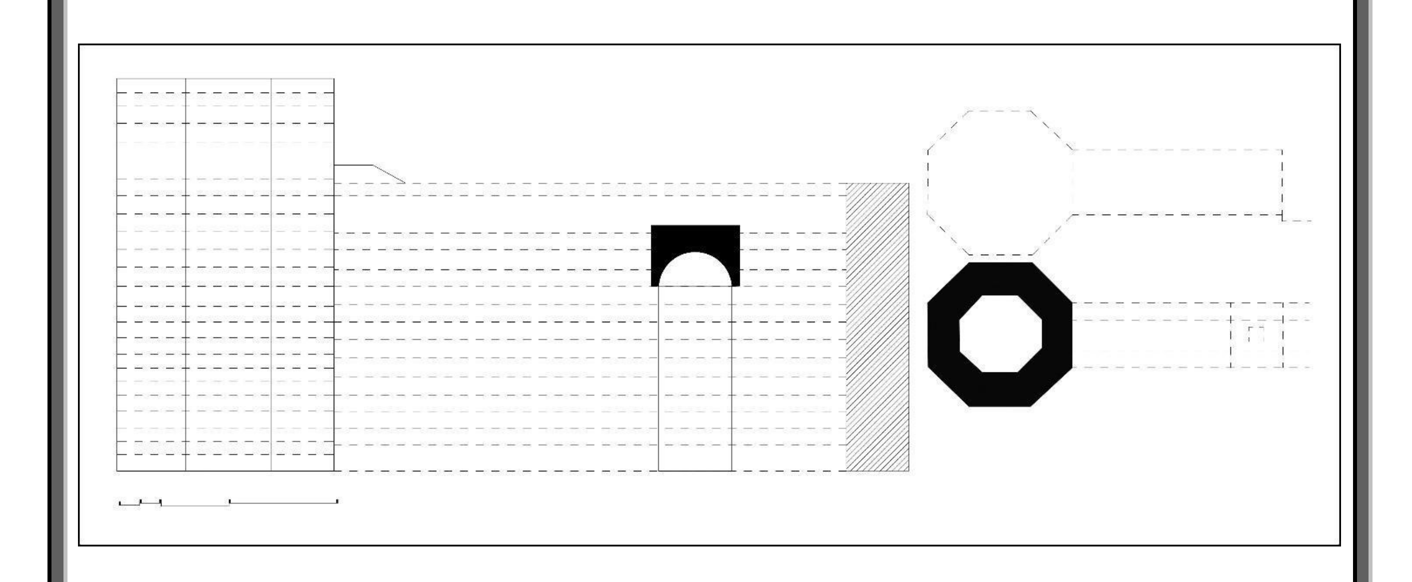




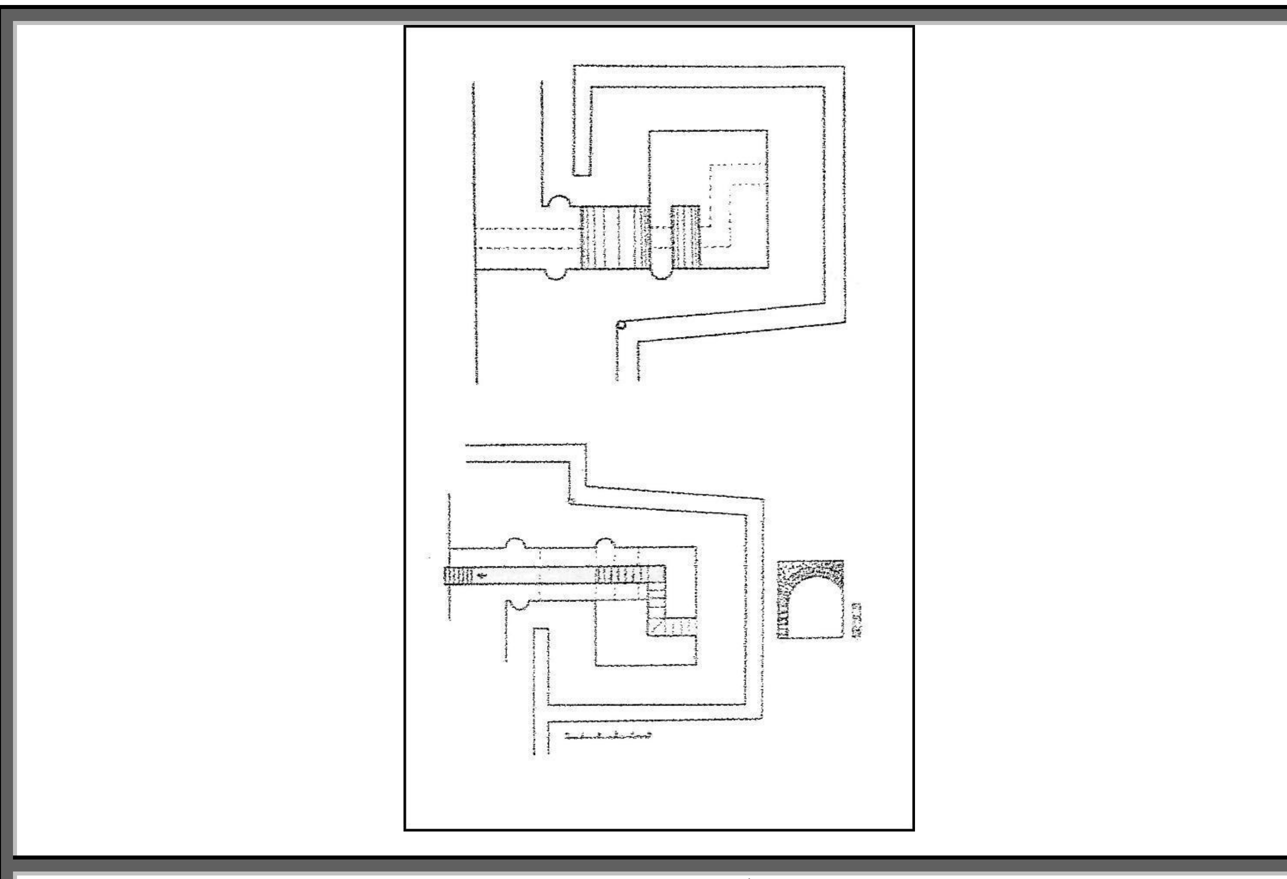
المخطط رقم 26مخطط قطاعي لبرج الذهب بإشبيلية عن باسيليو بايون -بتصرف-



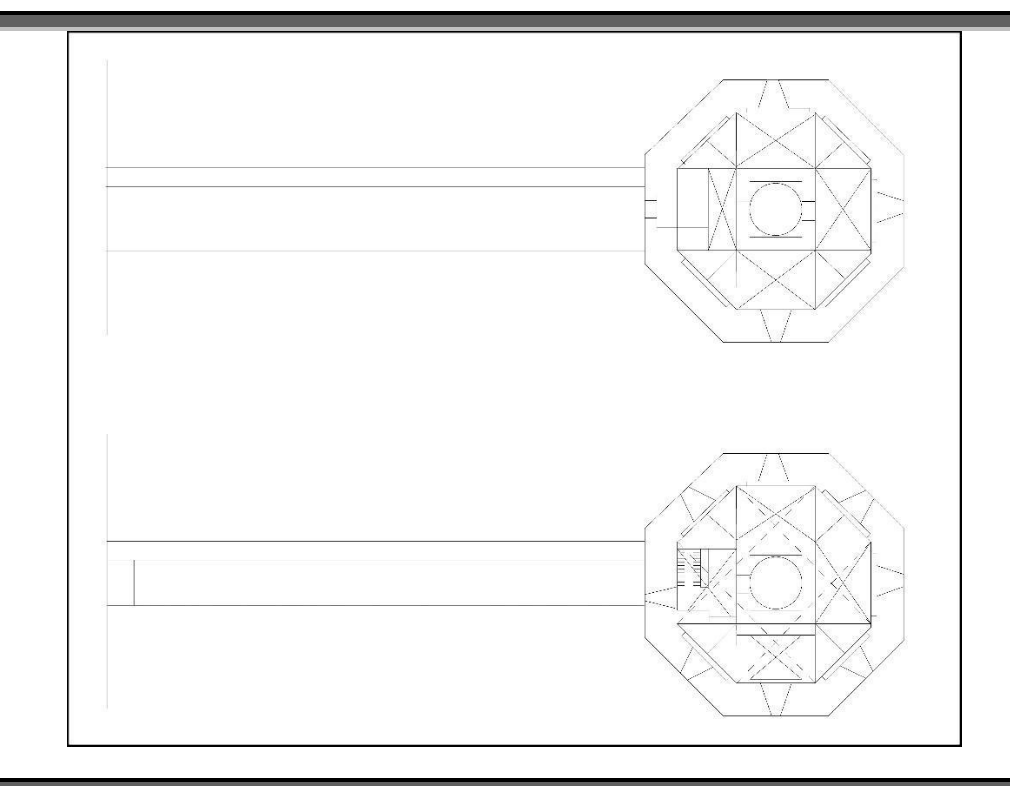
المخطط رقم 27: مخطط يوضح البرج الفضة مع إضافة القباب بإشبيلية عن *Toress Belbas* -بتصرف-



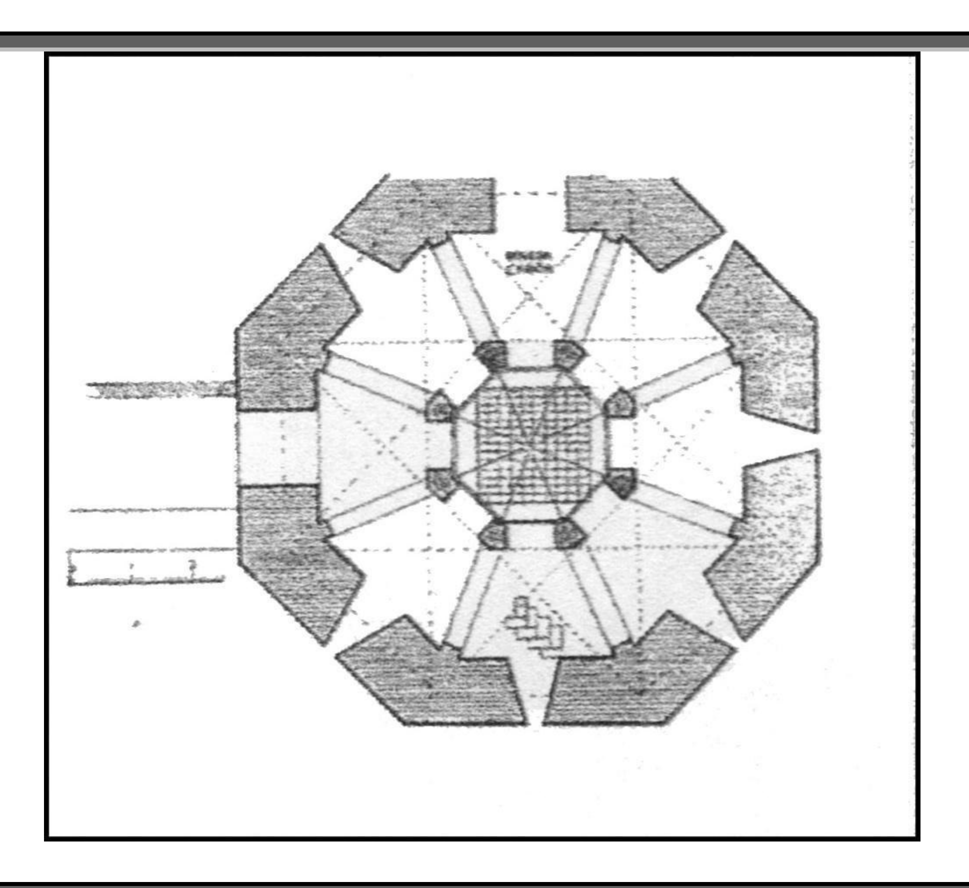
المخطط رقم 28: مخطط يوضح تصميم برج كينتانا بإستجة عن *Toress Belbas* -بتصرف-



المخطط رقم 29: مخطط يوضح تخطيط الأبراج البرانية بقصرش عن *Toress Belbas* -بتصرف-



المخطط رقم 30: مخطط يوضح تخطيط برج اسبنتابروس بقصبة بطليوس عن باسيليو بابون -بتصرف-

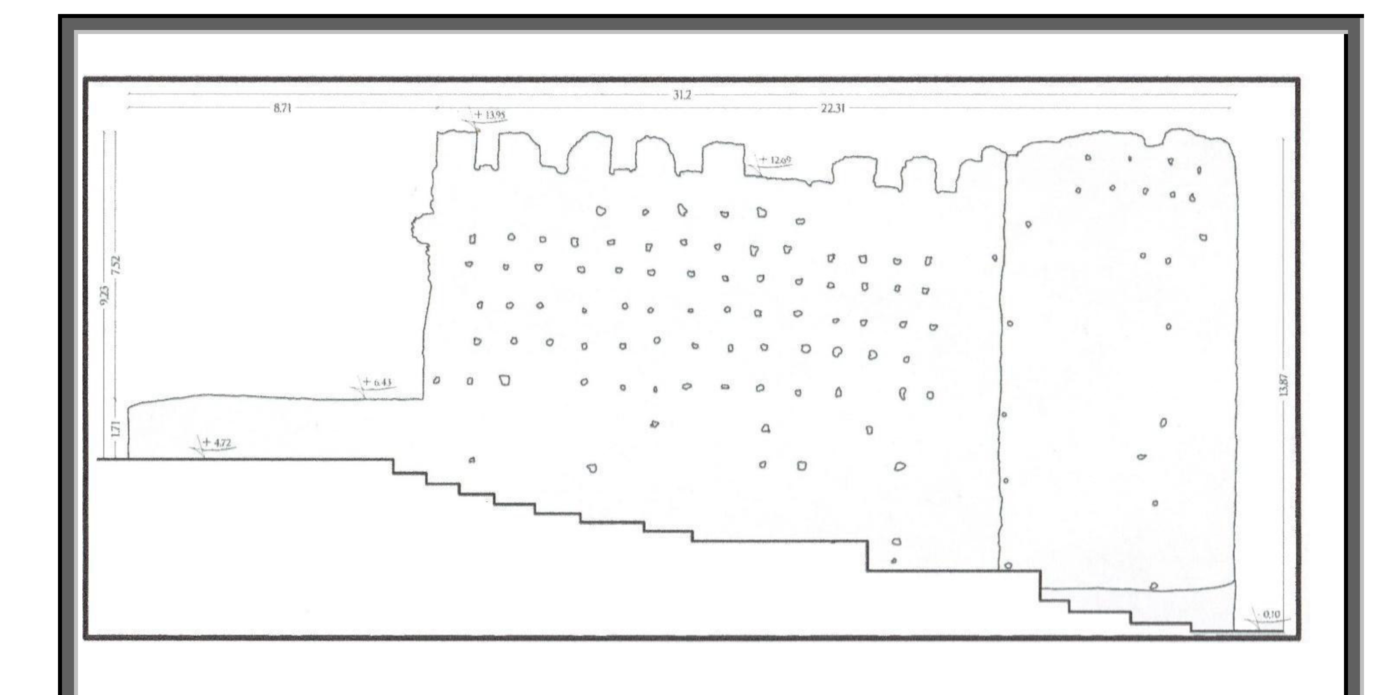


المخطط رقم 31: مخطط يوضح تخطيط البرج المثمن في شريش

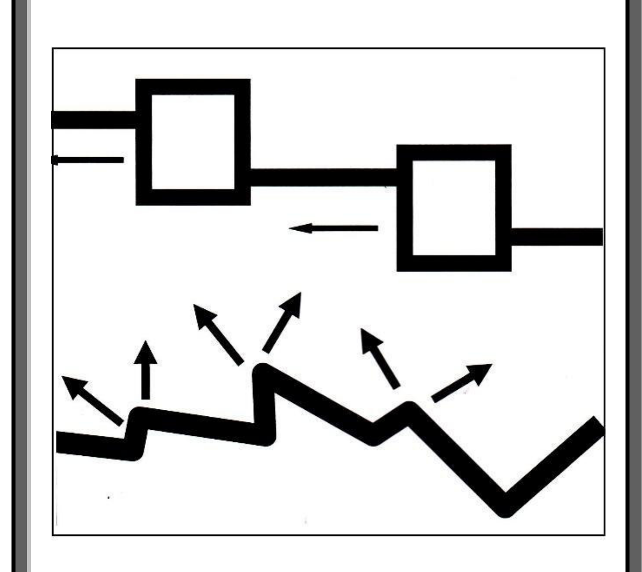


ملحق

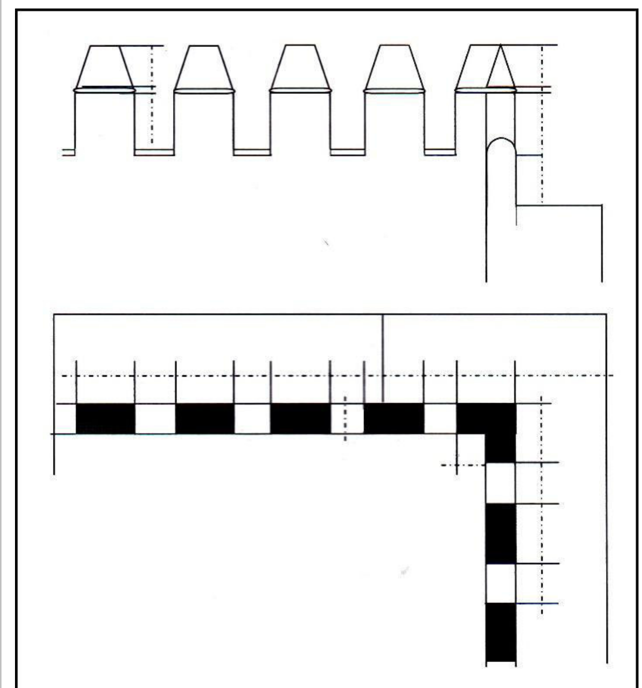
الاشكال



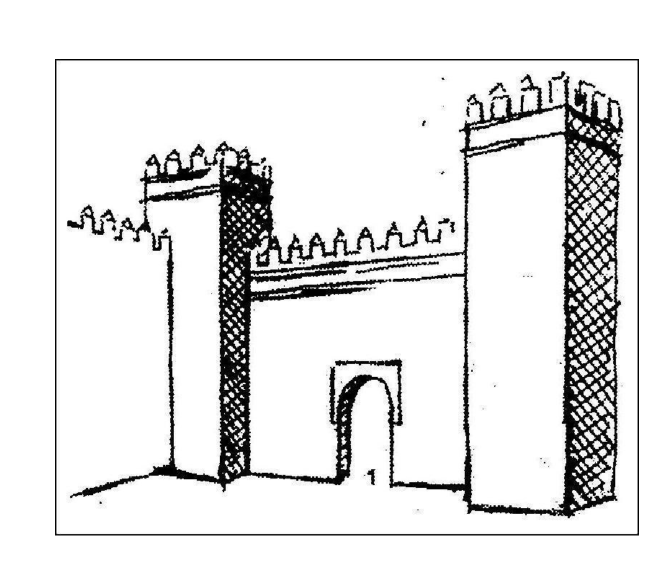
الشكل (01): رسم تقريبي يبين أحد الأبراج الدائرية مع السور - من عمل الطالب-



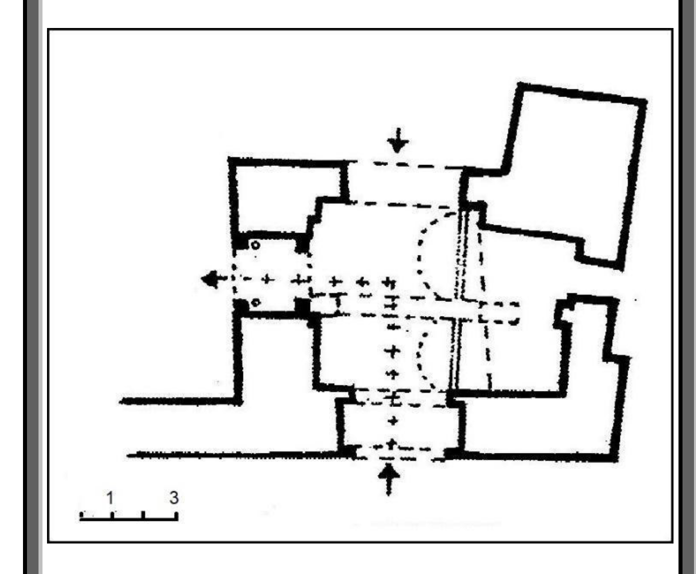
الشكل (02): الأسوار المزدوجة ذات الزوايا المتعددة مع توزيع الأبراج - من عمل الطالب-



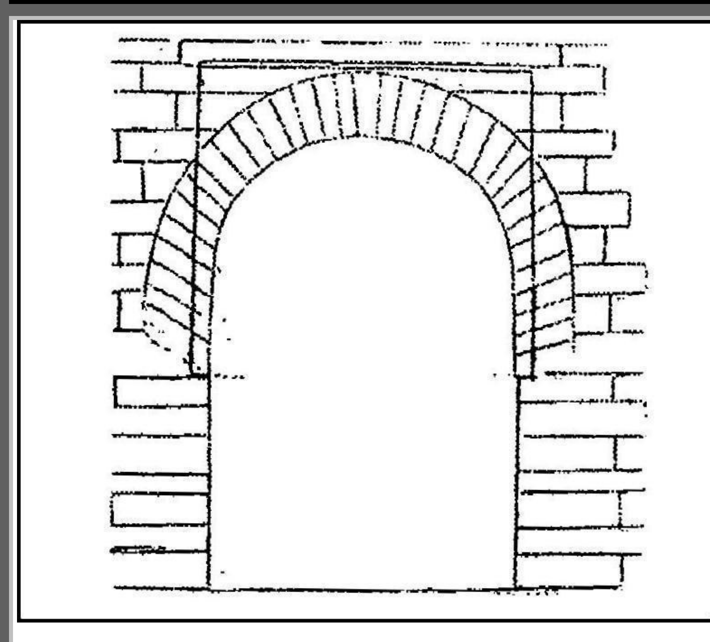
الشكل (03): مقطع أفقي و عمودي يبين شرفات الأسوار - من عمل الطالب-



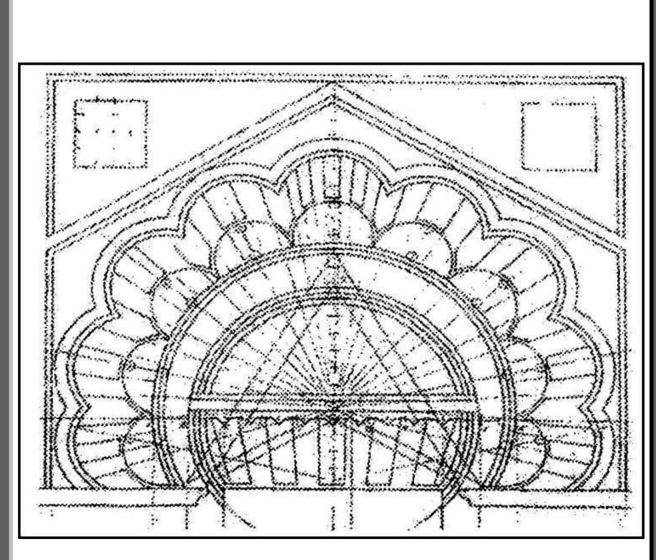
الشكل (04): يبين البوابات ذات المدخل المباشر
عن باسيليو بابون - بتصرف-



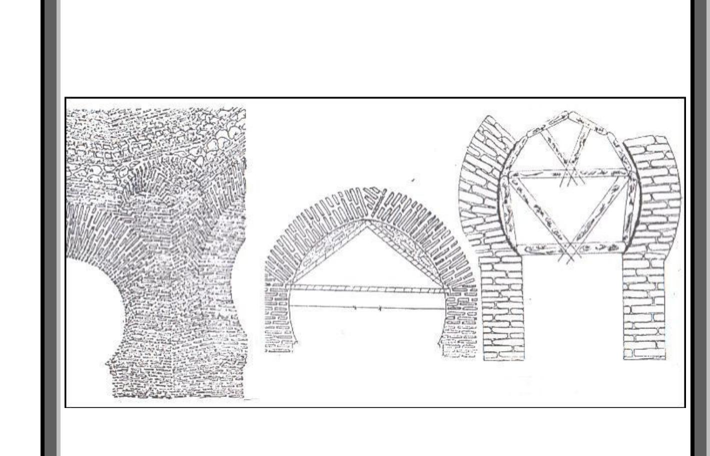
الشكل (05): يبين تخطيط البوابات ذات المدخل المنحني
عن باسيليو بابون -بتصرف-

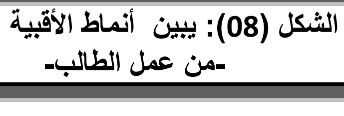


الشكل (06): يبين عقد البوابة من عمل الطالب
عن باسيليو بابون -بتصرف-



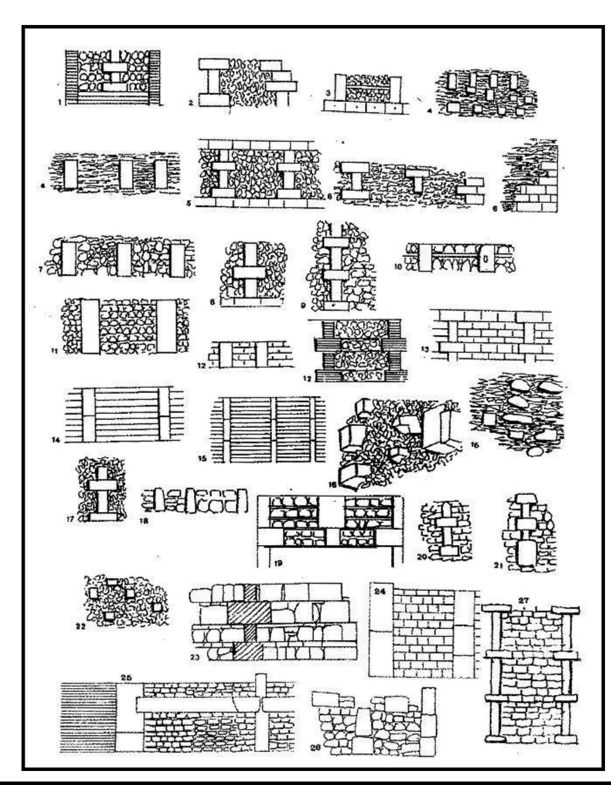
الشكل (07): يبين الحليات المعارية المقلوبة مع المسننات
عن باسيليو بابون -بتصرف-



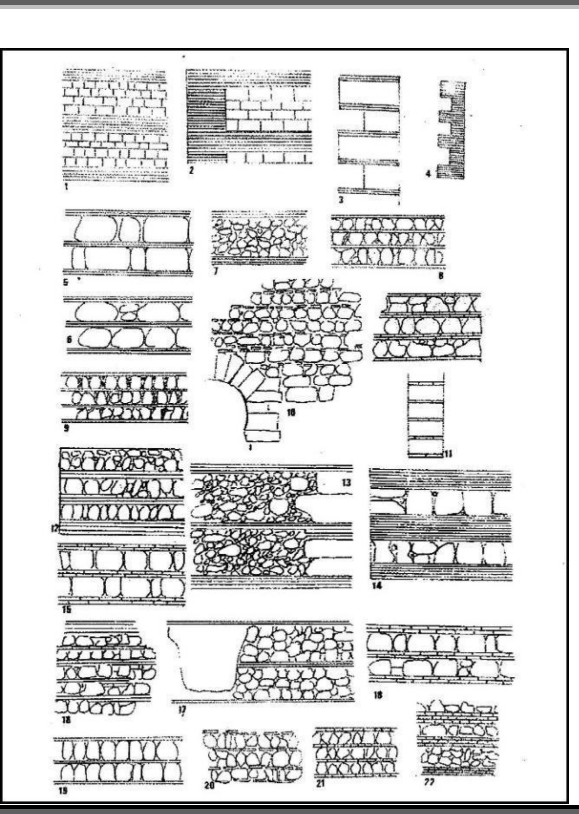


الشكل (08): يبين أنماط الأقبية
-من عمل الطالب-

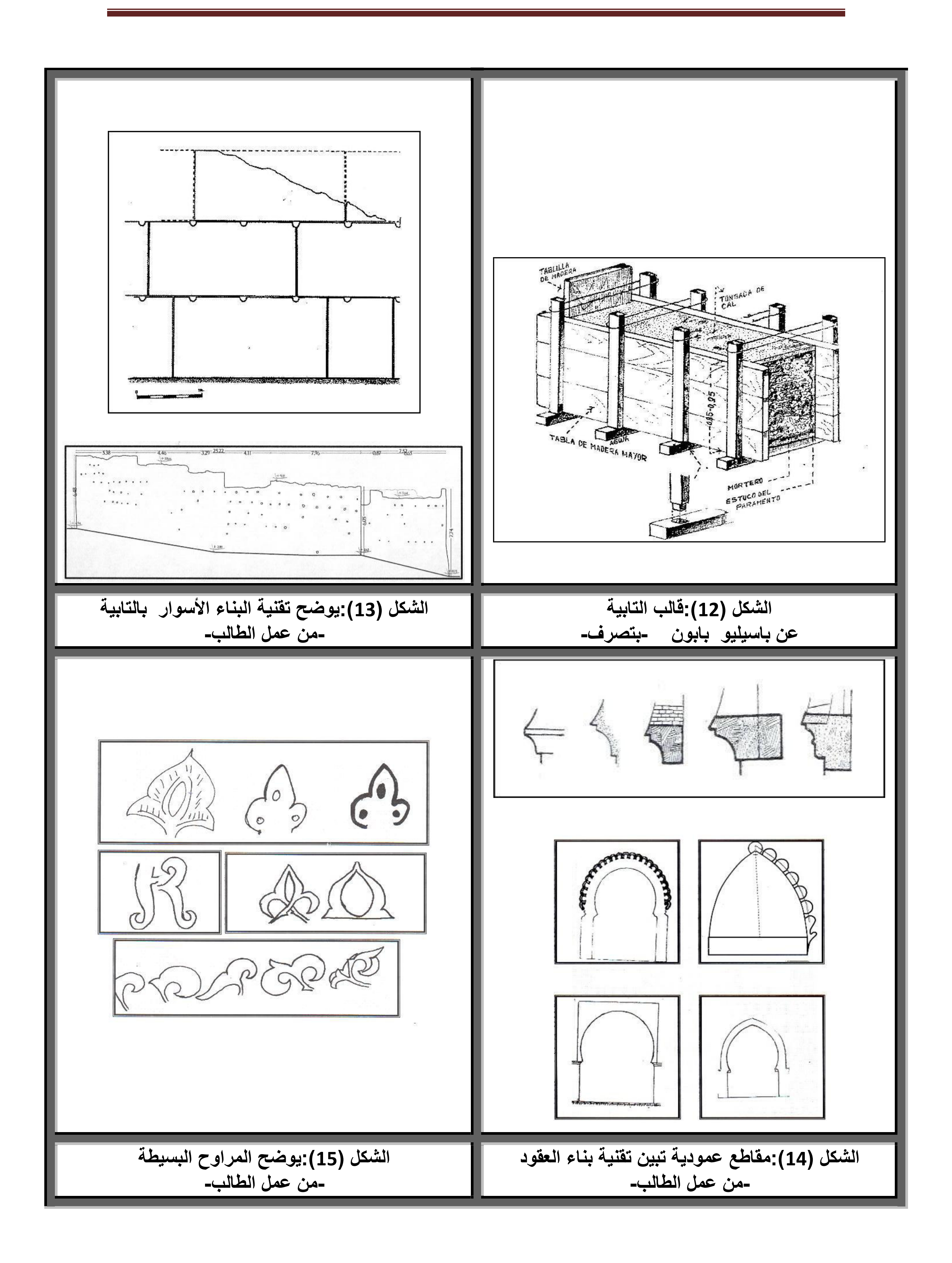
الشكل (09): يبين تقنية العادية للبناء (حجر الدبش)
عن باسيليو بابون -بتصرف-



الشكل (10): طريقة الدبش المكون من أحزمة تنفصل عن بعضها بألواح جحرية
عن باسيليو بابون -بتصرف-



الشكل (11): طريقة الدبش المصحوب بمداميك من الآجر
عن باسيليو بابون -بتصرف-

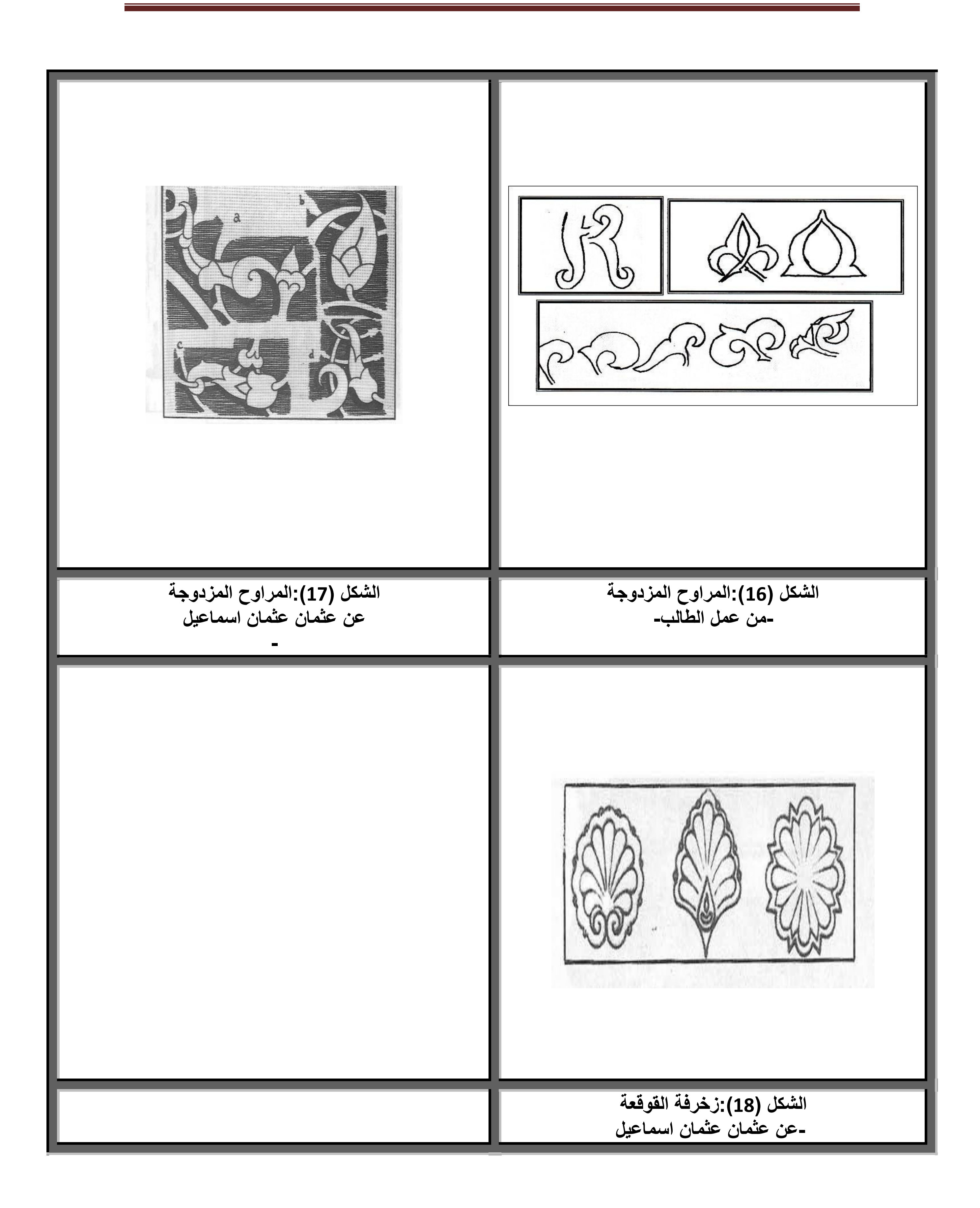


الشكل (12):قالب التابية
عن باسيليو بابون -بتصرف-

الشكل (13):يوضح تقنية البناء الأسوار بالتابية
-من عمل الطالب-

الشكل (14):مقاطع عمودية تبين تقنية بناء العقود
-من عمل الطالب-

الشكل (15):يوضح المراوح البسيطة
-من عمل الطالب-



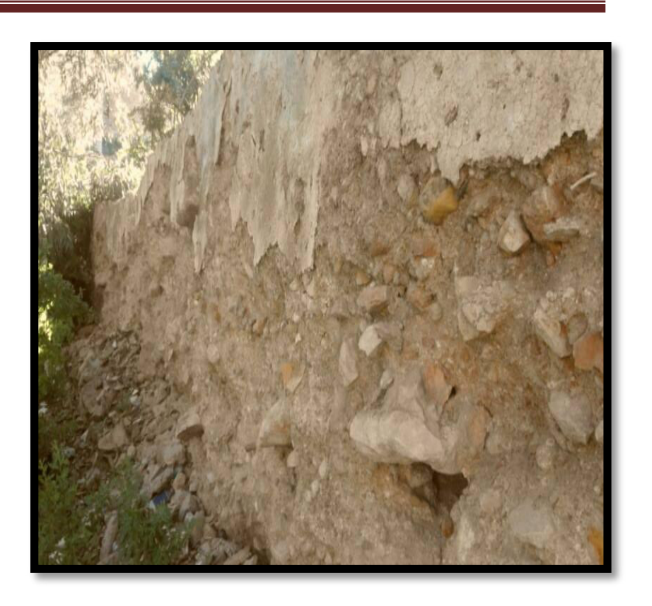
الشكل (16):المراوح المزدوجة
-من عمل الطالب-

الشكل (17):المراوح المزدوجة
عن عثمان عثمان اسماعيل
-

الشكل (18):زخرفة القوقعة
-عن عثمان عثمان اسماعيل

ملحق

الصور





صورة رقم: **1–2**: مدينة تينمل – السور الثاني من جهة الجنوب الشرقي

من عمل الطالب





صورة رقم: **3–4** بقايا السور الشمالي الغربي لتازة العليا

من عمل الطالب



صورة رقم: 5 بقايا البرج الغربي الذي يشرف على واد تازة

من عمل الطالب



صورة رقم: 6 الخندق الذي يحيط بالجهتين الغربية والشرقية لتازة

من عمل الطالب



صورة رقم : **7** قصبة الوداية من جهة البحر

من عمل الطالب





صورة رقم : **8 –9** أسوار وأبراج قصبة الوداية

من عمل الطالب





صورة رقم10 : باب قصبة الوداية

من عمل الطالب





صورة رقم11 –12 : السور الموحدي وأبراجه برباط الفتح

من عمل الطالب



صورة رقم **13** : باب الأحد برباط الفتح

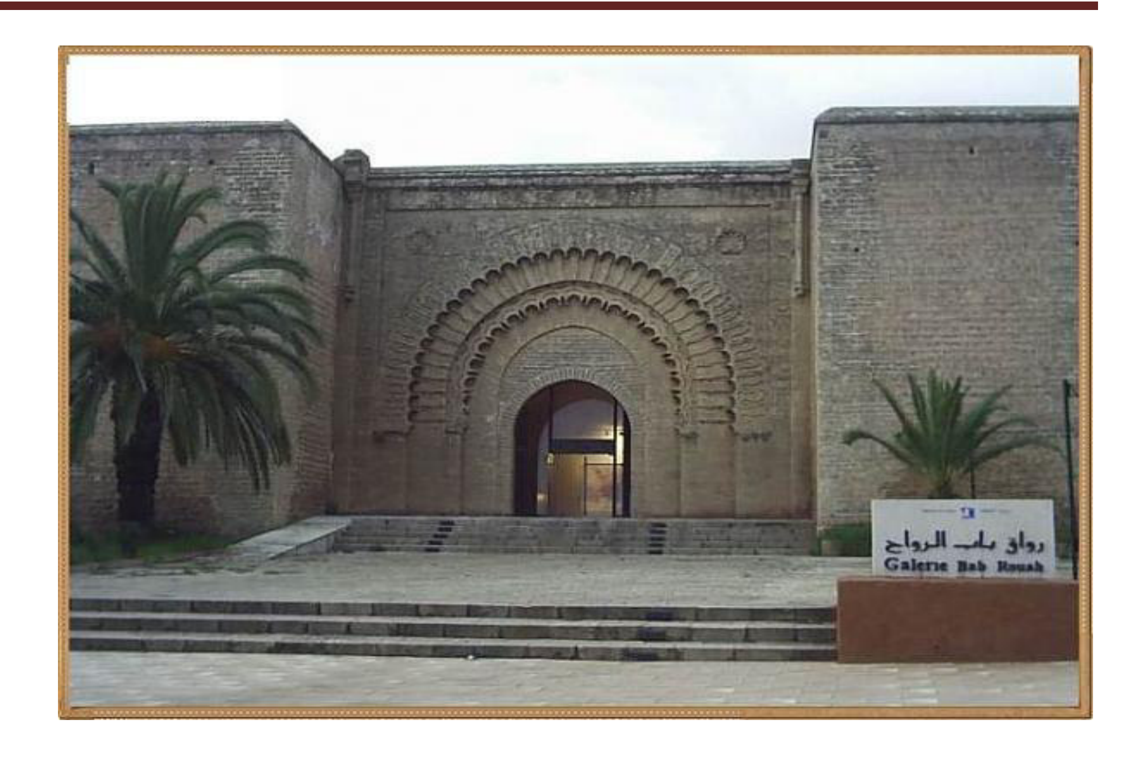
من عمل الطالب



صورة رقم **14** : باب زعير برباط الفتح

من عمل الطالب





صورة رقم 15 : باب الرواح بر باط الفتح

من عمل الطالب



صورة رقم 16 : بقايا أسوار وأبراج مراكش

من عمل الطالب





صورة رقم **17** : باب أكناو بمراكش

من عمل الطالب



صورة رقم **18** : اسوار مدينة سلا

من عمل الطالب





صورة رقم: 19 : باب سبتة بسلا

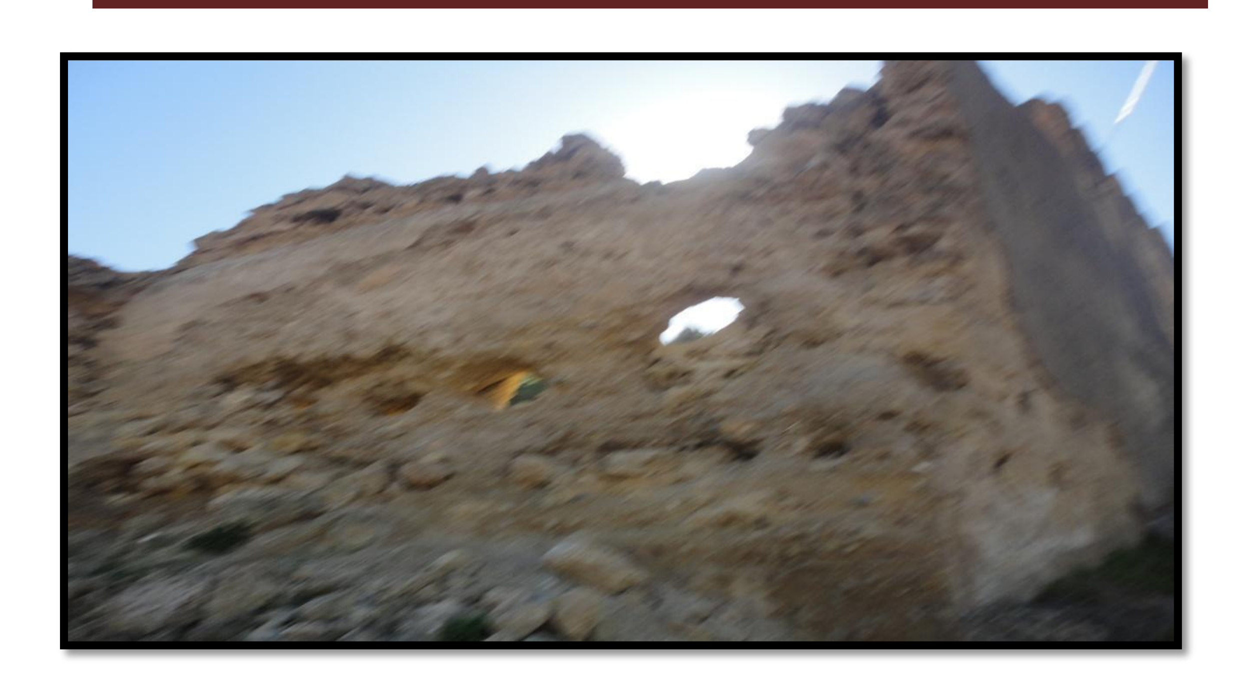
من عمل الطالب



صورة رقم: 20 : اسوار مدينة فاس

من عمل الطالب





صورة رقم: **21** : بقايا اسوار قصبة مكناس

من عمل الطالب



صورة رقم: **22** : اسوار وأبراج رباط تيط

من عمل الطالب





صورة رقم: **23** : بقايا اسوار مدينة تاكرارت

من عمل الطالب



صورة رقم: **24** : الباب القرماديين بتلمسان

من عمل الطالب





صورة رقم: **25** : بقايا اسوار قصبة ندرومة

من عمل الطالب



صورة رقم: **26** : بقايا اسوار هنين

من عمل الطالب





صورة رقم: 27 : بقايا اسوار قصبة هنين

من عمل الطالب



صورة رقم: 28 : بقايا برج سيدي ابراهيم بهنين

من عمل الطالب

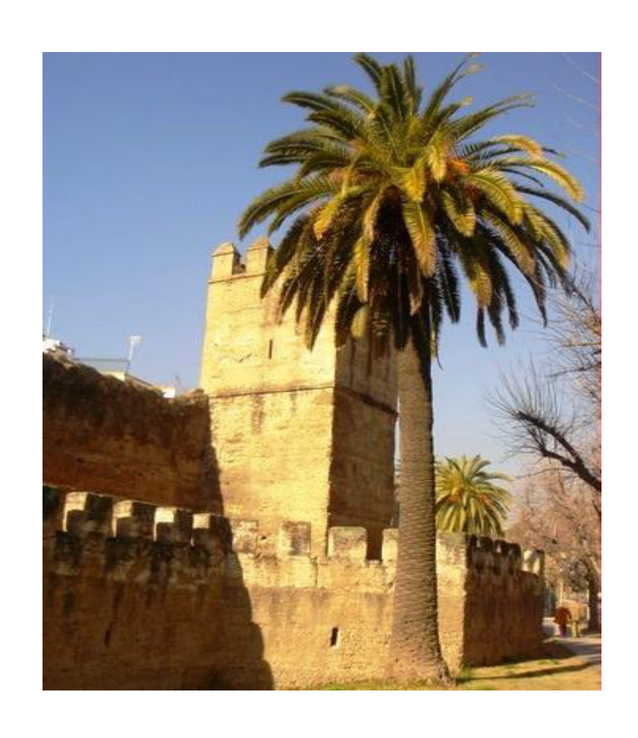


صورة رقم: 29 : الناحية الشمالية لحصن جبل طارق

من عمل الطالب



صورة رقم: 30 : برج الذهب بإشبيلية



صورة توضح: بقايا اسوار اشبيلية

من عمل الطالب



صورة رقم: **31** : برج كينتانا بإستجة

من عمل الطالب



صورة رقم: **32** : قصر قاصرش

من عمل الطالب





صورة رقم: **33** : بقايا اسوار برج اسبنتابروس ببطلبوس



صورة رقم: **34** : البرج المثمن في الشارع القديم بوربيرا بشريش



صورة رقم: **35**: انتشار المراوح المزدوجة بباب قصبة الودابة

من عمل الطالب



صورة رقم: **35**: انتشار زخرفة القوقعة مع الكتابات الكوفية بباب قصبة الوداية

من عمل الطالب

فهارس

الخرائط والمخططات

والأشكال والصور

فهرس الخرائط

خريطة رقم :1: المجال الجغرافي للمغرب الاسلامي في عهد الدولة الموحدية 487

خريطة رقم:2 – 3 : تضاريس بلاد المغرب...................................488

خريطة رقم: 4: تبين المجال الجغرافي للاندلس الموحدية 489

خريطة رقم :5 تضاريس بلاد الأندلس 489

خريطة رقم: 6: الموقع الجغرافي والأثري لمدينة تينمل 490

خريطة رقم: 7: الموقع الجغرافي لمدينة تازة 490

خريطة رقم: 8: الموقع الجغرافي لمدينتي الرباط وسلا 491

خريطة رقم: 9: الموقع الجغرافي لمدينة مراكش 491

خريطة رقم: 10: الموقع الجغرافي لمدينة فاس 492

خريطة رقم: 11: الموقع الجغرافي لمدينة مكناس 492

خريطة رقم: 12: الموقع الجغرافي لمدينة سبتة 493

خريطة رقم: 13- الموقع الجغرافي لمدينة رباط تيط...................................493

خريطة رقم: 14- الموقع الجغرافي لمدينة اسفي......................................494

خريطة رقم: 15 الموقع الجغرافي لمدينة تلمسان و ندرومة 494

خريطة رقم: 16 الموقع الجغرافي لمدينة هنين 495

خريطة رقم: 17 الموقع الجغرافي لمدينة بجاية 495

خريطة رقم: 18 الموقع الجغرافي التقريبي لمدينة البطحاء 496

خريطة رقم: 19 الموقع الجغرافي لمدينة جبل طارق 496

خريطة رقم: 20 الموقع الجغرافي لمدينة اشبيلية 497

خريطة رقم: 21 الموقع الجغرافي لمدينة استجة 497

خريطة رقم: 22 الموقع الجغرافي لمدينة قاصرش 498

خريطة رقم: 23 الموقع الجغرافي لمدينة بطليوس 498

خريطة رقم: 24 الموقع الجغرافي لمدينة شريش 499

فهرس المخططات

المخطط رقم 01: تخطيط الباب الكبير بقصبة الدودابة ووسائل التغطية بقاعات 501

المخطط رقم 02: تخطيط باب الأحد ،ووسائل التغطية بقاعات ثلاث 501

المخطط رقم 03: تخطيط الباب العلو 502

المخطط رقم 04: تخطيط باب زعير 502

المخطط رقم 05: تخطيط باب الرواح، المنعرج المزدوج ووسائله الدفاعية 503

المخطط رقم 06: وسائل التغطية بقاعات ثلاث –باب الرواح 503

المخطط رقم 07: تخطيط باب القيادة –داخل القصر الملكي 504

المخطط رقم 08: مخطط يبين اسوار وأبواب مراكش..........................504

المخطط رقم 09: التخطيط العام لمدينة سلا (الأسوار و الأبواب) 505

المخطط رقم 10: تخطيط باب فاس (الخميس) بسلا 505

المخطط رقم 11: مخطط يوضح أسوار وأبواب فاس البالي 506

المخطط رقم 12: تصميم باب المحروق (الشريعة)..............................506

المخطط رقم 13: تصميم باب الجيسة 507

المخطط رقم 14: تصميم باب الحديد 507

المخطط رقم 15: تصميم باب الجديد 508

المخطط رقم 16: تصميم باب الفتوح 508

المخطط رقم **17**: تصميم رباط طيط (الأسوار و الأبواب) **509**

المخطط رقم **18**: تصميم باب القبلي **509**

المخطط رقم **19**: مخطط يوضح أسوار و أبواب مدينتي أغادير و تاكرارت **510**

المخطط رقم **20**: مسقط رأسي لبرج و باب القرماديين **510**

المخطط رقم **21**: مخطط تقريبي لأسوار وأبواب مدينة ندرومة **511**

المخطط رقم **22**: مخطط تقريبي لأسوار وأبواب والقصبة لمدينة هنين **511**

المخطط رقم **23**: مخطط برج سيدي إبراهيم – هنين – **512**

المخطط رقم **24**: مخطط لمدينة بجاية الأسوار والأبواب والقصبة **512**

المخطط رقم **25**: مخطط يوضح الطابق الثالث مع الشرفة لحصن جبل الفتح **513**

المخطط رقم **26**:مخطط قطاعي لبرج الدهب بإشبيلية **513**

المخطط رقم **27**: مخطط يوضح البرج الفضة مع إضافة القباب بإشبيلية **514**

المخطط رقم **28**: مخطط يوضح تصميم برج كينتانا **514**

المخطط رقم **29**: مخطط يوضح تخطيط الأبراج البرانية بقصرش **515**

المخطط رقم **30**: مخطط يوضح تخطيط برج اسبنتابروس بقصبة بطليوس **515**

المخطط رقم **31**: مخطط يوضح تخطيط البرج المثمن في شريش............................... **516**

فهرس الأشكال

الشكل (01): رسم تقريبي يبين أحد الأبراج الدائرية مع السور........................518
الشكل (02): الأسوار المزدوجة ذات الزوايا المتعددة مع توزيع الأبراج 518
الشكل (03): مقطع أفقي و عمودي يبين شرفات الأسوار 518
الشكل (04): يبين البوابات ذات المدخل المباشر 519
الشكل (05): يبين تخطيط البوابات ذات المدخل المنحني........................519
الشكل (06): يبين عقد البوابة 519
الشكل (07): يبين الحليات المعارية المقلوبة مع المسننات 519
الشكل (08): يبين أنماط الأقبية 520
الشكل (09): يبين تقنية العادية للبناء (حجر الدبش)........................520
الشكل (10): طريقة الدبش المكون من أحزمة........................520
الشكل (11): طريقة الدبش المصحوب بمداميك من الآجر 520
الشكل (12):قالب التابية 521
الشكل (13):يوضح تقنية البناء الأسوار بالتابية 521
الشكل (14):مقاطع عمودية تبين تقنية بناء العقود 521
الشكل (15):يوضح المراوح البسيطة........................521
الشكل (16):المراوح المزدوجة........................522
الشكل (17):المراوح المزدوجة........................522
الشكل (18):زخرفة القوقعة........................522

فهرس الصور

صورة رقم: 1–2: مدينة تينمل – السور الثاني من جهة الجنوب الشرقي 524

صورة رقم: 3–4 بقايا السور الشمالي الغربي لتازة العليا..............................524

صورة رقم: 5 بقايا البرج الغربي الذي يشرف على واد تازة..............................525

صورة رقم: 6 الخندق الذي يحيط بالجهتين الغربية والشرقية لتازة 525

صورة رقم : 7 قصبة الوداية من جهة البحر...526

صورة رقم : 8 –9 أسوار وأبراج قصبة الوداية...526

صورة رقم10 : باب قصبة الوداية..527

صورة رقم11 –12 : السور الموحدي وأبراجه برباط الفتح 527

صورة رقم 13 : باب الأحد برباط الفتح...528

صورة رقم 14 : باب زعير برباط الفتح 528

صورة رقم 15 : باب الرواح برباط الفتح.......................................529

صورة رقم 16 : بقايا أسوار وأبراج مراكش 529

صورة رقم 17 : باب أكناو بمراكش 530

صورة رقم 18 : اسوار مدينة سلا 530

صورة رقم: 19 : باب سبتة بسلا 531

صورة رقم: 20 : اسوار مدينة فاس 531

صورة رقم: 21 : بقايا اسوار قصبة مكناس 532

صورة رقم: 22 : اسوار وأبراج رباط تيط 532

صورة رقم: 23 : بقايا اسوار مدينة تاكرارت 533

صورة رقم: 24 : الباب القرماديين بتلمسان 533

صورة رقم: 25 : بقايا اسوار قصبة ندرومة 534

صورة رقم: 26 : بقايا اسوار هنين 534

صورة رقم: 27 : بقايا اسوار قصبة هنين 535

صورة رقم: 28 : بقايا برج سيدي ابراهيم بهنين 535

صورة رقم: 29 : الناحية الشمالية لحصن جبل طارق 536

صورة رقم: 30 : برج الذهب بإشبيلية 536

صورة توضح: بقايا اسوار اشبيلية 536

صورة رقم: 31 : برج كينتانا بإستجة 537

صورة رقم: 32 : قصر قاصرش 537

صورة رقم: 33 : بقايا اسوار برج اسبنتابروس ببطلبوس 538

صورة رقم: 34 : البرج المثمن في الشارع القديم بوربيرا بشريش 538

صورة رقم: 35: انتشار المراوح المزدوجة بباب قصبة الوداية 538

صورة رقم: 35: انتشار زخرفة القوقعة مع الكتابات الكوفية بباب قصبة الوداية 539

فهارس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة ....أ–ط

مدخل عام

أولا: الاطار الجغرافي للخلافة الموحدية 19

1. المجال الجغرافي للمغرب الاسلامي في عهد الخلافة الموحدية.. 19
2. المميزات الجغرافية والبشرية للمغرب الإسلامي 23
3. المجال الجغرافي للأندلس الموحدية.. 27
4. المميزات الجغرافية لبلاد الأندلس.. 28

ثانيا: الاطار التاريخي للخلافة الموحدية 30

1. مرحلة البناء 30
2. مرحلة التأسيس.. 38
3. مرحلة التطور والازدهار.. 45
4. مرحلة التدهور 56
5. مرحلة السقوط 61

ثالثا: الفكر العسكري الموحدي في تطوير المجال الدفاعي..64

القسم الأول: العمارة العسكرية بالمغرب الأقصى

الفصل الأول: العمارة العسكرية المبكرة

تمهيد: 75

أولا: ضبط المصطلحات المتعلقة بالاستحكامات الحربية..79

1. القصبة 79

2. الرباط... 80
3. الحصن 81
4. القلعة 81
5. الخندق 82
6. الأسوار 83
7. الأبواب 84
8. البرج.. 85

ثانيا: المدن العسكرية المبكرة.. 87

1. مدينة تينمل.. 87
أ. التحصين الطبيعي 87
ب. التحصين المحدث 89
1. الأسوار 90
أ. السور الأول 91
ب. السور الثاني 91
2. الأبراج.. 92
3. مداخل المدينة.. 95
2. رباط تازة... 96
أ. الموقع الجغرافي.. 96
ب. تحصيناتها 97
أ. الأسوار 97
● وصف السور الشمالي الغربي لتازة- العليا- المدينة العتيقة 98
ب. الأبراج.. 100
● البرج المستطيل.. 100
● البرج المربع 101

ت. المداخل 101
ث. الخندق 102
3. مدينة رباط الفتح 104
أ. الموقع الجغرافي وعبقرية المكان 104
- الجانب العسكري الاستراتيجي 104
- الظرفية التاريخية 105
ب. اشكالية تأسيس مدينة رباط الفتح 106
ج. تحصيناتها 110
1. قصبة الأوداية 110
أ. الأسوار 111
– السور الأول 111
– السور الثاني 111
– السور الثالث والرابع 112
ب. الأبراج 113
ت. المداخل 114
- الوصف المعماري لباب الأوداية 114
– القاعة الأولى 114
– القاعة الثانية 115
– القاعة الثالثة 115
2. السور الموحدي 117
أ. الأبراج المستطيلة 119
ب. الأبراج المربعة 120
3. مداخل مدينة رباط الفتح 120
أ. باب الأحد 121
– وصف الباب 121

ب. باب العلو 123
ت. باب زعير 124
ث. باب الرواح 124
ج. باب القيادة 127
خلاصة الفصل 129

الفصل الثاني: العمارة العسكرية في عصر القوة

تمهيد 132

1. قصبة وأسوار مراكش 134
أ. الموقع الجغرافي 134
ب. التحصينات الدفاعية لمدينة مراكش 135
1. الأسوار 137
أ. وصف أسوار المدينة العتيقة لمراكش 138
ب. السور الموحدي 140
2. المداخل المندثرة والباقية لمراكش العتيقة 141
أ. أبواب الواجهة الشمالية 142
– باب فاس 142
– باب تاغزوت 143
ب. مداخل الواجهة الغربية 143
– باب الرخاء 143
– باب دكالة 143
– باب مسوفة – الموصوفة– 144
– باب المخزن 144
– باب الرب (نفيس) 144
– باب الشريعة 146

ت. مداخل الواجهة الشرقية 147
– باب الدباغين 147
– باب اينتان 148
– باب إيلان 148
ث. الواجهة الجنوبية 148
● باب الصالحة 148
● باب أغمات 149
● باب أكناو 149
ج. القصبة الموحدية 150
1. تاريخ تأسيس القصبة 151
2. وصف القصبة 152
3. تحصيناتها 152
أ. الأسوار والأبراج 152
ب. المداخل 153
ح. تخطيط الهندسة المائية 154
خ. قنطرة تانسيفت 156
2. مدينة سلا 158
أ. الموقع الجغرافي 158
ب. تحصيناتها 160
1. الأسوار 160
● تخطيط السور 162
● السور الشمالي 162
● السور الشرقي 163
2. المداخل 164
أ. باب سبتة 164

ب. باب فاس (الخميس).. 165
3. مدينة فاس.. 166
أ. الموقع الجغرافي.. 166
ب. تحصيناتها 169
1. الأسوار 170
- المرحلة الأولى 170
- المرحلة الثانية.. 171
- وصف السور 172
2. الأبراج.. 176
3. المداخل 177
أ. أبواب عدوة القرويين 177
- باب المحروق- باب الشريعة- 177
- وصف الباب.. 178
- باب الجيسة 179
- وصف الباب.. 180
- باب الحديد 181
- باب الجديد 182
ب. أبواب عدوة الأندلس 183
- باب الجزيين 183
- باب الفتوح.. 184
- باب الخوخة 184
- باب بني مسافر.. 185
3.القصبة الموحدية 185
- وصف القصبة.. 186
4. مدينة مكناس.. 187

أ. الموقع الجغرافي وأهميته الاستراتيجية.. 187
ب. تحصيناتها.. 189
1. القصبة الموحدية 190
● وصف القصبة... 191
5. مدينة سبتة 193
أ. الموقع الجغرافي وأهميته الاستراتيجية.. 193
ب. تحصيناتها.. 196
1. الأسوار والمداخل.. 197
2. المحارس البحرية... 201
6. رباط تيط 203
أ. الموقع الجغرافي... 203
ب. تأسيس الرباط تيط.. 204
ج. تحصيناتها.. 207
1. الأسوار والأبراج 207
2. الأبواب.. 208
أ. الباب القبلي 208
ب. الباب أسفي... 209
ج. الباب الجديد 209
3. البرج – المنار-... 209
7. مدينة أسفي 210
أ. الموقع الجغرافي 210
ب. تحصيناتها.. 212
1. الأسوار والأبواب 213

2. قصبة دار السلطان.. 215

3. رباط الشيخ أبي محمد صالح.. 216

خلاصة الفصل 219

القسم الثاني: الاستحكامات العسكرية الموحدية بالمغرب الأوسط والأندلس

الفصل الأول: العمارة العسكرية في المغرب الأوسط

تمهيد 222

أولا: مدينة تلمسان...228

1. الموقع الجغرافي.. 228

2. تحصيناتها 231

أ. الأسوار 233

– العهد المرابطي.. 237

– العهد الموحدية 237

1. من باب القرماديين إلى باب الحلوي 239

2. من باب كشوط إلى باب القرماديين.. 240

3. السور الخارجي 240

ب. مداخل مدينة تلمسان (أغادير وتاكرارت)... 242

1. مداخل مدينة أجادير 242

2. مداخل مدينة تاكرارت.. 244

- الوصف المعماري لباب القرماديين... 244

ح. الخنادق 246

ثانيا: مدينة ندرومة...248

1. الموقع الجغرافي.. 248

2. تحصيناتها 250
أ. الأسوار 251
ب. تخطيط السور 252
ت. الأبراج 253
ث. مداخل المدينة 254
• باب الغرافي 255
• باب تازة 255
• باب المدينة 255
• باب القصبة 256

ثالثا: مدينة هنين 257

1. الموقع الجغرافي 257
2. تحصيناتها 259
أ. الأسوار 261
ب. الأبراج 261
ت. مداخل المدينة 262
الباب الشمالي 263
الباب الجنوبي 263
الباب الشرقي 263
الباب الغربي 264
باب البحر 264
ج. القصبة 264
ح. أبراج المراقبة على ساحل هنين 266

– وصف الأبراج 267

1. برج البحر.. 267

2. برج سيدي ابراهيم.. 268

رابعا: مدينة بجاية.. 270

1. الموقع الجغرافي 270

2. تحصيناتها 273

أ. القصبة 274

• وصف القصبة.. 276

خامسا: مدينة البطحاء.. 278

1. الموقع الجغرافي 278

2. تاريخ تأسيس المدينة 279

3. البناء والتطور 280

خلاصة الفصل 284

الفصل الثاني: العمارة العسكرية بالأندلس

تمهيد 287

أولا: مدينة جبل طارق.. 291

1. الموقع الجغرافي.. 291

الأمر بالبناء.. 292

أهداف تنفيذ المشروع الموحدي.. 293

هيئة الاشراف على المشروع وتنفيذ البناء 294

مدة الاشتغال بناء المدينة ونزول عبد المؤمن بمرفئها 295

2. تحصيناتها 296

أ. السور الموحدي 298

ب. حصن جبل الفتح 300

– الوصف المعماري للحصن (القلهرة).. 301

ثانيا: مدينة اشبيلية 303

1. الموقع الجغرافي... 303

2. تحصيناتها 305

أ. القصبة.. 305

ب. أسوار اشبيلية 308

● السور الأول 308

● السور الثاني.. 308

● السور الثالث... 308

ت. برج الذهب 310

● وصف البرج 311

ث. برج الفضة... 312

ج. حصن الفرج 314

ح. قلعة جابر أو قلعة وادي أيرة 314

ثالثا: مدينة استجة:... 316

1. الموقع الجغرافي... 316

2. تحصيناتها 317

أ. برج شارع كالثادا... 317

ب. برج كينتانا: 317

رابعا: مدينة قاصرش... 318

1. الموقع الجغرافي 318
2. تحصيناتها 320
أ. القصر 320
ب. أسوار قاصرش 321
ت. الأبراج البرانية 321
خامسا: مدينة بطليوس 323
1. الموقع الجغرافي 323
2. تحصيناتها 324
أ. القصبة 324
ب. الأبراج البرانية 326
- برج اسينتابروس espantaperros 326
ت. برج المشنوق 327
سادسا: مدينة شريش: 328
1. الموقع الجغرافي 328
2. تحصيناتها 329
أ. البرج المثمن في الشارع القديم بوربيرا 329
خلاصة الفصل 332

القسم الثالث: الدراسة الفنية التحليلية

الفصل الأول: وظيفة الأسوار ومقوماتها

تقديم 336
1. الأسوار 336
أ. الدراوي والممرات 338

ب. شرفات السور.. 338
ت. سمك الأسوار(جسم السور) 340
2. الأبراج.. 341
أ. شكل الأبراج الموحدية 342
ب. ارتفاع الأبراج الموحدية 343
ت. المسافات الفاصلة بين الأبراج... 344
ث. الأبراج ذات الميل 344
ج. غرف الأبراج 345
ح. الأبراج البرانية.. 347
خ. موقع الأبراج البرانية.. 349
د. نمطية الأبراج البرانية.. 350
1. المخطط المستطيل مع وجود دهليز أو جسر.. 350
2. المخطط المربع 350
ذ. أبراج الحراسة- الطلائع والمنارات 351
1. المداخل(الأبواب).. 354
3. المداخل 354
أ. البوابات ذات المدخل المباشر 354
ب. البوابات ذات المدخل المنحني 355
1. عدد الانحناءات.. 356
2. السلالم... 357
3. عقود الأبواب 359
4. الفتحات العلوية.. 359
5. المنصات ذات المزاغل والشرفات الناتئة 360
6. الحاجز المتحرك.. 361
7. الحليات المعمارية المقلوبة- المسننات في البوابات 361

8. أنماط الأقبية في الأبواب الموحدية 363
4. القصبات 364
خلاصة الفصل 367

الفصل الثاني مواد الانشاء وأساليب البناء والزخرفة

تقديم 373
أولا: مواد الانشاء وتقنياته 373
1. حجر الدبش 374
أ. الطريقة العادية 375
ب. الدبش المكون من أحزمة تنفصل عن بعضها بألواح حجرية 375
ت. الدبش المصحوب بمداميك من الآجر 376
2. التابية 377
أ. القالب 379
ب. المركز 381
ت. الخليط 381
ث. البناء ومساعدية 382
ج. تقنية التشييد 382
3. الآجر 385
أ. طريقة المداميك المنتظمة 386
ب. طريقة المداميك المتناوبة 386
ت. طريقة المداميك المائلة 387
– تقنية بناء العقود 387
4. الملاط الجيري 388
5. الخشب 388
أ. الشبكات الخشبية في الأسوار الخشبية 389
ب. واجهات الأسوار ذات الأحادية الأفقية 389

6. الحديد 392
7. الجص.. 393
ثانيا: تقنية الزخرفة 394
1. الزخرفة النباتية 395
أ. المراوح البسيطة 396
ب. الموارح المزدوجة 396
ت. العنصر الملفوف 398
ث. القوقعة 399
2. الزخارف الهندسية... 399
شبكة المعينات 399
العقود المقصصة- التطويقية أو التغليفية.. 400
3. الزخرفة الكتابية 401
خلاصة الفصل 404
نتائج البحث 408
– **فهرست الأعلام والأماكن والقبائل والعشائر والأجناس 415**
– **ثبت المصادر والمراجع** 462
– **الملاحق**.. 485
الفهرس الخرائط والمخططات والأشكال والصور 540
فهرس الموضوعات 548
ملخص الرسالة باللغة الفرنسية

Les fortifications militaires pendant l'époque almohade :

Résumé :

Almohades sont considérés comme une force militaire par excellence, Où ils ont concentré l'essentiel de leur attention au Jihad interne et externe. Si nous connaissons l'étendue du champ que l'État almohade devrait surveiller et défendre contre les hypocrites et les opposants, Nous aurions sans aucun doute réalisé l'importance de la force militaire à fournir.

En effet, Le pouvoir selon Ibn Khaldoun, construit ses fondations sur deux principes qui sont : le fanatisme ce qui est exprimé par les soldats et le second est l'argent qui le principal allié de ses soldats, et peut-être ce qui aurait augmenté la présence de la guerre dans la vie quotidienne pour le roi et son peuple, les Almohades se considèrent comme les propriétaires d'une croyance valide, alors que les autres ne sont pas à leurs yeux n'étaient que des mécréants qui devaient être combattu pour les décourager et les rendre sur le bon chemin, Il n'est pas étrange de prendre toutes les guerres des almohades sous une forme djihadiste leur imam Muhammad ibn Tumart a consacré dans son livre la chose la plus précieuse dans un chapitre complet sur le jihad et les problèmes associés et les problèmes qui en découlent.

Cet intérêt croissant pour les questions de guerre et de jihad apparaît dans les inscriptions dans lesquelles les Almohades décoraient certains de leurs bâtiments, Ils ont écrit sur la porte de la casbah orientale de Rabat un verset coranique. Ils ont aussi gravé sur l'une des fenêtres de la citadelle de Hassan avec vue sur la mer deux épées pointés vers le ciel. Sur ces bases de ces exemples et d'autres exemples, qui montrent tous l'importance de la guerre chez les Almohades jusqu'au niveau de la croyance. Le domaine militaire devait sans aucun doute dominer les autres domaines, et que le statut militaire est au sommet de la pyramide sociale en effet, selon un chercheur étranger, le Maghreb islamique les Almohades ne connaissaient pas encore cette force militaire et cette conception de la guerre, qui étaient des caractéristiques importantes de l'ère almohade.

La gravité de la guerre contre l'empire almohade est devenue incontestable, il suffit juste de souligner que la plupart des historiens comparent le début et la fin des états par des évènements militaires, la fin de l'Almoravide a commencé à l'horizon après la mort du prince Tachfin ben Ali par les forces Almohades dans la ville d'Oran ou l'établissement d'une ville militaire comme cela est arrivé dans le berceau des almohade à Tinmel ce qui a remis en cause le problème de la guerre et des installations militaires à l'époque de l'almohade avec une nouvelle perspective qui va au-delà du récit chronologique des événements militaires, à creuser dans les résultats architecturaux, de sorte que la divulgation de nouvelles données enrichira sans aucun doute la recherche archéologique, et si nous ne connaissons pas le nombre d'installations militaires qui ont été établies au Maroc en particulier et les territoires sous l'autorité des Almohades en général en raison de la rareté des chiffres dans les années intermédiaires sur l'architecture militaire, en particulier dans cette période d'étude.

Cela est dû à plusieurs facteurs, en dépit des dommages physiques à la zone urbaine résultant des démolitions et du vandalisme, par exemple Abdul Mumin bin Ali, nous avons trouvé qu'il a eu recour à la mise en œuvre de sa politique de démolition des clôtures entourant les villes

ouvertes Justifié par ses célèbre paroles : nous n'avons pas besoin d'un mur, mais nos murs sont nos épées et notre justice Où les murs des villes de Fès, Sala et Vera ont été démolis, cela a été rapporté par Sherif Idrissi un de leurs contemporains quand il a mentionné que les Masmoudas ont détruite à la pointe de l'Andalousie et anéanti deux villes qui se trouvaient au nord de Fès qui sont Saleh et Beni Tawda. Cependant, ce sont les démolitions de l'architecture almoravide qui expliquent la construction pendant la période almohade. Ainsi que l'agitation politique et les guerres et les facteurs de chamailleries qui ont contribué à l'intérêt dans les installations militaires. Quoi qu'il en soit, la méthode de production de guerre était le mode prédominant de la société almoravide, afin de servir la guerre et la politique sectaire des Califats.

Basé sur ce qui précède, Reste à étudier la recherche archéologique dans cette période, Mettre l'accent sur le fait de rater le chaînon manquant des effets des installations militaires, en particulier dans la capitale de leur roi où c'est l'un des épisodes les plus importants qui doivent être étudiés et relancés. Cela peut expliquer beaucoup d'ambiguïtés ce qui a endommagé ces installations à cette époque et les périodes qui ont suivi.

Ces installations ont joué un rôle clé dans l'autonomisation de leur empire tentaculaire, Tant dans le stade formatif et l'établissement ou la phase de force et de prospérité, Ou encore la phase d'automne, devenue un cadre nécessaire à l'architecture des différentes activités physiques, humaines et économiques.

Il est de notoriété publique que la question de la défense a longtemps été une obsession pour l'homme, où le concept de fortifications défensives a émergé de son souci de stabilité et de son sens de la nécessité de mettre fin aux attaques, il n'a pas hésité à chercher différentes méthodes pour évaluer le danger imminent, passer des fortifications simples, penser simplement aux rochers et aux arbres, et la transition dans les étapes historiques ultérieures à l'adoption de méthodes d'ingénierie et la science qui l'accompagne à l'appui du développement de ses défenses, par ces deux types légers et temporaires ou lourde et permanents, et dont l'objectif initial était de renforcer les positions de l'État.

Tels que les traversées et les entrées maritimes, ce qui est nécessaire de s’approprier ces postes importants et continuer à les acquérir pour y bâtir des Forteresses fortifiées résistants à tous les effets naturels destructeurs et tous les efforts résultant d'une attaque régulière. La propriété d'imprégnation forte est un signe d'un fort degré de force, connu par ce degré et obtenir l'utilisation d'un bon support d'information afin d’arriver à ces deux objectifs mentionnés avant à condition que la mise en place de tels locaux aient le temps qu'il faut et l'argent dont ils ont besoin.